

## (٢٠) بَابُ مَا جَاءَ أُنَّ الْغُلُوفِ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مناسبة الباب لما قبله، وماذا أراد المصنف بهذا الباب:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: أراد المصنف - رحمه الله - بهذه الترجمة أموراً:

أولها: التحذير من الغلو في قبور الصالحين .

الثاني: أن الغلو فيها يؤول إلى عبادتها.

الثالث: أنها إذا عُبِدَتْ سُمِّيَتْ أَوْثَانًا ولو كانت قبور الصالحين .

الرابع: التنبيه على العلة في المنع من البناء عليها واتخاذها مساجد . اهـ.

وقال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: في التعليق على قول المصنف: باب ما جاء أن الغلو

في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تُعْبَدُ من دون الله ، لما مضى من أن التردد - أى على القبور ولو لعبادة الله - يورث التآله والتعظيم شيئاً فشيئاً حتى تعبد من دون الله ، الذى خلق الكون بأسره - سبحانه وتعالى عما يشركون . اهـ.

وقال ابن باز<sup>(٣)</sup>: وهذا صحيح كما سبق، فالغلو يجعل المغلو فيه معبوداً من دون

الله ، ولهذا لما غلى أناس في قبور بعض الصالحين جعلوها تُعْبَدُ من دون الله كقبر الصالحين من الحسن والحسين وفاطمة وغير ذلك .

وهكذا هذه الأمة غلو في الرسول ﷺ وعبدوه واستغاثوا به ودعوه من دون الله ،

وفى سابق الزمان لما غلى قوم نوح في الصالحين أدى إلى عبادتهم وتقدم .

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: هذا الباب له صلة بما قبله، وهو أن الغلو في قبور الصالحين

يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ من دون الله ، أى: يؤول الأمر بالغالين إلى أن يعبدوا هذه القبور أو أصحابها. اهـ.

قلت: فبعد أن ذكر المصنف في الباب قبل الماضى عاقبة الغلو فى الصالحين، وأنه

سبب كفر بنى آدم ، اتبع ذلك بباب فى الوسيلة الموصلة للغلو وهو : عبادة الله عند قبورهم فكان لا بد وأن يفرد باباً فى عاقبة من غال فى القبر نفسه، فناسب وضعه هنا .

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٢٩٧).

(٤) القول المفيد : (١/٥٣٩).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٤٨) .

(٣) التعليق المفيد (١٢٥)

والأولى - والله أعلم - تقديم هذا الباب على الذى قبله، من باب تقديم الغاية على الوسيلة، والبدء بالأشرف ثم الأخف، أو تأخير الباب الماضى على الذى قبله، من باب تقديم الوسيلة على الغاية وهذا الأولى، فيكون الترتيب على هذا النحو:

باب التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح، فكيف إذا عبده؟

فهذا السبب فى الغلو فى المقبور والقبر فيجعل الأول معبود والثانى وثن، وهو ما صرح به فى الترجمتين، وهو الذى تسبب فى كفر بنى آدم، وتركهم دينهم، وصير القبور أوثاناً.

ولعل المصنف وضع هذه الترجمة بالنظر إلى دعاءه ﷺ فالنبي ﷺ ما دعى إلا لما علم أن من كان قبلنا اتخذوا قبور أنبياءهم وصالحهم مساجد، فلذلك ناسب أن توضع الأبواب التى فيها عبادة القبور واتخاذها مساجد قبل هذا الباب ولكن هذا من حيث الدعاء، ولكن من حيث الترجمة نفسها فالأولى كما قلت، والله الموفق للصواب.

#### ● مناسبة الباب للتوحيد:

قال الفقير: هى أن الغلو فى قبور الصالحين يؤول إلى عبادتها من دون الله وهذا شرك واضح.

#### شرح الترجمة:

قوله: [ما جاء أن الغلو فى قبور الصالحين يصيرها أوثاناً]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: وبالجملة فالغلو أصل الشرك فى الأولين والآخرين إلى يوم القيامة. اهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: والغلو: مجاوزة الحد مدحاً أو ذماً والمراد هنا مدحاً والقبور لها حق علينا من وجهين:

١- أن لا نفرط فيما يجب لها من الاحترام، فلا تجوز إهانتها، ولا الجلوس عليها، وما أشبه ذلك.

٢- أن لا نغلو فيها فنتجاوز الحد. اهـ.

[قلت]: والرسول ﷺ نهانا عن الإفراط والتفريط بوجه عام. وفى القبور بوجه خاص، ثم قال فى صحيح مسلم قال على بن أبى طالب لأبى الهياج الأسدى: «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرقاً إلا سويته»<sup>(٣)</sup> وفى رواية: «ولا صورة إلا طمستها»<sup>(٤)</sup> اهـ.

(٣)، (٤) تقدم تخريجه

(٢) القول المفيد (١/٥٣٩)

(١) تيسير العزيز حميد (٢٤٨)

[قلت]: وفي هذه الرواية : جمع بين الصورة وطمسها والوثن وكسره، كلاهما عند مسلم، وفيه درء الشبهة القائلة أن الصورة المحرمة هي التماثيل، فقال في التمثال يكسر، وفي الصورة تطمس ، ففيها الفرق بين الصورة المجسمة وحبيسة الظل وأن كلاهما منهي عنه، والله أعلم . اهـ .

والقبر المشرف : هو الذى يتميز عن سائر القبور، فلا بد أن يسوى لساويها لثلاثا يظن أن لصاحب هذا القبر خصوصية ولو بعد زمن، إذ هو وسيلة إلى الغلو فيه . اهـ .  
قوله : «الصالحين»:

قال ابن عثيمين: يشمل الأنبياء والأولياء، بل ومن دونهم وتقدم فى الباب قبل الماضى مزيد بيان لعنى الصالح والغلو . أهـ .  
قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:

الأوثان: هى المعبودات التى لا صورة لها كالقبور والأشجار والعمد والحيطان والأحجار ونحوها، وقد تقدم بيان ذلك .

وقيل: الوثن: هو الصنم، والصنم هو الوثن، وهذا غير صحيح إلا مع التجريد، فأحدهما قد يعنى به الآخر، وأما مع الاقتران فيفسر كل واحد بمعناه . اهـ .  
وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: جمع وثن ، وهو كل ما نُصِب للعبادة ، وقد يقال له : صنم، والصنم: تمثال مُمَثَّل، فيكون الوثن أعم . أهـ .

قلت: واستدل المصنف على ذلك بقوله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد» .  
ثم قال: ولكن ظاهر كلام المؤلف أن كل ما يعبد من دون الله يُسمى وثناً وإن لم يكن على تمثال نصب، لأن القبور قد لا يكون لها تمثال يُنصب على القبر فيعبد . أهـ .  
قوله: «تعبد من دون الله»

قال ابن عثيمين: أى : من غيره، وهو شامل لما إذا عبدت وحدها أو عبدت مع الله، لأن الواجب فى عبادة الله إفراده فيها، فإذا قُرِنَ بها غيره صارت عبادة لغير الله، وقد ثبت فى الحديث القدسى أن الله تعالى يقول : «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معى غيرى تركته وشركه»<sup>(٣)</sup> . اهـ .



(٣) تقدم تخريجه .

(٢) القول المفيد (١/ ٥٤٠)

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٤٨)

رَوَى مَالِكٌ فِي «الموطأ» أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنَا يُعْبَدُ. اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» (١).

● قوله [روى مالك فى الموطأ ....] الحديث .

قال سليمان آل الشيخ (٢): هذا الحديث رواه مالك فى باب جامع الصلاة «مرسلاً» عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار أن رسول الله ﷺ قاله .

ورواه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» عن أبى خالد الأحمر عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء . ورواه البزار عن عمر بن محمد عن زيد عن عطاء عن أبى سعيد الخدرى مرفوعاً (٣) ، وعمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب نفسه من أشرف أهل المدينة .

روى عنه مالك والثورى وسليمان بن بلال فالحديث صحيح عند من يحتج بمراسيل الثقات، وعند من قال بالمسند لإسناد عمر بن محمد له بلفظ الموطأ سواء، وهو ممن تقبل زيادته، وله شاهد عند الإمام أحمد والعقلى من طريق سفيان، عن حمزة بن المغيرة، عن سهيل بن أبى صالح، عن أبىه، عن أبى هريرة رفعه «اللهم لا تجعل قبرى وثناً يعبد، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (٤) اهـ .

مناسبة الحديث للباب:

قال عبد الله بن جبار الله (٥): أن النبى ﷺ خاف أن يقع من أمته ما وقع لغيرهم من الأمم السابقة فتجعل قبره وثناً يعبد من دون الله . اهـ .

وقال القرعاوى (٦): حيث دل الحديث على أن القبور ستتخذ أوثاناً فى هذه الأمة، لذا سأل الله بأن يحمى قبره من أن يتخذ وثناً . اهـ .

مناسبة الحديث للتوحيد:

قال القرعاوى (٧): حيث دل الحديث على أن اتخاذ القبور مساجد وسيلة لعبادة أصحابها، وذلك شرك مناف للتوحيد . اهـ .

(١) أخرجه مالك فى «الموطأ» (٨٥/١٥٦/١) عن عطاء بن يسار مرسلاً .  
وأخرج ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٢٦٩/٣) وعبد الرزاق فى «مصنفه» (١٥٨٧/٤٠٦/١) عن زيد بن أسلم مرسلاً .

قال ابن عبد البر : لا خلاف عن مالك فى إرسال هذا الحديث

وانظر فتح المجيد (٣٧٥- بتخریجنا) .

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٤٨، ٢٤٩) .

(٣) [ضعيف] ذكره الهيثمى فى «المجمع» (٢٨/٢) وقال: رواه البزار وفيه عمر بن صهبان وقد

اجتمعوا على ضعفه . وانظر «فتح المجيد» (ح ٣٧٨) بتخریجنا .

(٤) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢٤٦/٢) عن أبى هريرة به . وانظر «فتح المجيد» (ح ٣٩٧) بتخریجنا .

(٥) الجامع الفريد (٨٧) . (٦، ٧) الجديد (١٩٥) .

شرح الحديث:

قوله (روى مالك)

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هو الإمام مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمر الأصبحى أبو عبد الله المدنى الفقيه إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة، وأحد المتقنين فى الحديث حتى قال البخارى، أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر مات سنة تسع وسبعين ومائة. وكان مولده سنة ثلاث وتسعين.

قلت: أى مات عن ستة وثمانين عاماً فهو خيرنا ولا بد إن صح قول النبى ﷺ «خيركم من طال عمره وحسن عمله» ومن النادر أن تجد بعض الأئمة ليس بمعمّر. والله أعلم.

وقوله [فى الموطأ]: سُمى الموطأ لأنه لما ألفه قبل عرضه على مئة من علماء المدينة فواظنوه عليه أى وافقوه عليه، فسماه الموطأ يعنى المتفق عليه، وقيل الموطأ أى الممهّد وهو من أوائل الكتب التى صنف فى الحديث والفقه، وهو مروى بروايات كثيرة عن الإمام مالك فتجد الموطأ برواية محمد بن حسن الشيبانى تلميذ أبى حنيفة، وغيره من تلاميذ الإمام مالك، وتجد أنّ كل موطأ منها ليس فيه أحاديث فى الآخر بسبب أن الإمام مالك كان يحدث به مراراً ويراجع فيكون أسعد التلاميذ من أخذ العرض الأخير للموطأ.

«والموطأ» من الكتب التى خدمت خدمة لم يخدمها كتاب حديثى أبداً، يكفى أن أذكر لكم أن الإمام ابن عبد البر فى كتاب «التمهيد» فى شرحه للموطأ بلغ إحدى عشر مجلداً وفى اثنين وعشرين جزءاً إلى الآن مطبوع والباقى مخطوط ولم يطبع مع أنّ الموطأ هو مجلّد واحد وإن تعددت رواياته لا تخرج عن مجلّد واحد وكتاب «الاستذكار» أيضاً لابن عبد البر من الكتب المطولة جداً على الموطأ.

ومنها من كتب فى وصل مراسيل موطأ مالك وتعليقاته ومعلقات مالك، وفى رجال مالك كإسعاف البطأ فى رواة الموطأ للسيوطى.

وهذا يدلّك على شرف الكتاب وشرف الكاتب كما ذكرنا فى النكت المتتممة على مقدمه ابن تيمية.

قوله: [اللهم]: قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: أصلها (يا الله) فحذفت (يا) النداء لأجل البداء باسم الله، وعوض عنها الميم الدالة على الجمع، فكان الداعى جمع قلبه على الله، وكانت الميم فى الآخرة لأجل البداء باسم الله. اهـ.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٤٩).

(٢) القول المفيد (١/٥٤١، ٥٤٢).

وهذا كثير في دعائه ﷺ، وبهذا يتبين لك جهل بعض العامة من الناس الذين يؤمنون وراء الإمام - خاصة في قنوت الفجر أو قنوت الوتر أو ختم القرآن على خلاف فقهي في جواز القنوت في هذه المواضع - بقولهم (يا الله) ويُقدم بين يدي اسم الجلال (الله) بحرف النداء، بل وربما كان الإمام أو الداعي - فيقول (يا الله يا الله) فيقدم بين يدي اسم الجلالة، والسنة في الدعاء أن يقول (اللهم) ولا يُحدث طريقة من عنده للدعاء، والله المستعان.

قوله: [لا تجعل قبري وثناً يعبد]:

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: لا : للدعاء . اهـ.

قلت: وكذلك تستعمل للأمر .

ثم قال: لأنها طلب من الله .

قلت: فهي من الأدنى للأعلى، وأيضا لتصدر الكلام بقوله (اللهم) فإن كانت من الأعلى كانت أمراً ونهى، وإن كانت من المساوى فالتماس .

ثم قال: (وتجعل): تصييراً، والمفعول الأول لها: (قبري) . والثاني (وثناً).

وقوله (يعبد) صفة لوثن، وهي صفة كاشفة، لأن الوثن هو الذي يُعبد من دون الله وإنما سأل النبي ﷺ ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد، لأن دعوته كلها بالتحديد ومحاربة الشرك. أهـ

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قد استجاب الله دعاء رسول الله ﷺ، فمنع الناس من الوصول إلى قبره لئلا يعبد استجابة لدعاء رسوله ﷺ .

كما قال ابن القيم: فأجاب رب العالمين دعاء:

حتى غدت أرجاؤه بدعائه: في عزة وحماية وصيان<sup>(٣)</sup>

وأحاطه بثلاثة جدران، ودل الحديث على أن قبر الرسول ﷺ لو عبد لكان وثناً، فما ظنك بقبر غيره من القبور التي عبدت هي وأربابها من دون الله، وإذا أريد تغيير شيء من ذلك أنف عبادها، واشمأزت قلوبهم، واستكبرت نفوسهم، وقالوا: تنقص أهل الرتب العالية، ورموهم بالعظائم، فماذا يقولون لو قيل لهم: إنها أوثان تعبد من دون الله؟ فالله المستعان على غربة الإسلام.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٤٩-٢٥١)

(١) القول المفيد (١/٥٤١، ٥٤٢).

(٣) فتح المجيد نقلاً عن النونية، كما سيأتي

وهذه هي الفتنة العظمى التي قال فيها عبد الله بن مسعود: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسْتَكُمْ فِتْنَةً يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيُنْشَأُ فِيهَا الصَّغِيرُ، تَجْرَى عَلَى النَّاسِ، يَتَّخِذُونَهَا سُنَّةً، إِذَا غَيَّرَتْ قِيلَ غَيْرَتِ السَّنَةِ» (١) ويؤخذ من الحديث المنع من تتبع آثار الأنبياء والصالحين كقبورهم ومجالسهم، ومواضع صلاتهم للصلاة، والدعاء عندها، فإن ذلك من البدع، أنكره السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم، ولا نعلم أحداً أجازه أو فعله إلا ابن عمر على وجه غير معروف عند عباد القبور، وهو إرادة التشبه برسول الله ﷺ في الصلاة فيما صلى فيه ونحو ذلك، ومع ذلك فلا نعلم أحداً وافقه عليه من الصحابة، بل خالفه أبوه وغيره، لثلا يفضى ذلك إلى اتخاذها أوثاناً كما وقع.

قال ابن عبد الباقي في «شرح الموطأ» روى أشهب عن مالك أنه كره لذلك أن يدفن في المسجد قال: وإذا منع من ذلك فسائر آثاره أحرى بذلك، وقد كره مالك طلب موضع شجرة بيعة الرضوان مخالفة لليهود والنصارى. انتهى.

وقال ابن وضاح: سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر بن الخطاب بقطع الشجرة التي بويج تحتها النبي ﷺ فقطعها، لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها، فخاف عليهم الفتنة،

قال عيسى بن يونس: وهو عندنا من حديث ابن عون عن نافع: أن الناس كانوا يأتون الشجرة فقطعها عمر رضى الله عنه. وقد تقدم هذا الأثر والذي يليه في بحث التبرك المشروع والتبرك المنوع.

وقال المعرور بن سويد: صليت مع عمر بن الخطاب في طريق مكة صلاة الصبح، فقرأ فيها «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ» (٢) و«لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ قُرَيْشُ» (٣) ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال: أين يذهب هؤلاء؟ فقيل: يا أمير المؤمنين، مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهُمْ يَصَلُّونَ فِيهِ: فَقَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمِثْلِ هَذَا: كَانُوا يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ، وَيَتَّخِذُونَهَا كَنَائِسَ وَيَبِيعُهَا فَمَنْ أَدْرَكَتُهُ الصَّلَاةُ فِي هَذِهِ الْمَسَاجِدِ فَلْيَصِلْ، وَمَنْ لَا فَلْيَمِضْ وَلَا يَتَّعَمِدْهَا» (٤).

وفي «مغازي ابن إسحاق» من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار: حدثنا أبو العالية قال: لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف، فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر، فدعا له كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب، قرأته مثل ما أقرأ القرآن.

(١) [منقطع] أخرجه الدارمي (٦٤/١) والحاكم في «المستدرک» (٥١٤/٤) وانظر كتابنا «فقه الخطابة وزاد الخطيب» (٤٤/١) وانظر «فتح المجيد» (ح ٣٨٠) بتخریجنا.  
(٢) الفيل ١: (٣) قريش: ١ (٤) تقدم تخريجه.

فقلت لأبى العالية : ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم ، وما هو كائن بعد .

قلت : فما صنعتم بالرجل ؟

قال : حفرنا له بالنهار ثلاثة عشرة قبراً متفرقة ، فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعمينه على الناس لا ينبشونه .

قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون .

فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال رجل يقال له : دانيال .

فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة .

قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتن به ، ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ، ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : وهو إنكار منهم لذلك ، فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات ، وبعضه أشد من بعض ، سواء قصدها ليصلى عندها ، أو ليدعو عندها أو ليقراً عندها ، أو ليذكر الله عندها ، أو لينسك عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً ، لأن ذلك قد يجوز بحكم الاتفاق لا لقصد الدعاء فيها ، كمن يدعو الله فى طريقه ، ويتفق أن يمر فى طريقه بالقبور أو كمن يزورها ويسلم عليها ، ويسأل الله العافية له وللموتى كما جاءت به السنة ، فإن ذلك ونحوه لا بأس به ، وأما تحرى الدعاء عندها بحيث يستشعر أن الدعاء هناك أجوب منه فى غيره ، فهذا هو المنهى عنه ، والفرق بين النوعين ظاهر ، فإن الرجل لو كان يدعو الله واجتاز فى عمره بصنم أو صليب أو كنيسة أو دخل إليها ليبيت فيها مبيتاً جائزاً ودعا الله فى الليل ، أو أتى بعض أصدقائه ودعا الله فى بيته لم يكن بهذا بأس . ولو تحرى الدعاء عند هذه المواضع لكان من العظائم بل قد يكون كفرأ . أهـ

قلت : وقد اختصر صاحب فتح المجيد : آخر هذا الكلام فما أجاد (\*) .



## مسألة :

شخص يقول كل يوم أذكار الصباح والمساء، وهو يقولها ذات مرة وكان يركب سيارة فمر بقبر من قبور الصالحين أو غيرهم، فهل هو بذلك دعا الله هناك في ذلك المكان - لما مر عليهم ويصبح بذلك بمن عظم المكان في الصباح؟

## الجواب:

قال الفقير: فارق بين قصده بذلك الدعاء والأذكار المكان وأصحابه المقبورين وبين حدوث ذلك اتفاقاً لأنها أذكاره وورده، وبين أن يقصد أن يدعو الله ويذكره عند هذه القبور. لكن الواضح من السؤال أن ذلك قَدَرًا لا قصدًا وهو يقول الأذكار مر على ذلك القبر سواء راكباً أم ماشياً فهو في هذه الحالة لا يوقف أذكاره حتى ينتهي من المرور، بل يستمر لأن قصده ونيته لم تكن أن يذكر الله للقبر.

قوله: [اشتد غضب الله].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هذه الجملة بعد الأولى تنبيه على سبب لحوق اللعن بهم وهو توسلهم بذلك إلى أن تصير أوثاناً. اهـ.

قال ابن باز<sup>(٢)</sup>: «اشتد غضب الله» لأنهم جعلوها أوثاناً تعبد من دون الله حيث بنوا عليها المساجد فعظموها فطافوا بها واستغاثوا بها وندروا لها، فالات لما غلى فيه أهل الطائف صار معبوداً من دون الله فهذه سنة الأولين والآخرين، فالبناء على القبور وتعظيمها يصيرها أوثاناً تعبد وإن لم يعبدوها الآن فالوسائل تجر إلى الغيات. أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: قوله: «غضب الله».

صفة حقيقية ثابتة لله - عز وجل - لا تماثل غضب المخلوقين لا في الحقيقة ولا في الأثر، وقال أهل التأويل: غضب الله هو الانتقام ممن عصاه، وبعضهم يقول: إرادة الانتقام ممن عصاه.

وهذا تحريف للكلام عن مواضعه، لأنَّ النبي ﷺ لم يقل: انتقم الله، وإنما قال: اشتد غضب الله، وهو ﷺ يعرف كيف يُعبر، ويعرف الفرق بين غضب الله وبين الانتقام، وهو أنصح الخلق وأعلم الخلق بربه، فلا يمكن أن يأتي بكلام وهو يريد خلافة، لأنه لو أتى بذلك لكان ملبساً، وحاشاه أن يكون كذلك، فالغضب غير

(٢) التعليق المفيد (١٢٦).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥١)

(٣) القول المفيد (١/٥٤٢/٥٤٤).



٢- أن غضب آدمي يؤثر آثاراً غير محمودة، فالآدمي إذا غضب قد يحصل منه ما لا يحمد، فيقتل المغضوب عليه، وربما يُطلق زوجته، أو يكسر الإناء، ونحو ذلك. لذلك في سنن أبي داود قال ﷺ «الطلاق ولاعتاق في إغلاق»<sup>(١)</sup> أى غضب وسمى إغلاق لأنه يغلق على العقل . بحيث مثلاً أن شخص يأتي ويقول أنا طلقت امرأتى لكنى كنت غضبان فقول له : الغضب غضبان: (فالأول) غضب يغلق على العقل فيجعلك كالسكران أو المجنون؛ فتتصرف وتفعل ولا تعى ما تفعل (والثاني) غضب لا يخرجك عن الوعي بحيث تعرف ما تفعل . فإن كان من النوع الأول فلا يقع الطلاق للحديث وإن كان من النوع الثاني فيقع كما قال تعالى حكاية عن موسى ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ وفي المثل السائر الذي نسه بعض الناس للنبي ﷺ وهو ليس مرفوعاً للنبي ﷺ وبين ذلك الشيخ محمد عمرو في «تبييض الصحيفة»:

«من استغضب ولم يغضب فهو جبان ومن استرضى ولم يرضى فهو حمار أو حيوان»<sup>(٢)</sup>

هذ قول الشافعي :

وقوله: «من استغضب ولم يغضب فهو جبان»: وهذه صفة نقص : فلو ربنا كان لا يغضب برغم أنه يستغضب أو يحصل ما يغضبه فلو لم يكن يغضب فهذه إذن صفة نقص أم كمال . فنقول أنها صفة نقص ألا يغضب في هذه الحالة إذن فنسبة الغضب إلى الله نسبة صفة من صفات الكمال إليه كما تقدم ولكن بالنسبة للمخلوق تكون أحياناً صفة نقص وهو الغالب وأحياناً صفة محمودة كأن يغضب الله وحرماته والرسول ﷺ ثبت عنه في الصحيح أنه كان لا يغضب لنفسه إلا إذا إنتهكت حرمت الله<sup>(٣)</sup> وأيضاً ثبت في الصحيح حينما قال له بعض الصحابة : إني لأتأخر عن الصلاة مما يطول بنا فلان فخرج مغضباً لم ير في هذا الغضب قبل ذلك فقال «إن منكم متفرين من أم الناس فليخفف»<sup>(٤)</sup> الحديث، وغضب على أسامة حينما قتل الرجل الذي قال أسلمت، غضب عليه حتى تمنى أسامة أن لم يكن أسلم قبل هذه<sup>(٥)</sup>.

(١) [إسناده ضعيف] أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٦/٦) وأبو داود (٢١٩٣) وابن ماجه (٢٠٤٦) عن عائشة به . وانظر منار السبيل « (٢٢١٧) بتخريجنا

(٢) قال الشيخ محمد عمرو - حفظه الله - لا أصل له مرفوعاً وانظر «تبييض الصحيفة» (٨٩)

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (٦١٢٦) ، ومسلم في الفضائل (٧٧/٩١/٨) عن عائشة بنحو

(٤) [صحيح] أخرجه البخارى (٧٠٣) ، ومسلم في الصلاة (١٨٤/٤) - النووي) عن أبي مسعود

البيدرى به .

(٥) تقدم تخريجه .

إذن فقد تكون الصفة «صفة الغضب» للمخلوق صفة مذمومة وهو الغالب وأحياناً صفة محمودة. أما بالنسبة للخالق فهي لا تحتمل مذمة ولا نقص لا تحتمل إلا الكمال ؛ لأنها تختلف مع صفة المخلوق في الحقيقة وفي الأصل.

ثم قال :- أي ابن عثيمين - أما غضب الله، فلا يترتب عليه إلا آثار حميدة لأنه حكيم، فلا يمكن أن يترتب على غضبه إلا تمام الفعل المناسب الواقع في محله.

فغضب الله ليس كغضب المخلوقين، لا في الحقيقة، ولا في الآثار، وإذا قلنا ذلك، فلا نكون وصفنا الله بما يماثل صفات المخلوقين، بل وصفناه بصفة تدلّ على القوة وتمام السلطان، لأنّ الغضب يدلّ على قدرة الغاضب على الانتقام وتمام سلطانه، فهو بالنسبة للخالق صفة كمال، وبالنسبة للمخلوق صفة نقص.

ويدل على بطلان تأويل الغضب بالانتقام قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾. فإنّ معنى ﴿آسَفُونَا﴾ أغضبونا، فجعل الانتقام غير الغضب، بل أثراً مترتباً عليه، فدلّ هذا على بطلان تفسير الغضب بالانتقام.

واعلم أنّ كل من حرّف نصوص الصفات عن حقيقتها وعمّا أراد الله بها ورسوله، فلا بد أن يقع في زلّة ومهلكة، فالواجب علينا أن نسلّم لما جاء به الكتاب والسنة من صفات الله تعالى على ما ورد إثباتاً بلا تمثيل وتنزيهاً بلا تعطيل ولا تأويل اهـ.

قوله: [قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد]:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: فيه إشارة إلى ما ترجم له المصنف.

وفيه تحريم البناء على القبور وتحريم الصلاة عندها وقد روى أصحاب مالك عنه أنه كره أن يقول القائل: زرت قبر النبي ﷺ، وعلل وجه الكراهة بقوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» فكره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سداً للذريعة وحسماً للباب، ذكره الطبري وفيه أنه ﷺ لم يستعد إلا بما يخاف وقوعه. ذكره المصنف. اهـ.

قال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: وقعوا في المحذور الذي أوجب لهم اللعنة والعذاب. اهـ.

● كراهية إطلاق اسم الزيارة حتى على الزيارة الشرعية:

وقال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(٣)</sup> نقلاً عن ابن تيمية<sup>(٤)</sup>: قال شيخ الإسلام رحمه

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٢٩٧)

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥٨/٢٤، ٣٥٩).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥١)

(٣) فتح المجيد (٣١٣/١، ٣١٤)

الله تعالى: «ومالك قد أدرك الناس من التابعين، وهم أعلم النَّاس بهذه المسألة ، فدل على أنه لم يكن معروفاً عندهم ألفاظ زيارة قبر النبي ﷺ - إلى أن قال - وقد ذكروا في أسباب كراهته أن يقول: «زُرْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ» لَأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ قَدْ صَارَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يُرِيدُ بِهِ الزِّيَارَةَ الْبَدْعِيَّةَ، وَهُوَ قَصْدُ الْمَيْتِ لِسُؤَالِهِ وَدُعَائِهِ، وَالرَّغْبَةَ إِلَيْهِ فِي قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَهَمَّ يَعْنُونَ بِلَفْظِ الزِّيَارَةِ مِثْلَ هَذَا، وَهَذَا لَيْسَ بِمَشْرُوعٍ بِاتِّفَاقِ الْأَثَمَةِ، وَكَرِهَ مَالِكٌ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِلَفْظٍ مَجْمَلٍ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَى فَاسِدٍ، بِخِلَافِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ.

أما لفظ الزيارة في عموم القبور فلا يفهم منها مثل هذا المعنى، ألا ترى إلى قوله: «فَزُورُوا الْقُبُورَ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُكُمْ الْآخِرَةَ»<sup>(١)</sup> مع زيارته لقبر أمه<sup>(٢)</sup>، فإن هذا يتناول قبور الكفار، فلا يفهم من ذلك زيارة الميت لدعائه وسؤاله والاستغاثة به، ونحو ذلك مما يفعله أهل الشرك والبدع، بخلاف ما إذا كان المَزُورُ مُعْظَمًا فِي الدِّينِ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ، فَإِنَّهُ كَثِيرًا مَا يَعْنِي بِزِيَارَةِ قُبُورِهِمْ هَذِهِ الزِّيَارَةَ الْبَدْعِيَّةَ الشَّرَكِيَّةَ، فَلِهَذَا كَرِهَ مَالِكٌ ذَلِكَ فِي هَذَا، وَإِنْ لَمْ يَكْرَهُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ لَيْسَ فِيهِ هَذِهِ الْمَقْسَدَةُ اهـ.

وقال عبد الله بن جبار الله<sup>(٣)</sup>: الحديث يدل على:

١- أن النبي ﷺ خاف أن يقع من أمته ما وقع لغيرهم من الأمم السابقة فتجعل قبره وثناً يعبد من دون الله.

٢- تحريم البناء على القبور، والصلاة عندها، وأن ذلك من الكبائر.

٣- إثبات صفة الغضب لله على ما يليق بجلاله.

وقد استجاب الله دعاء نبيه ﷺ فحمى قبره بما حال بينه وبين الناس فلا يوصل إليه اهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله: «اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»

أى: جعلوها مساجد، إمَّا بالبناء عليها، أو بالصلاة عندها، فالصلاة عند القبور من اتخاذها مساجد، والبناء عليها من اتخاذها مساجد أهـ.

(١) تقدم تخريجه .

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في الجنائز (٤/٥١/١٠٥) عن أبي هريرة به وانظر «فتح المجيد» (ح

٣٨٤م) بتخريجنا.

(٣) الجامع الفريد (٨٧).

(٤) القول المفيد (١/٥٤٤).

[قلت] وهناك قول ثالث تقدم في الباب الماضي، وهو الصلاة إليها.

ثم قال: وهنا نسال: هل استجاب الله دعوة نبيه ﷺ بأن لا يجعل قبره وثناً يُعبد، أم اقتضت حكمته غير ذلك؟

الجواب: يقول ابن القيم: إن الله استجاب له، فلم يُذكر أن قبره ﷺ جعل وثناً، بل إنه حمى بثلاثة جدران، فلا أحد يصل إليه حتى يجعله وثناً يُعبد من دون الله، ولم يسمع في التاريخ أنه جعل وثناً.

قال ابن القيم في «التوبة»:

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران. أهـ  
حتى غدت أرجاؤه بدعائه في غيرة وحماية وصيان<sup>(١)</sup>

وهذا هو البيت الثاني بعده.

[قلت]

وهذا الكلام تقدم معناه عن الإمام النووي والقرطبي وابن تيمية وابن حجر، وغيرهم من أهل العلم في الباب الماضي.

ثم قال: صحيح أنه يوجد أناس يغفلون فيه، ولكن لم يصلوا إلى جعل قبره وثناً ولكن قد يعبدون الرسول ﷺ ولو في مكان بعيد، فإن وجد من يتوجه له ﷺ بدعائه عند قبره، فيكون قد اتخذته وثناً، لكن القبر نفسه لم يجعل وثناً. أهـ.

وقال القرعاوي<sup>(٢)</sup> ذاكراً للفوائد من الحديث:

(١) قصد القبور وتعظيمها عبادة لها، فيكون شركاً مهما كان قرب صاحبها من الله.

(٢) إثبات صفة الغضب على الوجه اللائق به سبحانه، وتقدم ذكر ذلك.

(٣) تحريم بناء المساجد على القبور، تقدم ذلك.

(٤) تحريم الصلاة عند القبور ولو لم بين مسجداً. أهـ.

سؤال: ماذا على الناس الذين يذهبون إلى مسجد القبليتين أو مسجد قباء والصلاة فيه

(١) القصيدة النونية (٢/٢١٢) بشرح خليل هراس. وأضفت البيت الثاني للإفاده.

(٢) الجديد (١٩٥).

ركعتين ولم يكن هناك صلاة أثناء الزيارة وذلك أثناء العمرة وما حكم قصد الصلاة في الحرم عند بئر زمزم، فماذا عليهم أيضاً؟(\*)

الجواب

**قال الفقير:** الصلاة في مسجد قباء تعدل عمرة، وكان ﷺ يقصد مسجد قباء للصلاة فيه وهو أيضاً المسجد الذى أسس على التقوى، على أحد قولى المفسرين، أما مسجد القبلتين فلا يجوز قصده من أجل الصلاة فيه ولا من أجل التبرك به، أما إذا مررت اتفاقاً على المسجد فصليت من غير قصد فيه فيجوز. أما تعمد الصلاة فيه فلا تجوز، وهذا إما محرّم أو مكروه كراهة تحريمية منهى عنها.

أما الصلاة عند زمزم فلو كان يصلى عنده لأنه من المسجد الحرام فجائز أما إذا كان يصلى عندها لأنها زمزم فلا يجوز له ذلك ووقع فى المحذور، وهذا لا يناقض البركة التى فى ماء زمزم فهو لما شرب له، وطعام طعم وشفاء سقم، ولكن ليس فيه أن تقصد البقعة بالصلاة بل ينبغى أن نلتمس البركة بالطرق الشرعية كما تقدم بحث ذلك مطولاً فى باب من تبرك بشجر أو حجر والله تعالى أعلم.

سؤال: نرجو التنبيه على من يذهب إلى المملكة، وخاصة إلى المدينة بعدم زيارة بعض المساجد التى تسمى مسجد بلال وعمر وهى بجوار بعضها يذهب إليها الناس للزيارة والصلاة فيها بل وتنقل سيارات خاصة بذلك تقول «المزارات» وكذلك فى مكة يذهبون إلى الغار وما يسمى بجبل الثور وهذه الأمور غائبة على كثير من العامة وبعض الخاصة، وجزاك الله خيراً؟

**الجواب/ قال الفقير:** نعم بعض من يذهب إلى المدينة يفعل ذلك وهذه المساجد يقال أنها مكان غزوة الأحزاب وهو الآن ليس على ما كان عليه بل أصبح طريقاً ممهداً تسير فيه السيارات لكن هناك مساجد شبه مهجورة، يقولون عليها أنها هى الأماكن التى وضعها النبى ﷺ لأبى بكر وعمر كقوادٍ للسرايا، فجعلوا أماكنها مساجد تتخذ للعبادة، والحمد لله أغلبها قد خرب إلا مسجد واحد يوشك على الخراب، وفى الغالب من يقصد هذه المساجد ليسوا من أهل السنة بل من أهل البدع والأهواء من الصوفية والباطنية والشيعية، ومن المزارات أيضاً أحد وقبور الشهداء فى أحد وقبر حمزة.

(\*) تنبيه: هذا السؤال الذى بعده إحدى الأسئلة التى سئلت أثناء إلقاء محاضرات فى شرحى للكتاب من هذا الباب.

ولابن جرير بسنده عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿أَفْرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ قَالَ: «كَانَ يَلْتُ لَهُمُ السَّوِيقَ، فَمَاتَ، فَعَكَفُوا عَلَى قَبْرِهِ».

وَكَذَا قَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ يَلْتُ السَّوِيقَ لِلْحَاجِّ»<sup>(١)</sup>.

ولكن المسئولين عن الإرشاد والدعوة هناك - جزاهم الله خيراً - والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يسعون جاهدين أن يمنعوا الناس من ذلك كما أنشأوا حاجزاً من الأسلاك على الجبل الذي به غار حراء ومنعوا الصعود للجبل والغار، وبعض الأماكن لم يستطيعوا أن يفعلوا فيها ذلك، وأيضاً لما خربت بعض المساجد التي تقصد من أجل هذا الأمر لم يعمروها، وهذا يحمد لهم، لكن في الحقيقة هم لن يستطيعوا أن يفعلوا كل شيء، بل نستطيع أن نفعل نحن بأن نتواصا بهذا الحق ونصبر عليه.



قوله: [ ولابن جرير بسنده عن سفيان... ] إلخ  
مناسبة الأثر للباب وللتوحيد:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: وسبب عبادة اللات هو الغلو في قبره حتى صار وثناً يعبد، كما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين، ود، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، وغيرهم، وكما كان ذلك هو السبب في عبادة الصالحين من الأموات وغيرهم اليوم، فإنهم غلوا فيهم، وبنوا على قبورهم القباب والمشاهد، وجعلوها ملاذاً لقضاء المآرب، اهـ.

وقال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: ومناسبته للباب أنهم غلوا فيه لصلاحه حتى عبدوه، وصار قبره وثناً من أوثان المشركين: اهـ.

وقال عبد الله بن جار الله<sup>(٤)</sup>: مناسبة الآية للباب أن تعظيم الرجال الصالحين والغلو في قبورهم والعكوف عليها يؤدي إلى الشرك المنافي للتوحيد. اهـ.

وقال ابن باز<sup>(٥)</sup>: فاللات لما غلى فيه أهل الطائف صار معبوداً من دون الله. فهذه سنة الأولين والآخرين، فالبناء على القبور وتعظيمها بصيرها أوثاناً تعبد، وإن لم يعبدوها الآن، فالوسائل تجر إلى الغايات. اهـ.

(١) [صحيح] أخرجه البخاري في «التفسير»/باب: «أفرايتم اللات والعزى» (٤٧٨/٨/ح ٤٨٥٩) وابن جرير في «تفسيره» (٣٥/٢٧) بدون الجملة الأخيرة.

وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١٦٣/٦) وعزاه لعبد بن حميد والبخاري وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه. تقدم تخريجه. وانظر تمام التخريج في «فتح المجيد» (ح ٢١٣ - ٢١٥).

(٢) تفسير العزيز الحميد (٢٥٢) (٣) فتح المجيد (١/٣١٦).

(٤) الجامع الفريد (٨٨) (٥) التعليق المفيد (١٢٦).



وقال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قالوا: هذا الرجل المحسن الذى يلى السوق للحجاج ، ويطعمهم إياه ثم بعد ذلك عبده، فصار الغلو فى القبور يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله.

وفى هذا التحذير من الغلو فى القبور، ولهذا نُهى عن تخصيصها والبناء عليها والكتابة عليها خوفاً من المحذور العظيم الذى يجعلها تعبد من دون الله . اهـ. وسيأتى باقى كلام الشيخ فى موضعه.

وقال القرعاوى<sup>(٢)</sup>: حيث أفاد الأثر بأن اللات فى الأصل اسم لرجل صالح كان يلى السوق للحجاج ، فلما مات غلو فى قبره واتخذوه صنماً يعبد من دون الله ، فعلى هذا كل قبر غلا الناس فى تعظيمه سيؤدى إلى عبادته، وإن لم يسمونه عبادة . اهـ.

شرح الأثر: قوله [ولابن جرير]: هو الإمام الحافظ محمد بن جرير بن يزيد الطبرى صاحب «التفسير» و«التاريخ» وغيرهما.

قال ابن خزيمة: لا أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير وكان من الأئمة المجتهدين لا يقلد أحداً وله أصحاب يتفقون على مذهبه ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، ومات ليومين بقيا من شوال سنة عشر وثلاثمائة<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: وتفسيره: هو أصل التفسير بالأثر، ومرجع لجميع المفسرين بالأثر، ولا يخلو من بعض الآثار الضعيفة، وكأنه يريد أن يجمع ما روى عن السلف من الآثار فى تفسير القرآن، ويدع للقارئ، الحكم عليها بالصحة أو الضعف بحسب تتبع رجال السند، وهى طريقة جيدة من وجه، وليست جيدة من وجه آخر.

فجيدة من جهة أنها تجمع الآثار الواردة حتى لا تضيع وربما تكون طرقها ضعيفة ويشهد بعضها البعض.

وليست جيدة من جهة أن القاصر بالعلم ربّما يخلط الغث بالسمين ويأخذ بهذا وهذا، لكن من عرف طريقة السند، وراجع رجال السند، ونظر إلى أحوالهم وكلام العلماء فيهم، علم ذلك . أهـ

قال الفقير: بل مؤدى كلام أهل العلم جواز العمل بالضعيف وروايته فى التفسير قال البيهقى فى مقدمة دلائل النبوة<sup>(٥)</sup>: تساهلوا فى التفسير عن قوم لا يوثقونهم فى

(١) القول المفيد (١/٥٤٨).

(٢) الجديد (١٩٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٥١، ٢٥٢).

(٥) دلائل النبوة (١/٣٥-٣٧).

(٤) القول المفيد ١/٥٤٥ و٥٤٦.

الحديث، ثم ذكر ليث بن أبي سليم وجويبر بن سعيد، والضحاك، ومحمد بن السائب - يعنى الكلبي - وقال هؤلاء يحمد حديثهم ويكتب التفسير عنهم وإنما تساهلوا فى أخذ التفسير عنهم، لأن ما فسروا به ألفاظه تشهد لهم به لغات العرب، وإنما أظنها عملهم فى ذلك الجمع والتقريب فقط . اهـ.

**ثم قال اى ابن عثيمين:** وقد أضاف إلى تفسيره بالأثر: التفسير بالنظر ولا سيما ما يعود إلى اللغة العربية، ولهذا دائماً يُرجَّحُ الرأى ويستدلُّ له بالشواهد الواردة فى القرآن وعن العرب.

ومن الناحية الفقهية، فالطبرى مجتهد، لكنه سلك طريقة خالف غيره فيها بالنسبة للإجماع، فلا يعتبر خلاف الرجل والرجلين، وينقل الإجماع ولو خالف فى ذلك رجل أو رجلان، وهذه الطريقة تؤخذ عليه، لأنَّ الإجماع لا بد أن يكون من جميع أهل العلم المعبرين فى الإجماع، وقد يكون الحق مع هذا الواحد المخالف.

والعجيب أنى رأيت بعض المتأخرين يحذرون الطلبة من تفسيره، لأنَّه مملوء على زعمهم بالإسرائيليات، ويقولون: عليكم بـ «تفسير الكشاف» للزمخشري وما أشبه ذلك، وهؤلاء مخطئون، لأنهم لجهلهم بفضل التفسير بالآثار عن السلف واعتزازهم بأنفسهم وإعجابهم بأرائهم صاروا يقولون هذا. اهـ.

**قوله: [عن سفيان]**

**قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:** فإن كان ابن عيينة فقد تقدمت ترجمته، وإن كان الثورى وهو الأظهر فهو سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الكوفى، ثقة حافظ فقيه إمام حجة عابد، وكان مجتهداً، له أتباع وأصحاب يتفقهون على مذهبه، مات سنة إحدى وستين ومائة، وله أربع وستون سنة . اهـ.

**قوله [عن منصور]**

**قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>:** هو ابن المعتزم بن عبد الله السلمى أبو عتاب - بمثناة ثقيلة ثم موحدة - الكوفى، ثقة ثبت فقيه، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . اهـ.

**قوله [عن مجاهد]**

**قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>:** هو ابن جبر - بالميم والموحدة - أبو الحجاج المخزومى مولاهم المكى، ثقة إمام فى التفسير والعلم، أخذ التفسير عن ابن عباس وغيره، مات

(١، ٢، ٣) تيسير العزيز الحميد (٢٥٢).

سنة أربع ومائة ، قاله يحيى القطان ، وقال ابن حبان : مات سنة اثنتين أو ثلاثة ومائة وهو ساجد ، وكان مولده إحدى وعشرين في خلافة عمر رضى الله عنه . اهـ .

قوله : «أفرأيتم اللات والعزى»

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup> : الهمزة للاستفهام ، والمراد به التحقير ، والخطاب لعابدى هذه الأصنام اللات والعزى . . . إلخ .

لما ذكر الله تعالى قصة المعراج وما حصل فيه من الآيات العظيمة التى قال عنها : ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾ أى : ما نسبة هذه الأصنام للآيات الكبيرة التى رآها النبى ﷺ ليلة المعراج .

اللات :

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup> : قال الإسماعيلي : هذا التفسير - أى تفسير اللات بأنه رجل يلت سويق الحاج - على قراءة من قرأ اللات بتشديد التاء .

قلت - أى الحافظ - وليس ذلك بلازم بل يحتمل أن يكون هذا أصله وخفف لكثرة الاستعمال ، والجمهور على القراءة بالتخفيف . . . وقد روى التشديد عن قراءة ابن عباس وجماعة من أتباعه ، ورويت عن ابن كثير أيضاً ، والمشهور عنه التخفيف كالجمهور . . .

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup> : لا تخالف بين هذا التفسير والقراءة وبين قراءة من قرأ بالتخفيف . وقال : إنه كان حجر فعبده ، واشتقوا له من اسم الله الإله كما تقدم تقريره فى باب / من تبرك بشجر ، وأيضاً فيجاب على الأول بأن أصله التشديد ، وخفف لكثرة الاستعمال ، وأما كونهم اشتقوا هذا الاسم من اسم الله فلا ينافى أيضاً ذلك . اهـ .

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup> : فالتخفيف يُرَجَّحُ أنه من الإله ، والتشديد يرجح أن أصله رجل يلت السويق ، وغلو فى قبره ، وقالوا : هذا الرجل المحسن الذى يلت السويق للحجاج

(١) القول المفيد ١/٥٤٧ .

(٢) الفتح ٨/٤٧٨ .

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٥٢) .

(٤) القول المفيد (١/٥٤٧ ، ٥٤٨) .

ويطعمهم إياه ثم بعد ذلك عبده، فصار الغلو في القبور يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله. اهـ.

**قال ابن حجر<sup>(١)</sup>:** واختلف في اسم هذا الرجل فروى الفاكهي من طريق مجاهد قال: «كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبده» وكان مجاهد يقرأ اللات مشددة.

ومن طريق ابن جريج نحوه، قال وزعم بعض الناس أنه عامر بن الظرف انتهى، وهو - بفتح الظاء المشددة وكسر الراء ثم موحدة وهو العدواني بضم المهملة وسكون الدال ، وكان حكم العرب في زمانه، وفيه يقول شاعرهم

«ومنا حكم يقضى ولا ينقض ما يقضى»

وحكى السهيلي أنه عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر، قال ويقال هو عمرو بن لحي وهو ربيعة بن حارثة وهو والد خزاعة انتهى.

وحرف بعض الشراح كلام السهيلي وظن أن ربيعة بن حارثة قول آخر في اسم اللات، وليس كذلك ، وإنما ربيعة بن حارثة اسم لحي فيما قيل، والصحيح: أن اللات غير عمرو بن لحي، فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدها وبنوا عليها بيتاً، وفي الصحيح في باب مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام، وهو يؤيد هذه الرواية، وحكى ابن الكلبي أن اسمه صرمة بن غنم. اهـ.

**هل هو أقدم أم مناة.**

**قال ابن حجر:** وكانت اللات بالطائف وقيل بنخلة وقيل بعكاظ ، والأول أصح ، وقد أخرجه الفاكهي أيضاً من طريق مقسم عن ابن عباس ، قال هشام بن الكلبي: كانت مناة أقدم من اللات فهدهما على عام الفتح بأمر النبي ﷺ ، وكانت اللات أحدث من مناة فهدهما المغيرة بن شعبة بأمر النبي ﷺ لما أسلمت ثقيف وكانت العزى أحدث

(١) الفتح ٤٧٨/٨.

من اللات وكان الذى اتخذها ظالم بن سعد بوادى نخلة فوق ذات عرق فهدها خالد بن الوليد بأمر النبى ﷺ عام الفتح. (١) اهـ

قلت: «وقد تقدم شيء من هذا فى باب من تبرك بشجره أو حجر» وقول الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ .

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: وفى هذا التحذير من الغلو فى القبور، لهذا نُهى عن تخصيصها والبناء عليها والكتابة عليها خوفاً من هذا المحذور العظيم الذى يجعلها تعبد من دون الله، وكان الرسول ﷺ يأمر إذا بعث بعضاً، بأن لا يدعوا قبراً مشرقاً إلا سووه، لعلمه أنه مع طول الزمان سيقال: لولا أن له مزية ما اختلف عن القبور، فالذى ينبغى أن تكون القبور متساوية لا ميزة لواحد منها عن البقية اهـ.

قلت: وعلى رواية التشديد أنه كان رجل يلتُ السويق فقالوا هذا رجل محسن فغلو فيه، فهذا - والله أعلم من باب التنبيه على الأغلظ من خلال التنبيه على الأخف، فيكون التحذير من الغلو فى قبور المجاهدين أو الشهداء أو الزعماء أشد من ذلك لما لهم من الفضل والأجر - إن كانوا من المقبولين - أعظم ممن يخدم الحجاج لقوله تعالى: ﴿أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ .

العزى:

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: قال ابن إسحاق فى «السيرة»: وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجَّاب وتهدى لها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحدر عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده فكانت لقريش ولبنى كنانة:

(١) تقدم تخريجه .

(٢) القول المفيد ١/ ٥٤٨ .

(٣) ابن كثير (٤/ ٢٤٥) .

العزى بنخلة وكان سدنتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم قلت بعث إليها رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فهدمها وجعل يقول:

يا عزى كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

وقال النسائي: أخبرنا علي بن المنذر أخبرنا ابن فضيل حدثنا الوليد بن جميع عن أبي الطفيل قال لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها العزى فأتاها خالد وكانت على ثلاث سمرة فقطع السمرة وهدم البيت الذي كان عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «ارجع فإنك لم تصنع شيئاً» فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبها امعنوا في الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحثو التراب على رأسها فغمسها بالسيف حتى قتلها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: «تلك العزى» (١) اهـ.

قلت: تقدم أيضاً شيء من هذا في باب من تبرك بشجر أو حجر وقول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾.

قوله: «يَلْتُ» قال ابن منظور: لت: لتَّ السويقَ والأقِطَ ونحوهما، يَلْتُه لَتًّا: جَدَحَه، وقيل: بَسَّه بالماء ونحوه، أنشد ابن الأعرابي:

سَفَّ الْعَجُوزِ الْأَقِطَ الْمَلْتُوتَا.

واللنات: ما لت به.

قال الليث: اللت بل السويق، والبسُّ أشد منه.

يقال: لت السويق أى بله، ولت الشيء يَلْتُه إذا شده وأوثقه، وقد لُتَّ فلانٌ بفلانٍ إذا لُزَّ به وقُرُن معه.

واللات، فيما زعم قوم من أهل اللغة: صخرة كان عندها رجل يلت السويق للحاج فلما مات، عُبِدت

قال ابن سيده: ولا أدري ما صحة ذلك، وسيأتي ذكر اللات، بالتخفيف في

موضعه.

(١) تقدم تخريجه

قال الليث الليث : اللت الفعل من اللتات، وكل شيء يُلْت به سويق أو غيره نحو السمن ودهن الآلية وفي حديث مجاهد في قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ قال : كان رجل يلت السويق لهم، وقرأ : أفرايتم اللات والعزى بالتشديد .

قال الفراء والقراءة اللات، بتخفيف التاء ، قال : وأصله اللات بالتشديد، لأن الصنم إنما سمي باسم اللات الذي كان يُلْت عند هذه الأصنام لها السويق أى يَحْلِطُهُ، فخفف وجعل اسماً للصنم،

قال ابن الأثير: وذكر أن التاء في الأصل مخففة للتأنيث، وليس هذا بابها، وكان الكسائي يقف على اللاه، بالهاء .

قال أبو إسحق: وهذا قياس، والأجود اتباع المصحف، والوقوف عليها بالتاء،

قال أبو منصور: وقول الكسائي يوقف عليها بالهاء يدل على أنه لم يجعلها من اللت، وكان المشركون الذين عبدوها عارضوا باسمها اسم الله تعالى الله علواً كبيراً عن إفكهم ومعارضتهم وإحادهم في اسمه العظيم .

واللتات : ما فُت من قشور الخشب .

ابن الأعرابي : اللتُ الفتّ، قال امرؤ القيس يصف الحُمُر:

تَلْتُ الحَصَى لَتًا بِسُمِّ رَزِينَةٍ مَوَارِنَ ، لا كُزْمَ ولا مَعْرَاتِ

قال: تلت أى تَدَقُّ، والسُمُّ، الحوافر، والكزْم : القصار، وقال هِمِيَانُ فى اللت،

بمعنى الدق .

حَطَمَا على الأَنْفِ وَوَسَمًا عُلْبًا وَبِالْعَصَا لَتًا، وَخَنْقًا سَابًا

قال أبو منصور: وهذا حرف صحيح، ورؤى عن الشافعى، رضى الله عنه، أنه

قال فى باب التيمم: ولا يجوز التيمم بلسات الشجر، وهو ما فت من قشره اليابس

الأعلى، قال الأزهرى: لا أدرى لُتات أم لِنات، وفى الحديث : ما أبقي منى إلا لُتاتاً ،

اللتات : ما فُت من قشور الشجر ، كأنه قال : ما أبقى من المرض إلا جلداً يابساً

كقشرة الشجرة . اهـ .

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: ولت السويق هو خلطه بالسمن ونحوه . اهـ .

قال ابن منظور<sup>(٢)</sup>: والسويق معروف، والصاد فيه لغة لمكان المضارعة، والجمع أسوقة . غيره: السَّوَيْق ما يُتَّخَذ من الحنطة والشعير، ويقال: السويق المُقْل الحَيّ، والسويق السَّبَق القَتِيّ، والسَّوَيْق الخمر، . . . .

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: هو عبارة عن شعير يُحمَّص، ثم يطحن، ثم يخلط بتمر أو شبهه، ثم يؤكل . اهـ .

قوله: [وكذا قال أبو الجوزاء عن ابن عباس: كان يَلْتُ السويق للحاج].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: أبو الجوزاء هو أوس بن عبد الله الربعى، ثقة مشهور،

مات سنة ثلاث وثمانين، وهذا الأثر ذكره المصنف ولم يعزه، وقد رواه البخارى .

ثم قال: وبالجملة فالغلو أصل الشرك فى الأولين والآخرين إلى يوم القيامة . وقد أمرنا الله تعالى بمحبة أوليائه وإنزالهم منازلهم من العبودية، وسلب خصائص الإلهية عنهم، وهذا غاية تعظيمهم وطاعتهم، ونهانا عن الغلو فيهم فلا نرفعهم فوق منزلتهم، ولا نحطهم منها لما يعلمه تعالى فى ذلك من الفساد العظيم، فما وقع الشرك إلا بسبب الغلو فيهم، فإن الشرك بهم غلو فيهم، وأنزلوهم منازل الإلهية وعصوا أمرهم وتقصوهم فى صورة التعظيم لهم، فتجد أكثر هؤلاء الغالين فيهم العاكفين على قبورهم معرضين عن طريقة من فيها هديه وستته، عائبين لها مشتغلين بقبورهم عما أمروا به ودعوا إليه .

وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هى باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح، واقتفاء آثارهم، وسلوك طريقته دون عبادتهم وعبادة قبورهم، والعكوف عليها كالذين يعفكون على الأصنام واتخاذهم أعياداً ومجامع للزيارات والفواحش وترك الصلوات، فإن من اقتفى آثارهم كان متسبباً فى تكثير أجورهم باتباعه لهم، ودعوته الناس إلى اتباعهم، فإذا أعرض عما دعوا إليه واشتغل بضده حرم نفسه،

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥٢) .

(٢) لسان العرب مادة (س - و - ق)

(٣) القول المفيد / ٥٤٨ .

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٥٢-٢٥٣) .



وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَائِرَاتِ الْقُبُورِ،  
وَالْمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسُّرُجَ» رَوَاهُ أَهْلُ السُّنَنِ (١).

وحرّمهم ذلك الأجر، فأى تعظيم لهم واحترام فى هذا . اهـ .

قال ابن عثيمين (٢): والغريب أن الناس فى جاهليتهم يكرمون حجاج بيت الله  
ويلتون لهم السوق وكان العباس أيضاً يسقى لهم من زمزم، وربما يجعل من زمزم  
نيبداً، يحليه زيبباً أو نحوه، وفى الوقت الحاضر صار الناس بالعكس يستغلون الحجاج  
غاية الاستغلال - والعياذ بالله - حتى يبيعوا عليهم ما يساوى ريالاً بريالين وأكثر حسب  
ما يتيسر لهم وهذا فى الحقيقة خطأ عظيم، لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ  
بِظُلْمٍ نُدِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ فكيف بمن يفعل الإلحاد؟! . اهـ .



قوله: [عن ابن عباس رضى الله عنهما : قال: . . . إلخ]

قال عبد الرحمن آل الشيخ (٣): وفى الباب حديث أبى هريرة وحديث حسان بن  
ثابت .

فأما حديث أبى هريرة فرواه أحمد والترمذى وصحّحه (٤).

وحديث حسان أخرجه ابن ماجه من رواية عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه

(١) [ضعيف] أخرجه أحمد (١/٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧) وأبو داود فى الجنائز / باب زيارة القبور  
(٣/٢١٦ ح ٣٢٣٦) والترمذى فى الصلاة / باب: كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً (٢/١٣٦ / ٣٢٠)  
والنسائى فى الجنائز / باب: التغليظ فى اتخاذ السرج (٤/٩٤، ٩٥ - السيوطى) وابن ماجه فى الجنائز :  
باب / النهى عن زيارة النساء (١/٥٠٢ / ١٥٧٥) والحاكم (١/٣٧٤) والبيهقى (٤/٧٨ / ٧٢٠٦) والطبرانى فى  
الكبير (١٢/١٤٨ / ١٢٧٢٥) وابن حبان فى صحيحه (٥/٧٢ / ٢٣١٦٩، ٣١٧٠ - لإحسان).

جميعاً من طريق محمد بن جحادة سمعت أبا صالح عن ابن عباس

قال الترمذى : حديث ابن عباس حديث حسن

وذكره الحافظ فى «التلخيص» (٢/١٣٧ / ٧٩٨) وقال: والجمهور على أن أبا صالح هو مولى أم هانئ

وهو ضعيف وانظر منار السبيل» (ح ٨٣) بتخريجنا. «وفتح المجيد» (ح ٣٩٠) بتخريجنا.

(٢) القول المفيد (١/٥٤٩). (٣) انظر فتح المجيد (١/٣١٧، ٣١٨).

(٤) أخرجه أحمد (٢/٣٣٧، ٣٥٦) والترمذى (١٠٠٥٦) وابن ماجه (١٥٧٦).

وانظر «فتح المجيد» (ح ٣٩٣) بتخريجنا.

قال: «لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور» (١).

وحديث ابن عباس هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانئ، وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم، قال علي بن المديني، عن يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ، وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً، ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد الله بن عثمان،

قال ابن معين: ليس به بأس، ولهذا أخرجه ابن السكن في صحيحه، انتهى من «الذهب الإبريز» عن الحافظ المزى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «وقد جاء عن النبي ﷺ من طريقين: فعن أبي هريرة رضى الله عنه «أن رسول الله ﷺ لعن زوارات القبور» (٢) وذكر حديث ابن عباس، ثم قال: ورجال هذا ليس رجال هذا، فلم يأخذه أحدهما عن الآخر، وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب، وإنما التضعيف من جهة سوء الحفظ ومثل هذا حجة بلا ريب، وهذا من أجود الحسن الذى شرطه الترمذى، فإنه جعل الحسن: ما تعددت طرقه ولم يكن فيه متهم، ولم يكن شاذاً، أى مخالفاً لما ثبت بنقل الثقات.

وهذا الحديث تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات .. هذا لو كانا عن صاحب واحد، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن آخر؟ فهذا كله يبين أن الحديث فى الأصل معروف».

● مناسبة الحديث للباب ومراد المصنف:

- قال سليمان آل الشيخ (٣): ووجه إيراد المصنف هذا الحديث فى هذا الباب دون الذى قبله، هو أنه لعن المتخذين عليها المساجد والسرج، وقرن بينهما، فهما قرينان فى اللعنة، فدل ذلك على أنه ليس المنع من اتخاذ المساجد عليها لأجل النجاسة، بل لأجل نجاسة الشرك ولذلك قرن بينه وبين الإسراج عليها، وليس النهى عن الإسراج لأجل النجاسة فكذلك البناء اهـ.

(١) أخرجه أحمد (٤٤٢/٢) وابن ماجه (١٥٧٤) وانظر تخريجنا لفتح المجيد (ح ٣٩٤).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٥٤).

(٣) تقدم تخريجه

- قال حسن بن محمد<sup>(١)</sup>: لما فيه من ذلك المحذور الذى يؤول إلى الشرك،  
وعبادة غير الله . اهـ.

- قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: المناسبة للباب أن اتخاذ المساجد عليها وإسراجها غلو فيها،  
فيؤدى بعد ذلك إلى عبادتها . اهـ.

- وقال القرعاوى<sup>(٣)</sup>: حيث نهى ﷺ عن الغلو فى القبور ببناء المساجد عليها  
وإشعال السرج عليها، وذلك لأنه يؤدى إلى تعظيم أصحابها فيصيرها أوثاناً تعبد  
بالتعظيم . اهـ.

لماذا أورد المصنف هذا الحديث فى هذا الباب دون الذى قبله؟!

● [قلت] فالأولى أن يقال وجه إيراد المصنف هذا الحديث فى هذا الباب دون الذى  
قبله أنه أتى بالمراحل الموصله إلى جعل القبور أوثاناً، وهى  
(أولاً) الزيارة.

(ثانياً) الإكثار فيها، وعبر عن ذلك بقوله: «زوارات القبور»

(ثالثاً) اتخاذها مساجد.

(رابعاً): الإسراج لها من باب التعظيم.

(خامساً) الإسراج لها من باب النذر لها أو لأصحابها أولهما . والله أعلم .

قوله: [لعن رسول الله ﷺ]:

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله (لعن): اللعن هو الطرد والإبعاد عن رحمة الله، ومعنى

لعن رسول الله ﷺ، أى: دعا عليهم باللعنة . اهـ.

قلت: وقد تقدم فى باب / ماجاء فى الذبح لغير الله - أن هذا فىمن استحق اللعن،

أما من لم يستحق اللعن، ولعنه رسول الله ﷺ فهو فى حقه رحمة . والله المستعان .

(١) فتح الله الحميد المجيد (٢٩٧).

(٢) القول المفيد (١/٥٥١).

(٣) الجديد (١٩٨).

(٤) القول المفيد (١/٥٥١).

وقال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله: [زائرات القبور]:

زائرات: جمع زائرة، والزائرة هنا معناها: الخروج إلى المقابر، وهي أنواع: منها ما هو سنة، وهي زيارة الرجال للتعاض والدعاء للموتى. ومنها ما هو بدعة، وهي زيارتهم للدعاء عندهم وقراءة القرآن ونحو ذلك. ومنها ما هو شرك، وهي زيارتهم لدعاء الأموات والاستنجاد بهم والاستغاثة ونحو ذلك.

وزائر: اسم فاعل يصدق بالمرّة الواحدة، وفي حديث أبي هريرة: «لعن رسول الله ﷺ زوَّارات القبور»<sup>(٢)</sup>، بتشديد الواو، وهي صيغة مبالغة تدلّ على الكثرة أى كثرة الزيارة. اهـ.

● حكم زيارة القبور للنساء، وقوله: (زائرات القبور): -

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: أى من النساء، وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة. وقيل فى تعليل ذلك أنه يخرجها إلى الجزع والندب والنياحة والافتتان بها وبصورتها، وتأذى الميت بيكائها.

- كما فى حديث آخر: «فإنكن تفتن الحى وتوذىن الميت»<sup>(٤)</sup> وإذا كان زيارة النساء مظنة وسبباً للأمور المحرمة فى حقهن وحق الرجال، وتقدير ذلك غير مضبوط؛ لأنه لا يمكن حد المقدار الذى لا يفض إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع.

ومن أصول الشريعة أن الحكمة إذا كانت خفية أو مستشرة علق الحكم بمظنها فتحرم سداً للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة لما فى ذلك من الفتنة، وكما حرمت الخلوة الأجنبية .

وليس فى زيارتها من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة، لأنه ليس فى زيارتها إلا دعواها لميت أو اعتبارها به، وذلك ممكن فى بيتها.

- وقد روى الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن حسان بن ثابت مرفوعاً: «لعن الله زوَّارات القبور»<sup>(٥)</sup>

(١) القول المفيد (١/٥٥٢، ٥٥٧).

(٢) تقدم تخريجه

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٥٣، ٢٥٤).

(٤) سيأتى تخريجه قريباً . (٥) تقدم تخريجه

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «لعن زوارات القبور»<sup>(١)</sup> رواه أحمد وابن ماجه والترمذى وصححه، وضعفه عبد الحق، وحسنه ابن القطان، ولا يعارض هذا حديث. «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها»<sup>(٢)</sup> رواه مسلم وغيره؛ لأن هذا إن سلم دخول النساء فيه، فهو عام والأول خاص، والخاص مقدم على العام، وأيضاً ففي دخول النساء فى خطاب الذكور خلاف عند الأصوليين. اهـ.

قال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: والذين رخصوا فى الزيارة اعتمدوا على ما روى عن عائشة رضى الله عنها: أنها زارت قبر أخيها عبد الرحمن وقالت: «لو شهدتك مازرتك»<sup>(٤)</sup> وهذا يدل على أن الزيارة ليست مستحبة للنساء كما تستحب للرجال؛ إذ لو كان كذلك لاستحبت زيارته، سواء شهدته أم لا»<sup>(٥)</sup>.

قلت - أى عبد الرحمن - فعلى هذا لاجحة فيه لمن قال بالرخصة.

وهذا السياق لحديث عائشة رواه الترمذى من رواية عبد الله بن أبى مليكة عنها، وهو يخالف سياق الأثر له عن عبد الله بن أبى مليكة أيضاً: «أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر. فقلت لها: يا أم المؤمنين، أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور؟ قالت: نعم، نهى عن زيارة القبور، ثم أمر بزيارتها»<sup>(٦)</sup>.

فأجاب شيخ الإسلام رحمه الله عن هذا وقال: «ولا حجة فى حديث عائشة؛ فإن المحتج عليها احتج بالنهى العام، فدفعت ذلك بأن النهى منسوخ، ولم يذكر لها المحتج النهى الخاص بالنساء الذى فيه لعنهن على الزيارة. يبين ذلك قولها: «قد أمر بزيارتها» فهذا يبين أنه أمر بها أمراً يقتضى الاستحباب، والاستحباب إنما هو ثابت للرجال خاصة. . ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال، ولم تقل لأخيها: «لما زرتك». واللحن صريح فى التحريم، والخطاب بالإذن فى قوله: «فزوروها» لم يتناول النساء فلا يدخلن فى الحكم الناسخ،

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(٣) فتح المجيد (١/٣١٨).

(٤) أخرجه الترمذى (١٠٥٥) وأنظر تمام التخرىج فى «فتح المجيد» (٣٩٧) بتخريننا.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٣٤٥) بتصرف.

(٦) أخرجه الحاكم فى المستدرک (١/٣٧٦) وأنظر «فتح المجيد» (ح ٣٩٨) بتخريننا وسيأتى أنظر

مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٢٤/٣٥١، ٣٥٢) بتصرف.

والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه، وهو المعروف عند أصحابه، فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص؟ إذا قد يكون قوله: «لعن الله زوارات القبور» بعد إذنه للرجال في الزيارة. يدل على ذلك: أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرج. ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرج المنهى عنها محكم، كما دلت عليها الأحاديث الصحيحة وكذلك الآخر»<sup>(١)</sup>.

**والصحيح:** أن النساء لم يدخلن في الإذن في زيارة القبور لعدة أوجه:

أحدها: أن قوله ﷺ: «فزوروها» صيغة تذكير.. وإنما يتناول النساء أيضاً على سبيل التغليب. لكن هذا فيه قولان.

قيل: إنه يحتاج إلى دليل منفصل، وحينئذ فيحتاج تناول ذلك للنساء إلى دليل منفصل.

وقيل: إنه يحمل على ذلك عند الإطلاق. وعلى هذا فيكون دخول النساء بطريق العموم الضعيف، والعام لا يعارض الأدلة الخاصة.. ولا ينسخها عند جمهور العلماء، ولو كان النساء داخلات في هذا الخطاب لاستحبّ لهن زيارة القبور، وما علمنا أحداً من الأئمة استحَب لهن زيارة القبور، ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور»<sup>(٢)</sup>.

«ومنها: أن النبي ﷺ علل الإذن للرجال بأن ذلك: «يُذَكِّرُ الْمَوْتَ، وَيُرَقِّقُ الْقَلْبَ، وَتُدْمَعُ الْعَيْنُ» هكذا في مسند أحمد<sup>(٣)</sup>. ومعلوم أن المرأة إذا فُتِحَ لها هذا الباب أخرجها إلى الجزع والندب والنياحة؛ لما فيها من الضعف وقلة الصبر. وإذا كانت زيارة النساء مظنةً وسبباً للأموح المحرمة، فإنه لا يمكن أن يحد المقدار الذي لا يُفْضَى إلى ذلك، ولا التمييز بين نوع ونوع، ومن أصول الشريعة: أن الحكمة إذا كانت خفية أو متشعبة علق الحكم بمظنتها. فيحرم هذا الباب سداً للذريعة، كما حرم النظر إلى الزينة الباطنة، وكما حرم الخلوة بالأجنبية وغير ذلك. وليس في ذلك من المصلحة ما يعارض هذه المفسدة. فإنه ليس في ذلك إلا دعاؤها للميت. وذلك ممكن في بيتها»<sup>(٤)</sup>.

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥٤، ٣٥٣/٢٤) بتصرف.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٤ / ٢٤، ٣٤٥) بتصرف.

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٢٥٠) الحاكم (١/ ٣٧٦) وانظر فتح المجيد (٤٠١ - بتخریجنا).

(٤) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥٥/٢٤، ٣٥٦).

قلت: وهذا الأخير نص كلام سليمان آل الشيخ السابق ثم قال:

«ومن العلماء من يقول: التشيع كذلك، ويحتج بقوله ﷺ: «ارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ، فَإِنَّكُنَّ تَفْتِنَنَّ الْحَيَّ وَتُؤْذِنِينَ الْمَيِّتَ» (١).

وقوله لفاطمة: «أَمَا إِنَّكَ لَوْ بَلَغْتَ مَعَهُمُ الْكُدَى لَمْ تَدْخُلِي الْجَنَّةَ» (٢).

ويؤيده ما ثبت في الصحيحين من «أَنَّهُ نَهَى النِّسَاءَ عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ» (٣).

ومعلوم أن قوله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ جَنَازَةً فَلَهُ قِيرَاطٌ، وَمَنْ تَبَعَهَا حَتَّى تُدْفَنَ فَلَهُ قِيرَاطَانٌ» (٤) هو أدلُّ على العموم من صيغة التذكير. فإن لفظ «مَنْ» يتناول الرِّجَال والنِّسَاءَ باتِّفَاقِ النَّاسِ، وقد عَلِمَ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ أَنَّ هَذَا الْعَمُومَ لَمْ يَتَنَاوَلَ النِّسَاءَ لِنَهْيِ النَّبِيِّ ﷺ لَهُنَّ عَنِ اتِّبَاعِ الْجَنَائِزِ، فَإِذَا لَمْ يَدْخُلْنَ فِي هَذَا الْعَمُومِ. فَكَذَلِكَ فِي ذَلِكَ بِطَرِيقِ الْأُولَى (٥). انتهى ملخصاً.

قلت أي عبدالرحمن آل الشيخ: ويكون الإذن في زيارة القبور مخصوصاً بالرجال، خص بقوله: «لعن الله زوّارات القبور...» الحديث. فيكون من العام المخصوص.

وعما استدل به القائلون بالنسخ أجوبة أيضاً.

منها: أن ما ذكره عن عائشة وفاطمة رضی الله عنهما معارض بما ورد عنهما في هذا الباب فلا يثبت به نسخ.

ومنها: أن قول الصحابي وفعله ليس حجة على الحديث بلا نزاع. وأما تعليمه عائشة كيف تقول: إذا زارت القبور ونحو ذلك، فلا يدل على نسخ ما دلّت عليه الأحاديث الثلاثة من لعن زائرات القبور، لاحتمال أن يكون ذلك قبل هذا النهي الأكيد والوعيد الشديدي، والله أعلم. اهـ.

(١) أخرجه ابن ماجه (١٥٧٨) وضعفه الألباني في ضعيف سنن ابن ماجه وانظر فتح المجيد (٤٠٢ -

بتخریجنا).

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨/٢، ١٦٩) وأبو داود (٢١٢٣) وانظر «فتح المجيد» (٤٠٣ - بتخریجنا)

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري (١٢٧٨) ومسلم (٢/٧) وانظر «فتح المجيد» (٤٠٤ - بتخریجنا).

(٤) [صحيح] أخرجه البخاري (١٣٢٥)، ومسلم (١٣١٧) وانظر «فتح المجيد» (٤٠٥ - بتخریجنا).

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٤٦/٢٤).

وقال عبد الله بن جبار الله<sup>(٦)</sup>: زيارة القبور حرام على النساء لأنه ﷺ لعن زائرات القبور اهـ.

وقال ابن باز<sup>(٧)</sup>: فيه حرمة زيارة القبور على النساء على الصحيح للأدلة وكما في حديث حسان بن ثابت وأبي هريرة بمعناه فزيارة القبور مختصة بالرجال ثم قال: لا يجوز زيارة النساء حتى إلى قبر النبي ﷺ على الصحيح؛ لأن الحديث عام، وورد لفظ (زائرات) لكن ورد أيضاً (زائرت). اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: وفي الحديث ما يدل على تحريم زيارة النساء للقبور، وأنها من كبار الذنوب، والعلماء في ذلك على ثلاثة أقوال:-

القول الأول: تحريم زيارة النساء للقبور، بل إنها من كبائر الذنوب؛ لهذا الحديث.

القول الثاني: كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل إلى التحريم، وهذا هو المشهور من مذهب أحمد عن أصحابه؛ لحديث أم عطية: «نهينا عن أتباع الجنائز، ولم يعزم علينا»<sup>(٤)</sup>.

القول الثالث: أنها تجوز زيارة النساء للقبور؛ لحديث المرأة: أنه ﷺ مرَّ بامرأة وهي تبكي عند قبر، فقال لها: «اتقي الله واصبري». فقالت له: إليك عني؛ فإنك لم تصب بمثل مصيبتى. فانصرف الرسول ﷺ عنها، فقيل لها: هذا رسول الله ﷺ. فجاءت إليه تعتذر؛ فلم يقبل عذرها<sup>(٥)</sup> اهـ.

[قلت]: كذا فهم الشيخ وليس في الحديث أنه لم يقبل عذرها بل قال ابن حجر: نقلاً عن الطيبي صدر هذا الجواب منه ﷺ عن قولها: لم أعرفك على أسلوب الحكيم كأنه قال لها: دعى الاعتذار فإنى لا أغضب لغير الله وانظري لنفسك ثم قال: وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم ما كان فيه عليه الصلاة والسلام من التواضع والرفق بالجاهل، ومسامحة المصاب وقبول اعتذاره ا. هـ<sup>(٦)</sup>.

(١) الجامع الفريد (٨٨).

(٢) التعليق المفيد (١٢٦).

(٣) القول المفيد (١/٥٥٣).

(٤) تقدم تخريجه قريباً

(٥) [صحيح] أخرجه البخارى (١٢٨٣)، ومسلم فى الجنائز (٣/٤٩٨/١٥) عن أنس به وانظر «رياض

الصالحين» (٣٢ - بتخريجنا).

(٦) الفتح (٣/١٧٩).



## ثم قال ابن عثيمين:

وقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»<sup>(١)</sup>، فالنبي ﷺ شاهدا عند القبر ولم ينهها عن الزيارة، وإنما أمرها أن تتقى الله وتصبر.

ولما ثبت في «صحيح مسلم» من حديث عائشة الطويل، وفيه: أن النبي ﷺ خرج إلى أهل البقيع في الليل، واستغفر لهم ودعا لهم، وأن جبريل أتاه في الليل وأمره، فخرج ﷺ مختفياً عن عائشة، وزار ودعا، ورجع، ثم أخبرها الخبر؛ فقالت: ما أقول لهم يارسول الله؟ قال: «قولي: السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين...»<sup>(٢)</sup> إلخ.

قالوا: فعلمها النبي ﷺ دعاء زيارة القبور، وتعليمه هذا دليل على الجواز.

ورأيت قولاً رابعاً: أن زيارة النساء للقبور سنة كالرجال؛ لقوله ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(٣)</sup>، وهذا عام للرجال والنساء.

ولأن عائشة رضی الله عنها زارت قبر أخيها، فقال لها عبد الله بن أبي مليكة: أليس النبي ﷺ قد نهى عن زيارة القبور؟ قالت: إنه أمر بها بعد ذلك<sup>(٤)</sup>.

وهذا دليل على أنه منسوخ.

قال ابن عثيمين: والصحيح القول الأول، ويجب عن أدلة الأقوال الأخرى: بأن

الصريح منها غير صحيح، والصحيح غير صريح؛ فمن ذلك:

أولاً: دعوى النسخ غير صحيحة؛ لأنها لا تقبل إلا بشرطين:

١ - تعذر الجمع بين النصين، والجمع هنا سهل وليس بمتعذر؛ لأنه يمكن أن يقال: إن الخطاب في قوله: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور؛ فزوروها»<sup>(٥)</sup> للرجال، والعلماء اختلفوا فيما إذا خوطب الرجال بحكم: هل يدخل فيه النساء أو لا؟ وإذا قلنا بالدخول وهو الصحيح-؛ فإن دخولهن في هذا الخطاب من باب دخول أفراد العام في العموم؛ وعلى هذا يجوز أن يخص بعض أفراد العام بحكم يخالف العام، وهنا نقول: قد خص النبي ﷺ النساء من هذا الحكم، فأمره بالزيارة للرجل فقط؛ لأن النساء أخرجن بالتخصيص من هذا العموم بلعن الزائرات، وأيضاً مما يبطل النسخ قوله: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»<sup>(٦)</sup>، ومن المعلوم أن قوله:

(١) تقدم

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في الجنائز (٧/ ٤٠) النووي عن عائشة به وانظر «رياض الصالحين» (٥٨٣ -

بتخریجنا).

(٣) تقدم تخريجه

(٤) تقدم تخريجه

(٥) ، (٦) سبق تخريجه .

«والمُتَخَذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالسَّرْحَ» لا أحد يدعى أنه منسوخ، والحديث واحد؛ فادعاء النسخ في جانب منه دون آخر غير مستقيم، وعلى هذا يكون الحديث محكماً غير منسوخ.

٢ - العلم بالتأريخ، وهنا لم نعلم التأريخ؛ لأن النبي ﷺ لم يقل: كنت لعنت من زار القبور، بل قال: «كنت نهيتكم»، والنهي دون اللعن.

وأيضاً؛ فإنَّ قوله: «كنت نهيتكم» خطاب للرجال، ولعن زائرات القبور خطاب للنساء؛ فلا يمكن حمل خطاب الرجال على خطاب النساء، إذًا؛ فالحديث لا يصح فيه دعوى النسخ.

وثانياً؛ وأما الجواب عن حديث المرأة وحديث عائشة؛ فإن المرأة لم تخرج للزيارة قطعاً أهـ [قلت]: لو قال احتمالاً لكان أجود..

ثم قال: لكنها أصيبت، ومن عظم المصيبة عليها لم تتمالك نفسها لتبقى في بيتها، ولذلك خرجت وجعلت تبكي عند القبر ممَّا يدلُّ على أن في قلبها شيئاً عظيماً لم تتحمَّله حتى ذهبت إلى ابنها وجعلت تبكي عند قبره، ولهذا أمرها ﷺ أن تصبر؛ لأنَّه علم أنَّها لم تخرج للزيارة، بل خرجت لما في قلبها من عدم تحمُّل هذه الصدمة الكبيرة؛ فالحديث ليس صريحاً بأنها خرجت للزيارة، وإذا لم يكن صريحاً؛ فلا يمكن أن يُعارض الشيء الصريح بشيء غير صريح.

وأما حديث عائشة؛ فإنَّها قالت للرسول ﷺ: «ماذا أقول؟ فقال: قولي: السلام عليكم»<sup>(١)</sup> فهل المراد أنها تقول ذلك إذا مرَّت، أو إذا خرجت زائرة؟ فهو محتمل؛ فليس فيه تصريح بأنَّها إذا خرجت زائرة؛ إذ من الممكن أن يرد به إذا مرت بها من غير خروج للزيارة، وإذا كان ليس صريحاً؛ فلا يُعارض الصريح.

وأما فعلها مع أخيها رضى الله عنهما؛ فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله ابن أبي مُلَيْكَةَ بلعن زائرات القبور، وإنَّما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقاً؛ لأنَّه لو استدل عليها بالنهي عن زيارة النساء للقبور أو بلعن زائرات القبور؛ لكننا ننظر بماذا ستجيبه.

فهو استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور، ومعلوم أن النهي عن زيارة القبور كان

(١) تقدم تخريجه

عاماً، ولهذا أجابته بالنسخ العام، وقالت: إنه قد أمر بذلك، ونحن وإن كنا نقول: إن عائشة رضی الله عنها استدلت بلفظ العموم؛ فهي كغيرها من العلماء لأيعارض بقولها قول الرسول ﷺ، على أنه روى عنها؛ أنها قالت: «لو شهدتك ما زرتك»<sup>(١)</sup>، وهذا دليل على أنها رضی الله عنها خرجت لتدعو له؛ لأنها لم تشهد جنازته، لكن هذه الرواية طعن فيها بعض العلماء، وقال: إنها لاتصح عن عائشة رضی الله عنها، لكننا نبقى على الرواية الأولى الصحيحة؛ إذ ليس فيها دليل على أن الرسول ﷺ نسخته، وإذا فهمت هي؛ فلا يعارض بقولها قول الرسول ﷺ.

● إشكال وجوابه: في قوله: «زورات القبور» ألا يمكن أن يحتمل النهى على تكرار الزيارة لأن «زورات» صيغة مبالغة؟.

الجواب: قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: هذا ممكن، لكننا إذا حملناه على ذلك؛ فإننا أضعنا دلالة المطلق «زورات».

والتضعيف قد يحتمل على كثرة الفاعلين لا على كثرة الفعل؛ فـ «زورات» يعنى: النساء إذا كنَّ مئة كان فعلهن كثيراً، والتضعيف باعتبار الفاعل موجود في اللغة العربية، قال تعالى: ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتُوحَةٍ لَهُمْ الأبوابُ﴾<sup>(٣)</sup>، فلما كانت الأبواب كثيرة كان فيها التضعيف؛ إذ الباب لايفتح إلا مرة واحدة، وأيضاً قراءة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتَحَتْ﴾<sup>(٤)</sup>؛ فهي مثلها.

فالراجح تحريم زيارة النساء للمقابر، وأنها من كبائر الذنوب.  
وانظر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى»<sup>(٥)</sup> اهـ.

قوله: [والمتمخذين عليها المساجد والسرج].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٦)</sup>: قوله: «السرج». هذا دليل على تحريم اتخاذ السرج على القبور.

قال أبو محمد المقدسي: لو أبيع اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله، لأن فيه تضييعاً للمال في غير فائدة، وإفراطاً في تعظيم القبور، أشبه تعظيم الأصنام.

(١) أخرجه الحاكم (٣٧٦/١)، والبيهقي (٧٨/٤) وانظر «فتح المجيد» (٣٩٧ - بتخریجنا).

(٢) القول المفيد (٥٥٧/١). (٣) ص آية: ٥٠. (٤) الزمر آية: ٧١

(٥) وانظر الفتاوى (٣٤٣/٢٤). (٦) تيسير العزيز الحميد (٢٥٤).

وقال ابن القيم: اتخذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر. اهـ.

وقال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله في كتابه تطهير الاعتقاد<sup>(٢)</sup>: «فإن هذه القباب والمشاهد التي صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد، وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه: غالب - بل كل - من يعمرها هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة، إما على قريب لهم، أو على من يحسنون الظن فيه من فاضل أو عالم أو صوفي أو فقير أو شيخ كبير، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه، بل يدعون له ويستغفرون، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم، فيأتي من بعدهم فيجد قبراً قد شُيد عليه البناء، وسرجت عليه الشموع، وفرش بالفراش الفاخر، وأرخت عليه الستور، وألقيت عليه الأوراد والزهور، فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضرر. وتأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل، وأنزل بفلان الضر وبقفلان النفع. حتى يغرسوا في جبلته كل باطل، والأمر ما بُتت في الأحاديث النبوية من لعن من أسرج على القبور وكتب عليها وبنى عليها وأحاديث ذلك واسعة معروفة. فإن ذلك في نفسه منهي عنه. ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة». انتهى.

قال ابن عثيمين: قوله: «المتخذين عليها المساجد».

هذا الشاهد من الحديث؛ أي: الذين يضعون عليها المساجد، وقد سبق أن اتخذ القبور مساجد له صورتان:

١ - أن يتخذها مصلى يصلى عندها.

٢ - بناء المساجد عليها.

[قلت]: أو الصلاة إليها، وتقدم تفصيل ذلك كثيراً في باب التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح.

قوله: «والسرج». جمع سراج، توقد عليها السرج ليلاً ونهاراً تعظيماً وغلواً فيها. اهـ.

● مسألة:

وهل يدخل في اتخاذ السرج على المقابر ما لو وضع فيها مصابيح كهرباء لإنارتها؟

(١) فتح المجيد (١/٣٢٢).

(٢) تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص ٥٣، ٥٤) مع تصريف قليل.

الجواب: قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: أمّا في المواطن التي لا يحتاج الناس إليها، كما لو كانت المقبرة واسعة وفيها موضع قد انتهى الناس من الدفن فيه؛ فلا حاجة إلى إسراجه، فلا يسرج، أمّا الموضع الذي يقبر فيه فيسرج ما حوله؛ فقد يُقال بجوازه؛ لأنّها لا تسرج إلا بالليل؛ فليس في ذلك ما يدل على تعظيم القبر، بل اتخذ الإسراج للحاجة. ولكن الذي نرى أنّه ينبغي المنع مطلقاً للأسباب الآتية:

١ - أنّه ليس هناك ضرورة.

٢ - أنّ الناس إذا وجدوا ضرورة لذلك؛ فعندهم سيارات يمكن أن يوقدوا الأنوار التي فيها ويتبيّن لهم الأمر، ويمكنهم أن يحملوا سراجاً معهم.

٣ - أنّه إذا فتح هذا الباب؛ فإنّ الشرّ سيتّسع في قلوب الناس ولا يمكن ضبطه فيما بعد، فلو فرضنا أنّهم جعلوا الإضاءة بعد صلاة الفجر ودفنوا الميت؛ فمن الذي يتولّى قفل هذه الإضاءة؟

الجواب: قد تترك، ثم يبقى كأنه متخذ عليها السرج؛ فالذي نرى أنّه يمنع نهائياً. أمّا إذا كان في المقبرة حجرة يوضع فيها اللبن ونحوه؛ فلا بأس بإضاءتها لأنّها بعيدة عن القبور، والإضاءة داخلية لأتّشاهد؛ فهذا نرجو أن لا يكون به بأس.

والمهم أنّ وسائل الشرك يجب على الإنسان أن يتعد عنها ابتعاداً عظيماً، ولا يقدر للزمن الذي هو فيه الآن، بل يقدر للأزمان البعيدة؛ فالمسألة لست هينة. اهـ.

● مسألة: ماهى الصلة بين الجملة الأولى: «زائرات القبور»، والجملة الثانية: «المتخذين عليها المساجد والسرج»؟

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: الصلة بينهما ظاهرة: هي أنّ المرأة لرفة عاطفتها وقلة تمييزها وضعف صبرها ربما تعبد أصحاب القبور تعظفاً على صاحب القبر؛ فلهذا قرنها بالمتخذين عليها المساجد والسرج. اهـ وتقدم شيء من ذلك من كلام سليمان آل الشيخ.

### فصل

#### في «الرد على من منع النساء من زيارة القبور مطلقاً»

قال الفقير: ذكر الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله تعالى: في القول المفيد ثلاثة أقوال في زيارة النساء للمقابر:

[القول الأول]: تحريم زيارة النساء للقبور بل إنه من الكبائر والذنوب لهذا الحديث.

(١) القول المفيد (١/٥٥٢، ٥٥٢).

(٢) القول المفيد (١/٥٥١، ٥٥٢).

[القول الثاني]: كراهة زيارة النساء للقبور كراهة لا تصل لدرجة التحريم وهذا هو المشهور من مذهب أحمد عن أصحابه لحديث أم عطية «نهيتنا عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا»<sup>(١)</sup> أى لم يشدد علينا أى لم يفرض علينا هذا الأمر.

[القول الثالث]: إنها تجوز زيارة النساء للقبور لحديث المرأة أنه ﷺ مر بامرأة وهى تبكى عند القبر فقال لها: «اتقى الله واصبري» فقالت له: إليك عنى فإنك لم تصب بمثل مصيبتى فانصرف الرسول الله ﷺ عنها فقيل لها هذا رسول الله ﷺ فجاءت إليه تعتذر فلم يقبل اعتذارها<sup>(٢)</sup>.

قلت: ابن عثيمين - حفظه الله - ذكر الحديث بالمعنى وقوله «أنه لم يقبل عذرها» ليست فى الحديث بل الثابت فى الصحيح «أن النبى ﷺ مر على امرأة تبكى عند قبر فقال «اتقى الله واصبري» فقالت: إليك عنى فإنك لم تصب بمصيبتى ولم تعرفه فقيل لها إنه النبى ﷺ فجاءت النبى ﷺ فلم تجد عنده بوابين فقالت لم أعرفك فقال إنما الصبر عند الصدمة الأولى» فبين من ذلك أن ما ذكره الشيخ حفظه الله بالمعنى ليس بحديث.

فإن قال قائل هذا فهم الشيخ ابن عثيمين حفظه الله وأما الذى ذكرتم هو من فهمكم وهنا يقدم فهم الشيخ حفظه الله.

[قلت]: الشيخ ابن عثيمين حفظه الله حبيب إلى قلوبنا جميعاً ولكن الحق أحب إلينا منه حيث أن فهمه حفظه الله لم يوافق فهم السلف لهذا الحديث فقد قال ابن حجر نقلاً عن الطيبى: أنه قال صدر ذلك عنه ﷺ عن قولها لم أعرفك على أسلوب الحكيم كأنه قال لها دعى الاعتذار فإنى لا أغضب لنفسى ولكن انظرى لنفسك ثم قال «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» وكان الجواب على طريقة الحكماء فكأنه غير منتظر لهذا الاعتذار فكأنه الأمر أعظم من ذلك ولذلك أجاب بالإجابة المتقدمة.

- ثم قال ابن حجر: وفى الحديث من القوائد غير ما تقدم:

ما كان فيه عليه الصلاة والسلام. من التواضع والرفق بالجاهل ومسامحة المصاب وقبول الاعتذار أه<sup>(٣)</sup>.

قلت: فدل ذلك على أنه قبل العذر

فإن كان فهم الشيخ ابن عثيمين أنها اعتذرت ولم يقبل فهذا مخالف لفهم الطيبى أما إذا كان قوله لم يقبل اعتذارها: أى لم ينظر إليه ولم يلتفت إليه ولم يأبه به، فهذا قد

(١) تقدم تخريجه (٢) تقدم تخريجه (٣) وتقدم ذلك قريباً

يكون وجيهاً وقوله «إنما الصبر عند الصدمة الأولى»: فالنبي ﷺ شاهدها عند القبر ولم ينهها عن الزيارة وإنما أمرها أن تتقى الله وتصبر.

[قلت]: إن ابن عثيمين نقل ما قال به ابن حجر، حيث ذكر في «الفتح» ما: يؤيد الجواز في حديث الباب وقال موضع الإجازة منه أنه ﷺ لم ينكر قعودها على القبر وتقريره حجه، هذا هو الدليل الأول.

**الدليل الثاني:** ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة الطويل أن النبي ﷺ خرج إلى أهل البقيع بالليل واستغفر لهم ودعا لهم وأن جبريل أتاه في الليل وأمره فخرج ﷺ مخفياً عن عائشة ودعا ورجع ثم أخبرها الخبر فقالت ما أقول لهم يا رسول الله فقال قولي «السلام عليكم يا أهل الديار من المؤمنين والمسلمين»<sup>(١)</sup> ومحل الشاهد أنه علمها كيف تقول إذا دخلت وزارات فعلمها النبي ﷺ دعاء زيارة القبور وهذا دليل على الجواز.

ثم قال الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله تعالى - ورأيت قولاً رابعاً: أن زيارة النساء للقبور سنة كلرجال قلت: وهذا القول الرابع هو أول ما ذكره ابن حجر في عرض الاختلاف في المسألة حيث قال: وكأن البخاري لم يثبت على شرطه الأحاديث المصرحة بالجواز، وقد أخرجه مسلم من حديث بريدة، وفيه نسخ النهي عن ذلك، ولفظه: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها» وزاد أبو داود والنسائي من حديث أنس: «فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(٢)</sup> وهذا عام للرجال والنساء. وللحاكم من حديث أنس أيضاً فيه وترق القلب وتدمع العين فلا تقولوا هجرًا»<sup>(٣)</sup> أى كلاماً فاحشاً وهو بضم الهاء وسكون الجيم وله من حديث ابن مسعود «فإنها تزهد في الدنيا»<sup>(٤)</sup> ولسلم من حديث أبي هريرة مرفوعاً «زوروا القبور فإنها تذكركم الموت»<sup>(٥)</sup>.

**قال ابن حجر:** في قول من قال بالكراهة مطلقاً مثل ابن سيرين وإبراهيم النخعي والشعبي قال ومقابله من قال بوجوب الزيارة أى أنها واجبة وهذا قول ابن حزم فقال: أن زيارة القبر واجبة ولو مرة واحدة في العمر لورود الأمر به.

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٧٥/١) قال الذهبي في «التلخيص»: أيوب ضعفه ابن معين

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم في الجنائز (١٠٥/٥٢/٤)

ثم قال ابن حجر واختلف فى النساء فقيل دخلن فى عموم الإذن وهو قول الأكثر فلما كان النهى عاماً كان الإذن عاماً، ومن حمل الإذن على عمومه للرجال والنساء عائشة رضى الله عنها» فروى الحاكم من طريق ابن أبى مليكة أنه رآها زارت قبر أخيها عبدالرحمن فقيل لها ليس نهى النبي ﷺ عن ذلك قالت: نعم كان نهى ثم أمر بزيارتها<sup>(١)</sup>.

**قال الشيخ ابن عثيمين:** ولأن عائشة زارت قبر أخيها فقال عبد الله بن أبى مليكة ليس النهى نهى عن زيارة القبور قالت نهى ثم أمر بعد ذلك وهذا دليل على أنه منسوخ أى النهى.

ثم شرع شيخنا ابن عثيمين يرجح فقال: والراجع القول الأول أى : وهو تحريم زيارة النساء للقبور.

ويجاب على الأدلة فى الأقوال الأخرى بأن الصريح منها غير صحيح والصحيح غير صريح.

ثم قال: دعوى النسخ غير صحيحة لأنها لا تقبل إلا بشرطين:

**الشرط الأول:** تعذر الجمع بين نصين والجمع هنا سهل وليس بمتعذر لأنه يمكن أن يقال أن الخطاب فى قوله «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها». للرجال.

والعلماء اختلفوا فيما إذا خوطب الرجال بحكم هل يدخل فيه النساء أو لا . وإذا قلنا بالدخول - قلت: وهذا الصحيح لحديث أبى داود «إنما النساء شقائق الرجال»<sup>(٢)</sup>، كما فهم الخطابى أى شقائق الرجال فى الأوامر والنواهي - فإن دخولهن فى هذا الخطاب من باب الدخول فى بعض أفراد العام، لأن «ألا فزوروها» يعم الرجال والنساء وهنا يجوز أن يخص هذا البعض بحكم يخالف العام وهنا نقول قد خص النبي ﷺ النساء من هذا الحكم فأمره بالزيارة للرجال فقط لأن النساء أخرجن بالتخصيص من هذا العموم بلعن الزائرات .

[قلت]: أما أولاً فنقول أنه بهذا لم يجمع، لأنه قال لا بد للنسخ من شرطين.

أولاً: تعذر الجمع ثم شرع يجمع لكنه لم يجمع، فإن سلمنا له بالجمع بين حديث

(١) تقدم تخريجه

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢٥٦/٦)، أبو داود (٢٣٦)، والترمذى (١١٣)، وابن ماجه (٦١٢)

عن عائشة به.



«لعن الله الزوارات» و«كنت نهيتكم عن زيارة القبور» فلم يجمع هو بين هذا الأثر وقول عائشة نهى ثم أمر، هذه واحدة.

الثانية: أن هذا التخصيص لم يخص منع النساء مطلقاً من الزيارة وإنما خص منع النساء من الإكثار فقط، لأنه لم يقل لعن الله زائرة القبور وإنما قال لعن الله زوارات القبور.

والأولى أن يكون الجمع بين الأحاديث المتقدمة أن يقال بما قال العلماء ونقله ابن حجر عن القرطبي في «الفتح» في الرد على ابن أبي إسحاق في «المهذب» حيث ذهب إلى منع النساء مطلقاً واستدل بحديث عبد الله بن عمرو «لعن الله زوارات القبور» وأخرجه الترمذى وصححه من حديث أبي هريرة<sup>(١)</sup> وله شاهد من حديث ابن عباس<sup>(٢)</sup> وحديث حسان بن ثابت<sup>(٣)</sup>.

**قال ابن حجر قال القرطبي:** هذا اللعن إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصفة من المبالغة ولعل السبب ما يفضى إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ منهن من الصياح ونحو ذلك. فقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء وهذا هو وجه الجمع.

[قلت]: الحديث لم يمنع مطلقاً وإنما نهى عن الإكثار لأنه مفضى إلى الغللو والتعظيم ومفضى إلى الشرك وهذا محل الشاهد وكذلك مفضى إلى الجزع ومفضى إلى أشياء آخر تدور بين الكراهة والمعصية والشرك فإذا أمنت هذه الأمور فلها أن تزور وهذا الإعمال للنصوص أولى من الإهمال.

وكذلك من قال بالنسخ فنقول. دعوى النسخ لا تقبل إلا بدليل.

وهذا الحديث لم يتعارض مع حديث «الزوارات» لأنه في المكثرات وهذه المرأة لم تكثر.

**قال ابن عثيمين - حفظه الله -:** وما يبطل النسخ قوله «لعن رسول الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

[قلت]: وهذا الحديث ليس منسوخ بل هو حديث محكم ولا نقول بالنسخ وهذا الكلام معنا لا علينا.

فنحن لم نتبنى قول القائل بالنسخ لكن لا يلزم من اتحاد الحكمين في حديث واحد أن يحكما جميعاً أو أن ينسخا جميعاً بل قد يختلفا في الحكم ويختلفا في الرفع وفي الوضع وفي النسخ.

(٣) تقدم تخريجه

(٢) تقدم في حديث الباب

(١) تقدم تخريجه

وهذا كالأيات الكثيرات فى سورة البقرة أو آيات آخر وأحاديث آخر فيها أحكام متفقة فى النص لكن متباينة فى الحكم مثل قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ أو ﴿ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾ فهذا مباح «وأتوا حقه» واجب فهذين حكمين فى نص واحد مع اختلافهما لكن الكلام المتقدم وجيه فيمن قال بنسخ هذا الحديث، نحن لم نقل برأيه بل نقول نجمع بينه وبين أحاديث الجواز.

الشرط الثانى: العلم بالتاريخ. وهنا لم نعلم التاريخ لأن النبى لم يقل «كنت لعنت من زار القبور ألا فزوروها» وإنما قال فذكر الحديث والنهى دون اللعن.

وأيضاً كنتم نهيتكم خطاب للرجال ولعن زائرات القبور خطاب للنساء فلا يمكن حمل خطاب الرجال على خطاب النساء إذن فالحديث لا يصح فيه دعوى النسخ ومع أنه محكم إلا أنه لم يمنع من مطلق الزيارة، وإنما نهى عن زيارة مخصوصة وهى زيارة المكثرة.

وأما الجواب عن حديث المرأة وحديث عائشة: وقول الشيخ ابن عثيمين عليه:

فإن المرأة لم تخرج للزيارة قطعاً لكنها أصيبت؟ ومن عظم المصيبة عليها لم تتمك نفسها لتبقى فى بيتها ولذلك خرجت وجعلت تبكى عند قبره ولهذا أمرها ﷺ أن تصبر لأنه علم أنها لم تخرج للزيارة بل خرجت لما فى قلبها من عدم تحمل لهذه الصدمة الكبيرة والحديث ليس صريحاً بأنها خرجت لزيارة وإذا لم يكن صريحاً فإنه لا يعارض الشىء الصريح بشىء غير صريح.

قلت: وهذا الكلام يرد عليه من وجوه:

أولاً: قوله «فإن المرأة لم تخرج لزيارة قطعاً وهو - حفظه الله - قد أجاب بنفسه عن هذا القول فقال الحديث ليس صريح بأنها خرجت لزيارة أى محتمل أنها خرجت لزيارة وإن كان غير مصرح والأولى أن يقال أنها لم تخرج لزيارة احتمالاً حيث أن الحديث لم يقطع بأنها لم تخرج لزيارة فما المانع من حمل الحديث على الأمرين أى أن وجودها عند القبر محتمل لزيارة هذا القبر ومحتمل أنها خرجت لتبكى عند القبر من شدة هلعها فنقول فى الحديث جواز زيارة النساء للمقابر .

وفى الحديث جواز أن تخرج المرأة لغير الزيارة بقصد البكاء عند القبر من شدة الهلع ومن باب أولى إذا خرجت بهذا القصد فيجوز لها أن تذهب إلى الزيارة حيث أن النبى لم ينهها عن عدم الزيارة ولا عدم البكاء وإنما أمرها بالصبر وهذا يدل على أنه أقرها على البكاء، ومن باب أولى . تقر على الزيارة.

إذن لا مانع من حمل الحديث على الفائدتين .

فلو قال قائل إن هذا فهم الشيخ ابن عثيمين فهل لا نأخذ به ونأخذ بفهمنا؟؟ مع أن الأصح أننا نأخذ بقوله ونترك قولنا ويقدم فهمه .

فقول له : نعم هذا فهم الشيخ ابن عثيمين حفظه الله ولكنه خالف فهم بعض السلف فالبخارى - رحما الله- بوب على هذا الحديث باب «زيارة القبور» وأتى بأثر وجود المرأة فيه عند القبر فكأنه يقول أن الحديث أيضاً متضمن لهذا المعنى : مشروعية الزيارة، وكذلك قال ابن حجر هنا: باب زيارة القبور أى مشروعيتها كأنه لم يصرح بالحكم لما فيه من اختلاف ثم قال هنا:

وذكر هذا الحديث فى زيارة القبور مع احتمال أن تكون المرأة المذكورة تأخرت بعد الدفن عند القبر، وهذا سبب ثان غير الذى قاله الشيخ ابن عثيمين أنه ممكن أن تكون هذه المرأة اتبعت الجنازة وهم حملوها وذهبوا وجلست هى إذن هى لم تكن ذاهبة للقبر وإنما ذاهبة لتتبع الجنازة .

**ثم قال ابن حجر:** والزيارة إنما تطلق على من أنشأ إلى القبر قصداً . فلماذا هو ذكر هذا الحديث الذى فيه هذا الاحتمال فيقال من جهة استواء الحكم فى حقها من حيث أمرها بالتقوى والصبر لما رأى من جزعها ولم ينكر عليها الخروج من بيتها فدل على أنه جائز وهذا أعم من أن يكون خروجها لتشجيع ميتها فأقامت عند القبر بعد الدفن أو أنشئت قصد زيارته للخروج بسبب الميت .

فقال إن خروجها يعم الصور الثلاثة هذه:

الصورة التى ذكرها الشيخ ابن عثيمين - حفظه الله- والصورة التى احتملها غيره وذكرها الحفاظ ومحمتمل أنها كانت تزور فالحديث يعم الثلاثة، فلا نقول أنه محتمل الثلاثة فالاحتمال يسقط الاستدلال .

الاحتمال هذا لا يسقط الاستدلال بل الاحتمال هنا يعم مشروعية الجميع، فإن قيل لا نقول بمشروعية الزيارة لحديث آخر، وهو ماتقدم بلفظ: «لعن الله الزوارات» نقول هذا الحديث هو محل نزاع وهذا الحديث لا تدخل فيه هذه المرأة لأنه ﷺ نعى على من تكثرت الزيارة فقط وهذه المرأة لا تكثرت من الزيارة .

أما حديث عائشة أنها قالت لرسول الله ماذا تقول عند زيارة القبور فقال «أقول السلام عليكم» فهل المراد أنها لا تقول ذلك إلا إذا خرجت أو إذا مرت زائرة ؟ .

الجواب: محتمل أنها تقول إذا مرت أو إذا زارت

فأيضاً نقول أنه بالاحتمال لا يسقط الاستدلال فهذا الاحتمال دليل على إعمال الاحتمالات كلها فلما بينت دل ذلك على مشروعية هذا الدعاء عند المرور بالقبور بغير

قصد الزيارة وعند الزيارة تقول ذلك الدعاء أيضاً، لا أنها ممنوعة من الزيارة وما دليل المنع يقول «لعن الله الزوارات» نقول لا يثبت المنع لأن هناك وجه للجمع فنحن نُعمل ولا نُهمل نعمل جميع النصوص ولا نهمل نصّاً منها ونقول حينما شرع لها الزيارة وعلمها كيف تقول إنما شرع لها الزيارة بشروط منها:

أن لا تكثر لحديث «لعن الله الزوارت»

ثم بعد ذلك فعلها - أى عائشة رضی الله عنها - مع أخيها عبد الرحمن .  
قال فإن فعلها مع أخيها لم يستدل عليها عبد الله بن أبي مليكة «لعن زائرات القبور» وإنما استدل عليها بالنهي عن زيارة القبور مطلقاً.

وهذا لنعلم أن هذا الحديث ليس بمسوخ فنقول نعم أنه ليس منسوخاً بل هو محكم وهذا دليل على أن عبد الله بن أبي مليكة حينما احتج على عائشة بلعن زوارات القبور فهم أن هذا الحديث لا تدخل فيه هي . فهولم يقل لها «ألم يلعن الله زوارات القبور؟» لم يقل لها ذلك لأنه فهم أنها لم تكثر بل زارت مرة . فلا يصح أن يحتج عليها بحديث اللعن بل احتج عليها بحديث النهي فقالت له «نهى ثم أمر» فقول عبد الله ابن أبي مليكة ألم ينهى؟ هذا دليل على أن الزوارات لم تدخل فيه عائشة أو من فعلت كفعل عائشة إذن الحديث محكم وحديث نهى ثم أمر محكم يدل على الإذن، ثم قال الشيخ - حفظه الله - «أما فعلها مع أخيها لم يستدل عليه عبد الله بن أبي مليكة في لعن زوارات القبور» وإنما استدل عليه بالنهي عن زيارة القبور مطلقاً لكننا ننظر بماذا ستجيب؟؟

[فبقول]: إن هذا الكلام حجة لنا وهذا الفهم لابن أبي مليكة ولعائشة لنا إن ابن أبي مليكة لم يفهم أنها تدخل في حديث اللعن واحتج عليها بالنهي فقالت له: «نهى ثم أمر».

«قالوا وإن كنا نقول إن عائشة رضی الله عنها استدلت بلفظ العموم فهي كغيرها من العلماء لا يعارض بقولها قول الرسول ﷺ لكن نقول ليست هناك معارضة بين حديث «نهى ثم أمر» وحديث «لعن الله زوارات القبور» فهذا محكم وهذا محكم وهذا موافق وهذا موافق، على أنه روى عنها أنها قالت «لو شهدتك ما زرتك»<sup>(١)</sup> وهذا الحديث ضعيف وسواء هي شاهدهة ثم زارته أو شاهدهة لكن هي لا تزوره فهي في النهاية زارته أى كان الدافع للزيارة فلو كانت الزيارة ممنوعة ما شاهدهة لكن لما كانت الزيارة مشروعة قالت هذا لكن لعل إن صح هذا القول عنها في عدم الدخول في المكثرات أو في التقليل من الزيارات . .

(١) تقدم تخريجه

ثم قال ابن عثيمين: «وهذا دليل على أنها خرجت لتدعو له» فنحن نقول نعم إنها تخرج بالأدب الشرعية المتقدمة التي منها الدعاء له.

ثم قال الشيخ: «على أننا نقول أن كلمة زائرات تدل على معنى آخر وهو الكثرة».

فيقول ابن عثيمين: «إشكال وجوابه» في قوله «زائرات».

«ألا يحمل النهي في قوله عن تكرار الزيارة لأن زائرات صيغة مبالغة فهو قال هنا لا

يوجد إشكال».

الجواب: هذا ممكن لأن هذا فهم القرطبي وفهم السلف ومؤدى قول أهل اللغة فيقول لكننا إذا حملناه على ذلك فكأننا أضعنا دلالة المطلق «زائرات» فتدل على الكثرة فيقول والتضعيف قد تحمل على كثرة الفاعلين لا على كثرة الفعل «زائرات» يعنى نساء إذا كن هكذا كان فعلهن كثير والتضعيف باعتبار الفعل موجود في اللغة العربية قال تعالى:

﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ فلما كانت الأبواب كثيرة كان فيها التضعيف إذ الباب لا يفتح إلا مرة واحدة وأيضاً قراءة ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ﴾ فهي مثلها فالراجع تميم زيارة للنساء للمقابر وأنها من الكبائر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى.

أقول الجواب: أولاً سنجيب بكلام الشيخ ابن عثيمين نفسه.

فقال في شرحه لقوله «لعن الله زورات القبور» وفي الحديث: وذلك اسم فاعل وزورات بتشديد الواو هي صيغة مبالغة تدل على الكثرة أى كثرة الزيارة فنقول لا مانع من إعمال الأمرين، دلالة المطلق في زائرات ودلالة المطلق في «زورات» لماذا؟

لأننا أصلاً إذا أعممنا دلالة المطلق في زائرات عطلنا دلالة المطلق في «زورات» فقد يقال: لا لم نعطل إنما إذا نهينا الزائرة عن الزيارة لكن الراجح أن نقول: كلا اللفظين معتبر وثابت وضوحه فمراده الإكثار من الزيارة وأيضاً مراد من «زائرات» النهي عن زيارة النساء المقابر جماعة أى لا تذهب مع نساء جماعة، ولا تذهب مع رجال لماذا لأن النساء إذا اجتمعن في ذلك الموقف إذن إن شاء الله ظن شراً ولا تسأل عن الخبر فنقول إن مراد زائرات» لم تمنع من الزائرة إنما منعت من أن تصحب الزائرة معها نساء أخريات فتكون هذه الصورة أيضاً حتى لو كانت مرة يصدق عليهن «اللعن».

إذن لفظ زورات مراد والمقصد منها ألا تبالغ وزائرات مراد بشرط إذا زارت أن تزور بمفردها وهذا عين ما فعلته أم المؤمنين والمرأة التي كانت تبكى عند القبر، فهذه كانت وحدها وهذه كانت وحدها ولم تصحب معها هذه غيرها وهذه لم تصحب معها غيرها، والله أعلم.

## فِيهِ مَسَائِلُ

الأولى: تَفْسِيرُ الْأَوْثَانِ.

الثانية: تَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ.

الثالثة: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ وَقُوعَهُ.

الرابعة: قَرْنَهُ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ.

الخلاصة في حكم زيارة النساء للمقابر أنها مشروعة بشروط منها .

- (١) عدم الإكثار وتقدم دليل ذلك .
  - (٢) عدم خروج أكثر من امرأة في الزيارة، لقوله (زائرات) كما تقدم .
  - (٣) ألا يفضى ذلك إلى الغلو المفضى إلى الشرك .
  - (٤) ألا يفضى ذلك إلى الانتقاص من حق الزوج كما تقدم عن القرطبي .
  - (٥) ألا تفتن أو تُفتن .
  - (٦) أن تقصد بالزيارة تذكرة الآخرة، وإيصال النفع للميت بالدعاء له .
  - (٧) الالتزام بالأداب الشرعية لزيارة المقابر .
  - (٨) ألا تخصص للزيارة وقت موافق لأوقات أهل البدع كالأعياد وغيرها .
- فإن التزمت بهذه الشروط شرعت لها الزيارة، وإلا منعت سداً للذريعة والله الموفق للصواب .



قال ابن عثيمين:

قوله: فيه مسائل:

- الأولى: تفسير الأوثان: وهى: كل ما عُبد من دون الله، سواء كان صنماً أو قبراً أو غيره .
- الثانية: تفسير العبادة: وهى: التذلل والخضوع للمعبود خوفاً ورجاءً ومحبةً وتعظيماً؛ لقوله: «لا تجعل قبري وثناً يُعبد»<sup>(١)</sup>.
- الثالثة: أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا مِمَّا يُخَافُ مِنْ وَقُوعِهِ: وذلك فى قوله: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد»<sup>(٢)</sup>.
- الرابعة: قرنه بهذا اتخاذه قبور الأنبياء مساجد: وذلك فى قوله: «اشتدَّ غضب الله على قوم اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٣)</sup>.

(٣) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(١) تقدم تخريجه

- الخامسة: ذكُرُ شِدَّةُ الغَضَبِ منَ الله.
- السادسة: وهى منَ أهمِّها: مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللّاتِ الَّتِي هِيَ منَ أَكْبَرِ الأوثانِ.
- السابعة: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صالِحٍ.
- الثامنة: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ.
- التاسعة: لَعْنَةُ زَوَارَاتِ القُبُورِ.
- العاشرة: لَعْنَةُ منَ أَسْرَجَها.

- الخامسة: ذكُرُ شِدَّةِ الغَضَبِ منَ الله. تُؤخَذُ منَ قولِهِ: «اشتد غضب الله». وفيه: إثبات الغضب من الله حقيقةً، لكنه كغيره من صفات الأفعال التى نعرف معناها ولا نعرف كيفيتها.
- وفيه أَنَّهُ يَتفاوت كما ثبت فى الحديث الصحيح حديث الشفاعة: «إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله ولا بعده» (١).
- السادسة - وهى من أهمِّها - : مَعْرِفَةُ صِفَةِ عِبَادَةِ اللّاتِ الَّتِي هِيَ منَ أَكْبَرِ الأوثانِ. وذلك فى قولِهِ: «فمات، فعكفوا على قبره».
- السابعة: مَعْرِفَةُ أَنَّهُ قَبْرُ رَجُلٍ صالِحٍ. تُؤخَذُ منَ قولِهِ: «كان يلى لهم السوق» (٢)، أى: للحجاج؛ لأنَّهُ مَعْظَمُ عِندَهُم، والغالب لا يكون مَعْظَمًا إلا صاحب دين.
- الثامنة: أَنَّهُ اسْمُ صَاحِبِ القَبْرِ، وَذِكْرُ مَعْنَى التَّسْمِيَةِ: وهو أَنَّهُ كان يلى السوق.
- التاسعة: لَعْنَةُ زَوَارَاتِ القُبُورِ. أى: النَبِيِّ ﷺ، وَذِكْرُ رَحْمَةِ الله لَفِظُ: «زوارات القبور» مراعاةً للفظ الآخر.
- العاشرة: لَعْنَةُ منَ أَسْرَجَها: وذلك فى قولِهِ: «والمخذنين عليها المساجد والسرج». وهنا مسألة مهمة لم تذكر، وهى: أَنَّ الغلو فى قبور الصالحين يُصيرها أوثاناً كما فى قبر اللات، وهذه من أهمِّ الوسائل، ولم يذكرها المؤلف رحمه الله، ولعلَّهُ اكتفى بالترجمة عن هذه المسألة بما حصل للات، فإذا قيل بذلك؛ فله وجه.
- مسألة: المرأة إذا ذهبت للروضة فى المسجد النبوى لتصلى فيها، فالقبر قريب منها، فتقف وتسلم، ولا مانع فيه.
- والأحسن البعد عن الرِّحامِ ومخالطة الرجال، ولثلاثِ يَظُنُّ من يشاهدها أَنَّ المرأةَ يجوز لها قصد الزيارة؛ فيقع الإنسان فى محذور، وتسليم المرء على النَبِيِّ ﷺ يبلغه حيث كان. اهـ.

## باب (٢١)

### مَا جَاءَ فِي حِمَايَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ جِنَابَ التَّوْحِيدِ وَسَدِّهِ كُلَّ طَرِيقٍ يُؤْتِلُ إِلَى الشِّرْكِ

مناسبة هذا الباب لما قبله من الأبواب:

قال سليمان آل الشيخ: واعلم أن في الأبواب المتقدمة شيئاً من حمايته ﷺ لجِنَابِ التَّوْحِيدِ، ولكن أراد المصنف هنا بيان حمايته الخاصة. ولقد بالغ ﷺ، وحذر وأندر، وأبدأ وأعاد، وخص وعم في حماية الحنيفية السمحة التي بعثه الله بها، فهي حنيفية في التوحيد سمحة في العمل، كما قال بعض العلماء: هي أشد الشرائع في التوحيد والإبعاد عن الشرك، وأسمح الشرائع في العمل اهـ.

قلت: وهو التنصيص بعد عدمه، والتصريح بعد الإبهام، والتفصيل بعد الإجمال وأيضاً فإن النبي ﷺ ليس فقط عم ثم خص بل تستطيع أن تقول إن هذه المناسبة للتنصيص بعد عدمه والتصريح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال، فهناك نصوص أبهمت ولم ينص فيها على المراد فأراد أن ينص عليه، ومثال ذلك: ذكر مسألة القبر في الباب الماضي على الإجمال فأراد أنه ينص ويصرح ويفصل هذا الأمر فذكر الأبواب التي تفصل وتنص على المقصود والمراد، وهو اتخاذ القبر عيداً، «لاتتخذوا قبري عيداً وصلوا على حيشما كنتم فإن صلاتكم تبلغني»<sup>(١)</sup> إلى آخر الأبواب التي فيها التفصيل بعد الاجمال، والتنصيص والبيان بعد الإبهام.

وأيضاً: حينما حذر النبي ﷺ في الأبواب الماضية وسد كل طريق يوصل الى الشرك في الأبواب الماضية، وأخبر أن أناساً وطوائف من هذه الأمة ستعبد القبور وستتخذها أوثاناً تعبد من دون الله، فلعل قائل يقول: فعلى ما تدعوا؟ ولماذا نحذر الناس ونرهب من هذا الأمر وتدعو إلى ضده وهو سيقع لا محالة فهذه الدعوة لافائدة فيها؟! فأتى المصنف بهذا الباب ليسين أن النبي ﷺ - برغم أنه أخبر بهذا الأمر أنه سيقع إلا أن ذلك لم يثنيه عن دعوته ومع ذلك ظل يدعو ويحذر الناس من هذا الأمر الذي وثق في وقوعه، فنحن ليس علينا إلا البلاغ، حتى وإن كنا نعلم أن الساعة قامت، لقوله - ﷺ: «إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغيرها فليغيرها»<sup>(٢)</sup>.

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٨٣/٣) عن أنس به.



وهذا برغم أن الساعة ستقوم ولن يستفيد بهذه الشجرة أحد، ولكن دورك أن تغرس لكى تؤجر، وكذلك إذا وثقت أن الناس ليس منهم فائدة ولا يعمل منهم أحد ولا يستجيب منهم أحد فلا بد أن تدعو أيضاً، فليس دورك أن تهدى ولكنك سبب كما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ \* لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ وكما قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدٌ﴾.

فالرسول ﷺ كان يعلم نفاق المنافق وكان يعظه، وكان يعلم هلاك الهالك، ويعظه ويذكره، ويقوم بواجب الدعوة نحوه كأي أحد.

فكان هذا الباب لتجديد الدعوة إلى حماية جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك حتى وإن أخبرنا من الصادق المصدوق أن هذه الأمة ستخرج من دين الله أفواجاً كما دخلت فيه أفواجاً وأنهم سيعبدون الأوثان والأصنام وأن الساعة لا تقوم حتى تضطرب إليات نساء دوس بذي الخلصة كما ثبت في الصحيح<sup>(١)</sup>.

فالواجب على الداعي أن يدعوا ويذكر ولا ينتظر النتائج والعواقب. والله المستعان.

#### ● مناسبة الباب لكتاب التوحيد:

قال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: ما جاء في حماية المصطفى - من الخلق لأجل الرسالة محمد بن عبد الله ﷺ - جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك لأنه ﷺ ما أرسل إلا لنفيه بالبيان والسنان. اهـ.

قال عبدالرحمن آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: المراد حمايته عما يقرب منه، أو يخالطه من الشرك وأسبابه اهـ.

#### ● شرح الترجمة والتبويب:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: الجناب: هو الجانب اهـ.

قال ناصر السعدى<sup>(٥)</sup>: من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب رأى نصوصاً كثيرة تحث على القيام بكل ما يقوى التوحيد وينمي ويفذيه، من الحث على الإنابة إلى الله وانحصاره تعلق القلب بالله رغبة ورهبة وقوة الطمع بفضلته وإحسانه والسعى لتحصيل ذلك وإلى التحرر من رق المخلوقين وعدم التعلق بهم بوجه من الوجوه أو الغلو في أحد منهم. والقيام التام بالأعمال الظاهرة والباطنة وتكميلها، وخصوصاً

(١) سيأتي تخريجه.

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٣٠٠).

(٣) فتح المجيد (١/٣٢٤).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٥٥).

(٥) القول السديد (٦٩، ٧٠).

حث النصوص على روح العبودية وهو الإخلاص التام لله وحده، ثم فى مقابلة ذلك نهى عن أقوال وأفعال فيها الغلو بالمخلوقين ونهى عن التشبه بالمشركين لأنه يدعو إلى الميل إليهم.

ونهى عن أقوال وأفعال يخشى أن يتوسل بها إلى الشرك كل ذلك حماية للتوحيد ونهى عن كل سبب يوصل إلى الشرك، وذلك رحمة بالمؤمنين ليتحققوا بالقيام بما خلقوا له من عبودية الله الظاهرة والباطنة وتكميلها لتكمل لهم السعادة والفلاح وشواهد هذه الأمور كثيرة معروفة.

**قال عبد الله بن جبار الله<sup>(١)</sup>:** الجنب هو الجانب، والمراد بحمايته: صيانتة عما يقرب منه أو يخالطه من الشرك وأسبابه. اهـ.

- **وقال ابن باز<sup>(٢)</sup>:** بين المؤلف بهذه الترجمة ما جاء به النبى ﷺ وحمايته التوحيد من الأقوال والأفعال الشركية وجنباب الشىء: الجزء منه، وحمى التوحيد: زائد على الجنب، فالثانية أبلغ من الأولى، لأن الأولى فى الجنب، والثانية فى الحمى، وهنا ذكر الوسائل الفعلية لحماية التوحيد من الشرك، وفى باب حماية التوحيد وسد طرق الشرك، وسيأتى ذكره فى الحماية القولية، أى حمى التوحيد بالتحذير من الشرك وما يوصل إليه من أقوال وأفعال. اهـ.

- **وقال ابن عثيمين:** قوله: «المصطفى».

أصلها: المصطفى، من الصفوة، وهو خيار الشىء؛ فالنبى ﷺ أفضل المصطفين لأنه أفضل أولى العزم من الرسل، والرسل هم المصطفون والمراد به: محمد ﷺ، والاصطفاء على درجات أعلاها اصطفاء أولى العزم من الرسل، ثم اصطفاء الرسل، ثم اصطفاء الأنبياء، ثم اصطفاء الصديقين، ثم اصطفاء الشهداء، ثم اصطفاء الصالحين.

[قلت]: وسيأتى فى الباب قبل الأخير من هذا الكتاب (حماية النبى ﷺ حمى التوحيد) ففي هذا الباب عبر بالمصطفى لمناسبة الآية ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ ولأن الحماية فى باب الأفعال أشق منها فى باب الأقوال فناسب التبويب هنا بالمصطفى وهناك بالنبى والله أعلم.

قوله: «حماية» من حمى الشىء، إذا جعل له مانساً يمنع من يقرب حوله، ومنه حماية الأرض عن الرعى فيها، ونحو ذلك. اهـ.

[قلت]: ومنه قوله ﷺ: «ألا إن لكل ملك حمى ألا وإن حمى الله محارمه» وفى

(٢) التعليق المنيد (١٢٧).

(١) الجامع الفريد (٩٠).

الحديث أيضا قال: «كالراعى يحوم حول الحمى يوشك أن يقع فيه»<sup>(١)</sup> فالحمى هو ما يحميه الملك من الأراضى ويجعله فى سلطانه والله المثل الأعلى فهو الملك المقتدر وحماه كل ماله سلطان قدرى أو شرعى عليه وحمى الله وسلطان الله الشرعى هى المحارم فلايجوز أن تقترب منها وكذلك الحمية والاحتماء وفى الحديث «إن الله إذا أراد بعبيده خيراً حماه من الدنيا كما يحمى أحدكم سقيم» وهو كما يحميك الطيب من السقم ومن ذلك قول طيب العرب: الحارث بن كلده.

المعدة بيت الداء والحمية هى الدواء

قوله: «جناب».

بمعنى جانب، والتوحيد: تفعيل من الوحدة، وهو أفراد الله تعالى بما يجب له من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. اهـ.

[قلت]: قد تكون بمعنى جانب وزيادة أى كأنه تفخيم لجناب التوحيد فإذا أردت أن تفخم جانباً لأحد فإنك تقول له جنابك لم تفعل ذلك فكأنه أراد أن يعظم جناب التوحيد فهو عظيم ولذلك الرسول حماه اهـ.

قوله: «التوحيد» قلت: التوحيد من الوحده وهو أفراد الله تعالى بما يجب له من الأولوية والربوبية والأسماء والصفات أو أفراد الله بالعبادة.

قوله: «وسده كل طريق».

أى: مع الحماية لم يدع الأبواب مفتوحة يلج إليها من شاء، ولكنه سد كل طريق يوصل إلى الشرك؛ لأن الشرك أعظم الذنوب، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

قوله: «يوصل إلى الشرك».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: الشرك الأصغر لا يغفره الله؛ لعموم قوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، وعلى هذا؛ فجميع الذنوب دونه لقوله: ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾؛ فيشمل كبائر الذنوب وصغائرهما؛ فالشرك ليس بالأمر الهين الذى يتهاون به، فالشرك يفسد القلب والقصد، وإذا فسد القصد فسد العمل؛ إذ العمل مبناه على القصد، قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ (١٥) أُولَئِكَ

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٢٠٥١)، ومسلم فى المساقاة (٢٧/١١) - النووى) عن النعمان بن

بشير به وانظر «رياض الصالحين» (٥٨٩) - بتخریجنا).

الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٠﴾، وقال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» (\*).

إذاً؛ فالرسول ﷺ حمى جانب التوحيد حمايةً محكمة، وسدَّ كل طريق يُوصل إلى الشرك ولو من بعيد؛ لأنَّ من سار على الدرب وصل، والشيطان يزيِّن للإنسان أعمال السوء شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى الغاية اهـ.

قلت: تقدم معنا قبل ذلك كلام ابن تيمية وقال معلقاً عليه ابن عثيمين أن شيخ الإسلام لم يتفق قوله في هذه المسألة فمرة قال: يغفر الشرك الأصغر ومرة قال: لا يغفر، وهنا أورد القول بأنه لا يغفر من باب الترهيب في الشرك. وهذا جمعاً بين القولين:-  
فالشرك الأكبر لا يغفر ويخلد صاحبه في النار.

والشرك الأصغر لا يغفر إلا أن الله عزوجل يخرج صاحبه - بفضله وكرمه منه - من النار لا أنه قد غفر له.

فهذا توجيه - تقدم - إن سلم فيصح القول بهذا التوجيه.

- وأما كونه يفسد القلب:- فهو كما قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُخْسُونَ﴾ وكما قال تعالى حين فسدت نية بعض الصحابة ﴿مَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ فكان هذا التغيير في القلب سببه شرك الإرادة وكان هذا سبب من أسباب هزيمة المسلمين في هذه الغزوة ولأن الشرك أيضاً محبط للعمل كما قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لذلك حمى الرسول ﷺ جانب التوحيد حماية محكمة وسد كل طريق يوصل إلى الشرك اهـ.

● مسألة: لماذا عبر المصنف باسمه المصطفى دون غيره من أسمائه؟

الجواب: [قلت]: عبر المصنف عن الرسول بالمصطفى، وليس بمحمد أو أحمد وغير ذلك من أسمائه لقول الله تعالى - الذي سيأتي - ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ ولقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ فالله خالق الخلق، واصطفى منهم الأنبياء، واصطفى من الأنبياء أولى العزم، واصطفى من أولى العزم الرسول ﷺ فهو أيضاً من هذه الخيثة مصطفى، وأيضاً كلمة المصطفى تبين أنه هو المؤهل لحماية جناب التوحيد؛ لأن المصطفى إذا كان هو خيار من

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١﴾.

من خيار من خيار، وإذا كان هو من صفوة الناس والرسول، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ فلا يأمر إلا بما فيه رحمة وخير لنا، ولا ينهى إلا عما فيه عنت ومشقة علينا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ ولما ذكرها المصنف فى أدلة الباب وعلم تفسيرها وأنه من أخيرنا وأصفانا ناسب أن يذكر هذا الاسم فى الترجمة دون سائر أسمائه ﷺ. والله أعلم.

وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾ الآية.

#### ● مناسبة الآية للباب وللتوحيد:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمّة التى تقتضى أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمى جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة فى ذلك لئلا تقع الأمة فى الشرك، وأعظم ذلك فتنة القبور، فإن الغلو فيها هو الذى جر الناس فى قديم الزمان وحديثه إلى الشرك لاجرم فعل النبى ﷺ ذلك، وحمى جناب التوحيد حتى فى قبره الذى هو أشرف القبور حتى نهى عن جعله عيداً، ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد أهـ.

وقال عبدالرحمن آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: فاقترضت هذه الأوصاف التى وصف بها رسول الله ﷺ فى حق أمته أنذرهم وحذرهم الشرك الذى هو أعظم الذنوب، وبين لهم ذرائعه الموصلة إليه، وأبلغ فى نهيهم عنها، ومن ذلك تعظيم القبور والغلو فيها والصلاة عندها وإليها، ونحو ذلك مما يوصل إلى عبادتها. اهـ.

وكذا قال عبدالله بن جار الله<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن باز<sup>(٥)</sup>: فهذه أوصافه فإن كانت هذه حاله فالواجب اتباعه ومحبته ولكن

(\*) تقدم تخريجه.

(١) التوبة (١٢٨، ١٢٩). (٢) تيسير العزيز الحميد (٢٥٦). (٣) فتح المجيد (١/٣٢٦).

(٤) الجامع الفريد (٩٠). (٥) التعليق المفيد (١٢٨/١٢٧).

حصل العكس فعادوه حتى أرادوا قتله . ثم من كانت هذه صفاته فإنه لا يترك أمته بدون نصح لذلك أمر بالتوحيد وحث الناس على الاستقامة وحذر من الشرك وأسبابه بأقواله الكثيرة كحديث «لا تطروني كما اطرت النصارى»<sup>(١)</sup> ... «إياكم والغلو»<sup>(٢)</sup> ... «هلك المتظعون»<sup>(٣)</sup> أهـ.

**وقال قرعاوى:** حيث دلت الآية على حرص النبي ﷺ على أمته وهذا يقتضى حمايته لجانب التوحيد وسده كل طريق يؤدي إلى الشرك وقد فعل ذلك، فنهى عن تعظيم القبور بالبناء وفي مقدمتها قبره عليه الصلاة والسلام أهـ.

### ● فصل / العلاقة بين السورة وختمها بهذه الآية، وعلاقة ذلك بالبَاب:

**قال الفخر الرازى<sup>(٤)</sup>:** اعلم أنه تعالى لما أمر رسوله عليه السلام أن يبلغ في هذه السورة إلى الخلق تكاليف شاقة شديدة صعبة يعسر تحميلها، إلا لمن خصه الله تعالى بوجوه التوفيق والكرامة، ختم السورة بما يوجب سهولة تحمل تلك التكاليف، وهو أن هذا الرسول منكم، فكل ما يحصل له من العز والشرف فى الدنيا فهو عائد إليكم . أيضاً فإنه بحال يشق عليه ضرركم وتعظم رغبته فى إيصال خير الدنيا والآخرة إليكم، فهو كالطبيب المشفق والأب الرحيم فى حقكم، والطبيب المشفق ربما أقدم على علاجات صعبة يعسر تحملها، والأب الرحيم ربما أقدم على تأديبات شاقة، إلا أنه لما عرف أن الطبيب حاذق، وأن الأب مشفق، صارت تلك المعالجات المؤلمة متحملة أهـ.

[قلت]: بل وأقول مستعذبة كما يؤدب الشيخ التلميذ بتأديبات شاقة لكن لما علم التلميذ أن هذا الشيخ رحيم ورفيق، وإنما يفعل ذلك من باب الحرص على الطالب وإيصال الخير إليه استعذب التلميذ هذه المشقة .

ثم قال: وصارت تلك التأديبات جارية مجرى الإحسان . فكذا هنا لما عرفتم أنه رسول الله حق من عند الله، فاقبلوا منه هذه التكاليف الشاقة لتفوزوا بكل خير، ثم قال للرسول عليه السلام: فإن لم يقبلوها بل أعرضوا عنها وتولوا فاتركهم ولا تلتفت إليهم وعول على الله وارجع فى جميع أمورك إلى الله ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وهذه الخاتمة لهذه السورة جاءت فى غاية الحسن ونهاية الكمال . أهـ.

(١) تقدم تخريجه .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) سيأتى تخريجه .

(٤) «التفسير الكبير» (٨/٣٦/٢٤١) .

قلت: وعلاقة هذا بالتبويب أن المصطفى قد يحتاج لحماية جناب التوحيد ولسد كل باب يوصل الإنسان إلى الشرك، قد يحتاج هذا إلى فرض تكاليف شاقة جداً في باب الأقوال وفي باب الأفعال الظاهرة والباطنة فينبغي أن تتحملها وتقبلوها وتقوموا طواعية لأنه جاء من أنفسنا وهو الحريص علينا وهو الرؤوف بنا والرحيم بنا فينبغي أن يكون هذا سائغ لتقبل هذه التكاليف الشاقة التي ما فرضها إلا حماية جناب التوحيد لنا ولحرصه علينا أن تقع في شرك، ثم إذا تولى متولى بعد هذا البيان ولم يقبل هذه التكاليف الشاقة فيما يبدو له ولم يتحملها وأعرض فقل أنت كما قال الرسول ﷺ «حسى الله» كافيني.

- فائدة: لماذا قال ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ولم يصف اسمه لشيء من مخلوقاته سوى العرش العظيم؟

الجواب:

أحياناً إذا ضاق صدر الداعي بالناس وقتل نفسه حسرة عليهم لا يخرج من هذه الحالة إلا إذا تفكّر في شيء عظيم، وهذا الشيء العظيم الذى عظم في نفسه وفي قلبه يتضائل معه هذا العنت وهذا الضيق وهذا الإعراض من الناس وقد يحدث أذى له من الناس وغير ذلك فلا يخرج من هذا الحال من الضيق والكرب والهم إلا أن يجد هذه الدائرة يعنى المنطقة التي هو فيها دائرة ضيقة بالنسبة لغيرها، فمثلاً ما منطقة المطرية في مصر؟ وما مصر في أفريقيا؟! وما أفريقيا في الكرة الأرضية؟! وما الكرة الأرضية في السماء الأولى إلا كحلقة في فلاة وما السماوات إلا كحلقة في فلاة بالنسبة للكروى وما هذا الكروى الذى هو موضع القدم إلا كحلقة في فلاة بالنسبة للعرش.

فلايضيق صدره بالتضييق عليه في منطقة أو دائرة من الأرض بل إذا كانت نيته خالصة في أن يُعبد الناس لرب العالمين، فليتوكل على الله رب العرش العظيم. ويقول بحق وحسى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

● إعراب الآية:

- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ اللام جواب للقسم المحذوف، (وقد) حرف تحقيق  
 ﴿جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ فعل، ومفعول به، وفاعل. و ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ صفة، أى من جنسكم، ومن نسبكم، عربى مثلكم.

- ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

﴿عَزِيزٌ﴾ صفة ثانية لرسول، وفي النحاة من يمنع تقدم الوصف غير الصريح، على الوصف الصريح، ويمكن أن يجاب بأن ﴿مَنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ جار ومجرور، متعلقان بجاءكم، و(عليه) متعلقان بعزیز، و(ما) مصدرية أو موصولة وعلى كلا التقديرين، فهي ومدخولها، أى هي وصلتها فاعل (عزیز) الذى هو صفة مشبهة، ويجوز أن يكون (عزیز) خبر مقدم، و ﴿مَا عَنْتُمْ﴾ فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر، والجملة صفة لرسول، و﴿حَرِيصٌ﴾ صفة ثالثة أو ثانية، و ﴿عَلَيْكُمْ﴾ جار ومجرور، متعلقان بحرص، و﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلقان برؤوف، و﴿رَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾ صفتان رابعة وخامسة، أو ثالثة ورابعة لرسول.

- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ الفاء عاطفة، و(تولوا) فعل وفاعل فى محل جزم فعل الشرط، والفاء رابطة، و﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ خبر مقدم، ومبتدأ مؤخر، والجملة مقول القول.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾... جملة حالية ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ (عليه) جار ومجرور متعلقان بتوكلت، وهو مبتدأ و (رب العرش) خبر و(العظيم) صفة للعرش أهـ (١).

#### ● ما جاء فى تفسير الآية من القرآن:

قال الشنقيطى (٢): هذه الآية الكريمة تدل على أن بعث هذا الرسول الذى هو من أنفسنا الذى هو متصف بهذه الصفات المشعرة بغاية الكمال، وغاية شفقتة علينا هو أعظم من الله تعالى وأجزل نعمة علينا، وقد بين لك فى مواضع آخر، كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (٣) وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ (٤) وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٥).

- قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ أمر تعالى فى هذه الآية الكريمة نبيه

(١) إعراب القرآن الكريم وبيانه/ لمحيى الدين درويش (١٩٩/٤).

(٢) «أضواء البيان» (٣٥٤/٢).

(٣) آل عمران: (١٦٤).

(٤) إبراهيم: (٢٨).

(٥) الأنبياء: (١٠٧).



ﷺ بالتوكل عليه جل وعلا، ولاشك أنه ممثل ذلك، فهو سيد المتوكلين عليه صلوات الله وسلامه، والتوكل على الله تعالى، وهو شأن إخوانه من المرسلين صلوات الله عليهم وسلامه، كما بين تعالى ذلك في آيات آخر، كقوله عن هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٥٤) مِنْ دُونِهِ فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُون (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ (١) وقوله تعالى عن نوح: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ عَلَيْكُمْ غَمَةً ثُمَّ اقضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُون﴾ (٣٢) وقوله تعالى عن جملة الرسل: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾ (٣) الآية. ومن أوضح الأدلة على عظم توكل نبينا ﷺ على الله، قوله يوم حنين، وهو على بغلة في ذلك الموقف العظيم «أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب» أم.

- قوله: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾.

● ما جاء في التفسير بالمرفوع:

عن جبير بن نفير أن رسول الله ﷺ قال: لقد جاءكم رسول إليكم ليس بوهن، ولا كسل؛ ليحى قلوباً غلفاً ويفتح أعيناً عمياً، ويسمع أذاناً صماً، ويقيم السنة عوجاً، حتى يقال: لا إله إلا الله (٤).

عن أنس قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فقال على بن أبي طالب رضى الله عنه: يارسول الله ما معنى «أنفسكم»؟ فقال رسول الله ﷺ «أنا أنفسكم نسباً وصهراً وحسباً، ليس فى ولا فى آبائى من لدن آدم سفاح كلها نكاح» (٥).

(١) هود: (٥٤، ٥٦).

(٢) يونس: (٧١).

(٣) إبراهيم: (١٢).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى «تفسيره» (١٠١٥٩) فانظره بتخريجنا.

(٥) ذكره السيوطى فى «الدر» (٣/٥٢٥) ونسبه لابن مردويه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «خرجت من لدن آدم من نكاح غير سفاح»<sup>(١)</sup>.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء وما ولدني إلا نكاح كنيح الإسلام»<sup>(٢)</sup>. وأخرج ابن سعد وابن عساكر عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «خرجت من نكاح غير سفاح»<sup>(٣)</sup>.

عن محمد بن علي بن حسين أن النبي ﷺ قال «إنما خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم لم يصبنى من سفاح أهل الجاهلية شيء، لم أخرج إلا من طهارة»<sup>(٤)</sup>.  
عن علي بن أبي طالب «أن النبي ﷺ قال: «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن ولدني أبي، وأمي لم يصبنى من سفاح الجاهلية شيء»<sup>(٥)</sup>.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «لم يلتق أبواي قط على سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الطيبة إلى الأرحام الطاهرة مصفى مهذباً، لاتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما»<sup>(٦)</sup>.

عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «خير العرب مضر، وخير مضر بنو عبدمناف، وخير بنو عبدمناف بنو هاشم، وخير بنو هاشم بن عبدالمطلب، والله ما افترقا شعبتان منذ خلق الله آدم إلا كنت في خيرهما»<sup>(٧)</sup>.

عن أنس قال: خطب النبي ﷺ فقال: أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار، وما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبنى شيء من عهد الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم، حتى انتهيت إلى أبي وأمي، فأنا خيركم نفساً وخيركم أباً»<sup>(٨)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه لابن سعد وابن عساكر. وانظر كتابنا الإتحاف بحقوق العاقد قبل الزفاف.

(٢) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه للطبراني.

(٣) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه لابن سعد، وابن عساكر.

(٤) الدر المنثور.

(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٧٢٨) عن علي به.

وذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٥/٣) وزاد نسبه لابن أبي عمر العدني في «مسنده»، وأبي نعيم في «الدلائل»، وابن عساكر.

(٦) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٥/٣) ونسبه لأبي نعيم في «الدلائل».

(٧) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه لابن سعد.

(٨) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه لليبهي في «الدلائل»، وابن عساكر.

عن ابن عباس «أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الخلق بالفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه. قال رسول الله ﷺ: «فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم عليه السلام، وجعلني في صلب نوح، وقذف بي في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»<sup>(١)</sup>.

عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ» قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، وقال رسول الله ﷺ خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح<sup>(٢)</sup>.

عن ابن عباس «أن رسول الله ﷺ قرأ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ» يعنى من أعظمكم قدراً»<sup>(٣)</sup>.

#### ● ما جاء في تفسير الآية من الآثار:

عن عبيد بن عمير قال: كان عمر لا يثبت آية في المصحف حتى يشهد رجلان، فجاء رجل من الأنصار بهاتين الآيتين «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» إلى آخرها.

فقال عمر: لا أسألك عليها بينة أبداً، كذلك كان رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup>.

#### ● ما جاء في تفسير الآية من الموقوف والمقطوع:

وعن ابن عباس في قوله «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ» قال: قد ولدتموه يامعشر العرب<sup>(٥)</sup>.

وقال ابن عباس: ليس من العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي ﷺ وله فيهم نسب<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» (٣/٥٢٦) ونسبه لابن أبي عمر العدني.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠١٥٨). فانظره بتخريجنا.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» (٣/٥٢٨) ونسبه لابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ.

وذكره السيوطي في «الدر» (٣/٥٢٤) وزاد نسبه لعبدالرزاق في «المصنف»، وابن جرير، والبيهقي في

«سننه»، وأبي الشيخ. وانظر «فتح المجيد» (ح ٤١٠) بتخريجنا.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» (٣/٥٢٥) ونسبه للحاكم.

(٥) ذكره السيوطي في الموضوع السابق ونسبه لابن سعد.

(٦) تقدم تخريجه.

وقال السدي : من العرب من بنى إسماعيل .

وقال جعفر بن محمد الصادق : لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية من زمان آدم عليه السلام<sup>(١)</sup> . ثم قال : وقرأ ابن عباس والزهري وابن محيص (من أنفسكم) بفتح الفاء أي : من أشرفكم وأفضلكم . اهـ .

● ما جاء في تفسير الآية من أقوال المفسرين :

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> : يقول تعالى ذكره للعرب لقد جاءكم أيها القوم رسول الله إليكم من أنفسكم تعرفونه لامن غيركم فتهموا على أنفسكم في النصيحة

وقال البغوي<sup>(٣)</sup> : قوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ تعرفون نسبه وحسبه .

وقال الزمخشري<sup>(٤)</sup> : ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ من جنسكم ، ومن نسبكم العربى مثلكم .

اهـ .

خلاصة أقوال المفسرين في قوله ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾

وقال ابن الجوزي<sup>(٥)</sup> : قوله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ قرأ الجمهور بضم الفاء .

وقرأ ابن عباس ، وأبو العالية ، والضحاك ، وابن محيصن ، ومحبوب عن ابى عمرو : بفتحها :

وفي المضمومة أربعة أقوال :

أحدها : من جميع العرب ، قاله ابن عباس ؛ قال : ليس في العرب قبيلة إلا وقد ولدت رسول الله ﷺ .

الثاني : ممن تعرفون .

الثالث : من نكاح لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية . قاله جعفر الصادق .

الرابع : بشر مثلكم ، فهو أكد للحجة ، لأنكم تفقهون عنم هو مثلكم . قاله الزجاج .

وفي المفتوحة ثلاثة أقوال (أى : أنفسكم) :-

أحدها : أفضلكم خلقاً

الثاني : أشرفكم نسباً

الثالث : أكثركم طاعة لله عزوجل . اهـ .

قال الفخر الرازي<sup>(٦)</sup> : ﴿مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أى من العرب قال ابن عباس : ليس في

(١) تقدم تخريجه . (٢) تفسير الطبري (٥٥/١١/٧) . (٣) معالم التنزيل (١٣٣/٣) .

(٤) الكشاف (١٩٧/٢) (٥) زاد المسير (٣٩٣/٣) . (٦) تفسير الفخر الرازي : ١٦/٨ / ص ٢٤١ .

العرب قبيلة إلا وقد ولدت النبي عليه السلام بسبب الجدات، مضرها وربيعها ويمانيها فالمضريون والربييعيون هم العدنانية، واليمنيون هم القحطانية ونظيره قوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ (١) والمقصود منه ترغيب العرب في نصرته، والقيام بخدمته، كأنه قيل لهم: كل ما يحصل له من الدولة والرفعة في الدنيا فهو سبب لعزكم ولفخركم، لأنه منكم ومن نسبكم أهـ.

قلت: ونظيره قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

قال القرطبي (٢): والخطاب للعرب في قول الجمهور، وهذا على جهة تعديد النعمة عليهم في ذلك، إذ جاء بلسانهم وبما يفهمونه وشرفوا به عابر الأيام وقال الزجاج: وهي مخاطبة لجميع العالم والمعنى: لقد جاءكم رسول من الشبشر. وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنفُسِكُمْ﴾ يقتضى مدحاً لنسب النبي ﷺ وأنه من صحيح العرب وخالصها، وفي صحيح مسلم عن وائلة بن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ» (٣) أهـ.

قلت: وهنا فائدة: وهي أن جميع النعرات الجاهلية إذا كانت لنصرة الإسلام فلا يُتعصب لها، ولا تُرفع هذه الراية التي هي أصل دينهم ودينتهم، فالعرب كانوا متعصبين للعروبة فلما جاءت العروبة تنصر الإسلام كفروا بها، وأيضاً فرعون كان متعصباً للسحرة فلما نصروا موسى كفر بهم مع أن السحر. كان دينه ودينته، ولكنه دينه ودينته إذا كان ينصره وينصر منهجه الفاسد، وهذا في نصر أي قومية كانت وما الجزائر منّا ببعيد.

قال ابن كثير (٤): يقول تعالى ممتناً على المؤمنين بما أرسل إليهم رسولا من أنفسهم أي من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ ثم قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي منكم وبلغتكم كما قال جعفر بن أبي طالب للنجاشي، والمغيرة بن شعبة لرسول كسرى: إن الله بعث فينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه ومدخله ومخرجه وصدقته وأمانته وذكر الحديث. أهـ.

قلت: فمن الممكن أن يكون من أسباب الصد عن الدعوة أن يكون المدعويين جاهلين

(٢) تفسير القرطبي ٥/٣١٤٠.

(١) آل عمران (١٦٤).

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم في الفضائل (١/٤١/٨) عن وائلة به.

(٤) تفسير ابن كثير ٢/٣٨٩.

بأحوال الداعى، ولكن عندما تعرفه وتعرف نسبه وصفته وأمانته وصدقه ومدخله ومخرجه فيكون بالنسبة لنا كتاباً مفتوحاً ليس فى حياته شىء مبهم.

**قال صاحب الظلال<sup>(١)</sup>:** ولم يقل جاءكم رسول منكم. ولكن قال «من أنفسكم» وهى أشد حساسية وأعمق صلة، وأدل على نوع الوشيجة التى تربطهم به. فهو بصفة من أنفسهم، تتصل بهم صلة النفس بالنفس، وهى أعمق وأحسن أهد.

**[قلت]:** وهو يشير إلى الوشيجة الإيمانية المتوقعة من كل مؤمن أن يصبح الرسول والمؤمنون كالنفس الواحدة والجسد الواحد هو من أنفسهم وهم كذلك «ترى المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد... الحديث» إلخ. ومثله أبو بكر فكان رسول الله يشرب وأبو بكر يقول حتى رضيت.

قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾.

#### ● التفسير بالقرآن

وهو كقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

#### ● التفسير بالآثار الموقوفة والمقطوعة :

عن ابن عباس ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ قال: شديد عليه ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ ما شق عليكم<sup>(٣)</sup>. عن قتادة فى قوله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ الآية. قال: جعله الله من أنفسهم فلا يحسدونه على ما أعطاه الله من النبوة والكرامة، عزيز عليه عنت مؤمنهم، حريص على ضالهم أن يهديه الله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة قال ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ عنت مؤمنهم<sup>(٥)</sup>.

عن سعيد بن أبى عروبة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أن تفضلوا<sup>(٦)</sup>.

#### ● ما جاء فى تفسير الآية من أقوال أهل التفسير:

(١) (١٧٤٣/٣).

(٢) سورة الحجرات (٧).

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠١٦٢) فانظره بتخریجنا.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠١٦٠) وذكره السيوطى فى «الدر» (٥٢٩/٣) وزاد نسبه

لابن جرير، وابن المنذر، وأبى الشيخ.

وانظر «تفسير ابن أبى حاتم» بتخریجنا.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠١٦٣) فانظره بتخریجنا.

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٠١٦٤). فانظره بتخریجنا.

قال ابن جرير (١): «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» أى عزيز عليه عنتكم، وهو دخول المشقة عليهم والمكروه والأذى أهـ.

وقال البغوى (٢): «عَزِيزٌ عَلَيْهِ» شديد عليه «مَا عَنِتُّمْ» قيل (ما) صلة، أى عنتكم، وهو دخول المشقة والمضرة عليكم. وقال القتيبي: ما أعتتكم وضرركم. وقال ابن عباس: ما ضللتكم.

وقال الضحاك والكلبي، ما أئتمتم. أهـ.

وقال الزمخشري (٣): أى شديد عليه؛ لكونه بعضاً منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع فى العذاب أهـ.

وقال ابن الجوزى (٤): فيه قولان:

(الأول): شديد عليه ما شق عليكم.

(الثانى): شديد عليه ما ائتمكم أهـ.

قال الفخر الرازى (٥): قوله تعالى: «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» اعلم أن العزيز هو الغالب والغالب الشديد، والعزة هى الغلبة والشدة وأما العنت فيقال عنت الرجل يعنت عنتا إذا وقع فى مشقة وشدة لايمكنه الخروج منه ومنه قوله تعالى: «ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ» وقوله: «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ»

وقال الفراء (ما) فى قوله (ما عنتتم) فى موضع رفع والمعنى عزيز عليه عنتكم، أى يشق عيه مكروهكم، وأولى المكروه بالدفع مكروه عقاب الله تعالى وهو إنما أرسل ليدفع هذا المكروه أهـ.

وقال القرطبي (٦): قوله تعالى: «عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ» أى يعز عليه مشقتكم والعنت: المشقة، من قولهم: أكمة عنتت إذا كانت شاقة مهلكة. وقال ابن الأثيرى:

(١) تفسير الطبرى (٥٥/١١/٧).

(٢) الكشاف (١٧٩/٢).

(٣) زاد المسير (٣٩٣٩/٣).

(٤) التفسير الكبير (٢٤٢/١٦/٨).

(٥) تفسير القرطبي (٣١٤١/٥).

(٦) معالم التنزيل (١٣٣/٣).

أصل التعنت التشديد، فإذا قالت العرب: فلان يتعنت فلاناً ويُعنته فمرادهم يشدد عليه ويلزمه بما يصعب عليه أداؤه. وقد تقدم في «البقرة» «وما» في «عنتم» مصدرية وهي ابتداء «و«عزيز» خبر مقدم. ويجوز أن يكون «ماعنتم» فاعلاً بعزيز، و«عزيز» صفة للرسول، وهو أصوب. اهـ.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أى يعزُّ عليه الشئ الذى يعنت أمته ويشق عليها، ولهذا جاء فى الحديث المروى من طرق عنه أنه قال «بعثت بالحنيفية السمحة»<sup>(٢)</sup> وفى الصحيح «إن الدين يسر»<sup>(٣)</sup> وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه أهـ.

[قلت]: ولذلك قال لمعاذ وأبى موسى لما أرسلهما «بشراً ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا»<sup>(٤)</sup> وهو فى الصحيح.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>: وقوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ أى شديد عليه جداً ما عنتم، أى عنتكم. وهو لحاق الأذى الذى يضيق به الصدر، ولا يهتدى للمخرج، وهى هنا لفظ عام، أى ما شق عليكم من كفر وضلال وقتل وأسر وامتحان بسبب الخلق. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٦)</sup>: قوله عزيز أى صعب لأن هذه المادة العين والزاي فى اللغة العربية تدل على الصلابة، ومنه «أرض عزاز»، أى: صلبة قوية. والمعنى: أنه يصعب عليه ما يشق عليكم، ولهذا بعث بالحنيفية السمحة، وما خير بين شيئين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً وهذا من التيسير الذى بعث به الرسول ﷺ. اهـ.

قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾

● ما جاء فى تفسير الآية من قول النبي - ﷺ -:

أخرج مسلم عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلئى ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً وجعل الجنادب والفراش يقعن فيها وهو يذبهن عنها، وأنا آخذ بحجزكم

(١) ابن كثير ٤/٣٨٩.

(٢) [ضعيف] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢٦٦/٥) عن أبى أمامة به.

وانظر كتابنا «تخريج أحاديث فقه السنة» وانظر «السلسيل» (١٧٥ - بتخريجنا).

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (٣٩) عن أبى هريرة به. وانظر «فتح المجيد» (٤١٢) بتخريجنا.

وانظر «رياض الصالحين» (١٤٧ - بتخريجنا).

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣٠٣٨)، ومسلم فى الجهاد والسير (٧/٢٨٣/٦).

(٦) القول المنيد ١/٥٦٥.

(٥) تيسير العزيز الحميد ٢٥٥.



عن النار، وأنتم تفلتون من يدي» (١).

وقال الإمام أحمد بسنده عند عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «إن الله لم يحرم حرمة إلا وقد علم أنه سيطلعها منكم مطلع ألا وإنى أخذ بحجزكم أن تهافتوا في النار كتهافت الفراش أو الذباب» (٢).

وقال البزار: عن عكرمة عن أبي هريرة رضى الله عنه أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ يستعينه في شيء قال عكرمة أراه قال في دم فأعطاه رسول الله ﷺ شيئاً ثم قال: «أحسنت إليك؟» قال الأعرابي لا ولا أجملت فغضب بعض المسلمين وهموا أن يقوموا إليه فأشار رسول الله ﷺ إليهم أن كفوا فلما قام رسول الله ﷺ وبلغ إلى منزله دعا الأعرابي إلى البيت فقال «إنما جئنا تسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت» فزاده رسول الله ﷺ شيئاً وقال «أحسنت إليك؟» فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً. قال النبي ﷺ «إنك جئنا فسألنا فأعطيناك فقلت ما قلت، وفي أنفس أصحابي عليك من ذلك شيء فإذا جئت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب عن صدورهم» فقال نعم: فلما جاء الأعرابي قال رسول الله ﷺ: «إن صاحبكم كان جاءنا فسألنا فأعطيناه فقال ما قال، وإننا قد دعونا فأعطيناه فزعم أنه قد رضى، كذلك يا أعرابي؟»، فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيراً.

فقال النبي ﷺ: «إن مثلى ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة فشردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها إلا نفوراً. فقال لهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي فأنا أرفق بها وأنا أعلم بها فتوجه إليها وأخذ لها من قشام الأرض ودعاها حتى جاءت واستجابت وشد عليها رحلها وإنى لو أظعتكم حيث قال ما قال لدخل النار» رواه البزار ثم قال لانعلمه يروى إلا من هذا الوجه (قلت) وهو ضعيف بحال إبراهيم بن الحكم بن أبان والله أعلم أه.

قلت: وهو أيضاً عند أبي الشيخ في أخلاق النبي ﷺ بسند ضعيف. (٣)

● ما جاء في التفسير من أقوال الصحابة والتابعين:

عن ابن عباس في قوله «حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ» أن يؤمن كفاركم (٤).

(١) [صحيح] أخرجه مسلم في الفضائل (١٩/٥٤/٨) عن جابر به.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٩٠/١) عن ابن مسعود به.

(٣) أخرجه أبو الشيخ في أخلاق النبي ﷺ (١٧٨) عن أبي هريرة به.

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٩/٣) ونسبه لابن أبي حاتم، وأبى الشيخ وقد تقدم.

عن قتادة: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال: حريص على ضالهم أن يهديه (١).

● ما جاء فى التفسير من أقوال المفسرين:

قال ابن جرير (٢): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ يقول: حريص على هدى ضلالكم، وتوبتهم، ورجوعهم إلى الحق أه.

وقال البغوى (٣): قوله ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أى على إيمانكم وصلاحكم أه.

وقال الزمخشري (٤): قوله ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ حتى لا يخرج أحد منكم عن اتباعه، والاستعداد بدين الحق الذى جاء به أه.

وقال ابن الجوزى (٥): قال الحسن: حريص على أن تؤمنوا أه.

وقال الفخر الرازى (٦): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ والحريص يمتنع أن يكون متعلقاً

بذواتهم، بل المراد حريص على إيصال الخيرات إليكم فى الدنيا والآخرة.

واعلم أن هذا التقدير يكون قوله ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ معناه: شديدة معزته عن وصول شيء من آفات الدنيا والآخرة إليكم، وبهذا التقدير لا يحصل التكرار.

قال الفراء: الحريص: الشحيح. ومعناه: أنه شحيح عليكم أن تدخلوا النار وهذا بعيد؛ لأنه يوجب الخلو عن الفائدة. أه.

قال القرطبى (٧): قال أبو جعفر النحاس: وأحسن ما قيل فى معناه مما يوافق كلام العرب ما حدثنا أحمد بن محمد الأزدي، قال حدثنا عبدالله بن محمد الخزاعى، قال سمعت عمرو بن على يقول: سمعت عبدالله بن داود الخريبي يقول فى قوله عز وجل ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ قال: أن تدخلوا النار، ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ قال أن تدخلوا الجنة... وقال الفراء: شحيح بأن تدخلوا النار.

والحرص على الشيء: الشح عليه أن يضع ويتلف. أه.

(٢) تفسير الطبرى (٧/١١/٥٥).

(٤) الكشاف (٢/١٧٩).

(١) تقدم تخريجه

(٣) معالم التنزيل (٣/١٣٣).

(٥) زاد المسير (٣/٣٩٣).

(٦) التفسير الكبير (٨/١٦/٢٤٢، ٢٤٣).

(٧) تفسير القرطبى (٥/٣١٤١).

الخلو عن الفائدة لأن هذا المعنى مستفاد من قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ ولهذا قال الشوكاني في «تفسيره» بأن هذا هو الأولى والله أعلم.

قال ابن كثير (١): ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أى على هدايتكم ووصول النفع الدينوى والأخروى إليكم، وقال الطبرانى بسنده عن أبى ذر قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقرب جناحيه فى الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً قال وقال رسول الله ﷺ ما بقى شئ يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بين لكم (٢).

#### • أقوال الشراح:

قال ابن عثيمين (٣): الحرص: بذل الجهد لإدراك أمر مقصود، والمعنى: باذل غاية جهده فى مصلحتكم، فهو جامع بين أمرين: دفع المكروه الذى أفاده قوله: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وحصول المحبوب الذى أفاده قوله: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾، فكان النبى ﷺ جامعاً بين هذين الوصفين، وهذا من نعمة الله علينا وعلى الرسول ﷺ أن يكون على هذا الخلق العظيم الممثل بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾. اهـ.

قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

#### • ما جاء فى التفسير بالقرآن:

هى كقوله تعالى: ﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٤).

#### • ما جاء فى التفسير من الآثار المرفوقة:

عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ «جاء جبريل فقال لى: يا محمد إن ربك يقرئك السلام، وهذا ملك الجبال قد أرسله الله إليك وأمره أن لا يفعل شيئاً إلا بأمرك. فقال له ملك الجبال: إن الله أمرنى أن لا أفعل شيئاً إلا بأمرك، إن شئت دمدت عليهم الجبال، وإن شئت رميتهم بالحصباء، وإن شئت خسفت بهم الأرض قال: يا ملك الجبال إني أتى بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون: لا إله إلا الله. فقال ملك الجبال عليه السلام: أنت

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣٨٩).

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٢/١٥٥/١٦٤٧) عن أبى ذر به.

قال الهيثمى فى «المجمع» (٧/٢٦٤): رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ.

وهو ثقة.

(٤) الشعراء: (٢١٥، ٢١٦).

(٣) القول المفيد ١/٥٦٦.

كما سمَّاكَ ربك رءوف رحيم» (١).

عن أبي صالح الخنفي قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله رحيم ولا يضع رحمته إلا على رحيم. قلنا: يا رسول الله كلنا نرحم أموالنا وأولادنا. قال: ليس بذلك ولكن كما قال الله ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾» (٢).

#### ● أقوال المفسرين:

قال ابن جرير (٣): قوله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ أى رفيق رحيم. أهـ.

قال البغوي (٤): قيل: ﴿رَءُوفٌ﴾ بالمطيعين، ﴿رَّحِيمٌ﴾ بالمذنبين أهـ.

وقال أبي روق: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ كلهم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٥) أهـ.

وقال الزمخشري (٥): ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ منكم، ومن غيركم ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قال ابن الجوزي (٦): قوله ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ قال ابن عباس: سماه بأسمين من أسمائه وقال أبو عبيدة: ﴿رَءُوفٌ﴾ فعول، من الرأفة، وهى أرق من الرحمة، ويقال: ﴿رَءُوفٌ﴾ وأنشد:

ترى للمؤمنين عليك حقاً  
كفعل الوالد الرؤوف الرحيم

وقيل: الرؤوف بالمطيعين، ورحيم بالمذنبين أهـ.

#### ● مسألة:

قال الفخر الرازي (٧): لما قال ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ فهذا النسق يوجب أن يقال ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ بالمؤمنين، فلم ترك هذا النسق وقال ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؟

الجواب: أن قوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يفيد الحصر، بمعنى أنه لا رأفة

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠١٦٩) وانظر «الدر» (٥٢٩/٣).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٩/٣) ونسبه لابن مردويه.

(٣) تفسير الطبري (٥٥/١١/٧). (٤) معالم التنزيل (١٣٣/٣).

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (١٩١٨/٦). (٦) زاد المسير (٣٩٣/٣).

(٧) التفسير الكبير (٢٤٣/١٦/٨).

ولارحمة إلا بالمؤمنين، فأما الكافرون فليس لهم عليهم رأفة ورحمة إلا بالمؤمنين، وهذا كالمتمم لقدراً ما ورد في هذه السورة من التغليظ كأنه يقول: إني وإن بالغت في هذه السورة في التغليظ إلا أن ذلك التغليظ على الكافرين والمنافقين وأما رحمتي ورأفتي فمخصوصة بالمؤمنين فقط، فلهذه الدقيقة عدل عن ذلك النسق أهـ.

قال القرطبي<sup>(١)</sup>: الرؤوف: المبالغ في الرأفة والشفقة.

وقال الحسين بن الفضل: لم يجمع الله لأحد من الأنبياء اسمين من أسمائه إلا النبي محمد ﷺ، فإنه قال: «بِالْمُؤْمِنِينَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ»، وقال: «إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ» أهـ.

وقال الشوكاني<sup>(٢)</sup>: «بِالْمُؤْمِنِينَ» منكم أيها العرب؛ أو الناس «رَعُوفٌ رَحِيمٌ» أهـ.

وقال السعدى<sup>(٣)</sup>: ولهذا كان حقه مقدماً على سائر حقوق الخلق، وواجب على الأمة الإيمان به وتعظيمه، وتوقيره، وتعزيه أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: والرحمة: رقة بالقلب تتضمن الخنو على المرحوم والعطف عليه بجلب الخير له ودفع الضرر عنه.

وقولنا: رقة في القلب هذا باعتبار المخلوق، أما بالنسبة لله تعالى؛ فلا نفسرها بهذا التفسير؛ لأن الله تعالى ليس كمثل شيء، ورحمة الله أعظم من رحمة المخلوق لاتدانيها رحمة المخلوق ولا تماثلها؛ فقد ثبت عن النبي ﷺ؛ أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ مِثَّةُ رَحْمَةِ وَضَعُ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً يَتَرَا حَمَّ بِهَا الْخَلْقُ مِنْذُ خَلَقُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَتَّى إِنْ الدَّابَّةُ لَتَرَفَّ حَافِرُهَا عَنِ وَلَدِهَا خَشْيَةً أَنْ تَصِيْبَهُ»<sup>(٥)</sup>.

فمن يحصى هذه الرحمة التي في الخلائق منذ خلقوا إلى يوم القيامة كمية؟ ومن يستطيع أن يقدرها كيفية؟ لا أحد يستطيع إلا الله عزوجل - الذي خلقها؟

فهذه رحمة واحدة، فإذا كان يوم القيامة رحم الخلق بتسع وتسعين رحمة بالإضافة إلى الرحمة الأولى، وهل هذه الرحمة تدانيها رحمة المخلوق؟.

الجواب: أبداً، لاتدانيها، والقدر المشترك بين رحمة الخالق ورحمة المخلوق أنها صفة تقتضى الإحسان إلى المرحوم، ورحمة الخالق غير مخلوقة؛ لأنها من صفاته، ورحمة

(١) تفسير القرطبي (٥/٣١٤١).

(٢) فتح القدير (٢/٤٣٦).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٢/٢٩١).

(٤) القول المفيد (١/٥٦٦: ٥٦٨).

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم في التوبة (٩/١٧٩/١٧) عن أبي هريرة به.

المخلوق مخلوقة؛ لأنها من صفاته؛ فصفات الخالق لا يمكن أن تنفصل عنه إلى مخلوق لأننا لو قلنا بذلك لقلنا بحلول صفات الخالق بالمخلوق، وهذا أمر لا يمكن؛ لأن صفات الخالق يتصف بها وحده، وصفات المخلوق يتصف بها وحده، لكن صفات الخالق لها آثار تظهر في المخلوق، وهذه الآثار هي الرحمة التي نترحم بها.

قلت: كما قال تعالى: ﴿فَانظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

قوله: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

● ما جاء في التفسير بالقرآن:

كقوله تعالى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾.

● ما جاء في التفسير بأقوال المفسرين:

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: فإن تولى يا محمد هؤلاء الذين جئتهم بالحق من عند ربك من قومك، فأدبروا عنك، ولم يقبلوا ما أتيتهم به من النصيحة في الله، وما دعوتهم إليه من النور والهدى.

﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ يكفيني ربي ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لامعبود سواه أهـ.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ إن أعرضوا عن الإيمان وناصروك أهـ.

وقال الزمخشري<sup>(٣)</sup>: كالبغوي وزاد: فاستعن وفوض إليه، فهو يكفيك معرفتهم ولا يضرؤنك، وهو ناصرك عليهم.

وقال ابن الجوزي<sup>(٤)</sup>: بمثل ما تقدم.

وقال الفخر الرازي<sup>(٥)</sup>: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ يريد المشركين والمنافقين. وقيل: تولوا عن طاعة الله تعالى وتصديق الرسول عليه الصلاة والسلام. وقيل: تولوا عن قبول التكليف الشاقة المذكورة في هذه السورة، وقيل: تولوا عن نصرتك في الجهاد.

واعلم أن المقصود من هذه الآية بيان أن الكفار لو أعرضوا ولم يقبلوا التكليف، لم يدخل في قلب الرسول حزن ولا أسف، لأن الله حسبه وكافيه في نصره على الأعداء وفي إيصاله إلى مقامات الآلاء والنعماء.

(٢) معالم التنزيل (٣/١٣٣).

(١) تفسير الطبري (٧/١١/٥٥).

(٤) زاد المسير (٣/٣٩٣).

(٣) الكشاف (٢/١٧٩).

(٥) التفسير الكبير (٨/١٦/٢٤٣).

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وإذا كان لا إله إلا هو وجب أن يكون لامبدياً لشيء من الممكنات ولا محدث لشيء من المحدثات إلا هو، وإن كان هو الذى أرسلنى بهذه الرسالة، وأمرنى بهذا التبليغ كانت النصرة عليه والمعونة مرتقبة منه. أهـ.

وقال القرطبي<sup>(١)</sup>: بنحو ما تقدم.

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: فإن تولوا عما جتتهم به من الشريعة العظيمة المطهرة الكاملة الشاملة ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أى الله كفى لا إله إلا هو عليه توكلت روى أبو داود - بسنده - عن أبي الدرداء قال: «من قال إذا أصبح، وإذا أمسى: حسيبي الله لا إله إلا هو، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات إلا كفاه الله ما أهمه»<sup>(٣)</sup> وقد رواه ابن عساكر - بسنده إليه وزاد: «سبع مرات صادقاً كان بها أو كاذباً إلا كفاه الله ما أهمه» وهذه زيادة غريبة، ورواه أيضاً مرفوعاً مثله بالزيادة، وهذا منكر والله أعلم أهـ.

وقال ناصر السعدي<sup>(٤)</sup>: فإن تولوا عن الإيمان والعمل، فامضى فى سبيلك، ولا تزل فى دعوتك وقل ﴿حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أى الله يكفينى، جميع ما أهمنى ... أهـ.

قوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾:

● ما جاء فى التفسير بالقرآن:

كقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ وقوله ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ وقوله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

● ما جاء فى التفسير قول الصحابي:

- وروى مسلم عن ابن عباس قال: «كان آخر قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقى فى النار: «حسيبي الله ونعمي الوكيل»<sup>(\*)</sup>.

● ما جاء فى أقوال المفسرين:

قال ابن جرير<sup>(٥)</sup>: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ وبه وثقت، وعلى عونه اتكلت، وإليه، وإلى نصره استندت فإنه ناصرى ومعينى على من خالفنى وتولى عنى منكم ومن غيركم من الناس أهـ.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٩١).

(١) تفسير القرطبي (٥/٣١٤١).

(٣) أخرجه أبو داود (٥٠٤١) عن أبي الدرداء به.

وانظر «الأذكار للنووي» (٢١٩ - بتخریجنا).

(٤) تفسير الكريم الرحمن (٢/٢٩١). (\*) سيأتي تخريجه. (٥) تفسير الطبري (٧/٥٦/١١).

وقال الرازى (١): ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ يفيد الحصر، أى لا أتوكل إلا عليه أه.

وقال القرطبى (٢): ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أى اعتمدت أه.

وقال الشوكانى (٣): ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ أى فوضت جميع أمورى أه.

وقال السعدى (٤): أى اعتمدت ووثقت به فى جلب ما ينفع ودفع ما يضر أه.

قوله: ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾.

● ما جاء فى التفسير من أقوال المفسرين:

قال ابن جرير (٥): ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ الذى يملك كل ما دونه، والملوك كلهم مماليكه وعبيده، وإنما عنى بوصفه جل ثناؤه نفسه بأنه رب العرش العظيم الخبر عن جميع ما دونه أنهم عبيده، وفى ملكه وسلطانه، لأن العرش العظيم إنما كان يكون للملوك فوصف نفسه بأنه ذو العرش دون سائر خلقه، وأنه الملك العظيم دون غيره، وأن من دونه فى سلطانه وملكه جار عليه حكمه وقضاؤه أه.

وقال الزمخشرى (٦): وقرأ ﴿الْعَظِيمِ﴾ بالرفع، وعن ابن عباس: العرش لا يقدر

أحد قدره أه.

وقال ابن الجوزى (٧): وإنما خص العرش بالذكر؛ لأنه الأعظم، فيدخل فيه الأصغر

أه.

وقال الفسخر الرازى (٨): والسبب فى تخصيصه للعرش بالذكر أنه كلما كانت

الأثار أعظم وأكرم كان ظهور جلاله المؤثر فى العقل والخاطر أعظم، ولما كان أعظم الأجسام هو العرش كان المقصود من ذكره تعظيم جلال الله سبحانه.

فإن قالوا: العرش غير محسوس فلا يعرف وجوده إلا بعد ثبوت الشريعة فكيف يمكن

ذكره فى معرض شرح عظمة الله تعالى؟

قلنا: وجرد العرش أمر مشهور والكفار سمعوه من اليهود والنصارى، ولا يبعد أيضاً

أنهم كانوا قد سمعوه من أسلافهم أه. وبنحو ما تقدم ذكره باقى المفسرين.

(١) التفسير الكبير (٢٤٣/١٦/٨).

(٢) تفسير القرطبى (٣١٤٣/٥).

(٣) فتح القدير (٤٣٦/٢).

(٤) تيسير الكريم الرحمن (٢٩١/٢).

(٥) تفسير الطبرى (٥٦/١١/٧).

(٦) الكشاف (١٧٩/٢).

(٧) زاد المسير (٣٩٣/٣).

(٨) التفسير الكبير (٢٤٤/١٦/٨).



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي، عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ، تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ» (١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ وَرَوَاتُهُ ثِقَاتٌ.

● ما جاء في الآية من أقوال سراح كتاب التوحيد:

قال سليمان آل الشيخ (٢):

وفي الآية مسائل:-

[منها]: التنبيه على هذه النعمة العظيمة، وهي إرسال الرسول ﷺ فينا كما قال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

[ومنها]: كونه منانعة أخرى عظيمة.

[ومنها]: كونه بهذه الصفات نعم متعددة.

[ومنها]: مدح نسبه ﷺ، فهو أشرف العرب بيتاً ونسباً.

[ومنها]: رأفته بالمؤمنين.

[ومنها]: غلظته على الكفار والمنافقين أهد.

- قال سليمان آل الشيخ (٣): رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ:

وغیره من حدیث عبد الله بن نافع الصائغ قال: أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكره. ورواته ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع فيه لين لا يمنع الاحتجاج به. قال ابن معين: هو ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ تعرف وتكرر. قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومثال هذا قد يخاف أن يغلط أحياناً، فإذا كان لحديثه شواهد علم أنه محفوظ، وهذا له شواهد متعددة. وقال الحافظ ابن عبد الهادي: هو حديث حسن جيد الإسناد، وله شواهد كثيرة يرتقى بها إلى درجة الصحة. اهـ.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٦٧/٢) وأبو داود في «كتاب المناسك» / باب: زيارة القبور (٢٢٥/٢ ح ٤٢٠٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٩١/٣ ح ٤١٦٢).

جميعاً من طريق سعيد المقبري عن أبي هريرة.

انظر «رياض الصالحين» (ح ١٤٠٤) و«فتح المجيد» (٤١٥). بتخريجنا.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٥٧، ٢٥٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٦٠).

## ● مناسبة الحديث للباب والتوحيد:

قال القرعاوي<sup>(١)</sup>: حيث دل الحديث على تحريم اتخاذ قبره عيداً، وذلك حماية منه لجانب التوحيد، وسد كل طريق يؤدي إلى الشرك. اهـ.

قوله: [لا تجعلوا بيوتكم قبوراً].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: - قال شيخ الاسلام<sup>(٣)</sup> نور الله ضريحه: أى لاتعطلوها من الصلاة فيها والدعاء والقراءة فتكون بمنزلة القبور، فأمر بتحرى العبادة فى البيوت، ونهى عن تحريها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم.

وفى الصحيحين عن ابن عمر مرفوعاً: «اجعلوا من صلاتكم فى بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»<sup>(٤)</sup>.

وفى صحيح مسلم. عن أبى هريرة - رضى الله عنه - «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة»<sup>(٥)</sup>.

وفيه أن الصلاة فى المقبره لاتجوز وأن التطوع فى البيت أفضل منه فى المسجد وفى حديث أبى هريرة الذى ذكرنا كراهة القراءة فى المقابر، وكل هذا إبعاد لأمتة عن الشرك. اهـ.

- وقال حسن بن محمد<sup>(٦)</sup>: أى لا تجعلوا بيوتكم مثل القبور لاتصلون فيها بل صلوا فيها السنن والنوافل ولأنها فى البيت أفضل، قيل: لأنه أبعد مثل الرياء وأقرب للإخلاص. اهـ.

- وقال عبد الله بن جار الله<sup>(٧)</sup>: نهاهم ﷺ أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها والعبادة كما تهجر القبور عن الصلاة إليها مخافة الفتنة بها، وما يقضى إلى عبادتها. اهـ.

- وقال ابن باز<sup>(٨)</sup>: بنحو هذا.

(١) الجديد (٢٠٣).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٦٠).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٦٦٢/٢).

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١١٨٧)، ومسلم فى صلاة المسافرين (٦٧/٦) - النووى عن ابن

عمر به.

وانظر «رياض الصالحين» (١١٣١) - بتخريجنا).

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم فى صلاة المسافرين (٦٨/٦) - النووى عن أبى هريرة به.

وانظر «رياض الصالحين» (١٠٢٠) - بتخريجنا).

(٦) فتح الله احميد المجد (٣٠٠). (٧) الجامع الفريد (٩١). (٨) التعليق المفيد (١٢٨).

- وقال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: (لا تجعلوا) الجملة هنا نهى، فلا ناهية، والفعل مجزوم وعلامة جزمه حذف النون، والواو فاعل.

وقوله: (بيوتكم) جمع بيت، وهو مقر الإنسان وسكنه، سواء كان من طين أو حجارة أو خيمة أو غير ذلك، وغالب ما يراد به الطين والحجارة.  
[قلت]: قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ﴾.

وقوله: (قبوراً) مفعول ثان، لتجعلوا وهذه الجملة تختلف في معناها، فمنهم من قال: لا تجعلوها قبوراً؛ أى: لا تدفنوا فيها، وهذا لاشك أنه ظاهر اللفظ، ولكن أورد على ذلك دفن النبي ﷺ في بيته.

وأجيب عنه بأنه من خصائصه ﷺ؛ فالنبي ﷺ دفن في بيته لسببين:

١ - ما روى عن أبي بكر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما من نبي يموت إلا دفن حيث قبض»<sup>(٢)</sup>، وهذا ضعفه بعض العلماء.

٢ - ما روته عائشة رضی الله عنها: «أنه خشى أن يتخذ مسجداً».

وقال بعض العلماء: المراد بـ «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»؛ أى: لا تجعلوها مثل القبور؛ المقبرة لاتصلون فيها، وذلك لأنه من المقرر عندهم أن المقابر لا يُصلى فيها، وأيدوا هذا التفسير بأنه سبقها جملة في بعض الطرق: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم، ولا تجعلوها قبوراً»<sup>(٣)</sup>، وهذا يدل على أن المراد: لا تدعوا الصلاة فيها.

وكلا المعنيين صحيح؛ فلا يجوز أن يُدفن الإنسان في بيته، بل يُدفن مع المسلمين؛ لأن هذه هي العادة المتبعة منذ عهد النبي ﷺ إلى اليوم، ولأنه إذا دُفن في بيته؛ فإنه ربما يكون وسيلة إلى الشرك، وربما يعظم هذا المكان، ولأنه يحرم من دعوات المسلمين الذين يدعون بالمغفرة لأموات المسلمين عند زيارتهم للمقابر، ولأنه يضيق على الورثة من بعده فيسأمون منه، وربما يستوحشون منه، وإذا باعوه لأيساوى إلا شيئاً قليلاً، ولأنه قد يحدث عنده من الصخب واللعب واللغو الأفعال المحرمة ما يتنافى مع مقصود الشارع؛ فإن الرسول ﷺ يقول: «زوروا القبور؛ فإنها تذكركم الآخرة»<sup>(٤)</sup>

وأما أن المعنى: لا تجعلوها قبوراً؛ أى: مثل القبور في عدم الصلاة فيها؛ فهو دليل على أنه ينبغي إن لم نقل: يجب أن يجعل الإنسان من صلاته في بيته ولا يخليه من الصلاة.

(٢) أخرجه ابن ماجة (١٦٢٨) عن أبي بكر به.

(١) القول المفيد (١/٥٧١ - ٥٧٥).

(٤) سبق.

(٣) تقدم تخريجه.

وفيه أيضا : أن من المتقرر عندهم أن المقبرة لا يصلى فيها.

إذاً؛ فيكون هذا النهى عن ترك الصلاة فى البيوت لتأ تشبه المقابر؛ فىكون فىه دليل واضح على أن المقابر ليست محلاً للصلاة، وهذا هو الشاهد من الحديث للباب؛ لأن اتخاذا المقابر مساجد سبب قريب جداً للشرك.

واتخاذاها مساجد سبق أن له مرتبتين:

الأولى: أن يبنى عليها مسجداً.

الثانية: أن يتخذاها مصلى يقصدها لىصلى عندها. اهـ.

[قلت]: الثالثة: أن يصلى فيها.

ثم قال: والحديث يدل على أن الأفضل: أن المرء يجعل من صلاته فى بيته وذلك

جميع النوافل؛ لقوله ﷺ «أفضل صلاة المرء فى بيته؛ إلا المكتوبة» (١)؛ إلا ماورد الشرع أن يفعل فى المسجد، مثل: صلاة الكسوف، وقيام الليل فى رمضان، حتى ولو كنت فى المدينة النبوية؛ لأن النبى ﷺ قال ذلك وهو فى المدينة، وتكون المضاعفة بالنسبة للفرائض أو النوافل التى تسن لها جماعة أهـ.

قال القرعاوى (٢)

الفوائد: أى من الحديث:

١- تحريم هجر البيوت من عبادة الله.

٢- تحريم الصلاة فى المقابر. اهـ.

قال أبى الطيب شمس الحق أباى (٣)

«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً» أى لا تركوا الصلوات والعبادة فتكونوا فيها كأنكم أموات.

شبه المكان الخالى عن العبادة بالقبور، والغافل عنها بالميت ثم أطلق القبر على المقبرة.

وقيل المراد لا تدفنوا فى البيوت، وإنما دفن المصطفى فى بيت عائشة مخافة إتخاذا قبره مسجداً ذكره القاضى .

قال المناوى فى فيض القدير: وقال الخفاجى: ولا يرد عليه أنه ﷺ دفن فى بيته لأنه

اتبع فىه سنة الأنبياء عليهم السلام كما ورد: ما قبض نبى إلا دفن حيث يقبض (\*) فهو

مخصوص بهم. انتهى.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٧٣١)، ومسلم فى صلاة المسافرين (٣/٣٢٥/٢١٣) عن زيد بن

ثابت به.

(٣) عون المعبود (٦/٣١).

(٢) الجديد (٣/٢٠٣).

(\*) تقدم تخريجه.

قوله: [ولا تجعلوا قبرى عيداً] قال ابن تيمية<sup>(١)</sup> العيداسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد، عائداً إما يعود السنة أو يعود الأسبوع، أو الشهر، ونحو ذلك. اهـ.

قال ابن رجب: (٢) العيد هو موسم الفرح والسرور، وأفراح المؤمنين وسرورهم فى الدنيا إنما هو بمولاهم إذا فازوا بإكمال طاعته، وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضلته ومغفرته، كما قال تعالى ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

قال بعض العارفين: ما فرح أحدٌ بغير الله إلا بغلغفته عن الله، فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه.

وأنشد سحنون فى هذا المعنى:

وكان فؤادى خالياً قبل حبِّكم  
وكان بذكر الخلق يلهو ويمرحُ  
فلما دعا قلبى هواك أجابه  
فلمست أراه عن فنائك يبرحُ  
رُميتُ بيعدٍ منك إن كنت كاذباً  
وإن كنت فى الدنيا بغيرك أفرح  
وإن كان شئٌ فى البلاد بأسرها  
إذا غبتَ عن عينى لعينى يملحُ

لما قدم النبى ﷺ المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال: «إن الله قد أبدلكم يومين خيراً منهما: يوم الفطر والأضحى»<sup>(٣)</sup> فأبدل الله هذه الأمة بيومى اللعب واللهو ويومى الذكر والشكر والمغفرة.

ففى الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد:

عيد يتكرر كل أسبوع، وعيدان يأتيان فى كل عام مرة - الفطر والأضحى - اهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان، مأخوذ من المعاودة والاعتیاد، فإن كان اسماً للمكان فهو المكان الذى يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها، كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة، كما جعل أيام العيد فيها عيداً،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٤٢).

(٢) لطائف المعارف (٢/٤٤٩، ٤٥٠) بتخريجنا

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣/١٠٣)، وأبو داود (١١٣٤)، والنسائى (٣/١٧٩ - السيوطى) عن

أنس به.

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٥٧).

وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى، كما عوضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر اهـ.

ثم قال سليمان<sup>(١)</sup>: معنى الحديث، نهي عن زيارة قبره على وجه مخصوص، واجتماع معهود كالعيد الذى يكون على وجه مخصوص فى زمان مخصوص، وذلك يدل على المنع فى جميع القبور وغيرها لأن قبر رسول الله ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض، وقد نهى عن اتخاذ هعيدها فقبور غيره أولى بالنهى كائناً من كان. قال المصنف: وفيه النهى عن الإكثار من الزيارة اهـ.

[قلت]: لأن المرة والمرتين لا تكون عادة ولا عيد ولا يكون إلا بالإكثار. والله أعلم.  
- وقال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: نهى رسول الله ﷺ أن يجعلوا قبره عيداً يعودونه حذراً مما وقع فى السلف الماضى من الأمم. اهـ.

- وقال عبد الله بن جبار الله<sup>(٣)</sup>: نحو ما تقدم.

- وقال ابن باز<sup>(٤)</sup>: ولا يدخل فى هذا زيارته ﷺ بدون شد الرحال، وبدون غلو فيها، وعبادة عندها. اهـ.

- وذكر ابن عثيمين<sup>(٥)</sup> أن الظاهر من الحديث: لا ترددوا على قبرى وتعتادوا ذلك، سواء قيدوه بالسنة أو بالشهر أو بالأسبوع، فإنه ﷺ نهى عن ذلك، وإنما يزار لسبب كما لو قدم الإنسان من سفر فذهب إلى قبره فزاره، أو زاره ليتذكر الآخرة كغيره من القبور. وما يفعله بعض الناس فى المدينة كلما صلى الفجر ذهب إلى قبر النبى ﷺ من أجل السلام عليه فيعتاد هذا كل فجر، يظنون أن هذا مثل زيارته فى حياته فهذا من الجهل، وما علموا أنهم إذا سلموا عليه فى أى مكان فإن تسليمهم يبلغه. اهـ.

#### ● شبهة، والرد عليها: -

قيل أن قوله ﷺ: «ولا تجعلوا قبرى عيداً» أن النهى هذا عن ملازمة قبره والعكوف عنده واعتياد قصده وانتيابه، ونهى أن يجعل كالعيد الذى إنما يكون فى العام مرة أو مرتين، فكأنه قال: لا تجعلوه كالعيد الذى يكون من الحول إلى الحول، واقصدوه كل ساعة وكل وقت.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥٨، ٢٥٩).

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٣٠٠).

(٣) الجامع الفريد (٩١).

(٤) التعليق المفيد (١٢٨).

(٥) القول المفيد (١/٥٧٥).

الجواب: قال ابن القيم رحمه الله<sup>(١)</sup>: وهذا مراغمة ومحادة ومناقضة لما قصده الرسول ﷺ وقلب للحقائق، ونسبة الرسول ﷺ إلى التلبيس والتدليس بعد التناقض، فقاتل الله أهل الباطل أنى يؤفكون. ولا ريب أن من أمر الناس باعتماد أمر وملازمته وكثرة انتيابه بقوله: «لا تجعلوا قبرى عيداً»، فهو إلى التلبيس وضد البيان أقرب منه إلى الدلالة والبيان، وهكذا غيرت أديان الرسل، ولولا أن الله أقام لدينه الأنصار والأعوان الذائبين عنه، لجرى عليه ما جرى على الأديان قبله. ولو أراد رسول الله ﷺ ما قاله هؤلاء الضلال لم يته عن اتخاذ قبور الأنبياء مساجد، ويلعن فاعل ذلك، فإنه إذا لعن من اتخذها مساجد يعبد الله فيها، فكيف يأمر بملازمتها والعكوف عندها وأن يعتاد قصدها وانتيابها ولا تجعل كالعيد الذى يجيء من الحول إلى الحول؟! وكيف يسأل ربه أن لا يجعل قبره وثناً يعبد؟! وكيف يقول أعلم الخلق بذلك؟! «ولولا ذلك لأبرز قبره»، ولكن خشى أن يتخذ مسجداً، وكيف يقول: «لا تجعلوا قبرى عيداً». «وصلوا على حيثما كنتم»؟! وكيف لم يفهم أصحابه وأهل بيته من ذلك ما فهمه هؤلاء الضلال الذين جمعوا بين الشرك والتحريف؟! وهذا أفضل التابعين من أهل بيته على بن الحسين رضى الله عنهما، نهى ذلك الرجل أن يتحرى الدعاء عند قبره ﷺ، واستدل بالحديث وهو الذى رواه وسمعه من أبيه الحسين عن جده على رضى الله عنهما<sup>(٢)</sup>، وهو أعلم بمعناه من هؤلاء الضلال، وكذلك ابن عمه الحسن بن الحسن شيخ أهل بيته، كره أن يقصد الرجل القبر إذا لم يكن يريد المسجد، ورأى أن ذلك من اتخاذ عيداً. انتهى. -  
أى كلام ابن القيم --

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: - وكيف يريد النبى ﷺ هذا المعنى ويعبر عنه بهذا الكلام، مع أنه أفصح الخلق وأنصحهم، وكان يمكنه أن يقول: أكثروا زيارة قبرى، أو اجعلوه عيداً تعتادون المجيء إليه والعبادة عنده؟! فظهر بطلان هذا القول. اهـ.  
وقال قرعاوى<sup>(٤)</sup> مختصراً للرد السابق: وهذا التأويل باطل من عدة وجوه:  
أحدها: أن هذا فيه تلبس وإيهام والشريعة لم تأت إلا بالوضوح والصراحة.  
الثانى: لو كان قصد النبى ﷺ ما ذكره هؤلاء لفعله أهل بيته ولأمروا به.  
الثالث: أن الصحابة (رضى الله عنهم) لم يؤثر عنهم أنهم أمروا بذلك أو عملوه وهم أدرى بقصد النبى ﷺ. اهـ.  
قوله: [وصلوا على، فإن صلواتكم تَبْلُغُنِي حيثما كنتم].

(١) إغاثة اللهفان (١/١٩٨، ٣٠٠).

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٥٧، ٢٥٨).

(٤) الجديد (٢٠٣).

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال شيخ الإسلام<sup>(٢)</sup>: يشير بذلك إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قريكم من قبري وبعدكم، فلا حاجة بكم إلى اتخاذه عيداً. انتهى. - أي كلام ابن تيمية -.

وقد روى أبو داود عن أبي هريرة مرفوعاً: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أُرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أوس بن أوس مرفوعاً: «أَكْثَرُوا مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَعْرَضُ صَلَاتَنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيَّ الْأَرْضَ أَنْ تَأْكُلَ لَحُومَ الْأَنْبِيَاءِ»<sup>(٤)</sup> رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، فهذه الأحاديث وغيرها تدل على أن صلاتنا عليه تبلغه سواء كنا عند قبره أو لم نكن، فلا مزية لمن سلم عليه أو صلى عند قبره، كما قال الحسن بن الحسن: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

وأما حديث: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَائِباً بُلِّغْتُهُ»<sup>(٥)</sup> فرواه البيهقي وغيره من حديث العلي بن عمرو الحنفي: حدثنا أبو عبد الرحمن عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فذكره. قال البيهقي: أبو عبد الرحمن هذا، هو محمد بن مروان السدي فيما أرى، وفيه نظر. قلت: محمد بن مروان السدي الصغير قال فيه يحيى بن معين: ليس بثقة. وقال الجوزجاني. ذاهب الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث، وكذلك قال أبو حاتم الرازي والأزدي: وقال صالح بن محمد: كان يضع الحديث على أن معناه صحيح معلوم من أحاديث آخر، كما إخباره بسماع الموتى لسلام من يسلم عليهم إذا مر على قبورهم.

● مسألة: فإن قيل: إذا سمع سلام المسلم عليه عند قبره حصلت المزية بسماعه.

الجواب: قيل: هذا لو حصل الوصول إلى قبره، أما وقد منع الناس من الوصول إليه بثلاثة جدران، فلا تحصل مزية، فسواء سلم عليه عند قبره أو في مسجده إذا دخله، أو في أقصى المشرق والمغرب، فالكل يبلغه، كما وردت به الأحاديث، وليس في شيء منها أنه يسمع صوت المصلي والمسلم بنفسه، إنما فيها أن ذلك يعرض عليه ويبلغه ﷺ،

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٥٩).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٦٦٣/٣).

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٥٢٧/٢)، وأبو داود (٢٠٤١) عن أبي هريرة به.

وانظر «رياض الصالحين» (١٤٠٥ - بتخریجنا).

(٤) [صحيح] أخرجه أحمد في «مسنده» (٨/٤)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (٩٢/٣)، وابن ماجه

(١٣٦٣) عن أوس به وانظر «السلسيل» (٧٤٠ - بتخریجنا).

(٥) أخرجه العتيبي في «الضعفاء» (١٣٦/٤)، وابن الجوزي في الموضوعات (٣٠٢٨ - ٣٠٣).



ومعلوم أنه أراد بذلك الصلاة والسلام الذي أمر الله به، سواء صلى عليه في مسجده أو في مدينته أو في مكان آخر، فعلم أن ما أمر الله به من ذلك فإنه يبلغه، وأما من سلم عليه عند قبره فإنه يرد عليه، وذلك كالسلام على سائر المؤمنين ليس هو من خصائصه، ولكن لا يوصل إلى قبره ﷺ. اهـ.

- وقال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(١)</sup>: بنحو ذلك.

- وقال عبد الله بن جار الله<sup>(٢)</sup>: يرشدنا ﷺ أن نكثر من الصلاة عليه في كل زمان ومكان، ويقول إنما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قريبكم من قبري وبُعدكم، فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً تترددون إليه لأجل ذلك. اهـ.

- وقال ابن باز<sup>(٣)</sup>: بنحو ذلك.

- وقال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله: (وَصَلُّوا عَلَيَّ) هذا، أي: قولوا: اللهم صلى على محمد، وقد أمر الله بذلك في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وفضل الصلاة على النبي ﷺ معروف، ومنه أن من صلى عليه مرة واحدة، صلى الله عليه بها عشر<sup>(٥)</sup> والصلاة من الله على رسوله ليس معناها كما قال بعض أهل العلم: إن الصلاة من الله الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن الآدميين الدعاء.

فهذا ليس بصحيح، بل إن صلاة الله على المرء ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، كما قال أبو العالية وتبعه على ذلك المحققون من أهل العلم.

ويدل على بطلان القول الأول قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾؛ فعطف الرحمة على الصلوات، والأصل في العطف المغايرة، ولأن الرحمة تكون لكل أحد، ولهذا أجمع العلماء على أنه يجوز أن تقول: فلان رحمه الله، واختلفوا: هل يجوز أن تقول: فلان صلى الله عليه؟

فمن صلى على محمد ﷺ مرة أثنى الله عليه في الملأ الأعلى عشر مرات، وهذه نعمة كبيرة. اهـ.

قلت: تقدم هذا وغيره في مقدمة الكتاب.

قوله: «فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم».

(١) فتح المجيد (١/٣٢٨).

(٢) الجامع الفريد (٩١).

(٣) التعليق المفيد (١٢٨).

(٤) القول المفيد (١/٥٧٥: ٥٧٧).

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم في الصلاة (٢/٨٥/٤) عن عبد الله بن عمرو بن

وانظر «رياض الصالحين» (١٤٠ - بتخریجنا).

ثم قال ابن عثيمين: حيث: ظرف مبنى على الضم فى محل نصب، ويُقال فيها: حيث، وحوث، وحات، لكنها قليلة.

### ● كيف تبلغه الصلاة عليه؟

الجواب: نقول: إذ جاء مثل هذا النص وهو من أمور الغيب؛ فالواجب أن يُقال: كيف مجهول لا نعلم بأى وسيلة تبلغه، ولكن ورد عن النبي ﷺ: «أنَّ الله ملائكة سياحين يسيحون فى الأرض يبلغون النبي ﷺ سلام أمته عليه»<sup>(١)</sup>، فإن صح؛ فهذه هى الكيفية اهـ.

[قلت] فائدة انتفاع الأموات بدعاء الأحياء. قاله قرعاوى<sup>(٢)</sup>.

قوله: [رواه أبو داود بإسناد حسن، ورواته ثقات].

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: هذا التعبير من الناحية الاصطلاحية، ظاهره أن بينهما اختلافاً، ولكننا نعرف أن الحسن: هو أن يكون الراوى خفيف الضبط؛ فمعناه أن فيه نوعاً من الثقة، فيجمع بين كلام المؤلف - رحمه الله - وبين ما ذكره عن رواية أبى داود بإسناد حسن: أن المراد بالثقة ليس غاية الثقة؛ لأنه لو بلغ الى حد الثقة الغاية لكان صحيحاً؛ لأن ثقة الراوى تعود على تحقيق الوصفين فيه، وهما العدالة، والضبط، فإذا خف الضبط خفت الثقة، كما إذا خفت العدالة أيضاً تخفت الثقة فيه.

فيجمع بينهما على أن المراد: مطلق الثقة، ولكنه لاشك فيما أرى أنه إذا أعقب قوله: «حسن» بقوله: «رواته ثقات» أنه أعلى مما لو اقتصر على لفظ «حسن».

ومثل هذا ما يُعبّر به ابن حجر فى «تقريب التهذيب» بقوله: «صدوق يهم»، وأحياناً يقول: «صدوق»، وصدوق أقوى؛ فيكون توثيق الرجل الموصوف بصدوق أشد من توثيق الرجل الذى يوصف بأنه يهم.

لايقول قائل: إن كلمة يهم لاتزيدة ضعفاً؛ لأنه مامن إنسان إلا ويهم.

فنقول هذا لا يصح؛ لأن قولهم: (يهم) لايعنون به الوهم الذى لا يخلو منه أحد، ولولا أن هناك غلبة فى أوهامه ما وصفوه بها. اهـ.



(١) أخرجه النسائى فى «الكبير» (١٢٠٥) عن ابن مسعود به.

(٢) الجديد (٢٠٣).

(٣) القول المفيد (١/٥٧٧، ٥٧٨).

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ رَأَى رَجُلًا يَجِيءُ إِلَى فُرْجَةِ كَانَتْ  
عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَدْخُلُ فِيهَا فَيَدْعُو، فَتَنَاهَا وَقَالَ: أَلَا أُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ  
أَبِي عَنْ جَدِّي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا، وَلَا بَيُوتَكُمْ قُبُورًا،  
وَصَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّ تَسْلِيمَكُمْ لِيَبْلُغَنِي أَيْنَ كُنْتُمْ» رَوَاهُ فِي «الْمُخْتَارَةِ» (١).

قوله: [وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة.... إلخ].  
قال سليمان آل الشيخ (٢): رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في  
«المختارة».

قال أبو يعلى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا زيد بن الحباب ثنا جعفر بن إبراهيم  
من «ولد» ذى الجناحين ثنا علي بن عمر عن أبيه عن علي بن حسين فذكره. وعلى بن  
عمر هو: علي بن عمر بن علي بن الحسين.

قال شيخ الإسلام: فانظر كيف هذه السنة كيف. مخرجها من أهل المدينة وأهل  
البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من  
غيرهم. فكانوا أضبط.

قلت: أى سليمان آل الشيخ - وللحديثين شواهد: منها ما رواه ابن أبي شيبة، حدثنا  
أبو خالد الأحمر عن ابن عجلان عن سهيل عن جبير بن حنين قال: قال رسول الله  
ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا وَلَا بَيُوتَكُمْ قُبُورًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَإِنْ صَلَاتِكُمْ  
تَبْلُغَنِي».

وقال سعيد بن منصور: حدثنا عبدالعزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل  
قال: أتى الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند القبر فناداني وهو في بيت فاطمة  
يتعشى فقال: هلم إلى العشاء. فقلت: لا أريده. فقال: ما لى رأيتك عند القبر؟  
فقلت: سلمت على النبي ﷺ، فقال: إذا دخلت المسجد فسلم، ثم قال: إن الرسول

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢/٢٦٩).

قال: حدثنا أبو خالد الأحمر، عن ابن عجلان، عن سهيل بن حسين بن حسن قال... فذكر  
الحديث، بالمرفوع منه فقط.

وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص: ١٠٩).

وانظر «فتح المجيد» (ح ٤١٨) بتخريجنا.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٦١)

ﷺ قال: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا تتخذوا بيوتكم مقابر وصلوا عليّ، فإن صلواتكم تبلغني حيث ما كنتم؛ لعن الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» ما أنتم ومن بالأندلس الا سواء.

ورواه القاضي إسماعيل: في كتاب فضل الصلاة على النبي ﷺ ولم يذكر: ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء.

وقال سعيد: أيضاً حدثنا حبان بن علي ثنا محمد بن عجلان عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتخذوا قبري عيداً ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن صلواتكم تبلغني».

قال شيخ الإسلام: فهذان المرسلان أي حديث أبي هريرة وهذا الحديث - من هذين الوجهين المختلفين يدلان على ثبوت الحديث لاسيما وقد احتج به من أرسله، وذلك يقتضى ثبوته عنده هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين، فكيف وقد تقدم مسنداً. اهـ.

#### ● مناسبة الحديث للباب وللتوحيد:

قال القرعاوي<sup>(١)</sup>: حيث دل الحديث على تحريم اعتياد قبر النبي ﷺ - لأجل الدعاء وغيره، وذلك حماية منه لجانب التوحيد وسد كل طريق يؤدي الى الشرك. اهـ.  
قوله: [عن علي بن الحسين]. قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: أيك ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضى الله عنه وهو أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم.  
قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل منه. مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح، وأبوه الحسين سبط النبي ﷺ وريحانته، حفظ عن النبي ﷺ، واستشهد يوم عاشوراء سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة. اهـ.

قوله: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة: قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: هو بضم الفاء وسكون الراء واحدة الفرج - وهى الكوة فى الجدار والخوخة ونحوهما اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله: «يجيء إلى فرجة» كانت عند قبر النبي ﷺ هذا الرجل لاشك أنه لم يتكرر مجيئه إلى هذه الفرجة إلا لاعتقاده أن فيها فضلاً ومزية، وكونه يظن أن الدعاء عند القبر له مزية، فتح باب ووسيلة إلى الشرك، بل جميع العبادات

(١) الجديد (٢٠٥). (٢) تيسير العزيز الحميد (٢٦١، ٢٦٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٦١، ٢٦٢) (٤) القول المفيد (١/٥٧٩).

إذا كانت عند القبر؛ فلا يجوز أن يعتقد أنه لها مزية، سواء كانت صلاة أو دعاء أو قراءة، ولهذا نقول: تكره القراءة عند القبر إذا كان الإنسان يعتقد أن القراءة عند القبر أفضل. اهـ.

قوله: [فدخل فيها فيدعو، فنهاه، وقال: .....]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد؛ لأجل الدعاء والصلاة عندها كما تقدم بعض ذلك، لأن ذلك من اتخاذها عيداً كما فهمه على بن الحسين من الحديث. فنهى ذلك الرجل عن المجئ إلى قبر النبي ﷺ للدعاء عنده، فكيف بقبر غيره ويدل أيضاً على أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من اتخاذ عيداً المنهى عنه، ولهذا لما رأى الحسن بن الحسن سهيلاً عند القبر نهاه عن ذلك وذكر له الحديث مستدلاً به وأمر بالسلام عليه عند دخول المسجد.

قال: ما علمت أحداً. أى: من علماء السلف رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذ عيداً، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلى منهي عنه، لأن ذلك من اتخاذ عيداً، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ، لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك.

قال: ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها. بل كان الصحابة والتابعون يأتون إلى مسجده ﷺ فيصلون خلف أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم، ثم إذا قضاوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه فى الصلاة أكمل وأفضل. وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم بقوله: «لا تتخذوا قبرى عيداً وصلوا على فإن صلاتكم تبلغنى» فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام. ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد، وكانت الحجرة فى زمانهم يدخل إليها من الباب إذ كانت عائشة فيها، وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر. وهم مع ذلك يتمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان فى غيرهم، فأضلهم عن قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويفتيهم ويحدثهم فى الظاهر، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من القبر. ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رآهم النبي ﷺ ليلة المعراج.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٦١: ٢٦٥).

والمقصود أن الصحابة ما كانوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره، كما يفعله من بعدهم من الخلفو وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر، كما كان ابن عمر رضى الله عنه يفعل.

قال عبيد الله بن عمر عن نافع: كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه، ثم ينصرف. قال عبيد الله: ما نعلم أحداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر. وهذا يدل على أنه لا يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير.

قال شيخ الإسلام: إن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة، فكان بدعة محضة وفي «المبسوط» قال مالك: لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن ليسلم ويمضى.

والحكاية التي رواها القاضي عياض بإسناده عن مالك في قصته مع المنصور وأنه قال للملك: يا أبا عبد الله استقبل القبلة وأدعو أم استقبل رسول الله ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة، بل استقبله واستشفع به يشفعه الله فيك.

فهذه الرواية ضعيفة، أو موضوعة لأن في أسنادها من يتهم محمد بن حميد ومن تجهل حاله.

ونص أحمد أنه يستقبل القبلة، ويجعل الحجرة عن يساره لثلا يستدبره وذلك بعد تحيته والسلام عليه، فظاهر هذا أنه يقف للدعاء بعد السلام. وذكر أصحاب مالك أنه يدعو مستقبلاً القبلة يوليه ظهره.

وبالجملة: فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر وتنازعوا هل يستقبله عند السلام عليه أم لا؟ ومن الحجة في ذلك ما روى ابن زبالة وهو في أخبار المدينة. عن عمر بن هارون عن سلمة بن وردان وهما ساقطان قال: رأيت أنس بن مالك يسلم على النبي ﷺ، ثم يسند ظهره إلى جدار القبر، ثم يدعو.

وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ، وإلى غيره من القبور والمشاهد، لأن ذلك من اتخاذها أعياداً بل من أعظم الأسباب الإشراف بأصحابها، كما وقع من عباد القبور الذين يشدون إليها الرحال، وينفقون في ذلك الكثير من الأموال، وليس لهم مقصود إلا مجرد الزيارة للقبور تبركاً بتلك القباب والجدران فوقعوا في الشرك.

هذه المسألة التي أفتى فيها شيخ الإسلام أعنى من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، ومشاهدتهم ونقل فيها اختلاف العلماء في الإباحة والمنع، فمن مبيح لذلك كأبي حامد الغزالي وأبي محمد المقدسى.

ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض، وهو قول الجمهور نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب.

فقام عليه بعض المعاصرين له كالسبكي ونحوه فنسبه إلى إنكار الزيارة مطلقاً وهو لم ينكر منها إلا ما كان بشد رحل، كما أنكره جمهور العلماء قبله أو الزيارة التي يكون فيها دعاء الأموات والاستغاثة بهم في الملمات، مع ما ينضم إلى ذلك من أنواع المنكرات.

ومما يدل على النهي عن شد الرحال إلى القبور ونحوه. ما أخرجه في «الصحيحين».

عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «لا تشدوا الرِّحَالِ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (١) فدخل في ذلك شُدهَا لزيارة القبور والمشاهد فإما أن يكون نهياً، وإما أن يكون نفيًا للاستحباب.

وقد جاء في رواية في «الصحيح» بصيغة النهي صريحاً فتعين أن يكون للنهي. ولهذا فهم منه الصحابة. المنع كما في «الموطأ» و«السنن».

عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري أنه قال لأبي هريرة وقد أقبل من الطور: لو أدمتكم قبل أن تخرج إليه لما خرجتُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا تُعْمَلُ الْمَطِيُّ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» (٢).

وروى الإمام أحمد وعمر بن شبة في أخبار المدينة بإسناد جيد عن قزعة. قال: أتيت ابن عمر فقلت: إني أريد الطور. فقال: إنما تشد الرحال إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد المدينة، والمسجد الأقصى، فدع عنك الطور فلا تأته. (٣) اهـ.

ثم قال عبد الرحمن آل الشيخ (٤): فابن عمر وبصرة بن أبي بصرة جعلوا الطور بما نهى عن شد الرحال إليه. لأن اللفظ الذي ذكره فيه النهي عن شُدهَا إلى غير الثلاثة مما يقصد به القرية، فعلم أن المُسْتَشْتَى منه عام في المساجد وغيرها، وأن النهي ليس خاصاً بالمساجد، ولهذا نهياً عن شُدهَا إلى الطور مستدلين بهذا الحديث اهـ.

وروى أحمد وعمر بن شبة أيضاً عن شهر بن حوشب. قال: سمعت أبا سعيد وذكر عنده الصلاة في الطور. فقال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمَطِيِّ أَنْ تُشَدَّ رِحَالُهَا إِلَى مَسْجِدٍ يُتَغْنَى فِيهِ الصَّلَاةُ غَيْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ

(١) سيأتي تخريجه

(٢) سيأتي تخريجه.

(٣) سيأتي.

(٤) فتح المجيد (١/٣٣٤، ٣٣٥).

ثم قال سليمان آل الشيخ (٢). فأبو سعيد جعل الطور مما نهى عن شدة الرحال إليه، مع أن اللفظ الذي ذكره إنما فيه النهي عن شدها إلى المساجد، فدل على أنه علم أن غير المساجد أولى بالنهي، والطور إنما يسافر من يسافر إليه لفضيلة البقعة وأن الله تعالى سماه الوادي المقدس والبقعة المباركة، وكلم الله موسى هناك. وهذا ظاهر لا يخفى على أحد ممن يقول بفحوى الخطاب وتنبهه، وهم الجمهور الأئمة الأربعة وأتباعهم ولهذا لم يوجبوا على من نذر أن يسافر إلى أثر نبي من الأنبياء أو إلى قبورهم أو غير قبورهم الوفاء بذلك، بل لو سافر إلى مسجد قباء من بلد بعيد لم يكن هذا مشروعاً باتفاق الأئمة الأربعة، مع أن النبي ﷺ كان يأتيه كل سبت ركباً وماشياً، وإن كان في وجوب الوفاء بنذر إتيانه خلاف والجمهور على أنه لا يجب.

وقد صرح مالك وغيره. بأن من نذر السفر إلى المدينة النبوية إن كان مقصوده الصلاة في مسجد النبي ﷺ، أوفى بنذره، وإن كان مقصوده مجرد زيارة القبر من غير صلاة في المسجد لم يف بنذره. قال: لأن النبي ﷺ. قال: «لانعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد»، ذكره إسماعيل بن إسحاق في «المبسوط» ومعناه في «المدونة» و«الجلاب» وغيرهما من كتب أصحاب مالك. اهـ.

ثم قال عبد الرحمن (٣): ومن أراد بسط القول في ذلك والجواب عما يعارضه فعليه بما كتبه شيخ الإسلام مجيباً لابن الأختائى فيما اعترض به على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وأخذ به العلماء وقياس الأولى؛ لأن المفسدة في ذلك ظاهرة. اهـ.

ثم قال سليمان آل الشيخ (٤): وبالجمله فقد تنازع العلماء في جواز شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، فالجمهور على المنع، وطائفة من المتأخرين على الجواز، فاستجاب شد الرحال إلى القبور والمشاهد والتقرب به إلى الله كما ظنه السبكي وغيره، قول مبتدع مخالف للإجماع قبله، والأحاديث التي احتج بها كحديث:

«مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّهَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي» (٥) ونحوها لا يصح منها شيء عن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣/٦٤، ٩٣) عن أبي سعيد به وفيه شهر بن حوشب وانظر «فتح المجيد» (ح ٤٢٤) بتخریجنا.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٦٤).

(٣) فتح المجيد (١/٣٣٤، ٣٣٥).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٦٥).

(٥) أخرجه الدارقطني في «سننه» (٢/٢٧٨/١٩٢) عن ابن عمر بإسناد ضعيف جداً.



رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه البتة، بل هي ما بين ضعيف وموضوع، أو كلها موضوعة كما قد بين عللها شيخ الإسلام وغيره.

وكثير منها لا يدل على محل النزاع إذ ليس فيه إلا مطلق الزيارة. وذلك لا ينكره شيخ الإسلام ولا غيره من العلماء، لأنه محمول على الزيارة الشرعية الجارية على وفق مراد النبي ﷺ، وهي التي لا يكون فيها شرك ولا شد رحل إلى قبره، ويتقدير ثبوتها لاتدل على شد الرحال إلى قبر غيره، والسبكي أجاز ذلك في سائر القبور فخالف الأحاديث وخرق الإجماع، والله أعلم.

ثم قال عبد الرحمن<sup>(١)</sup>: وأما النهي عن زيارة غير المساجد الثلاثة فغاية ما فيها: أنها لا مصلحة في ذلك توجب شد الرحال، ولا مزية تدعو إليه. وقد بسط القول في ذلك الحافظ محمد بن عبد الهادي في كتاب «الصَّارم المنكى» في رده على السبكي وذكر فيه علل الأحاديث الواردة في زيارة قبر النبي ﷺ وذكر هو وشيخ الإسلام رحمهما الله تعالى: أنه لا يصحُّ منها حديث عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه، مع أنها لاتدل على محل النزاع؛ إذ ليس فيها إلا مطلق الزيارة، وذلك لا ينكره أحد بدون شدِّ الرحال، فيحمل على الزيارة الشرعية التي ليس فيها شرك ولا بدعة اهـ.

قال سليمان آل الشيخ: قال: «المصنف»: وفيه أنه ﷺ في البرزخ تعرض عليه أعمال أمته في الصلاة والسلام.

قوله: [رواه في «المختارة»] قال سليمان آل الشيخ: المختارة كتاب جمع فيه مؤلفه الأحاديث الجياد الزائدة على «الصحيحين» ومؤلفة هو أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي، أحد الأعلام وحفاظ الحديث.

قال الذهبي: أفنى عمره في هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والثقة والاتقان، انتفع الناس بتصانيفه والمحدثون بكتبه فإله يرحمه ويرضى عنه.

وقال شيخ الإسلام: تصحيحه في «مختارته» خير من تصحيح «الحاكم» بلا ريب. مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة اهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: قوله: «رواه في المختارة».

الفاعل مؤلف المختارة: اسم للكتاب، أي الأحاديث المختارة.

والمؤلف هو عبد الغنى المقدسي<sup>(\*)</sup>، من الحنابلة، وما أقل الحديث في الحنابلة، يعنى

(١) فتح المجيد (١/٣٣٥). (٢) القول المفيد (١/٥٨١).

(\*) كذا قال ابن عثيمين أنه عبد الغنى، وما ذكره سليمان آل الشيخ قبله أنه محمد بن عبد الواحد، هو الصواب، كلاهما له تصانيف في الحديث، وهما أخوان فلعل هذا الذي دفع الشيخ ابن عثيمين بذكر عبد الغنى. والله أعلم.

المحدثين، وهذا من أغرب ما يكون، يعنى أصحاب الإمام أحمد أقل الناس تحديثاً بالنسبة للشافعية.

فالحنابلة غلب عليهم رحمهم الله الفقه مع الحديث؛ فصاروا محدثين وفقهاء، ولكنهم رحمهم الله بشر، فإذا أخذ من هذا العلم صار ذلك زحاماً للعلم الآخر، أما الأحناف؛ فإنهم أخذوا بالفقه، لكن قلَّت بضاعتهم فى الحديث، ولهذا يُسمون أصحاب الرأى (يعنى: العقل والقياس)؛ لقلّة الحديث عندهم، والشافعية أكثر الناس عناية بالحديث والتفسير، والمالكية كذلك، ثم الحنابلة وسط، وأقلّهم فى ذلك الأحناف مع أن لهم كتباً فى الحديث اهـ.

- وقال حامد بن محمد<sup>(١)</sup>: فبين على بن الحسين رضى الله عنه أن دعاه عند قبر النبى ﷺ نهى عنه، ولو نيته كانت صالحة حذراً من الغلو الذى أهلك من قبل. اهـ.

- وقال ابن باز<sup>(٢)</sup>: فيصلى على النبى ﷺ فى كل مكان فى البيت والسوق والطريق ولا يخصون السلام والصلاة عليه عند القبر ولهذا أنكر على بن الحسين على الرجل وبين له أن هذا ليس بمشروع وأنت تسلم عليه وتمضى لا تجلس عند القبر تدعو.

هذه سنة جاءت عن أهل البيت وكلهم بينوا أن إتخاذ القبر عيداً وسيلة إلى الشرك إذا لعكفوا عنده وصلوا عنده ودعوا عنده جرهم هذا إلى الشرك والغلو فحسم النبى المادة. ومن إتخاذ القبور مساجد والبناء عليهم وتخصيصها وفرشها يؤدى إلى إعتقاد العامة أنها معظمة وأنها تتفع وكل هذا قد وقع مع أن النبى ﷺ قد حمى جناب التوحيد وحذر من الشرك. اهـ.

- وقال عبد الله بن جابر الله<sup>(٣)</sup>:

● استفاد من هذا الباب مايلى :-

- ١ - النهى عن زيارة قبر النبى ﷺ على وجه مخصوص.
- ٢ - الحث على صلاة النافلة فى البيت.
- ٣ - أن صلاتنا وسلامنا على النبى ﷺ تبلغه وإن بعدنا عن قبره.
- ٤ - النهى عن قصد القبور لأجل الصلاة والدعاء عندها لأن ذلك من إتخاذها عيداً من وسائل الشرك.
- ٥ - أن قصد الرجل القبر لأجل السلام إذا لم يكن يريد المسجد من إتخاذها عيداً المنهى عنه.
- ٦ - أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلى منهى عنه لان ذلك من إتخاذها عيداً. اهـ.

(٢) التعليق المقيد (١٢٩).

(١) فتح الله الحميد المجيد (٣٠٠).

(٣) الجامع الفريد (٩١).

قوله: [إلا أحدثكم حديثاً].

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: (قال: أحدثكم) والرجل واحد؛ لأنَّ الظاهر أنه كان عند أصحابه يحدثهم، فجاء هذا الرجل إلى الفرجة.

و«ألا»: أداة عرض؛ أى: أعرض عليكم أن أحدثكم.

وفائدتها: تنبيه المخاطب إلى ما يريد أن يحدثه به.

قوله: «عن أبي عن جدى».

أبوه: الحسين، وجده: على بن أبى طالب.

قوله: [عن رسول الله ﷺ] قال ابن عثيمين: السند متصل، وفيه عنعنة لكنها لا تضر،

لأنها من غير مدلس، فتحمل على السماع. اهـ.

قوله: [لا تتخذوا قبرى عيداً].

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: يقال فيه كما فى الحديث السابق: أنه نهى أن يتخذ قبره عيداً

يُعتاد ويتكرر إليه؛ لأنه وسيلة إلى الشرك.

قوله: [ولا بيوتكم قبوراً].

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: سبق معناه.

قوله: [وصلوا على؛ فإن تسليمكم يبلغنى حيث كنتم].

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: اللفظ هكذا، وأشك فى صحته؛ لأنَّ قوله: «صلوا على»

يقتضى أن يُقال: فإن صلواتكم تبلغنى؛ إلا أن يُقال هذا من باب الطى والنشر.

والمعنى: صلوا على وسلموا؛ فإن تسليمكم وصلاتكم تبلغنى، وكأنه ذكر الفعلين

والعلتين، لكن حذف من الأولى ما دلَّت عليه الثانية، ومن الثانية ما دلَّت عليه الأولى.

وقوله: [وصلوا على].

قال ابن عثيمين: سبق معناها، والمراد: صلوا على فى أى مكان كنتم، ولا حاجة

إلى أن تأتوا إلى القبر وتسلموا على وتصلوا على عنده.

قوله: [يلغنى].

قال ابن عثيمين: تقدم كيف يبلغه ﷺ.



(١) القول المفيد (١/٥٧٩: ٥٨٠).

(٢ - ٤) القول المفيد (١/٥٧٩: ٥٨٠).

## فِيهِ مَسَائِلُ

الأولى: تَفْسِيرُ آيَةِ (بِرَاءَةٍ).

الثانية: إِبْعَادُهُ أُمَّتَهُ هَذَا الْحِمَى غَايَةَ الْبُعْدِ.

الثالثة: ذَكَرُ حَرْصِهِ عَلَيْنَا وَرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ.

الرابعة: نَهْيُهُ عَنِ زِيَارَةِ قَبْرِهِ عَلَى وَجْهِ مَخْصُوصٍ، مَعَ أَنَّ زِيَارَتَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ.

الخامسة: نَهْيُهُ عَنِ الْإِكْثَارِ مِنَ الزِّيَارَةِ.

فيه مسائل:

- الأولى: تفسير آية براءة: قال ابن عثيمين: وسبق ذلك في أول الباب.
- الثانية: إبعاده ﷺ أُمَّتَهُ عَنْ هَذَا الْحِمَى غَايَةَ الْبُعْدِ. تؤخذ من قوله: «لَاتَجْعَلُوا بِيُوتِكُمْ قُبُورًا، وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا».
- الثالثة: ذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته. وهذا مذكور في آية براءة.
- الرابعة: نهيه عن زيارة قبره على وجه مخصوص. تؤخذ من قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»؛ فقوله: «عيداً» هذا هو الوجه المخصوص.
- وزيارة قبر النبي ﷺ من أفضل الأعمال من جنسها؛ فزيارته فيها سلام عليه، وحقه ﷺ أعظم من غيره.
- وأما من حيث التذکر بالآخرة؛ فلا فرق بين قبره وقبر غيره.
- الخامسة: نهيه عن الإكثار من الزيارة. أى على غير وجه مخصوص والإفلال على وجه مخصوص تؤخذ من قوله: «لَاتَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا»، لكنه لا يلزم منه الإكثار، لأنه قد لا يأتي إلا بعد سنة، ويكون قد اتخذه عيداً؛ فإن فيه نوعاً من الإكثار.
- السادسة: حثه على النافلة في البيت.
- تؤخذ من قوله: «وَلَا تَجْعَلُوا بِيُوتِكُمْ قُبُورًا»، وسبق أن فيها معنيين: المعنى الأول: أن لا يقبر في البيت، وهذا ظاهر الجملة.
- والثاني: الذى هو من لازم المعنى أن لا تترك الصلاة فيها.
- السابعة: أنه متقرر عندهم أنه لا يُصلى في المقبرة.

السادسة: حُثُّهُ عَلَى النَّافِلَةِ فِي الْبَيْتِ.

السابعة: أَنَّهُ مُقَرَّرٌ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي فِي الْمَقْبَرَةِ.

الثامنة: تَعْلِيلُ ذَلِكَ بِأَنَّ صَلَاةَ الرَّجُلِ وَسَلَامَهُ عَلَيْهِ يَبْلُغُهُ وَإِنْ بَعْدَ، فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا يَتَوَهَّمُهُ مَنْ أَرَادَ الْقُرْبَ.

التاسعة: كَوْنُهُ ﷺ فِي الْبَرَزِخِ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

تؤخذ من قوله: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً»؛ لأنَّ المعنى: لا تجعلوها قبوراً، أى: لا تركوا الصلاة فيها على أحد الوجهين؛ فكأنَّه من المقرر عندهم أنَّ المقابر لا يُصَلَّى فيها. الثامنة: تعليل ذلك بأنَّ صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإنَّ بعد؛ فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب.

أى: كونه نهى ﷺ أن يجعل قبره عيداً، العلة في ذلك: أنَّ الصلاة تبلغه حيث كان الإنسان؛ فلا حاجة إلى أن يأتى إلى قبره، ولهذا نسلم ونصلى عليه في أى مكان؛ فيبلغه السلام والصلاة.

ولهذا قال على بن الحسين: «ما أنت ومن فى الأندلس إلا سواء».

● التاسعة: كونه ﷺ فى البرزخ تعرض أعمال أُمَّتِهِ فى الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

أى: فقط فكل من صلى عليه أو سلّم عرضت عليه صلاته وتسليمه، ويؤخذ من قوله: «فإنَّ تسلمكم يبلغنى حيث كنتم». اهـ.



## مَا جَاءَ أُنْ بَعْضَ هَذِهِ الْأُمَّةِ تَعْبُدُ الْأَوْثَانُ

● مناسبة الباب لما قبله:

قال الفقير: علاقة هذا الباب بالباب الذى قبله هو أنه لما بين فى الباب الذى قبله ما يدل على حرص المصطفى ﷺ وحمايته جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فقد يحتج ضال أو مبتدع أن هذه الأمور الشركية لن تقع أبداً فى هذه الأمة بعد كل هذا الجهد والبذل من الرسول ﷺ فجاء بباب «ما جاء أن بعض هذه الأمة تعبد الأوثان» ليصرح فيه ويؤكد أنه مع كل هذا الجهد لابد من وقوع بعض هذه الأمة فى الشرك. والله أعلم.

وأيضاً فهو للتفصيل بعد الإجمال فى جانب حمايته ﷺ جناب التوحيد كما تقدم.

أو لدفع الوهم بأن الخطاب فى الأبواب السابقة للصحابة فقط فجاء بهذا الباب ليدفعه ويبين أن الخطاب عام لجميع الأمة والله أعلم.

● مناسبة الباب للتوحيد:

قال الفقير: ومناسبة هذا الباب للتوحيد حيث دل على حرص المصطفى جناب التوحيد وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، ومن هذه الطرق إيهايم الشيطان لبعض هذه الأمة أنهم لم يقفوا فى عبادة الأوثان، حتى إذا وقعوا لم يتصور أن ما وقعوا فيه هو من جنس عبادة الأوثان لأنهم من ذلك، كما حصل لعباد القبور والله أعلم.

● ماذا أراد المصنف بهذا الباب:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: أراد المصنف بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون: أنه لا يقع فى هذه الأمة المحمدية وهم يقولون: لا إله إلا الله محمد رسول الله فيبين فى هذا الباب كلام الله وكلام رسوله ﷺ ما يدل على وقوع الشرك فى هذه الأمة، ورجوع كثير منها إلى عبادة الأوثان وإن كانت طائفة منها لا تزال على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى. اهـ. ولم يذكر صاحب فتح المجيد شيئاً فى ذلك.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٦٥-٢٦٦).

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي<sup>(١)</sup>: مقصود هذه الترجمة الحذر من الشرك والخوف منه، وأنه أمر واقع في هذه الأمة لا محالة، والرد على من زعم أن من قال: لا إله إلا الله وتسمى بالإسلام أنه يبقى على إسلامه ولو فعل ما ينافيه من الاستغاثة بأهل القبور ودعائهم، وسمى ذلك توسلاً لا عبادة فإن هذا باطل.

فإن الوثن اسم جامع لكل ما عبد من دون الله لا فرق بين الأشجار والأحجار والأبنية، ولا بين الأنبياء والصالحين والطالحين في هذا الموضع وهو العبادة فإنها حق الله وحده، فمن دعا غير الله أو عبده فقد اتخذه وثناً وخرج بذلك عن الدين، ولم ينفعه انتسابه إلى الإسلام، فكم انتسب إلى الإسلام من مشرك وملحد وكافر ومنافق، والعبرة بروح الدين وحقيقته لا بمجرد الأسماء والألفاظ التي لا حقيقة لها. اهـ.

وينحو أول هذا الكلام ذكر صاحب الجامع الفريد<sup>(٢)</sup>.

قال ابن باز<sup>(٣)</sup>: أي باب ما جاء من أحاديث وآيات تدل على ذلك وأنها غير معصومة من<sup>(\*)</sup> الوقوع في الشرك وكما دخل الناس في دين الله أفواجاً صاروا يخرجون منه وقد وقع في عهد الصديق من الردة ما وقع.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: سبب مجيء المؤلف بهذا الباب لدحض حجة من يقول: إن الشرك لا يمكن أن يقع في هذه الأمة، وأنكروا أن تكون عبادة القبور والأولياء من الشرك، لأن هذه الأمة معصومة منه، لقوله ﷺ «إن الشيطان أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم»<sup>(٥)</sup>. اهـ.

والجواب عن هذا: سبق الكلام عنه على المسألة الثامنة عشرة من مسائل باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما.

ويرد أيضاً على المفرطين من هذه الأمة الذين وقعوا في بدعة الإرجاء ورجوا المغفرة وهم يصرون على الشرك وما يؤول إليه.

### ● شرح الترجمة:

قوله: «أن بعض هذه الأمة»:

(١) القول للسديد (٧١، ٧٢، ٧٣).

(٢) الجامع الفريد ٩٣.

(٣) التعليق المفيد ١٣١.

(٤) القول المفيد ١/ ٥٨٥.

(٥) [صحيح] أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٩/ ١٧١/ ٦٥).

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ  
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ (١).

قال ابن عثيمين (٢): أى لا كلها، لأن فى هذه الأمة طائفة لا تزال مع الحق إلى قيام الساعة، لكنه سيأتى فى آخر الزمان ريح تقبض روح كل مسلم، فلا يبقى إلا شرار الناس كما تقدم .

قوله : (تعبد)

قال ابن عثيمين :

بفتح التاء، وفى بعض النسخ: «يعبد» بفتح الياء المثناة من تحت .

فعلى قراءة : «يعبد» لا إشكال فيها، لأن «بعض» مذكر .

وعلى قراءة «تعبد» فإنه داخل فى قول ابن مالك:

وربما أكسب ثان أولاً      تأنيثاً إن كان لحذف مؤهلاً

ومثلوا لذلك بقوله: قطعت بعض أصابعه، فالتأنيث هنا من أجل أصابعه لا من

أجل بعض فإذا صحت النسخة «تعبد» فهذا التأنيث اكتسبه المضاف من المضاف إليه .

قوله: «الأوثان»

جمع وثن، وهو كل ما عبد من دون الله .

قلت : وهو نفس تعريف الطاغوت كما تقدم فى أول الكتاب أو كما تقدم من كلام

ناصر السعدى: اسم جامع لكل ما عبد من دون الله .



قال المصنّف: وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾ الآية .

مناسبة الآية للباب والتوحيد

قال ابن باز (٣): فهم أوتوا نصيباً أى حظاً من الكتاب لكن لم يعملوا به بل خالفوه

وآمنوا بالجبت والطاغوت وقالوا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً فإذا كان هذا قد وقع

من اليهود فسيقع من هذه الأمة لحديث «لتبعن سنن من كان قبلكم»، فدل على أن هذا

سيكون فى أمة محمد ﷺ من يكفر ويقول إن الكفرة أهدى من اتبع النبي ﷺ وهو

وقع قديماً ويقع الآن ممن يفضلون اليهود والنصارى على هذه الأمة . اهـ .

(٢) القول المفيد / ١ / ٥٨٥ .

(١) النساء: ٥١ .

(٣) التعليق المفيد / ١٣١ .



وقد عبر ابن عثيمين<sup>(١)</sup> عما تقدم بأسلوبه فقال: وجه المناسبة فى الآية للباب لا يتبين إلا بالحديث وهو: «لتركن سنن من كان قبلكم»<sup>(٢)</sup> فإذا كان الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت وأن من هذه الأمة من يركب سنن من كان قبله يلزم من هذا أن فى هذه الأمة من يؤمن بالجبت والطاغوت، فتكون الآية مطابقة للترجمة تماماً. اهـ.

قال عبد الله بن جبار الله<sup>(٣)</sup>: أنه إذا كان فى أهل الكتاب من يؤمن بالجبت والطاغوت فالرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفعل مثل ذلك. اهـ.

قال القرعاوى<sup>(٤)</sup>: دلت الآية على وجود الشرك فى أهل الكتاب وقد ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب ومن ذلك الشرك. اهـ.

#### ● سبب نزول الآية:

قال ابن الجوزى<sup>(٥)</sup>: فى سبب نزولها أربعة أقوال:

أحدها: أن جماعة من اليهود قدموا على قريش، فسألوهم: أديننا خير، أم دين محمد؟ فقال اليهود: بل دينكم، فنزلت هذه الآية<sup>(٦)</sup>، هذا قول ابن عباس.

والثانى: أن كعب بن الأشرف، وحى بن أخطب، قدما مكة، فقالت لهما قريش: أنحن خير، أم محمد؟ فقالا: أنتم، فنزلت هذه الآية<sup>(٧)</sup>، هذا قول عكرمة فى رواية، وقال قتادة: فنزلت فى كعب، وحى، ورجلين آخرين من بنى النضير قالوا لقريش: أنتم أهدى من محمد<sup>(٨)</sup>.

والثالث: أن كعب بن الأشرف وهو الذى قال لكفار قريش: أنتم أهدى من محمد، فنزلت هذه الآية، وهذا قول مجاهد، والسدى، وعكرمة فى رواية.

(١) القول المفيد ١/٥٨٨.

(٢) سيأتى تخريجه.

(٣) الجامع الفريد ٩٤.

(٤) الجديد ١/٢٠٨.

(٥) زاد المسير ٢/٦٤-٦٥.

(٦) ذكره السيوطى فى «الدر» (٢/٣٠٦) ونسبه لأحمد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن ابن عباس

بنحوه

وانظر «فتح القدير» (٣٤٩٥) و«فتح المجيد» (٤٢٧) بتخريجنا.

(٧) ذكره السيوطى فى الموضوع السابق ونسبه لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن أبى حاتم عن

عكرمة به.

وانظر «فتح القدير» (٣٤٩٩) بتخريجنا.

(٨) ذكره السيوطى فى «الدر» فى الموضوع السابق ونسبه لعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن

أبى حاتم.

والرابع: أن حبي بن أخطب قال للمشركين: نحن وإياكم خيرٌ من محمد، فنزلت هذه الآية، هذا قول ابن زيد، والمراد بالمذكورين في هذه الآية اليهود. اهـ.

قلت: وهذا بهتان عظيم فياليتهم قالوا أنتم مثل محمد فُتقبل ولو من بعيد، إنما قالوا: ﴿أَهْدَى﴾ فهذه بجاحة وسماجة كالذين قالوا ﴿إِنَّمَا بُيِّعَ مِثْلُ الرَّبِّ﴾ وهم كانوا أحسن حالاً عندما قالوها من هؤلاء وإن كانوا هنا جعلوا الربا هو الأصل وجعلوا البيع هو الفرع. وهذه مكابرة ومغالطة أيضاً. وإنما الأولى أن يقولوا إنما الربا مثل البيع لأن البيع حله هو الأصل والربا هو الفرع فإذا أردت أن تقيس فقس الفرع على الأصل فاجعل البيع هو الأصل واجعل الربا فرع. وهذه تشبه إلى حد ما ما قيل في الآية المذكورة ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾ والله أعلم.

#### ● أقوال المفسرين:

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ﴾.

قال الطبري<sup>(١)</sup>: يعني بذلك جل ثناؤه ألم تر بقلبك يا محمد إلى الذين أعطوا حظاً من كتاب الله فعلموه. اهـ.

وخالفه ابن عثيمين في قوله: [ألم تر بقلبك]. وسيأتي.

قال الرازي<sup>(٢)</sup>: أعلم أنه تعالى حكى عن اليهود نوعاً آخر من المكر، وهو أنهم كانوا يفضلون عبدة الأصنام على المؤمنين، ولا شك أنهم كانوا عالمين بأن ذلك باطل، فكان إقدامهم على هذا القول لمحض العناد والتعصب. اهـ.

قلت: كما يفضلون الآن عبدة الشيطان على عبدة الرحمن. ونحن نعلم بأن عبدة الشيطان ينولها المؤسسات اليهودية وهم يقولون بأنهم أهدى من الذين هم على الحق سبيلاً وأيضاً يقفون بجوار الملاحدة ضد الإسلام والمسلمين وهم مع هذا الإلحاد ليرفعوه ضد الإسلام والمسلمين.

قال الشوكاني<sup>(٣)</sup>: قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ﴾ هذا تعجب من حالهم بعد التعجب الأول...

قلت: ونحن نستفيد من هذه الآية أن الحسد من طباع اليهود وأن من يحسد يحمله الحسد على عدم الإنصاف والعدل مع الآخرين فهذا ركب مراكب اليهود - نسأل الله العفو

(٢) التفسير الكبير ٥ / ١٣٣

(١) تفسير الطبري ٤ / ٥ / ٨٣.

(٣) فتح القدير ١ / ٥٦٧.

والعافية - فهذا من قبائح اليهود وحسدكم للمؤمنين والنبى وإن أخلاقهم الرذيلة وطبائعهم الخبيثة حملتهم على ترك الإيمان بالله ورسوله والتعوض عنه بالإيمان بالجبت والطاغوت وهو الإيمان بكل عبادة لغير الله أو حكم لغير شرع الله. فدخل فى ذلك السحر والكهانة وعبادة غير الله وطاعة الشيطان كل هذا من الجبت والطاغوت كما سيأتى مفصلاً من كلام ابن الجوزي.

### ● التفسير بكلام شراح كتاب التوحيد

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قلت: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الاستفهام هنا للتقرير والتعجيب، والرؤية بصرية - بخلاف ما قاله الطبرى أن الرؤية قلبية - بدليل أنها عُدَّتْ بِإِلَى، وإذا عُدَّتْ بِإِلَى صارت بمعنى النظر.

والخطاب إمَّا للنبي ﷺ، أو لكل من يصحَّ توجيه الخطاب إليه، أى: ألم تر أيها المُخاطَب؟

قوله: ﴿إِلَى الَّذِينَ أوتُوا﴾.

أى: أعطوا، ولم يعطوا كل الكتاب، لأنَّهم حرموا بسبب معصيتهم، فليس عندهم العلم الكامل بما فى الكتاب.

قوله: ﴿نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ﴾ المنزَّل.

والمراد بالكتاب: التوراة والإنجيل.

وقد ذكروا لذلك مثلاً، وهو كعب بن الأشرف حين جاء إلى مكة، فاجتمع إليه المشركون، وقالوا: ما تقول فى هذا الرجل (أى: النبى ﷺ) الذى سفَّه أعلامنا ورأى أنَّه خير منَّا؟ فقال لهم: أنتم خير من محمد، ولهذا جاء فى آخر الآية: ﴿نَصِيحاً مِنَ الْكِتَابِ﴾ اهـ وتقدم هذا فى سبب النزول من كلام ابن الجوزي.

قوله [يؤمنون بالجبت والطاغوت]:

### ● أقوال المفسرين:

قال الطبرى<sup>(٢)</sup>: يعنى يصدقون بالجبت والطاغوت ويكفرون بالله ويعلمون أن الإيمان بهما كفر والتصديق بهما شرك، ثم اختلف أهل التأويل فى معنى الجبت والطاغوت.

ثم ذكر الطبرى هذه الأقوال:

(٢) تفسير الطبرى (٤/٥/٨٣-٨٤).

(١) القول المنيد ١/٥٨٦ و٥٨٧.

الأول: الجيت والطاغوت صنمان . قاله عكرمة<sup>(١)</sup>.

الثاني: الجيت الأصنام، والطاغوت: تراجمة الأصنام، فأسند عن ابن عباس قال :  
الجيت الأصنام والطاغوت الذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها بالكذب ليضلوا  
الناس<sup>(٢)</sup>.

قلت: واليهود ملوك السحر في العالم إلى الآن هم والنصارى وهم ملوك وأئمة في  
عبادة الصور والأصنام كما في حديث عائشة في الباب الذي قبله الذي ترويه أم سلمة  
وأم حبيبة رضى الله عنها حينما ذهبا للحبشة فوجدا كنيسة الخ<sup>(٣)</sup>. فهو يؤمنون بالجيت  
والسحر وهم الذين زوروا على سليمان عليه السلام هذا التزوير وقالوا أنه كان يسير  
مملكته بالسحر قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ  
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِ هَارُوتَ  
وَمَارُوتَ﴾ أمرهم الذين وضعوا كتب السحر كما قيل في التفسير تحت عرش سليمان  
وأخرجوها لما مات فقالوا إن سليمان كان يسير ملكه بالسحر.

وكذلك تبعمهم اليهود في تعليم وتعلم ونصرة السحر والإيمان به كما هم أيضا أئمة  
في عبادة الأوثان والصور كما سبق فتأمل.

### ثم ذكر الطبرى:

الثالث: الجيت الكاهن، والطاغوت رجل من اليهود يدعى كعب بن الأشرف وكان  
سيد اليهود.

الرابع: الجيت السحر، والطاغوت الشيطان، قاله عمر بن الخطاب<sup>(٤)</sup>، ومجاهد<sup>(٥)</sup>،  
والشعبي<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير في الموضع السابق وذكره السيوطى فى «الدر» (٣٠٧/٢) ونسبه لعبد الرزاق.  
وانظر الاتقان للسيوطى بتخريجنا.

(٢) أخرجه ابن جرير فى الموضع السابق وذكره السيوطى فى الموضع السابق ونسبه لابن أبى حاتم.  
فانظره بتخريجنا.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن جرير فى الموضع السابق وذكر السيوطى فى «الدر» (٣٠٧/٢) وزاد نسبه للفريابى،  
وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، ورسته فى الإيمان.

وانظر «فتح القدير» «فتح المجيد» (٤٢٨) بتخريجنا.

(٥) أخرجه ابن جرير فى الموضع السابق ونسبه السيوطى فى «الدر» لعبد بن حميد. وانظر «فتح

المجيد» (٤٣١) بتخريجنا.

(٦) أخرجه ابن جرير فى الموضع السابق.

الخامس: الجبت السحر، والطاغوت شيطان في صورة إنسان يتحاكمون إليه، وهو صاحب أمرهم، قاله مجاهد<sup>(١)</sup>.

السادس: الجبت الساحر، والطاغوت الشيطان، قاله زيد بن أسلم<sup>(٢)</sup>.

السابع: الجبت الساحر، والطاغوت الكاهن، قال سعيد بن جبير الجبت: الساحر بلسان الحبشة، والطاغوت الكاهن<sup>(٣)</sup>، وكذا قال رفيع وأبو العالية<sup>(٤)</sup>.

الثامن: الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن، قاله قتادة<sup>(٥)</sup> والسدي<sup>(٦)</sup>.

التاسع: الجبت الكاهن، والطاغوت الشيطان، قاله سعيد بن جبير<sup>(٧)</sup>.

العاشر: الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر. قاله محمد بن جحادة<sup>(٨)</sup>.

الحادي عشر: الجبت حسي بن أخطب، والطاغوت كعب بن الأشرف. قاله ابن عباس<sup>(٩)</sup> والضحاك<sup>(١٠)</sup>.

الثاني عشر: الجبت كعب بن الأشرف، والطاغوت الشيطان كان في صورة إنسان قاله مجاهد<sup>(١١)</sup>.

ثم قال ابن جرير بعد عرض هذه الأقوال:

(١) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق بإسناد ضعيف وذكره السيوطي في «الدر» (٣٠٨/٢) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

فانظره بتخريجه.

(٢) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق.

(٣) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق «وانظر الاتقان» بتخريجنا.

(٤) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق.

(٥) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق وذكره السيوطي في «الدر» (٣٠٨/٢) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

(٦) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق.

(٧) المصدر السابق.

(٨) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق.

(٩) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق وذكره السيوطي في «الدر» (٣٠٧/٢) وزاد نسبه لابن أبي حاتم.

فانظره بتخريجنا. و«فتح المجيد» (٤٣٩) بتخريجنا.

(١٠) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق.

(١١) أخرجه ابن جرير في الموضوع السابق وتقدم.

والصواب: من القول في تأويل ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أن يقال: يصدّقون بمعبودين من دون الله يدعونهما من دون الله، ويتخذونهما إلهين، وذلك أن الجبّ والطاغوت: اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله، أو طاعة، أو خضوع له كائناً ما كان ذلك المعظم من حجر، أو إنسان، أو شيطان... اهـ.

وذكر ابن أبي حاتم<sup>(١)</sup> ستة وجوه لتفسير كلمة «الجبّ» وسبعة وجوه «للتاغوت»، فذكرها بنحو الأقوال المتقدمة للطبري، إلا أنه أضاف إليها قولين آخرين وهما: -

الثالث عشر: الجبّ: الشرك. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>.

الرابع عشر: الطاغوت: ما يعبدون من دون الله. قاله ابن وهب عن مالك<sup>(٣)</sup>.

وذكر البغوي<sup>(٤)</sup> هذه الوجوه، وزاد:

الخامس عشر: الجبّ: الأوثان، والطاغوت: شياطين الأوثان.

السادس عشر: الجبّ والطاغوت: هما كل معبود يعبد من دون الله. قاله أبو عبيدة.

وهذه الوجوه الستة عشر المتقدمة رتبها ابن الجوزي «في تفسيره» على النحو التالي:

في «الجبّ» سبعة أقوال: [قلت]: بل عشرة أقوال<sup>(٥)</sup>.

قال: (أحدها): أنه السّحر، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهد، والشعبي.

(والثاني): الأصنام، رواه عطية، عن ابن عباس. وقال عكرمة: الجبّ، صنم.

(والثالث): حبي بن أخطب، رواه ابن أبي طلحة، عن ابن عباس، وبه قال

الضحّاك، والفراء.

(والرابع): كعب بن الأشرف رواه الضحاك، عن ابن عباس، وليث عن مجاهد.

وقال الرازي<sup>(٦)</sup> في سبب تسمية كعب وحبي بن أخطب بهذا: وكانت اليهود

يرجعون إليهما. فسميا بهذين الاسمين لسعيهما في إغواء الناس. ثم قال ابن الجوزي:

(والخامس): الكاهن: روى عن ابن عباس، وبه قال ابن سيرين، ومكحول.

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩٧٦/٣). فانظره بتخریجنا .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في المصدر السابق فانظره بتخریجنا .

(٣) المصدر السابق .

(٤) معالم التنزيل (٨٨/٢).

(٥) وسبق تخریج بعضها .

(٦) التفسير الكبير (٦٦، ٦٥/٢).

(والسادس) الشيطان، قاله سعيد بن جبير فى رواية، وقتادة، والسدى.

(والسابع): الساحر، قاله أبو العالفة، وابن زفء. وروى أبو بشر، عن سعفء بن جبفر، قال: الجبء: الساحرُ بلسان الحبشة. اهـ.

[قلت: وهناك ثلاثة أقوال أخرى لم يذكرها وهى (الشرك - الأوثان - كل معبود من دون الله) وفى المراد (بالطاغوت) ها هنا ستة أقوال:  
[قلت: بل هى تسعة].

قال: (أحدها): الشيطان، قاله عمر بن الخطاب، ومجاهء فى رواية، والشعبى، وابن زفء.

(والثانى): أنه اسم للذفن يكونون بفن فءى الأصنام فعبرون عنها لفضلوا الناس.  
رواه العوفى، عن ابن عباس.

(والثالث) كعب بن الأشرف، رواه ابن أبى طلحة، عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والقراء.

(والرابع) الكاهن، وبه قال سعفء بن جبفر، وأبو العالفة، وقتادة، والسدى.

(والخامس): أنه الصنم، قاله عكرمة. وقال: الجبء، والطاغوت صنمان.

(والسادس): الساحر، روى عن ابن عباس، وابن سفرن، ومكحول.

فهذه الأقوال تءل على أنهما اسمان لمسمفن. وقال اللغوفون منهم ابن قففة، والزجاج: كل معبود من دون الله، من حجر، أو صورة، أو شيطان، فهو جبء وطاغوت. اهـ.

[قلت] وهناك ثلاثة أقول أخرى (شيطان فى صورة إنسان فءحاكمون فله - ما فعبءون من دون الله - شفافن الأوثان) وإن كان منهم قولان فشابها مع مطلق الشيطان إلا أن ففهما فزافء تفصفل. والله أعلم.

وذكر الرازى بعض هذه الوجوه ثم قال<sup>(١)</sup>: وبالجملء فالأقاوفل كفىرة، وهما كلمتان وضعتا علمفن على من كان غاية فى الشر والفساء.

وزاء القرطبى<sup>(٢)</sup>: ففر ما فءءم فقال:

(١) الرازى ١٥/٥/١٣٣/١٣٤.

(٢) القرطبى ٣/١٨١٨ - ١٨١٩.

وقيل: هما كل معبود من دون الله، أو مطاع في معصية الله - وهذا حسن، وأصل الجبت الجبس وهو الذى لاخير فيه، فأبدلت التاء من السين، قاله قَطْرُب، وقيل: الجبت إبليس والطاغوت اولياءه وقول مالك فى هذا الباب حسن - تقدم - يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾. وروى قطن بن المخارق عن أبيه قال: قال رسول الله - ﷺ -: «الطَّرُق والطيرة والعيافة من الجبت» والطرق الزجر، والعيافة الخط. خرجه أبو داود فى سنته (١) وقيل: الجبت كل ما حرم الله، والطاغوت كل ما يطغى الانسان. والله أعلم. اهـ.

وينحو من هذا قال ابن كثير (٢)، ونقل عن الجوهرى فى «الصحاح» أن الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك.

#### ● أقوال شراح كتاب التوحيد:

قال سليمان آل الشيخ (٣): الظاهر أنه يعمم ذلك كله - يعنى من الوجه المتقدمة - كما قال الجوهرى. وأما الطاغوت فتقدم الكلام عليه. اهـ يعنى فى الباب الأول.

وتابعه على ذلك عبد الرحمن آل الشيخ (٤).

قال ابن عثيمين (٥): قوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ أى يصدّقون بهما، ويقرونها ولا ينكرونها، فإذا أقر الإنسان هذه الأوثان؛ فقد آمن بها. والجبت: قيل: السحر، وقيل: هو الصنم، والأصح: أنه عام لكل صنم أو سحر أو كهانة أو ما أشبه ذلك.

والطاغوت: ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فالمعبود كالأصنام، والمتبوع كعلماء الضلال، والمطاع كالأمراء؛ فطاعتهم فى تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله تعد من عبادتهم.

والمراد من كان راضياً بعبادتهم إياه، أو يُقال: هو طاغوت باعتبار عابديه؛ لأنهم

(١) وسيأتى تخريجه وشرحه فى موضعه إن شاء الله.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٨٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٦٧).

(٤) فتح المجيد (١/٣٣٨).

(٥) القول المفيد ١/٥٨٧ و ٥٨٨.



تجاوزوا به حده، حيث نزلوه فوق منزلته التي جعلها الله له، فتكون عبادتهم لهذا المعبود طغياناً؛ لمجاوزتهم الحدّ بذلك.

قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

قلت: رأيت المفسرين أجمعوا على أن المقصود بهم مشركوا مكة.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: أبو سفيان وأصحابه اهـ. وهما بمعنى واحد.

قوله: ﴿هُؤُلَاءِ﴾.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يعني بذلك هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر. اهـ.

وهم كفار مكة. وكذا لباقي المفسرين.

قوله: ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.

ما جاء فيها من المأثور

عن مجاهد في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هُؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾

قال: اليهود تقول ذلك، ويقولون: قريش أهدى من محمد وأصحابه وتقدم كلام ابن الجوزي في سبب نزول هذه الآية.

#### ● من أقوال المفسرين

- قال الطبري<sup>(٣)</sup>. يعني بذلك جل ثناؤه ويقولون للذين جحدوا وحدانية الله

ورسالة رسوله محمد ﷺ هؤلاء يعني بذلك هؤلاء الذين وصفهم الله بالكفر أهدى يعني أقوم وأعدل من الذين آمنوا يعني من الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم محمد ﷺ سبيلاً يعني طريقاً وإنما ذلك مثل ومعنى الكلام أن الله وصف الذين أوتوا نصيباً من الكتاب من اليهود بتعظيمهم غير الله بالعبادة والإذعان له بالطاعة في الكفر بالله ورسوله ومعصيتهما وأنهم قالوا إن أهل الكفر بالله أولى بالحق من أهل الإيمان به وأن دين أهل التكذيب لله ولرسوله أعدل وأصوب من دين أهل التصديق لله ولرسوله.

- قال ابن الجوزي<sup>(٤)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني لشركي

قريش: أتمم ﴿أَهْدَى﴾ من الذين آمنوا، يعنون النبي وأصحابه «طريقاً» في الديانة والاعتقاد.

(٢) تفسير الطبري (٤/٥/٨٤).

(١) معالم التنزيل (٢/٨٩).

(٤) زاد المسير ٢/٦٦.

(٣) تفسير الطبري (٤/٥/٨٤)، ٨٥.

- قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أى يفضلون الكفار على المسلمين بجهلهم وقلة دينهم وكفرهم بكتاب الله الذى بأيديهم وهذا لعن لهم وإخبار بأنهم لا ناصر لهم فى الدنيا ولا فى الآخرة لأنهم إنما ذهبوا يستنصرون بالمشركين وإنما قالوا لهم ذلك ليستميلوهم إلى نصرتهم وقد أجابوهم وجاؤا معهم يوم الأحزاب حتى حفر النبي ﷺ وأصحابه حول المدينة الخندق فكفى الله شرهم: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا﴾.

قال ناصر السعدى: فى «القول السديد» أن الذى حملهم على ذلك التفضيل هو الكفر والحسد.

وقال فى تفسيره<sup>(٢)</sup>: ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أى: لأجلهم، تملقاً لهم ومداهنة، وبغضاً للإيمان: ﴿هُؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ أى: طريقاً.

فما أسمعهم، وأشد عنادهم، وأقل عقولهم!!

وكيف سلكوا هذا المسلك الوخيم، والوادى الذميم!!

هل ظنوا أن هذا، يروج على أحد من العقلاء، أو يدخل عقل أحد من الجهلاء؟

فهل يفضل دين، قام على عبادة الأصنام والأوثان، واستقام على تحريم الطيبات، وإباحة الخبائث، وإحلال كثير من المحرمات، وإقامة الظلم بين الخلق، وتسوية الخالق بالمخلوقين، والكفر بالله، ورسله، وكتبه، على دين قام على عبادة الرحمن، والإخلاص لله، فى السر والإعلان والكفر بما يعبد من دونه، من الأوثان، والأنداد، والكاذبين، وعلى صلة الأرحام، والإحسان، إلى جميع الخلق، حتى البهائم، وإقامة العدل والقسط بين الناس، وتحريم كل خبيث وظلم، ومصداق فى جميع الأقوال والأعمال، فهل هذا إلا من الهديان؟

وصاحب هذا القول، إما من أجهل الناس، وأضعفهم عقلاً، وإما من أعظمهم عناداً وتمرداً، ومراغمة للحق. اهـ.

#### ● فوائد الآية:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: وفيه معرفة الإيمان بالجبت والطاغوت فى الموضع، هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها اهـ.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١/٣٤٤.

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٨٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٦٧).

وكذا تابعه عبد الرحمن آل الشيخ (١).

قال القرعاوى (٢):

١ - إثبات إنحراف أهل الكتاب .

٢ - أن المداهنة في الدين، وكتمان الحق من صفات اليهود.

[قلت] وقد عرف العلماء المداهنة فقالوا: هي معايشة الفاسق مع إظهار الرضا عنه من غير إنكار عليه مع القدرة (٣).

٣ - وجود الشرك في أهل الكتاب . اهـ .

[قلت]: ٤ - أن المعاصي والمداهنة والحب لأهل الشرك والمعاصي سبب من أسباب

حرمان العلم .

٥ - أن تزين الباطل، وتسويته بالحق أحياناً، وتفضيله عليه أحياناً، من صفات اليهود . وفيهم قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ﴾ .

٦ - التشنيع على المؤمنين والتقيص من قدرهم، من صفات اليهود القديمة .

قلت: أى هي ليست حديثة فالتشهير بالمؤمنين في كل دول أوروبا وأمريكا وغيرها ظاهر فهذا الملتهجى أو العربى الذى يلبس العقال هذا موسوم بأخس وأحط السمات وللأسف يوجد من العرب ولا أقول المسلمين من يساعد على هذا بمسلكه المشين فى هذه الدول فهم يتعمدوا ذلك .

وحدثنى بعض من أتق به ممن سافر إلى هذه الدول فقال: أنه يوجد كاميرات تصويرية فى حُجر يدخلها الرجل ويظن أنها مغلقة ولكن هى مفتوحة من خلال الشاشات المتصلة بهذه الكاميرات وهو ظاهر على الشاشة التليفزيونية . وما يحدث منه أيضاً فى الخارج للناس ويجعلون الناس ينظرون إلى العربى فيأتوا بأمرأة جميلة جداً فتستدرج أحد العرب وتأتى به إلى ذلك المكان لكى يظهر على ملاً وهى تقص ويخس من كرامته وكرامة الزى العربى الإسلامى وتخسف به الأرض، وتجعله هذه العاهرة يفعل حركات بها ذل حتى تمكنه من نفسها إن مكتته . فهذا الكلام أصلاً وراءه يهود، فمثلاً يأتون بالمشايخ والمنقبات والقساوسة فى الأفلام الجنسية والقصد منها أن تسقط هبة هؤلاء فتأمل ذلك . فسأل الله ينصر الإسلام ويعز المسلمين . آمين .

(٢) «الجديد» (٢٠٨) .

(١) فتح المجيد (١/٣٣٨) .

(٣) انظر رسالتى المداهنة والمدارة يسر الله طبعها . .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَن لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَظِبَ عَلَيْهِ  
وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ  
السَّبِيلِ﴾ (١).

٧ - لعن اليهود ومن شايعهم وشابهم بسبب تخلفهم بهذه الأخلاق الخبيثة .  
٨ - قد يكون الإنسان على قدر من العلم الشرعى مع نسبته إلى شرع ودين، ولا يمنع ذلك من وقوعه فى الشرك . والله المستعان .



قوله: [وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً﴾ الآية]

● مناسبة الآية للباب:-

قال عبد الله بن جابر (٢): ومناسبة الآية للباب: أنه إذا كان فى أهل الكتاب من يؤمن بالجنت والطاغوت فالرسول ﷺ قد أخبر أن أمته ستفعل مثل ذلك اهـ .

قال ابن باز (٣): فإذا كان من قبلنا عبد الطاغوت: وهو الشيطان وكل ما يهيد من دون الله فهكذا يوجد فى هذه الأمة من يعبد الطاغوت والأوثان لحديث «لتبعن سنن من كان قبلكم» (٤).

[قلت]: وتظهر مناسبة الآية للباب بما أخرج به ابن أبى الدنيا فى «دم الملاحى» عن عثمان بن عطاء عن أبىه أن النبى ﷺ قال: «سيكون فى أمتى خسف ومسح ورجف وقردة وخنازير» وسيأتى .

● مناسبة الآية للتوحيد:

قال القرعاوى (٥): دلت الآية على وجود الشرك فى أهل الكتاب بعبادتهم للطاغوت وقد ثبت أن هذه الأمة ستعمل ما عمله أهل الكتاب ومن ذلك الشرك .

● سبب نزول الآية:

قال ابن الجوزى (٦): سبب نزولها قول اليهود للمؤمنين: والله ما علمنا أهل دين أفلّ حظاً منكم فى الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم . اهـ .

● ما جاء فى تفسير الآية من كلام المفسرين :

قوله: [قل].

(١) المائدة: ٦٠ .

(٢) الجامع الفريد ٩٤ .

(٣) التعليق المفيد ١٣٣ .

(٤) سيأتى تخريجه .

(٥) الجديد ٢١٠ .

(٦) «زاد المسير» .

قال الطبري<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره لنييه محمد - ﷺ - قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أتوا الكتاب من قبلكم والكفار... اهـ.

وتابعه البغوي<sup>(٢)</sup> فقال: (قل) يا محمد. اهـ.

● كلام شرح كتاب التوحيد:

وقال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: الخطاب للنبي ﷺ رداً على هؤلاء اليهود الذين اتخذوا دين الإسلام هزواً ولعباً. اهـ.

قوله: [هل أنبئكم]

● كلام المفسرين:

قال الطبري<sup>(٤)</sup>: (هل أنبئكم) يامعشر أهل الكتاب بشر من ثواب ما تنعمون منا من إيماننا بالله وما أنزل إلينا من كتاب الله وما أنزل من قبلنا من كتبه. اهـ.

قال البغوي<sup>(٥)</sup>: (هل أنبئكم) أخبركم. اهـ.

● كلام شرح كتاب التوحيد:

قال ابن عثيمين<sup>(٦)</sup>: وقوله: «أنبئكم» أي أخبركم، والاستفهام هنا للتقرير والتشويق أي: سأقرر لكم اهـ.

قوله: [بشر من ذلك].

● كلام المفسرين:

قال البغوي<sup>(٧)</sup>: «بشر من ذلك» الذي ذكرتم، يعنى قولهم، لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة، ولا ديناً شراً من دينكم.

فذكر ذلك الجواب بلفظ الابتداء، وإن لم يكن الابتداء شراً، لقوله تعالى ﴿أَفَأَنْبئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَمُ النَّارِ﴾. اهـ.

قال ابن الجوزي<sup>(٨)</sup>: وفي قوله: «بشر من ذلك» قولان:

أحدهما: بشر من المؤمنين، قاله بن عباس.

والثاني: بشر مما نقتم من إيماننا، قاله الزجاج.

ورجح الأول الرازي<sup>(٩)</sup> فقال: (من ذلك إشارة إلى المنقم، ولا بدمن حذف المضاف

(١) تفسير الطبري (٤/٦/١٨٩).

(٢) معالم التنزيل (٢/٢٧٤).

(٣) القول المفيد (١/٥٨٨).

(٤) تفسير الطبري (٤/٦/١٨٩).

(٥) معالم التنزيل (٢/٢٧٤).

(٦) القول المفيد (١/٥٨٨).

(٧) معالم التنزيل (٢/٢٧٥).

(٨) زاد المسير (٢/٢٢٩).

(٩) التفسير الكبير (٦/١٢/٣٩).

وتقديره: بشر من أهل ذلك، لأنه قال: من لعنه الله، ولا يقال الملعون شر من ذلك الدين بل يقال: إنه شر ممن له ذلك الدين.

فان قيل: فهذا يقتضى كون الموصوفين بذلك الدين محكوماً عليهم بالشر، ومعلوم أنه ليس كذلك.

قلنا: إنما خرج الكلام على حسب قولهم واعتقادهم، فإنهم حكموا بأن اعتقاد ذلك الدين شر، فقيل لهم: هب أن الامر كذلك ولكن لعنة الله وغضبه ومسوخ الصور شر من ذلك. اهـ.

ورجح الثانى القرطبى (١) فقال: - بشر ماتريدون لنا من المكروه، وهذا جواب قولهم: ما نعرف ديناً شر من دينكم.

### ● ما جاء فى الآية من كلام شراح كتاب التوحيد :

قال ابن عثيمين (٢): قوله «بشر من ذلك». شر: هنا أسم تفضيل وأصلها أشر لكن حذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الإستعمال، ومثلها كلمة غير مخففة من أخبر، والناس مخففة من الاناس وكذا كلمة الله مخففة من الإله وقوله: (ذلك) المشار اليه ما كان عليه الرسول - ﷺ - وأصحابه. فإن اليهود يزعمون أنهم هم الذين على الحق، وأنهم خير من الرسول - ﷺ - وأصحابه، وأن الرسول - ﷺ - وأصحابه ليسوا على الحق فقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ ﴾. اهـ.

قوله: «مثوبة».

### ● ما جاء فيها من الآثار:

عن ابن زيد قال: المثوبة. الثواب مثوبة الخير ومثوبة الشر، وقرئ ﴿بشراً﴾.

عن السدى (٣) فى قوله ﴿مُتُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: ثواباً عند الله (٤).

قال الرازى (٥): «مُتُوبَةٌ» نصب على التمييز - وهو ما رجحه بن عثيمين وسيأتى - ووزنها مفعلة كقولك: مقولة ومجوزة، وهو بمعنى المصدر، وقد جاءت مصادر على مفعول كالمعقول والميسور.

فإن قيل: المثوبة مختصة بالإحسان، فكيف جاءت فى الاساءة؟

قلنا: هذا على طريقة قوله: ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ وقول الشاعر:

(٢) القول المنيد ٥٨٩/١.

(١) تفسير القرطبى (٤/٢٢٣١).

(٣) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥٢٢/٢ ونسبه لابن جرير.

(٤) ذكره السيوطى فى «الموضع السابق» ونسبه لأبى الشيخ.

(٥) التفسير الكبير ٦/١٢/٣٨ و ٣٩.

## تحية بينهم ضرب وجيع اهـ

قال القرطبي<sup>(١)</sup>: «مثوبة»: نصب على البيان، وأصلها مفعولة فألقيت مركبة الواو على التاء فسكنت الواو وبعدها واو ساكنة فحذفت إحداهما لذلك، ومثله مقولة ومجوزة ومضوفة على معنى المصدر كما قال الشاعر:

وكنت إذا جرى دعا لمضوفة أشمر حتى ينصف الساق مثرى

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى هل أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا؟ وهم أنتم الذين هم متصفون بهذه الصفات المفسرة بقوله: ﴿ساليب القر﴾ أى أبعد من رحمته ﴿وغضب عليه﴾ أى غضباً لا يرضى بعده أبداً ﴿وجعل منهم القردة والخنازير﴾ اهـ.

ولاخلاف بين قول الرازى والقرطبي وهذا يتضح من كلام ابن عثيمين .

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: مثوبة: تمييز لشر، لأن شر اسم تفضيل، وما جاء بعد أفعل التفضيل مبيناً له يكون منصوباً على التمييز قال ابن مالك:

اسم بمعنى من مبين نكرة ينصب تمييزاً بما قد فسرة

إلى أن قال:

والفاعل المعنى انصبين بأفعلا مفصلاً كانت أعلى منزلا

والمثوبة: من ثاب بثوب إذا رجع، ويطلق على الجزاء، أى: بشر من ذلك جزاء عند الله .

[قلت]: وهنا التعريض يفيد التهكم، وأيضاً الآيات تصرح بهذا التهكم كأنه تنزلاً أو على فرض قولكم وتنزلاً على اعتقادكم الفاسد سنجيب بتهكم بهذا المعتقد الفاسد وبتعريض بمن تهكم بالمؤمنين وبالنبي ﷺ الأمين.

كما قال تعالى متهمكما ببعض الكافرين: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ فهل يوجد عزة أو كرم فى النار إنما هذا من باب التهكم. وأيضاً قوله: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فهل يوجد بشرى للكفار. فالله عزوجل قال: ﴿لَا بُشْرَى لَكُمْ﴾ وهذا نفى صريح. قوله: ﴿عند الله﴾.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: أى: فى علمه وجزاءه عقوبة أو ثواباً.

قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾.

(١) تفسير القرطبي ٤/٢٢٣١. (٢) تفسير ابن كثير (٢/٧١).

(٣) القول المفيد ١/٥٨٩.

## ● ما فى تفسير الآيه من كلام المفسرين :

قال الطبرى<sup>(١)</sup>: فإنه فى موضع خفض رداً على قوله: ﴿بِشْرٍ مِّنْ ذَلِكَ﴾ فكأن تأويل الكلام إذا كان ذلك كذلك قل هل أنبتكم بشر من ذلك مثوبة عند الله بمن لعنه الله. ولو قيل: هو فى موضع رفع. لكان صواباً على الاستئناف بمعنى ذلك من لعنه الله أو هر من لعنه الله.

ولو قيل: هو فى موضع نصب لم يكن فاسداً بمعنى: قل هل أنبتكم من لعنه الله فيجعل أنبتكم على ما فى من واقعاً عليه. اهـ.

قلت: ولعنة اليهود ثابتة فى الكتاب والسنة فى الكتاب الآيه التى هنا ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ...﴾ وقال أيضاً: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ وقال: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ وقال: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ وقال: ﴿قَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وبينت الآيات أسباب لعنهم حتى تتقى هذه الأسباب. فالله عزوجل لعنهم فى غير موضع من الكتاب.

والرسول ﷺ لعنهم كما ثبت اللعن فى الصحيحين «لعنة الله على اليهود»<sup>(٢)</sup>.

وأيضاً فى سورة الفاتحة ثبت فى المسند وغيره أن النبى ﷺ قال: لعدى بن حاتم الطائى حينما جاء يسلم فقال له: «يا عدى اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»<sup>(٣)</sup> أخرجه أبى حاتم وذكرناه فى تفسير سورة الفاتحة فى تعليقنا على تفسير ابن أبى حاتم وتحققنا له.

وأما معنى ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾: يعنى من أبعد الله، وأسحقه من رحمته، وغضب عليه.. غضباً منه عليهم وسخطاً فجعل لهم الخزى والنكال فى الدنيا... اهـ.

قال ابن الجوزى<sup>(٤)</sup> بنحو من الطبرى فقال:

قال الزجاج: وموضع «مَنْ» فى قوله: «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» إن شئت كان رفعاً، وإن شئت كان خفصاً، فمن خفض جعله بدلاً من «شر» فيكون المعنى: أنبتكم بمن لعنه الله؟ ومن رفع فبإضمار «هو» كأن قائلًا قال: مَنْ ذلك؟ فقيل: هو من لعنه الله. قال أبو صالح

(١) تفسير الطبرى (٤/٦/١٨٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (٤٠) فانظره بتخريجنا.

(٤) زاد المسير ٢/٢٣٠.



عن ابن عباس: من لعنه الله بالجزية، وغضب عليه بعبادة العجل، فهم شر مثوبة عند الله. اهـ.

وقال نحوه الرازى فى «التفسير الكبير»<sup>(١)</sup>.

● ما جاء فى الآية من كلام سراح كتاب التوحيد :

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: من: اسم موصول خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هو من لعنه الله؛ لأنَّ الاستفهام انتهى عند قوله: «مثوبة عند الله»، وجواب الاستفهام: «من لعنه الله».

ولعنه؛ أى: طرده وأبعده عن رحمته اهـ. كما تقدم.

فائدة<sup>(٣)</sup>: جواز لعن الكفار على سبيل العموم.

[قلت]: تقدم فى (باب: ما جاء فى الذبح لغير الله من الوعيد وأنه شرك) عند حديث على رضى الله عنه، ذكرنا هناك تفصيل ما جاء فى لعن العموم ولعن المعين فانظره تجد فوائد جملة إن شاء الله.

قوله: «وغضب عليه».

قال الرازى<sup>(٤)</sup>: اعلم أنه تعالى: ذكر من صفاتهم أنواعاً: أولها: أنه تعالى لعنهم، وثانيها: أنه غضب عليهم وثالثها: أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت. اهـ.

● كلام سراح كتاب التوحيد :

قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: قوله: «وغضب عليه» أى: أحلَّ عليه غضبه، والغضب: صفة من صفات الله الحقيقية تقتضى الانتقام من المغضوب عليه، ولا يصح تحريفه إلى معنى الانتقام، وقد سبق الكلام عليه - أى فى شرح حديث: اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد<sup>(٦)</sup>. والقاعدة العامة عند أهل السنة: أن آيات الصفات وأحاديثها تجرى على ظاهرها اللاتق بالله - عز وجل -؛ فلا تجعل من جنس صفات المخلوقين، ولا تحرف فتفى عن الله؛ فلا تغلو فى الإثبات ولا فى النفى. اهـ.

قال القرعاوى<sup>(٧)</sup>: ومن فوائد هذا الآية: إثبات صفة الغضب لله سبحانه على الوجه اللاتق به سبحانه.

قوله: «وجعل منهم القردة والخنازير».

(٣) الجديد ٢١٠.

(٢) القول المفيد ١ / ٩٠.

(١) ٣٩ / ١٢ / ٦.

(٦) سياتى تخريجه.

(٥) القول المفيد ١ / ٥٩٠.

(٤) التفسير الكبير ٣٩ / ١٢ / ٦.

(٧) الجديد ٢١٠.

## ● ما جاء في تفسير الآية من الأحاديث :

عن عثمان بن عطاء عن أبيه «أن النبي ﷺ قال: «سيكون في أمتي خسف، ورجف، وقردة، وخنازير»<sup>(١)</sup>.

عن ابن مسعود قال: «سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً أو يمسح قوماً فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة، وإن القردة والخنازير قبل ذلك»<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهذا لا يخالف الحديث الأول ويجمع بينهما بما جاء عن ابن مسعود قال: «سألنا رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي من نسل اليهود؟ فقال: لا، إن الله لم يلعن قوماً قط فمسحهم فكان لهم نسل، ولكن هذا خلق، فلما غضب الله على اليهود فمسحهم جعلهم مثلهم»<sup>(٣)</sup>.

قلت: وبهذا الأثر أيضاً نعلم أن من المسخ قطع النسل كما يحدث لبعض ممالك الكفر الآن كما تقدم.

وقال تعالى: ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ فهذا الأمر يفيد التكوين فالله عزوجل صرح بمسحهم قردة وخنازير في غير موضع من كتابه الكريم، وكذلك في السنة ثبتت عن نبينا ﷺ هذه الأحاديث التي ثبتت أن هناك مسخ وقع لليهود كما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ: - عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله. فقال: - «إن الله لم يهلك قوماً أو يمسح قوماً فيجعل لهم نسلًا ولا عاقبة وإن القردة والخنازير قبل ذلك»<sup>(٤)</sup>.

فالله عزوجل يضرب عليهم الذلة. ومن باب الذلة أن لا يجعل لهم نسلًا ولا عاقبة. وهذه معنى من معاني ضرب الذلة على اليهود أنهم يقتلوا. كما قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا﴾ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفْتُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ أي أن الذلة هنا قلة عددهم وهو موجود الآن فتأمل. ويقع هذا المسخ أيضاً في الجن لأنهم مكلفون كالإنس ويدل على ذلك ما جاء.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٣/٢) ونسبه لابن أبي الدنيا في «ذم الملاح».

(٢) أخرجه مسلم في القدر (٢٣/٤٦٥/٨) عن ابن مسعود به.

وانظر «فتح القدير» بتخريجنا.

(٣) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٢/٢) ونسبه للطيالسي، وأحمد، وابن أبي حاتم، وأبى الشيخ،

وابن مردويه.

وانظر «تفسير ابن أبي حاتم» بتخريجنا.

(٤) تقدم تخريجه.

عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ «الحيات مسخ الجن كما مسخت القردة والخنازير»<sup>(١)</sup>.

قلت: وذكر ابن جرير قصة في مسخ بنى إسرائيل قردة وخنازير فيها من العبر والعظات<sup>(٢)</sup>. والنبي ﷺ نهى عن قتل الحيات «وهذا في صحيح مسلم» وعوامر البيوت وهذا النهى كان له قصة وسبب. أن هناك رجل من الصحابة كان متزوج حديثاً فرجع من الغزو فوجد امرأته على باب الدار فلما تعجب من ذلك وأندهش فأشارت إلى السرير بالداخل فلما دخل فوجد حية على السرير فأخذ الحربة فصرعها فصرعته. فلا يدري من مات أولاً. فمن هاهنا ذكر ﷺ «أن هذه البيوت مسكونة وقال: «إياكم وعوامر البيوت» أو «نهى عن عوامر البيوت»<sup>(٣)</sup>.

وفي صحيح مسلم أيضاً أمر بالتحجير عليها ثلاثاً<sup>(٤)</sup>.

وهناك أيضاً أحاديث في هذا المعنى مرفوعة وموقوفة في بيان مسخ اليهود والنصارى قردة وخنازير.

عن عمرو بن كثير عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري قال: حدثت أن المسخ في بنى إسرائيل من الخنازير كان، أن امرأة كانت من بنى إسرائيل كانت في قرية من قرى بنى إسرائيل، وكان فيها ملك بنى إسرائيل، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة، إلا أن تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام متمسكة، فجعلت تدعو إلى الله حتى إذا اجتمع إليها ناس فبايعوها على أمرها، قالت لهم: أنه لا بد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله وأن تنادوا قومكم بذلك، فأخرجوا فإني خارجة، فخرجت وخرج إليها ذلك الملك في الناس، فقتل أصحابها جميعاً وانفلتت من بينهم، ودعت إلى الله حتى تجمع الناس إليها، إذا رضيت منهم أمرتهم بالخروج فخرجوا وخرجت معهم فأصيبوا جميعاً، وانفلتت منهم، ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال واستجابوا لها أمرتهم بالخروج فخرجوا وخرجت معهم فأصيبوا جميعاً، وانفلتت منهم، ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال واستجابوا لها أمرتهم بالخروج فخرجوا وخرجت معهم فأصيبوا جميعاً، وانفلتت من بينهم فرجعت وقد أيست وهي تقول: سبحان الله..! لو كان لهذا الدين ولي وناصر لقد أظهره بعد، فباتت محزونة وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها خنازير مسخهم الله في ليلتهم تلك، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت: اليوم أعلم أن الله قد أعز دينه وأمر دينه. قال: - يعنى مولى أبي أيوب - فما كان مسخ

(١) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٣/٢) ونسبه لابن مردويه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في السلام (١٣٩/٤٩٢/٧) عن أبي سعيد به.

(٤) أخرجه مسلم في السلام (١٤٠/٤٩٣/٧) عن أبي سعيد به.

لخنازير في بنى إسرائيل إلا على يدي تلك المرأة<sup>(١)</sup>.

### ● ما جاء في تفسير الآية من أقوال المفسرين :

قال ابن الجوزي<sup>(٢)</sup>: وروى عن ابن عباس أن المسخين من أصحاب السبت، و الخنازير: شبابهم قردة، ومشايخهم خنازير. وقال غيره: القردة: أصحاب السبت، و الخنازير: كفار مائدة عيسى. وكان ابن قتيبة يقول: أنا أظن أن هذه القردة، و الخنازير هي المسوخ بأعيانها تولدت قال: واستدللت بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فدخل الألف واللام يدل على المعرفة، وعلى أنها القردة التي تعانين، ولو كان أراد شيئاً انقرض ومضى، لقال: وجعل منهم قردة و خنازير، إلا أن يصحّ حديث أم حبيبة في «المسوخ» فيكون كما قال عليه السلام. قلت أنا: وحديث أم حبيبة في «الصحیح» انفرد بإخراجه مسلم، وهو أن رجلاً سأل النبي ﷺ، فقال: يارسول الله، القردة و الخنازير هي ممّا مُسِّخٌ؟ فقال النبي عليه السلام: «إن الله لم يمسخ قوماً أو يهلك قوماً، فيجعل لهم نسلًا ولا عقابة، وإن القردة و الخنازير قد كانت قبل ذلك»<sup>(٣)</sup> وتقدم الحديث فلا يلتفت إلى ظن ابن قتيبة.

وبنحوه قال الرازي<sup>(٤)</sup> وغيره من المفسرين.

فائدة: فيه دليل على مسخ إثبات أهل الكتاب قردة و خنازير.

### ● هل منا من سيغضب الله عليه ويلعنه ويمسّخ؟

الجواب: قال الفقير: نعم قال سفيان كما سيأتى من كلام ابن عثيمين «من ضل من علمائنا ففيه (شبه) من اليهود» لأن اليهود سب الغضب أنهم علموا ولم يعملوا فغضب الله عليهم. و النصارى ضالون لأنهم عملوا و توسعوا في العمل بغير علم. فمن ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود و سيغضب الله عليه و من ضل من عبادنا ففيه شبه بالنصارى.

وليس معنى تحذير النبي ﷺ لنا مما صنع اليهود إلا لكي لانصاب بما أصيبوا به من لعن. وإلا لم يكن النبي ﷺ لعن طوائف من هذه الأمة «لعن الله النامصة و المتمصصة...»<sup>(٥)</sup>، «لعن الله من غير منار الأرض»<sup>(٦)</sup>، «لعن الله من ذبح لغير الله»<sup>(٧)</sup>، «لعن الله من لعن والديه»<sup>(٨)</sup> و اللعن هذا في الأمة أم لا؟ في الأمة و حصل في اليهود.

إذن غضب الله عليهم و سيغضب على طوائف من هذه الأمة.

(١) ذكره السيوطي في «الدر» (٥٢٣/٢) ونسبه لابن جرير.

(٢) زاد المسير ٢٣٠/٢.

(٣) تقدم من حديث ابن مسعود عنها.

(٤) التفسير الكبير (٣٩/١٢/٦).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) تقدم تخريجه.

(٨) تقدم تخريجه.

وكذلك سيجعل من هذه الأمة أيضا مسخ . والأدلة :-

أولاً: ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : - «أما يخشى أحدكم أن يرفع رأسه قبل الإمام أن يقلب الله رأسه رأس حمار وصورته صورة حمار»<sup>(١)</sup> وفي بعض الطرق التي أوردها ابن حجر في الفتح قال «أو صورة كلب» وابن حجر لم يستبعد أن يكون المسخ هاهنا حقيقياً وأن الله يقلب صورته صورة حمار أو رأسه رأس حمار حقيقة . وإن كان بعض العلماء قال إن المسخ مسخ معنوي ، إلا أن ابن حجر لم يستبعد أن يكون المسخ مسخاً حقيقياً واستدل بحديث «سيكون من أمتي أقواماً يستحلون الحر والحرير....» ثم قال «وبيت أقوام إلى جنب علم فيهدم الله عليهم هذا العلم «الجبيل» ويمسخ آخرين قرده وخنازير إلى يوم القيامة»<sup>(٢)</sup> .

فاليهود استحلوا فعبدوا الطاغوت والجبث فلعنوا ومسحوا قرده وخنازير .

وكنت قلت في خطبة: «تارك الصلاة والمسخ الثالث» أنهم يسمون «عابد الطاغوت» بالمسخ الثالث فهو أحمر من الحمار وأشر من القرده والخنازير وأنزلت في الخطبة عابد الطغوت هذا على تارك الصلاة وقتل إذا كان الذي يصلى ويرفع رأسه قبل الإمام فإن الله عزوجل سيقرب رأسه رأس حمار فكيف بالذي لا يصلى وأيضاً كما نهى ﷺ عن الإقعاء في الصلاة كإقعاء الكلب وعن البروك كبروك الجمل وعن توطن مكان بالمسجد كتوطن البعير .

فكيف بالذي يترك الصلاة بالكلية فهذا ليس له وصف إلا عابد الطاغوت وراجع في ذلك كتابي «فقه الخطابة وزاد الخطيب» والله الموفق ولا رب سواه .

قوله ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ .

ذكر المفسرون وجوه القراءة فيها . فأجملها ابن الجوزي<sup>(٣)</sup> حيث قال :

فيها عشرون قراءة . اهد نذكرها بشئ من الاختصار .

(١) (وَعَبَدَ)	(٢) عُبِدَ	(٣) وَعَبَدُوا	(٤) وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ .
(٥) وَعَبِيدَ	(٦) وَعُبِدَ	(٧) وَعَابِدَ	(٨) وَعُبِدَ
(٩) وَعُبِدَ	(١٠) وَعُبِدَ	(١١) وَعَبِدَ	(١٢) وَعَبِدَ الطَّاغُوتَ
(١٣) وَعَبِدَ	(١٤) وَعَبِدَ	(١٥) وَعُبِدَ	(١٦) وَعُبِدَ
(١٧) وَعَابِدَ	(١٨) وَعَبِدَ	(١٩) وَعَبَادَ	(٢٠) وَعَبَادَ

(١) [صحيح] أخرجه البخاري (٦٩١)، ومسلم في الصلاة (٤/١٥٠ - النووي) عن أبي هريرة به .

(٢) علقه البخاري (٥٥٩٠) عن أبي مالك الأشعري به .

(٣) زاد المسير (٢/٢٣٠ - ٢٣١) .

ثم قال: والمراد به هاهنا - يعنى الطاغوت - قولان:

أحدهما: الأصنام. والثانى: الشيطان. اهـ.

قال الرازى<sup>(١)</sup>: قال الفراء: تأويله وجعل منهم القردة ومن عبد الطاغوت، فعلى

هذا: الموصول محذوف.

وقيل: الطاغوت العجل، وقيل: الطاغوت الأجرار، وكل من أطاع أحداً فى معصية الله فقد عبده. اهـ. وتقدم الخلاف فى ذلك.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قرئ وعبد الطاغوت على أنه

فعل ماضٍ والطاغوت منصوب به أى وجعل منهم من عبد الطاغوت وقرئ وعبد

الطاغوت بالإضافة على أن المعنى وجعل منهم خدم الطاغوت أى خدامه وعبده وقرئ

وعبد الطاغوت على أنه جمع الجمع عبد وعبيد وعبد مثل ثمار وثمر حكاه ابن جرير

عن الأعمش وحكى عن بريدة الأسلمى أنه كان يقرؤها وعابد الطاغوت وعن أبى وابن

مسعود عبدوا وحكى ابن جرير عن أبى جعفر القارىء أنه كان يقرؤها وعبد الطاغوت

على أنه مفعول ما لم يسم فاعله ثم استبعد معناها والظاهر أنه لا بعد فى ذلك لأن هذا

من باب التعريض بهم أى وقد عبدت الطاغوت فيكم وأنتم الذين فعلتموه.

وكل هذه القراءات يرجع معناها إلى أنكم يا أهل الكتاب الطاعنين فى ديننا الذى هو

توحيد الله وإفراده بالعبادات دون ما سواه كيف يصدر منكم هذا وأنتم قد وجد منكم

جميع ما ذكر. ولهذا قال: ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وسيأتى توجية

بعض هذه القراءات من كلام شيخ الإسلام ومن كلام ابن عثيمين.

● ما جاء فى تفسير الآية من كلام شراح كتاب التوحيد:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: الصواب أنه معطوف على قوله: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فهو فعل ماضٍ معطوف على ما قبله من الأفعال

الماضية؛ أى من لعنه الله ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد

الطاغوت. لكن الأفعال المقدمة الفاعل فيها هو اسم الله مظهراً ومضمراً، وهنا الفاعل

اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير فى عبد. ولم يعد سبحانه لفظ من لأنه جعل هذه

الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود. اهـ. نقل ذلك عن ابن تيمية.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾

فيها قراءتان فى ﴿عَبَدَ﴾ وفى ﴿الطَّاغُوتَ﴾.

(١) ٤٠ / ١٢ / ٦

(٢) تفسير ابن كثير (٧١ / ٢)

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٦٨.

(٤) القول المفيد ١ / ٥٩١، ٥٩٢.

الأولى: بضم الباء ﴿عَبْدٌ﴾، وعليها تكسر التاء في ﴿الطَّاغُوتِ﴾؛ لأنه مجرور بالإضافة.

الثانية: بفتح الباء ﴿عَبْدٌ﴾ على أنه فعل ماضٍ معطوف على قوله: ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾ صلة الموصول، أي: ومن عبد الطاغوت، ولم يعد ﴿مَنْ﴾ مع طول الفصل؛ لأنَّ هذا ينطبق على موصوف واحد، فلو أعيدت مَنْ لأوهم أنَّهم جماعة آخرون وهم جماعة واحدة؛ فعلى هذه القراءة يكون ﴿عَبْدٌ﴾ فعلاً ماضياً، والفاعل ضمير مستتر جوازاً تقديره هو يعود على الضمير في قوله: ﴿لَعَنَهُ اللهُ﴾.

وبهذا نعرف اختلاف الفاعل في صلة الموصول وما عطف عليه لأنَّ الفاعل في صلة الموصول ﴿اللهُ﴾، والفاعل في هذا المعطوف يعود على المفعول «الهاء» لا على الفاعل. وعلى كل حال؛ فالمراد بها عابد الطاغوت.

فالفرق بين القراءتين بالباء فقط؛ فعلى قراءة الفعل مفتوحة، وعلى قراءة الاسم مضمومه.

والطاغوت على قراءة الفعل في ﴿عَبْدٌ﴾ تكون مفتوحة ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾، وعلى قراءة الاسم تكون مكسورة بالإضافة ﴿وَعَبْدَ الطَّاغُوتِ﴾ وذكر في تركيب ﴿عَبْدٌ﴾ مع (الطاغوت) أربع وعشرون قراءة، ولكنها قراءات شاذة غير القرائتين السبعيتين ﴿عَبْدٌ﴾. اهـ.

فائدة (١): قد تكون المعاصي سبباً للعقوبة في الدنيا كما هي سبباً للعقوبة في الآخرة.

قوله: «أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل».

● ما جاء في تفسير الآية من كلام المفسرين:

قال ابن الجوزي (٢): قوله تعالى: ﴿أولئك شر مكاناً﴾ أي: هؤلاء الذين وصفناهم شر مكاناً من المؤمنين، ولا شر في مكان المؤمنين، ولكن الكلام مبنى على كلام الخصم، حين قالوا للمؤمنين: لا نعرف شراً منكم، فقيل: من كان بهذه الصفة، فهو شر منهم. اهـ وفصل هذا.

الرزاي (٣) قال: وفي لفظ المكان وجهان:

(٢) زاد المسير ٢/٢٣١.

(١) القول المفيد ١/٥٩١ و٥٩٢.

(٣) التفسير الكبير ٦/١٢/٤٠.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ (١).

الأول: قال ابن عباس رضى الله عنهما: لأن مكانهم سقر، ولا مكان أشد شراً منه.  
والثاني: أنه أضيف الشر في اللفظ إلى المكان وهو في الحقيقة لأهله، وهو من باب الكناية كقولهم: فلان طويل النجاد كثير الرماد، ويرجع حاصله إلى الإشارة إلى الشيء بذكر لوازمه وتوابعه.

ثم قال ﴿وأضل عن سواء السبيل﴾ أى عن قصد السبيل والدين الحق. قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية غير المسلمون أهل الكتاب وقالوا: يا إخوان القردة والحنازير، فافتضحوا ونكسوا رؤسهم. اهـ.



### ● مناسبة الآية للباب والتوحيد:

قال سليمان آل الشيخ (٢): يخبر تعالى عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف أنهم قالوا هذه المقالة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ وقد حكى ابن جرير فى القائلين فى ذلك قولين:

أحدهما: أنهم المسلمون.

والثانى: أنهم المشركون وعلى القولين فهم مذمومون لأن النبى ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد» (٣) يُحَدِّثُ ما فعلوا ولما يفضى إليه ذلك من الإشراك بأصحابها كما هو الواقع، ولهذا لما فعلته اليهود والنصارى جرهم ذلك إلى الشرك، فدل ذلك على أن هذه الأمة تفعله كما فعلته اليهود والنصارى فيجرها ذلك إلى الشرك، لأن ما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الأمة شبراً بشبر وذراعاً بذراع كما أخبر بذلك الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي وبهذا يظهر وجه استشهاد المصنف بهذه الآية أهـ.

وبنحوه ذلك قال عبدالله بن جار الله (٤).

وقال ابن باز (٥): فإذا كان فى الأمم الماضية من اتخذوا المساجد على القبور وعظموها فكذلك فى هذه الأمة، وقد وقع من يدعى بالإسلام كما هو حال المسلمين أهـ.

وبنحو ما تقدم قال قرعاوى (٦).

(١) الكهف: ٢١. (٢) تيسير العزيز الحميد ٢٦٨. (٣) تقدم تخريجه.  
(٤) الجامع الفريد (٩٥). (٥) التعليق المفيد (١٣٢). (٦) الجديد (١٢٢).



قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾.

● ما جاء في تفسير الآية من الآثار:

عن السدى: ... فقال الملك: لا تتخذن عند هؤلاء القوم الصالحين مسجداً، فلا عبدن الله فيه حتى أموت. فذلك قوله ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ (١).

عن قتادة فى قوله ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ قال: هم الأمراء، أو قال: السلاطين (٢).

عن سعيد بن جبیر قال: بنى عليهم الملك بيعة فكتب فى أعلاها أبناء الأراكنة أبناء الدهاقين.

● ما جاء فى تفسير الآية من كلام المفسرين:

قال ابن قتيبة: (٣) يعنى المطاعين والرؤساء قال المفسرون: وهم الملك وأصحابه المؤمنون اتخذوا عليهم مسجداً. اهـ.

قال الرازى (٤): قال تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴾ قيل: المراد به الملك المسلم. وقيل أولياء أصحاب الكهف. وقيل: رؤساء البلد ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ نعبد الله فيه ونستبقى آثار أصحاب الكهف بسبب ذلك المسجد. اهـ.

قال ابن كثير (٥): ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ حكى ابن جرير فى القائلين ذلك قولين:

أحدهما: إنهم المسلمون منهم.

والثانى: أهل الشرك منهم فالله أعلم. . والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر: لأن النبى ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحيتهم مساجد. يحذر ما فعلوا» (٦) وقد روينا

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٢٧٥١) عن السدى به. فانظره بتخريجنا.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» وذكره السيوطى فى «الدر» (٣٩٢/٤) زاد نسبه لعبدالرزاق. وانظر «تفسير ابن أبى حاتم» بتخريجنا.

(٣) زاد المسير ٩١/٥. (٤) التفسير الكبير ١١/٢١/١٠٦.

(٥) تفسير ابن كثير ٧٥/٣. (٦) تقدم تخريجه.

عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه . أنه لما وجد قبر دانيال فى زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التى وجدوها عنده فيها شىء من الملاحم وغيرها . اهـ .

قال الشوكانى (١) : فقال : ذكر اتخاذ المسجد يشعر بأن هؤلاء الذين غلبوا على أمرهم هم المسلمون وقيل : هم أهل السلطان والملك من القوم المذكورين فإنهم الذين يغلبون على أمر من عداهم والأول أولى قال الزجاج هذا يدل على أنه لما ظهر أمرهم غلب المؤمنون بالبعث والنشور لأن المساجد للمؤمنين .

### ● كلام المفسرين :

قوله : ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ .

قال ناصر السعدى (٢) : ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ أى : نعبد الله تعالى فيه وتذكر به أحوالهم وما جرى لهم وهذه الحالة محظورة . نهى عنها النبى ﷺ وذم فاعليها ولا يدل ذكرها هنا . على عدم ذمها . فإن السياق فى شأن أهل الكهف والثناء عليهم وأن هؤلاء وصل بهم الحال إلى أن قالوا : ابنوا عليهم مسجداً بعد خوف أهل الكهف الشديد من قومهم . وحذرهم من الإطلاع عليهم . فوصلت الحال إلى ما ترى وفى هذه القصة دليل على أن من فرّ بدنية من الفتن . سلّمه الله منها وأن من حرص على العافية ، عافاه الله ومن أوى إلى الله . أواه الله وجعله هداية لغيره . من تحمّل الذل فى سبيله وابتغاء مرضاته . كان آخر أمره وعاقبته العز العظيم من حيث لا يحتسب . ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ . اهـ .

### ● كلام شراح كتاب التوحيد :

قال ابن عثيمين (٣) :

من فوائد الآية الثالثة ما يلى :

(١) ما تضمن سياق هذه الآية من القصة العجيبة فى أصحاب الكهف وما تضمنته من الآيات الدالة على كمال قدرة الله وحكمته .

(١) فتح القدير ٢٨٣/٣ .

(٢) تيسير الكريم الرحمن ١١٧/٣ .

(٣) القول المفيد ١/٥٩٦ و ٥٩٧ .

(٢) أن من أسباب بناء المساجد على القبور الغلو في أصحاب القبور لأن الذين غلبوا على أمرهم بنوا عليهم المساجد لأنهم صاروا عندهم محل الاحترام والإكرام فغلبوا فيهم .

(٣) أن الغلو في القبور وإن قل قد يؤدي إلى ما هو أكبر منه ولهذا قال النبي ﷺ لعلى حين بعثه «ألا تدع قبراً مشرفاً إلا سويته»(\*) .

[قلت]: (٤) إن الدار الدنيا غالباً للذين ييغون العلو في الأرض والفساد ولو باسم الدين والآخرة على خلاف ذلك قال تعالى ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ .

(٥) وفيه ذم الرأي، لأنهم لما استحسنا رأيهم بعقولهم القاصرة شرعوا، قالوا ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ .

(٦) ويستفاد أيضاً منه (١) أن اتخاذ المساجد على القبور من سنن الأمم السابقة .

شبهة وجوابها (٢) .

قد يقول قائل: إذا كان من المقرر شرعاً تحريم بناء المساجد على القبور، فهناك أمور كثيرة تدل على خلاف ذلك منها .

قوله تبارك وتعالى في سورة الكهف قال: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴾ ووجه دلالة الآية على ذلك . أن الذين قالوا هذا القول كانوا نصارى، على ما هو مذكور في كتب التفسير، فيكون اتخاذ المسجد على القبر من شريعتهم، وشريعة من قبلنا شريعة لنا إذا حكاها الله تعالى، ولم يعقبها بما يدل على ردها كما في هذه الآية الكريمة .

قال الألباني: والجواب عنها من ثلاثة وجوه:

الأول: أن الصحيح المقرر في علم الأصول أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا لأدلة كثيرة منها قوله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ... (فذكرها، وآخرها) وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة، وبعث إلى الناس كافة» (٣) .

(\*) تقدم تخريجه مراراً .

(١) الجديد للقرعوى ٢١٢ .

(٢) بتصرف من تحذير الساجد من ٤٨ : ٥٨ للشيخ الألباني .

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم في المساجد (٣/٥ - النووي) عن جابر به .

قال الألوصي: لا يقال إن الآية ظاهرة في كون ما ذكر من شرائع من قبلنا وقد استدللَّ بها، فقد روى أنه ﷺ قال: «من نام عن صلاة أو نسيها»<sup>(١)</sup> الحديث ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾<sup>(٢)</sup>. وهو مقول لموسى عليه السلام، وسياقه الاستدلال، واحتج أبو يوسف على جرى القود بين الذكر والأنثى بآية ﴿وَكُنْتُمْ عَلَيَّهِمْ﴾ والكرخي على جريه بين الحر والعبد والمسلم والذمي بتلك الآية الواردة في بنى إسرائيل إلى غير ذلك، لأننا نقول: مذهبنا في شرع من قبلنا وإن كان أنه يلزمنا على أنه شريعتنا، لكن لا مطلقاً، بل إن قصَّ الله تعالى علينا بلا إنكار، وإنكار رسوله ﷺ كإنكاره - عزوجل - وقد سمعت أنه عليه الصلاة والسلام لعن الذين يتخذون المساجد على القبور، على أن كون ما ذكر من شرائع من قبلنا ممنوع، وكيف يمكن أن يكون اتخاذ المساجد على القبور من الشرائع المتقدمة مع ما سمعت من لعن اليهود والنصارى حيث اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، والآية ليست كآيات الذي ذكرنا أنفاً احتجاج الأئمة بها وليس فيها أكثر من حكاية قول طائفة من الناس وعزمهم على فعل ذلك، وليست خارجة مخرج المدح لهم والحض على التأسى بهم، فمتى لم يثبت أن فيهم معصوماً لا يدل فعلهم فضلاً عن عزمهم على مشروعية ما كانوا بصدده أهـ.

الثاني: هب أن الصواب قول من قال: «شريعة من قبلنا شريعة لنا» فذلك مشروط عندهم بما إذا لم يرد في شرعنا ما يخالفه، وهذا الشرط معدوم هنا، لأن الأحاديث تواترت في النهي عن البناء المذكور كما سبق، فذلك دليل على أن ما في الآية ليس شريعة لنا.

الثالث: لانسلم أن الآية تفيد أن ذلك كان شريعة لمن قبلنا غاية ما فيها أن جماعة من الناس قالوا: ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً﴾ فليس فيها التصريح بأنهم كانوا مؤمنين، وعلى التسليم فليس فيها أنهم كانوا مؤمنين صالحين، متمسكين بشريعة نبي مرسل، بل الظاهر خلاف ذلك، قال الحافظ بن رجب في «فتح الباري في شرح البخاري» من «الكواكب الدراري في شرح حديث لعن اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

(١) [صحيح] أخرجه البخاري (٥٩٧)، ومسلم في المساجد (٣/٢٠١/٦٨٤) عن أنس به.

وانظر «منار السبيل» (٣١٠ - بتخریجنا).

(٢) طه: ١٤.

وقد دلَّ القرآن على مثل ما دلَّ عليه هذا الحديث، وهو قول الله - عزوجل - فى قصة أصحاب الكهف: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ فجعل اتخاذ القبور على المساجد من فعل أهل الغلبة على الأمور، وذلك يشعر بأنَّ مستنده القهر والغلبة واتباع الهوى وأنه ليس من فعل أهل العلم والفضل المنتصر لما أنزل الله على رسله من الهدى. أهـ.

قلت: وقد تقدم كلام المفسرين فى ذلك. اهـ.

**قال الهيثمى:** فى سياق رده على من أفتى بجواز البناء على قبور العلماء مستدلاً بهذه الآية - وقد أفتى جمع بهدم كل ما بقرافة مصر من الأبنية، حتى قبة الإمام الشافعى عليه الرحمة، التى بناها بعض الملوك، وينبغى لكل أحد هدم ذلك ما لم يخشى منه مفسدة، فيتعين الرفع للإمام أخذاً من كلام ابن الرفعه فى الصلح أهـ.

**قال الألبانى:** وقد استدلَّ بالآية المذكورة على الجواز المزعوم، بل على استحباب بناء المساجد على القبور بعض المعاصرين. لكن من وجه آخر مبتدع مغاير بعض الشىء لما سبق حكايته ورده، فقال ما نصه، «والدليل من هذه الآية إقرار الله تعالى إياهم على ما قالوا، وعدم رده عليهم!»

وهذا الاستدلال باطل من وجهين:

**الأول:** أنه لا يصح أن يعتبر عدم الرد عليهم إقراراً لهم، إلا إذا ثبت أنهم كانوا مسلمين وصالحين متمسكين بشريعة نبيهم، وليس فى الآية ما يشير أذى إشارة إلى أنهم كانوا كذلك بل يحتمل أنهم لم يكونوا كذلك وهذا هو الأقرب؛ أنهم كانوا كفاراً أو فجاراً، كما سبق من كلام ابن رجب وابن كثير وغيرهما، وحينئذٍ فعدم الرد عليهم لا يعد إقراراً بل إنكاراً، لأنَّ حكاية القول عن الكفار والفجار يكفى فى رده عزوه إليهم! فلا يعتبر السكوت عليه إقراراً كما لا يخفى، ويؤيده الوجه الآتى:

**الثانى:** أن الاستدلال المذكور إنما يستقيم على طريقة أهل الأهواء من الماضيين والمعاصرين، الذين يكتفون بالقرآن فقط ديناً، ولا يقيمون للسنة وزناً، وأما على طريقة أهل السنة والحديث الذين يؤمنون بالوحيين، مصدقين بقوله ﷺ فى الحديث الصحيح المشهور «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه» وفى رواية «ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوَ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جِحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ «فَمَنْ؟» أَخْرَجَاهُ (١).

فهذا الإستدلال عندهم. والمستدل يزعم أنه منهم باطل ظاهر البطلان، لأنَّ الرد الذي نفاه قد وقع في السنة المتواترة كما سبق، فكيف يقول: «إنَّ الله أقرهم ولم يرد عليهم، مع أنَّ الله لعنهم على لسان نبيه ﷺ فأى ردٍ أوضح وأبين من هذا؟! وما مثل من يستدل بهذه الآية على خلاف الأحاديث المتقدمة، إلا كمثل من يستدل على جواز صنع التماثيل والأصنام بقوله تعالى في الجن الذين كانوا مذللين لسليمان عليه السلام، «يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَاثِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ» (٢) يستدل بها على خلاف الأحاديث الصحيحة التي تحرم التماثيل والتصاوير! وما يفعل ذلك مسلم يؤمن بحديثه ﷺ أهـ.



قوله: [وعن أبي سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لتتبعن سنن... إلخ].  
ولفظ البخارى: عن أبي سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

وبوب عليه باب قول النبى ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم».  
ولفظ مسلم: قال رسول الله ﷺ «لتتبعن سنن الذين من قبلكم. شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب لاتبعتموهم. قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟».

(١) أخرجه البخارى في أحاديث الأنبياء/ باب ما ذكر عن نبى إسرائيل (٦/٥٧١/٣٤٥٦)، ومسلم في العلم/ باب اتباع سنن اليهود والنصارى (٨/٤٧٢/٦).

من طريق زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، عن أبى سعيد به.

وانظر «فتح المجيد» (٤٤٥ - بتخریجنا).

(٢) سبأ: ١٣.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هذا الحديث أورده المصنف بهذا اللفظ معزواً  
«للصحيحين» ولعله نقله عن غيرهما.

### ● مناسبة الحديث للباب والتوحيد.

قال سليمان آل الشيخ: ووجه مطابقة الحديث للترجمة واضح لأن الأمم قبلنا وجد  
فيها الشرك فكذلك يوجد في هذه الأمة كما هو الواقع. اهـ.

وقال نحوه ابن عثيمين والقرعاوى أيضاً في «الجديد».

قوله: «لَتَبِعْنَ».

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: بمثنائين مفتوحتين ثم موحدة مكسورة وعين مهملة مضمومة ونون  
ثقيلة وأصله تتبعون سنن بالمهملة والنون بعدها نون أخرى «من كان قبلكم» بفتح اللام  
أهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: (لتبعن) هو بضم العين وتشديد النون أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: اللام موثقة للقسم، والنون للتوكيد، فالكلام مؤكّد بثلاثة  
مؤكدات: القَسَمُ المقدر، واللام، والنون، والتقدير: والله لتبعن.

قوله (سنن):

قال ابن حجر: بفتح السين للأكثر، وقال ابن التين: قرأناه بضمها، وقال المهلب:  
بفتح أولى، لأنه الذي يستعمل فيه الذراع والشير، وهو الطريق قلت: وليس اللفظ  
الأخير يبعد من ذلك أهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: أى طريق من كان قبلكم. أهـ ثم نقل بعض كلام  
الحافظ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: فيها روايتان: «سَنَن» و «سُنَن».

أما «سُنَن»؛ بضم السين: جمع سُنَّة، وهى الطريقة.

وأما «سَنَن»؛ بالفتح: فهى مفرد بمعنى الطريق.

وقَعَلَ تأتي مفردة مثل: فَتَنَ جمعها أفنان، وسبب جمعها أسباب أهـ.

وفى رواية البخارى [شبراً شبراً، وذراعاً ذراعاً].

قال ابن حجر<sup>(٥)</sup>: فى رواية الكشميهنى «شبراً بشبر وذراعاً بذراع» عكس الذى قبله

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٧١. (٢) فتح البارى (١٣/٣١٣). (٣) تيسير العزيز الحميد (٢٦٩).

(٤) القول المفيد (١/٥٩٧). (٥) فتح البارى (١٣/٣١٣).

قال عياض الشبر والذراع والطريقة ودخول الجحر تمثيل للأقتداء بهم في كل شيء ما نهى الشرع عنه وذمه. اهـ.

قوله: [حذو القذة بالقذة].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله: «حذو القذة بالقذة» هو بنصب حذو على المصدر.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: «حذو» بمعنى محاذياً، وهي منصوبة على الحال من فاعل «تبعن» أى حال كونكم محاذين لهم حذو القذة بالقذة أهـ.

ثم قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: والقذة - بضم القاف - واحدة القذ وهي ريش السهم، وله قذتان متساويتان، أى: لتفعلن أفعالهم ولتبعن طرائقهم حتى تشبهوهم وتحاذوهم كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى، ثم إن هذا لفظ خبر معناه النهى عن متابعتهم، ومنعهم من الالتفات لغير دين الإسلام، لأن نوره قد بهر الأنوار وشريعته نسخت الشرائع، وهذا من معجزاته، فقد اتبع كثير من أمته سنن اليهود والنصارى وفارس فى شيمهم ومراكبهم وملابسهم، وإقامة شعارهم فى الأديان والحروب والعادات من زخرفة المساجد، وتعظيم القبور واتخاذها مساجد، حتى عبدوها ومن فيها من دون الله، وإقامة الحدود والتعزيرات أو وصفه بها رسوله على الضعفاء دون الأقوياء، وترك العمل يوم الجمعة، والتسليم بالأصابع، وعدم عيادة المريض يوم السبت، والسرور بخميس البيض، وأن الحائض لا تمس عجيناً، واتخاذ الأحبار والرهبان أرباباً من دون الله، والإعراض عن كتاب الله، والإقبال على كتب الضلال من السحر والفلسفة والكلام والتكذيب بصفات الله التى وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ، ووصفه بما لا يليق به من التناقض والعيوب إلى غير ذلك مما اتبعوا فيه اليهود والنصارى. اهـ.

وينحو هذا قال ابن باز.

قلت: وهذا الشيخ سليمان أيضاً يصرح بعدم جواز يوم الجمعة راحة من العمل ولقد سبقه إلى ذلك الغزالي<sup>٥</sup> ومن أدلته قوله تعالى: «فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» أى انتشروا واعملوا ولكن لما أخذت اليهود السبت راحة. أخذنا نحن الجمعة راحة أيضاً اتباعاً لسنة اليهود.

وقال ابن عثيمين: شارحاً هذا الكلام ومفصلاً له: -

(٢) القول المفيد (١/٥٦٨ - ٦٠١).

(١) تيسير العزيز أحمد (٢٦٩، ٢٧٠).

(٥) إحياء علوم الدين.



وقوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» ليس على ظاهره، بل هو عام مخصوص؛ لأننا لو أخذنا بظاهره كانت جميع هذه الأمة تتبع سنن من كان قبلها، لكننا نقول: إنه عام مخصوص؛ لأن في هذه الأمة من لا يتبع كما أخبر النبي ﷺ أنه لا تنزل طائفة من هذه الأمة على الحق، وقد يقال: إن الحديث على عمومته وأنه لا يلزم أن تتبع هذه الأمة الأمم السابقة في جميع سننها، بل بعض الأمة يتبعها في شيء وبعض الأمة يتبعها في شيء آخر، وحينئذ لا يقتضى خروج هذه الأمة من الإسلام، وهذا أولى لبقاء الحديث على عمومته، ومن المعلوم أن من طرّق من كان قبلنا ما لا يخرج من الملة، مثل: أكل الربا، والحسد، والبغى، والكذب.

ومنه ما يخرج من الملة، كعبادة الأوثان.

السنن: هي الطرائق، وهي متنوعة، منها ما هو اعتداء على حق الخالق، ومنها ما هو اعتداء على حق المخلوق.

فمن هذه السنن: عبادة القبور والصالحين؛ فإنها موجودة في الأمم السابقة وقد وجدت في هذه الأمة، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَدْرَأْ أَهْتَكُم وَلَا تَدْرَأُ وِدًّا وَلَا سُوعَاً وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾.

ومن ذلك: الغلو في الصالحين كما وجد في الأمم السابقة وجد في هذه الأمة.

ومنها: دعاء غير الله، وقد وجد في هذه الأمة.

ومنها: بناء المساجد على القبور موجود في السابقين، وقد وجد في هذه الأمة.

ومنها: وصف الله بالتقائص والعيوب؛ فقد قالت اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾، وقالوا:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾، وقالوا: إن الله تعب من خلق السموات والأرض، وقد وجد في هذه الأمة من قال بذلك أو أشد منه؛ فقد وجد من قال: ليس له يد، ومنهم قال: لا يستطيع أن يفعل ما يريد فلم يستو على العرش، ولا ينزل إلى السماء الدنيا ولا يتكلم، بل وجد في هذه الأمة من يقول: بأنه ليس داخلًا في العالم، وليس خارجًا عنه ولا متصلًا به ولا منفصلًا عنه؛ فوصفوه بما لا يمكن وجوده، ومنهم من قال: لا تجوز الإشارة الحسية إليه، ولا يفعل، ولا يغضب ولا يرضى، ولا يحب وهذا مذهب الأشاعرة.

ومنها: أكل السحت؛ فقد وجد في الأمم السابقة ووجد في هذه الأمة.

ومنها: أكل الربا؛ فقد وجد في الأمم السابقة ووجد في هذه الأمة.

ومنها: التحيل على محارم الله؛ فقد وجد في الأمم السابقة ووجد في هذه الأمة.

ومنها: إقامة الحدود على الضعفاء ورفعها عن الشرفاء؛ فقد وجد في الأمم السابقة ووجد في هذه الأمة.

ومنها: تحريف كلام الله عن مواضعه لفظاً ومعنى؛ كاليهود حين قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا  
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً﴾، فدخلوا على قفاهم، وقالوا: حنطة ولم يقولوا حِطَّةً، ووجد  
في هذه الأمة من فعل كذلك؛ فحرف لفظ الاستواء إلى الاستيلاء، قال تعالى:  
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾، وقالوا هم: الرحمن على العرش استولى.

قال ابن القيم: إنَّ اللام في استولى مزيدة زادها أهل التحريف كما زاد اليهود النون  
في (حِطَّةً) فقالوا: (حنطة).

نون اليهود ولام جهمى هما فى وحى رب العرش زائدتان  
أمر اليهود بأن يقولوا حِطَّةً فأبوا وقالوا حنطة لهوان  
وكذلك الجهمى قيل له استوى فأبى وزاد الحرف للنقصان

ووجد فى الأمم السابقة من اتَّخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله، ووجد فى  
هذه الأمة من يعارض قول النبى ﷺ بقول شيخه.

فإذا تأملت كلام النبى ﷺ وجدته مطابقاً للواقع: «لتتبعن سنن من كان قبلكم». اهـ.

#### ● صور من متابعة المسلمين لليهود

[قلت]: وسب اليهود الملائكة وعادوهم قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ  
نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ الآية ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِاثًا﴾ ومنا من قال:  
ياكلون أرز ولبن مع الملائكة وأيضاً يصف عشيقته كأنها ملك أو مثل الملائكة، وظهر  
من كذلك ﴿وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ وظهر منا كذلك وظهر منهم من يؤمن  
ببعض الكتاب ويكفر ببعض، وظهر منا من يفعل ذلك ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ  
كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ وظهر منا من يقل أيضاً من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن  
أشرك، فرد الله على ذلك ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾.

وظهر منهم الفرق والأحزاب، وظهر منا يفعل ذلك، وظهر منهم من يدحض ما مع  
المخالف من حق وباطل، وظهر منا من يفعل ذلك.

وظهر منهم من يتهم أشرف الناس بأحط الأعمال، وظهر منا من يفعل ذلك نسأل  
الله السلامة والعافية والمعافة<sup>(١)</sup>.

(١) وانظر مقدمتنا فى شرح «حلية طالب العلم» يسر الله طبعها.

قوله: [حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلموه].

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: (جحر) بضم الجيم وسكون المهملة، و(الضب) الحيوان المعروف أهـ.

قلت: وهو حيوان يشبه الفأرة إلا أن أسنانه الأمامية مرتفعة ويقال لكل من ارتفعت أسنانه كذلك «ضب» أو فلان له ضب أهـ.

وتابع سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup> ابن حجر على ذلك.

وقال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: هذه الجملة تأكيد منه ﷺ للمتابعة. وجحر الضب من أصغر الجحور، ولو دخلوا جحر أسد من باب أولى أن ندخله؛ فالنبي ﷺ قال ذلك على سبيل المبالغة، كقوله ﷺ: «من اقتطع شبراً من الأرض ظلماً طوّقه الله به يوم القيامة من سبع أرضين»<sup>(٤)</sup> ومن اقتطع ذراعاً؛ فمن باب أولى أهـ.

- ثم ذكر سليمان آل الشيخ الأحاديث الشاهدة لهذا المعنى:-

فقال: ففى حديث آخر: «حَتَّى لَوْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ»<sup>(٥)</sup>.

وفى حديث آخر: «حَتَّى لَوْ أَحَدَهُمْ جَامَعَ امْرَأَتَهُ فِي الطَّرِيقِ لَفَعَلْتُمُوهُ»<sup>(٦)</sup> صحت بذلك الأحاديث، فأخبر أن: أمته ستفعل ما فعلته اليهود والنصارى وفارس من الأديان والعادات والاختلاف.

قال شيخ الإسلام: هذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يكون بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرمة أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٧)</sup>: لكن يبقى النظر: هل هذا الحديث للتحذير أو للإقرار؟

الجواب: لاشك أنه للتحذير وليس للإقرار؛ فلا يقول أحد: سأحسد وسأكل الربا، وسأعتدى على الخلق؛ لأنَّ الرسول ﷺ قال ذلك، فمن قال ذلك؛ فإننا نقول له: أخطأت؛ لأن قول النبي ﷺ لاشك أنه للتحذير، ولهذا قال الصحابة: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟

(١) فتح الباري (١٣/٣١٣). (٢) تيسير العزيز الحميد (٢٧٠). (٣) القول المفيد (١/٦٠٢).

(٤) أخرجه. الترمذى (٢٦٤١) واستغربه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) أخرجه الحاكم فى «المستدرک» (٤/٤٥٥).

(٧) القول المفيد (١/٦٠٠، ٦٠١).

ثم نقول لهم أيضاً: إِنَّ الرسول ﷺ أخبر بأشياء ستقع، ومع ذلك أخبر بأنها حرام بنص القرآن.

فمن ذلك أنه أخبر أنه الرجل يكرم زوجته ويعق أمه، وأخبر أن الإنسان يعصى أباه ويذنب صديقه، وهذا ليس بجائز بنص القرآن، لكن قصد التحذير من هذا العمل.

ووجد في الأمم السابقة من يقول للمؤمنين: إِنَّ هَؤُلاءِ لَضالون، ووجد في هذه الأمة من يقول للمؤمنين: إِنَّ هَؤُلاءِ لرجعيون.

فالمعاصي لها أصل في الأمم على حسب ماسبق، ولكن من وفقه الله للهداية اهتدى. والحاصل: أنك لاتكاد تجد معصية في هذه الأمة إلا وجد لها أصل في الأمم السابقة.

ولاتجد معصية في الأمم السابقة إلا وجدت لها وارثاً في هذه الأمة أهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: وقال غيره: وجمع ذلك أن كفر اليهود أشد من جهة عدم العمل بعلمهم فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً ولا قولاً، وكفر النصارى من جهة عملهم بلا علم، فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون ما لا يعلمون، ففي هذه الأمة من يحذو حذو الفريقين. ولهذا كان السلف كسفيان بن عيينة يقولون: مَنْ قَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا فَفِيهِ شَبَهُ الْيَهُودِ، وَمَنْ قَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا فَفِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى وقضاء الله نافذ بما أخبر به رسوله ﷺ بما سبق في علمه، لكن ليس الحديث إخباراً عن جميع الأمة لما تواتر عنه أنها لاتجتمع على ضلالة أهـ. وقد تقدم ذكر ذلك عن ابن عثيمين.

قوله: [قالوا يارسول الله اليهود والنصارى؟].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: يرفع اليهود خبر مبتدأ محذوف، أى: أهم اليهود والنصارى الذين تتبع سنتهم؟ وقوله: قال: «فمن؟ استفهام إنكار. أى: فمن هم غير أولئك؟ ثم إنه فسر هنا باليهود والنصارى. وفي رواية أبي هريرة في البخارى بفارس والروم ولاتعارض.

كما سيأتى فى حل هذا التعارض من كلام ابن حجر الآتى قريباً.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: قوله: «قالوا اليهود والنصارى» يجوز فيها وجهان:

الأول: نصب اليهود والنصارى على أنه مفعول لفعل محذوف تقديره: أتعنى اليهود والنصارى؟

(٢) عن تيسير العزيز الحميد (٢٧٠ و ٢٧١).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٠).

(٣) القول المفيد (١/٦٠٢ - ٦٠٣).

الثاني: الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: أهم اليهود والنصارى؟ وعلى كل تقدير؛ فالجملة إنشائية لأنهم يسألون النبي ﷺ؛ فهي استفهامية، والاستفهام من باب الإنشاء.

واليهود: أتباع موسى عليه الصلاة والسلام، وسموا يهوداً نسبة إلى يهوذا من أحفاد إسحاق، أو لأنهم هادوا إلى الله؛ أي: رجعوا إليه بالتوبة من عبادة العجل. قلت: ويستدل بقروله تعالى: ﴿إنا هدنا إليك﴾.

والنصارى: هم أتباع عيسى عليه الصلاة والسلام، وسموا بذلك نسبة إلى بلدة تسمى الناصرة، وقيل: من النصر؛ كما قال تعالى ﴿من أنصاري إلى الله﴾. أه. قوله: [فمن؟!].

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: قوله: (قال فمن) هو استفهام إنكار والتقدير: فمن هم غير أولئك أه.

ثم قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: وقد أخرج الطبراني من حديث المستورد بن شداد رفعه «لا تترك هذه الأمة شيئاً من سنن الأولين حتى تأتيه»<sup>(٣)</sup> ووقع في حديث عبدالله بن عمرو عند الشافعي بسند صحيح «التركيب سنة من كان قبلكم حلوها ومرها» قال ابن بطال: أعلم ﷺ أن أمته ستبعب المحدثات من الأمور والبدع والأهواء كما وقع للأمم قبلهم، وقد أُنذِر في أحاديث كثيرة بأن الآخر شر، والساعة لا تقوم إلا على شرار الناس، وأن الدين إنما يبقى قائماً عند خاصة من الناس. قلت: - ابن حجر - وقد وقع معظم ما أُنذِر به ﷺ وسيقع بقية ذلك، وقال الكرمانى: حديث أبي هريرة مغاير لحديث أبي سعيد لأن الأول فسر بفارس والروم، والثاني باليهود والنصارى، ولكن الروم نصارى وقد كان في الفرس يهود، أو ذكر ذلك على سبيل المثال لأنه قال في السؤال كنفارس انتهى. ويعكز عليه جوابه ﷺ بقوله: «ومن الناس إلا أولئك» لأن ظاهرة الحصر فيهم، وقد أجاب عنه الكرمانى بأن المراد حصر الناس المعهود من المتبوعين.

قلت - ابن حجر -: ووجهه أنه ﷺ لما بعث كان مُلك البلاد منحصرأ في الفرس والروم وجميع من عداهم من الأمم من تحت أيديهم أو كلا شيء بالنسبة إليهم، فصح الحصر بهذا الاعتبار، ويحتمل أن يكون الجواب اختلف بحسب المقام، فحيث قال فارس

(٢، ١) فتح البارى (١٣/٣١٤).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣١٣) وفي إسناده ابن لهيعة.

والروم كان هناك قرينة تتعلق بالحكم بين الناس وسياسة الرعية، وحيث قيل اليهود والنصارى كان هناك قرينة تتعلق بأمور الديانات أصولها وفروعها، ومن ثم كان في الجواب عن الأول «ومن الناس إلا أولئك» وأما الجواب في الثاني بالإبهام فيؤيد الحمل المذكور وأنه كان هناك قرينة تتعلق بما ذكرت أهـ.

● فوائد: - فيه ذم الرأي: قال ابن حجر (١):

واستدل ابن عبد البر في باب ذم القول بالرأي إذا كان على غير أصل بما أخرجه من جامع ابن وهب «أخبرني يحيى بن أيوب عن هشام بن عروة أنه سمع أباه يقول «لم يزل أمر بني إسرائيل مستقيماً حتى حدث فيهم المولدون أبناء سبأيا الأمم فأحدثوا فيهم القول بالرأي وأصلوا بني إسرائيل» (٢) قال: وكان أبي يقول «السنن السنن فإن السنن قوام الدين» (٣).

وعن ابن وهب أخبرني بكر بن مضر عن سمع ابن شهاب الزهري وهو يذكر ما وقع الناس فيه من الرأي وتركهم السنن، فقال: «إن اليهود والنصارى إنما انسلخوا من العلم الذي كان بأيديهم حين استقلوا الرأي وأخذوا فيه» (٤).

وأخرج ابن أبي خيثمة من طريق مكحول عن أنس «قيل: يارسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل، إذا ظهر الإدهان في خياركم والفحش في شراركم، والمملك في صغاركم، والفقه في رذالكم».

وفي مصنف قاسم ابن أصبغ بسند صحيح عن عمر «فساد الدين إذا جاء العلم من قبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس إذا جاء العلم من قبل الكبير تابعه عليه الصغير» وذكر أبو عبيد أن المراد بالصغر في هذا صغر القدر لا السن والله أعلم أهـ.

قال ابن عثيمين (٥):

● من فوائد الحديث:

١- ما أراده المؤلف بسياقه، وهو أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان؛ لأنه من سنن من قبلها، وقد أخبر ﷺ أننا ستبعمهم.

(١) فتح الباري (١٣/٣١٤).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «بيان جامع العلم ونقله» (١٣٨/٢).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر المصدر السابق.

(٥) القول المفيد ١/ ٦٠٣: ٦٠٥.

٢- ويستفاد أيضاً من فحوى الكلام التحذير من متابعة من قبلنا فى معصية الله .

٣- أنه ينبغى معرفة ما كان عليه من كان قبلنا مما يجب الحذر منه لنحذره، وغالب ذلك - والله الحمد - موجود فى القرآن والسنة .

قلت: وكأنه يشير إلى أن من أراد فقه الواقع فمصدره الأول الكتاب والسنة ومن أعرض عنهما ولجأ إلى غيرها من الكتب فلا يهتدى . والله أعلم .

٤- استعظام هذا الأمر عند الصحابة؛ لقولهم اليهود والنصارى، فإن الاستفهام للاستعظام؛ أى: استعظام الأمر أن تتبع سنن من كان قبلنا بعد أن جاءنا الهدى مع النبى ﷺ .

٥- أنه كلما طال العهد بين الإنسان وبين الرسالة، فإنه يكون أبعد من الحق؛ لأنه أخبر عن مستقبل ولم يخبر عن الحاضر، ولأن من سنن من قبلنا أنه لما طال عليهم الأمد قست قلوبهم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (\*) .

إذا كان طول الأمد سبباً لفسوة القلب فيمن قبلنا؛ فيكون فينا، ويشهد لذلك ما جاء فى «البخارى» من حديث أنس رضى الله عنه؛ أنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول: «لا يأتى على الناس زمان إلا وما بعده شر منه، حتى تلقوا ربكم»<sup>(١)</sup>، ومن تتبع أحوال هذه الأمة وجد الأمر كذلك، لكن يجب أن نعرف الفرق بين الجملة والأفراد؛ فحديث أنس رضى الله عنه حديث صحيح سنداً ومتناً؛ فالتن ليس فيه شذوذ، والسند فى «البخارى»، والمراد به من حيث الجملة، ولذلك يوجد فى أتباع التابعين من هو خير من كثير من التابعين؛ فلا تياسوا، فتقولوا: إذا لا يمكن أن يوجد فى زماننا هذا مثل ما سبق؛ لأننا نقول: إن مثل هذا الحديث يراد به الجملة، وإذا شتمت أن يتضح الأمر؛ فانظروا إلى جنس الرجال وجنس النساء؛ أيهما خير؟

والجواب: جنس الرجال خير، قال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾، لكن يوجد

(\*) وقد أطلنا شرح الآية من حيث أسباب النزول وعلاقتها بالإيمان وغيره فى كتابنا «فقه الخطابة وزاد الخطيب» فى خطبة تجديد الإيمان . فيرجع إليها تنمة للفائدة .

(١) سبق تخريجه .

وَلَمُسْلِمٍ عَنْ ثَوْبَانَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوْى لِي  
الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مُشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلِّغُ مُلْكُهَا مَا زَوْى لِي مِنْهَا،

فى النساء من هى خير من كثير من الرجال، فيجب أن نعرف الفرق بين الجملة  
والأفراد.

فإذا نظرنا إلى مجموع القرن كله نجد أن ما بعد القرن شر منه، لا باعتبار الأفراد  
ولاباعتبار مكان دون مكان؛ فقد تكون أمة فى بعض الجهات يرتفع الناس فيها من حسن  
إلى أحسن، كما لو نشأ فيها علماء نفع الله بهم؛ فإنهم يكونون أحسن ممن سبقهم.  
أمأ الصحابة؛ فلا أحد يساويهم فى فضل الصحبة، حتى أفرادهم لا يمكن لأحد من  
التابعين أن يساويهم فيها مهما بلغ من الفضل؛ لأنه لم يدرك الصحبة.  
مسألة: ما هى الحكمة من ابتلاء الأمة بهذا الأمر: «لتبعن سنن...» إلخ، وأن يكون  
فيها من كل مساوىء من سبقها؟

الجواب: الحكمة لبتين بذلك كمال الدين؛ فإن الدين يعارض كل هذه الأخلاق، فإذا  
كان يعارضها دل على أن كل نقص فى الأمم السابقة، فإن هذه الشريعة جاءت بتكميله؛  
لأن الأشياء لا تتبين إلا بضدها؛ كما قيل: وبضدها تتبين الأشياء. اهـ.  
وقال القرعاوى<sup>(١)</sup>: ذاكراً أيضاً لفوائد الحديث:-

- ١- بيان معجزة للنبي ﷺ حيث تحقق ما أخبر به.
  - ٢- توضيح الأشياء المعنوية بالأمثلة الحسية من أساليب التعليم فى الإسلام.
  - ٣- تحريم مشابهة أهل الكتاب وفارس والروم.
  - ٤- سؤال أهل العلم عما خفى حكمه أهـ.
- قلت: وفيه عدم جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة وهذا متقرر فى علم الأصول.



مناسبة الحديث للباب:

قال قرعاوى<sup>(٢)</sup>: حيث دلَّ الحديث أن بعض هذه الأمة سيعبد الأوثان. قلت:  
وقوله: وحتى تعبد فنام من أمتى الأوثان.  
قوله: [عن ثوبان].

(١) الجديد ٢١٣ و ٢١٤.

(٢) الجديد (٢١٧).



وَأَعْطَيْتُ الْكَزَّيْنِ: الْأَخْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يَهْلِكَهَا  
بِسَنَةِ بَعَامَةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيَضَّتَهُمْ، وَأَنَّ  
رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ وَإِنِّي أُعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ  
لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ بَعَامَةٍ وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ  
بِيَضَّتَهُمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَأْطَارُهَا - أَوْ قَالَ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ  
بَعْضُهُمْ يَهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا» (١).

قال سليمان آل الشيخ (٢): قوله: عن ثوبان. هو ثوبان مولى النبي ﷺ صحبه  
ولازمه ونزل بعده الشام، ومات بحمص سنة أربع وخمسين. أه.  
قوله: [زوى لى].

قال الخطابي (٣): معناه قبضها وجمعها، يقال: انزوى الشيء إذا انقبض وتجمع  
أه.

وقال سليمان آل الشيخ (٤): قال التوربشتى: زويت الشيء جمعته وقبضته، يريد به  
تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب وحاصله أن الله طوى له الأرض  
وجعلها مجموعة كهيئة كف فى مرآة نظره.

وقال القرطبي: أى جمعها لى حتى أبصرت ما تملك أمتى من أقصى المشارق  
والمغرب منها.  
[قوله فرأيت].

قال سليمان آل الشيخ: وظاهر هذا اللفظ يقتضى أن الله تعالى قوى إدراك بصره،  
ورفع عنه الموانع المعتادة فأدرك البعيد من موضعه كما أدرك بيت المقدس من مكة، وأخذ  
يخبرهم عن آياته وهو ينظر إليه أه. وسيأتى مزيد شرح فى ذلك.

وقال ابن عثيمين: [فرأيت] أى بعينى، فهى رؤية عينية ويحتمل أن تكون رؤية  
منامية. أه.

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٩/٢٤٠/٢٨٨٩) والترمذى (٤/٤٧١/٢١٧٥).  
عن ثوبان به.

وانظر «فتح المجيد» (ح ٤٤٨) بتخريجنا.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٧١). (٣) عون المعبود (١١/٣٢٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٧١).

قوله: [مشارقتها ومغاربيها].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: من أقصى المشرق والمغرب أهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: أى: أماكن الشرق والغرب منها.

وهل المراد هنا بالزوى أن الأرض جمعت، أو أن الرسول ﷺ قَوَّى نظره حتى رأى البعيد؟

الأقرب إلى ظاهر اللفظ: أن الأرض جمعت، لا أن بصره قوى حتى رأى البعيد.

وقال بعض العلماء: المراد قوة بصر النبي ﷺ: أن الله أعطاه قوة بصر حتى أبصر مشارق الأرض ومغاربيها، لكن الأقرب الأول، ونحن إذا أردنا تقريب هذا الأمر نجد أن صورة الكرة الأرضية الآن مجموعة يشاهد الإنسان فيها مشارق الأرض ومغاربيها؛ فالله على كل شيء قدير؛ فهو قادر على أن يجمع له ﷺ الأرض حتى تكون صغيرة فيدركها من مشارقتها إلى مغاربيها.

● اعتراض وجوابه:

فإن قيل: هذا إن حمل على الواقع؛ فليس بموافق للواقع؛ لأنه لو حصرت الأرض بحيث يدركها بصر النبي ﷺ المجرد؛ فأين يذهب الناس والبحار والجبال والصحارى؟

والجواب: بأن هذا من الأمور الغيبية التى لا يجوز أن تورث عليها كيف ولم، بل نقول: إن الله على كل شيء قدير؛ إذ قوة الله - سبحانه - أعظم من قوتنا وأعظم من أن نحيط بها، ولهذا أخبر النبي ﷺ أن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم<sup>(٣)</sup>؛ فلا يجوز أن نقول: كيف يجرى مجرى الدم؟ فالله أعلم بذلك.

وهذه المسائل التى لاندركها يجب التسليم المحض لها، ولهذا نقول فى باب الأسماء والصفات: تجرى على ظاهرها مع التنزيه عن التكيف والتمثيل، وهذا ما اتفق عليه أهل السنة والجماعة أهـ.

قلت: «قوله وتحتمل أن تكون رؤية منامية»: هذا الإحتمال بعيد لأنه ﷺ قال فى الحديث نفسه «أنه دعا الله عزوجل» فلا يكون الدعاء إلا فى اليقظة على الراجح. وأنا أعيد وأكرر فى هذه النقطة كثيراً لأن الصوفية أستدلوا أستدلوا عجباً على جواز

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧١). (٢) القول المفيد (١/٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨).

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (٧١٧١)، ومسلم فى السلام (١٤/١٥٥ - النووى) عن صفية به.

وانظر «رياض الصالحين» (١٨٥٢ - بتخريننا).

التصاوير ومشاهدة التلفاز والسينما بهذا الحديث وقالوا إن الله سبحانه وتعالى - ﴿تعالى الله عن ذلك علو كبيراً﴾ أتى بالأرض وزواها على شاشة تليفزيونية فالرسول ﷺ شاهد المشارق والمغرب من خلال الشاشة تليفزيونياً وسينمائياً.

ونحن نقول: - هذا الكلام يخالف فهم السلف للحديث وفهم الشراح حيث قالوا إن الرؤية حقيقية وبمعنى الرأس وأما مانراه في التلفاز فهي خيالات وصور وليست حقيقة. بدليل أنك قد ترى في التلفاز خدع سينمائية وليست حقيقة والحديث يدل على أنه رأى رؤية حقيقية بمعنى رأسه إما بقوة الإدراك أو تقريب البعيد وكلاهما ليس على الله بعزيز.

ثانياً: أن هذا الأمر فيه كرامة لرسول عليه السلام وفيه عظيم القدرة لله عزوجل وفيه معجزة من معجزاته وكون هذا الأمر على شاشة تليفزيونية لا تأباه! العقول السليمة فقط بل تأباه المعجزة والقدرة.

وإذن فما الفرق بين صنع الله لنبيه وصنع البشر للبشر؟! والله أعلم.

قوله: «وإن أمتى سيبلغ ملكها ما زوى لى منها».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال القرطبي: هذا الخبر وجد مخبره كما قاله، فكان ذلك من دلائل نبوته، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى بحر طنجة، بالنون والجيم الذى هو منتهى عمارة المغرب إلى أقصى المشرق، ما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصغد. ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال، ولذلك لم يفكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه. وقوله: زوى: يحتتمل أن يكون مبنياً للفاعل، وأن يكون مبنياً للمفعول والأول أظهر أهـ.

قال النووى<sup>(٢)</sup>: فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظم امتداده فى جهتى المشرق والمغرب، وهكذا وقع، وأما فى جهتى الجنوب والشمال قليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: معنى المراد بالأمة: أمة الإجابة التى آمنت بالرسول ﷺ سيبلغ ملكها ما زوى للرسول ﷺ منها، وهذا هو الواقع؛ فإن ملك هذه الأمة اتسع من المشرق

(١) تيسير العزيز الحميد ١/ ٢٧٢.

(٢) شرح مسلم (٢٤٢/٩).

(٣) القول المفيد ١/ ٦٠٨.

ومن المغرب اتساعاً بالغاً، لكنه من الشمال والجنوب أقل بكثير، والأمة الإسلامية وصلت من المشرق إلى السند والهند وما وراء ذلك، ومن المغرب إلى ما وراء المحيط، وهذا يحقق ما رآه النبي ﷺ.

فائدة:

**قال الخطابي:** يتوهم بعض الناس أن (من) هاهنا معناها التبعض فيقول: كيف شرط هاهنا في أول الكلام الاستيعاب ورد آخره إلى التبعض، وليس ذلك على ما يقدرونه وإنما معناه التفصيل للجملة المتقدمة، والتفصيل لا يناقض الجملة ولا يبطل شيئاً منها، لكنه يأتي عليها شيئاً فشيئاً ويستوفيها جزءاً جزءاً. والمعنى أن الأرض زويت جملتها له مرة واحدة فرآها ثم يفتح له جزء جزء منها حتى يأتي عليها كلها فيكون هذا معنى التبعض فيها أه<sup>(١)</sup>.

قوله: «وَأُعْطِيَ الْكَنْزَيْنِ: الْأَحْمَرَ، وَالْأَبْيَضَ».

**قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>:** قال القرطبي: يعنى بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس، وكنز قيصر وهو ملك الروم، وقصورهما وبلادهما. وقد دل على ذلك قوله عليه السلام حين أخبر عن كلاهما أه.

**[قلت] قال النووي<sup>(٣)</sup>:** الذهب والفضة، والمراد كنز كسرى وقيصر ملكى العراق والشام أه.

ثم ذكر سليمان آل الشيخ حديث «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفِقَنَّ كَنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup> وعبر بالأحمر عن كنز قيصر. لأن الغالب عندهم كان الذهب، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة. وقد ظهر ذلك ووجد كذلك في زمان الفتوح في إمارة عمر رضى الله عنه - فإنه سيق إليه تاج كسرى وحليته، وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها وعظمتها، وكذلك فعل الله بقيصر لما فتحت بلاده. كذا قال في الغالب على كنوز كسرى وقيصر وعكس ذلك: التوربشتى والخلخالى. والأبيض والأحمر منصوبان على البذل أه.

(١) عون المعبود (١١/٣٢٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٧٢).

(٣) شرح مسلم (٩/٢٤١).

(٤) [صحيح] أخرجه البخارى (٣٦١٨)، ومسلم فى الفتن (٩/٢٦٧/٧٥) عن أبى هريرة به.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: وقوله: «أعطيت» هل هو ﷺ أعطيتها في حياته، أم بعد

موته؟

الجواب: بعد موته أعطيت أمته ذلك، لكن ما أعطيت أمته؛ فهو كالمعطى له؛ لأن امتداد ملك الأمة لا لأنها أمة عربية كما يقول الجهال، بل لأنها أمة إسلامية أخذت بما كان عليه الرسول ﷺ.

قلت: وقد تقدم في أول الكتاب أن خطاب الله تعالى للنبي على ثلاثة أنواع منها هذا النوع أنه يخاطبه ويكون المراد بها أمته دونه وارجع إلى تفسير قوله: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» الآية في أول الكتاب تجد ذلك.

قوله: (وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعام).

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: هكذا ثبت في أصل المصنف بعامه بالباء وهي رواية صحيحة في أصل «مسلم» وفي بعض أصوله بسنة عامة بحذفها. قال القرطبي: وكأنها زائدة لأن عامة صفة لسنة فكانه قال: بسنة عامة.

ويعنى بالسنة: الجذب العام الذي يكون به الهلاك العام، ويسمى الجذب والقحط سنة ويجمع على سنين كما قال تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ» أي: بالجذب المتوالي أهر.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: السنة: الجذب والقحط، وهو يهلك ويدمر، قال ﷺ: «اللهم! اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف»<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: «وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ»، ويحتمل أن يكون المعنى بعام واحد؛ فتون(\*) الباء للظرفية.

وعامة؛ أي: عموماً تعميم أهر.

قوله: «وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد».

(١) [صحيح] القول المفيد (١/٦٠٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٢٧٢، ١/٢٧٣.

(٣) القول المفيد ١/٦٠٩.

(٤) تقدم من حديث أبي هريرة به.

(\*) هكذا في المطبوع ولعلها [فتكون].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال بعضهم: أى إذا حكمت حكماً مبرماً فإنه نافذ لا يرد بشيء، ولا يقدر أحد على رده، بل كل جميع الخلق تمضى عليهم الأقدار طوعاً وكرهاً كما قال النبي ﷺ: «لَا رَادَ لِمَا قَضَيْتَ»<sup>(٢)</sup> قلت: - يعنى سليمان آل الشيخ - الظاهر أنه سواء فى ذلك المبرم والمعلق، فالكل لا يرد فإن هذا إخبار عن عدم الرد لجنس القضاء، والنبي ﷺ سأل ذلك مطلقاً فأجيب بهذا واستجاب له دعاءه ما لم يوجد الشرط المقتضى لتسليط العدو، فإذا وجد ذلك وجد القضاء المعلق.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: اعلم أن قضاء الله نوعان:

(١) قضاء شرعى قد يرد؛ فقد يرده الله ولا يقبلونه.

(٢) قضاء كونى لا يرد، ولا بد أن ينفذ.

وكلا القضاءين قضاء بالحق، وقد جمعهما قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ».

ومثال القضاء الشرعى: قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»؛ لأنه لو كان كونياً؛ لكان كل الناس لا يعبدون إلا الله.

ومثال القضاء الكونى: قوله تعالى: «وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا»؛ لأن الله تعالى لا يقضى شرعاً بالفساد، لكنه يقضى به كوناً وإن كان يكرهه سبحانه؛ فإن الله لا يحب الفساد ولا المفسدين، لكنه يقضى بذلك لحكمة بالغة، كما قَسَمَ خلقه إلى مؤمن وكافر؛ لما يترتب على ذلك من المصالح العظيمة.

والمراد بالقضاء فى هذا الحديث: القضاء الكونى؛ فلا أحد يستطيع رده مهما كان من الكفر والفسوق؛ فقضاء الله نافذ على أكبر الناس عتواً واستكباراً، فقد نفذ على فرعون وأغرق بالماء الذى كان يفتخر به، وعلى طواغيت بنى آدم فأهلكهم الله ودمرهم.

وفى قوله: «إِذَا قَضَيْتَ قِضَاءً؛ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ» من كمال سلطان الله وقدرته وربوبيته ما هو ظاهر؛ لأنه ما من ملك سوى الله إلا يمكن أن يرد ما قضى به.

واعلم أن قضاء الله كمشيئته بالحكمة؛ فهو لا يقضى قضاءً إلا والحكمة تقتضيه، كما

(١) تيسير العزيز الحميد ١/ ٢٧٣.

(٢) ذكره الحافظ فى «الفتح» (١١/ ٥٢١) ونسبه للطبرانى وحسن إسناده.

(٣) القول المفيد ١/ ٦١٠.

لا يشاء شيئاً إلا والحكمة تقضيه، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾؛ فيتبين أنه لا يشاء شيئاً إلا عن علم وحكمة، وليس لمجرد المشيئة.

خلافاً لمن أنكر حكمة الله من الجهمية وغيرهم، فقالوا: إنه لا يفعل الأشياء إلا لمجرد المشيئة، فجعلوا على زعمهم المخلوقين أكمل تصرفاً من الله؛ لأن كل عاقل من المخلوقين لا يتصرف إلا للحكمة، ولهذا كان الذى يتصرف بسفه يحجر عليه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.

فتحن نقول: إن الله - جل وعلا - لا يفعل شيئاً ولا يحكم بشيء إلا للحكمة.

ولكن هل يلزم من الحكمة أن نحيط بها علماً؟

الجواب: لا يلزم؛ لأننا أقصر من أن نحيط علماً بحكم الله كلها، صحيح أن بعض الأشياء نعرف حكمتها، لكن بعض الأشياء تعجز العقول عن إدراكها.

والمقصود من قوله: «إذا قضيت قضاءً؛ فإنه لا يرد» بيان أن من الأشياء التى سألها النبى ﷺ ما لم يعطها؛ لأن الله قضى بعلمه وحكمته ذلك، ولا يمكن أن يرد ما قضاه الله - عز وجل -.

والقضاء قد يتوقف على الدعاء، بل إن كل القضاء أو أكثر القضاء له أسباب؛ فدخول الجنة لا يمكن إلا بسبب يترتب دخول الجنة عليه، وهو الإيمان والعمل الصالح.

كذلك حصول المطلوب، قد يكون الله - عز وجل - منعه حتى نسال، لكن من الأشياء ما لا تقتضى الحكمة وجوده، وحينئذ يجازى الداعى بما هو أكمل، أو يؤخر له ويدخر له عند الله - عز وجل -، أو يصرف عنه من سوء ما هو أعظم، والدعاء إذا تمت فيه شروط القول ولم يجب؛ فإننا نجزم بأنه أدخر له. اهـ. قلت: وقد تقدم صدر هذا الكلام عند

قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ الآية فى أول الكتاب.

قوله: [وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلکم بسنة بعامة... إلخ].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً» أى حتى يوجد ذلك منهم فإن وجد، فإنه يسلط عليهم عدوهم من الكفار، فيستبيح جماعتهم وإمامهم ومعظمهم، لا كل الأمة، ثم أيضاً تكون العاقبة لهذه الأمة إن رجعوا عما هم فيه من

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٧٤/٢٧٣)

الأسباب الموجبة للتسليط، وكذلك وقع، فإن هذه الأمة لما جعل بأسها بينها اقتتلوا فأهلك بعضهم بعضاً، وسبى بعضهم بعضاً، فلما فعلوا ذلك تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو، واستولوا عليهم، كما وقع ذلك فى المائة السابعة، فى المشرق والمغرب، فاختلفت ملوك المشرق وتخاذلوا واستولى التتار على غالب أرض خراسان، وعلى العراق، وديار الروم، وقتلوا الخليفة والعلماء والملوك الكبار، وكذلك ملوك المغرب اختلفوا وتخاذلوا واستولت الإفرنج على جمع بلاد الأندلس والجزر القريبة منها، فهى فى أيديهم إلى اليوم، بل استولوا على كثير من بلدان الشام حتى استقنذها منهم صلاح الدين بن أيوب، وغيره أهد.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup> شارحاً كلام «تيسير العزيز الحميد»:

وقوله: «وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة» هذه واحدة.

والثانية: قوله: «أن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً».

وهذه الإجابة قُيدت بقوله: «حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً» إذا وقع ذلك منهم؛ فقد يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم؛ فكان إجابة الله لرسوله ﷺ فى الجملة الأولى بدون استثناء، وفى الجملة الثانية باستثناء «حتى يكون بعضهم...».

وهذه هى الحكمة من تقديم قوله: «إذا قضيت قضاءً؛ فإنه لا يُرد»؛ فصارت إجابة الله لرسوله ﷺ مقيدة.

ومن نعمة الله أن هذه الأمة لن تهلك بسنة بعامة أبداً؛ فكل من يدين بدين الرسول ﷺ؛ فإنه لن يهلك، وإن هلك قوم فى جهة بسنة؛ فإنه لا يهلك الآخرون.

فإذا صار بعضهم يقتل بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً؛ فإنه يُسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، وهذا هو الواقع؛ فالأمة الإسلامية حين كانت أمة واحدة عوناً فى الحق ضد الباطل كانت أمة مهيبة، ولما تفرقت وصار بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً؛ سلط الله عليهم عدواً من سوى أنفسهم، وأعظم من سلط عليهم فيما أعلم التتار، فقد سلطوا على المسلمين تسليطاً لانظير له؛ فيقال: إنهم قتلوا فى بغداد وحدها أكثر من خمس مئة عالم فى يوم واحد، وهذا شئ عظيم، وقتلوا الخليفة، وجعلوا

(١) القول المفيد ١/٦١٣، ٦١٤.



الكتب الإسلامية جسراً على نهر دجلة يطؤونها بأقدامهم ويفسدونها، وكانوا يأتون إلى الحوامل ويقرون بطونهن ويخرجون أولادهن يتحركون أمامهم فيقتلونهم، وهي حية تشاهد ثم تموت.

قال ابن الأثير في «الكامل»: «لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظماً لها كارهاً لذكرها فأنا أقدم رجلاً وأوخر أخرى، فمن الذى يسهل عليه نعى الإسلام والمسلمين؟! ومن الذى يهون عليه ذكر ذلك؟! فيا ليت أمى لم تلدنى! وباليتمى مت قبل هذا وكنت نسباً نسياً! إلا أنى حتى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها وأنا متوقف، ثم رأيت أن ذلك لا يجدى...»، وذكر كلاماً طويلاً ووقائع مفرجة، ومن أراد مزيداً من ذلك؛ فليرجع إلى حوادث سنة ٦١٧ من الكتاب المذكور.

وفى الحديث دليل تحريم القتال بين المسلمين، وإهلاك بعضهم بعضاً، وسبى بعضهم بعضاً، وأنه يجب أن يكونوا أمة واحدة حتى تبقى هيبتهم بين الناس وتخشاها الأمم. اهـ.

ثم قال: وقوله: «أن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم». أى: لا يسلط عليهم عدواً، والعدو: ضد الولي، وهو: المَعَادَى المَبْغِض الحاقِد، وأعداء المسلمين هنا: هم الكفار، ولهذا قال: «من سوى أنفسهم» اهـ (١).

قوله: «من سوى أنفسهم».

قال سليمان آل الشيخ: أى: من غيرهم يعنى الكفار اهـ.

قوله: «فيستبيح بيضتهم».

قال سليمان آل الشيخ (٢):

قال الجوهري: بيضة كل شيء حوزته، وبيضة القوم ساحتهم، وعلى هذا فيكون معنى الحديث: إن الله تعالى لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض، ولو اجتمع عليهم كل من بين أقطار الأرض، وهو جوانبها. وقيل: بيضتهم معظمهم وجماعتهم. قلت: - يعنى سليمان آل الشيخ - وهذا هو الظاهر، وأن الله تعالى لا يسلط الكفار على معظم المسلمين وجماعتهم وإمامهم ما داموا بضد هذه الأوصاف المذكورة فى قوله؛ حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً. فأما إذا وجدت هذه الأوصاف، فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم وإمامهم كما وقع أهـ.

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/ ٢٧٣.

(١) القول المفيد ١/ ٦٠٩.

ورَوَاهُ الْبِرْقَانِيُّ فِي «صَحِيحِهِ»، وَزَادَ: «وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الْأُمَّةَ الْمُضَلِّينَ، وَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّيْفُ، لَمْ يُرْفَعْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تَعْبُدَ فِتْنَامَ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانَ، وَإِنَّهُ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَّابُونَ، ثَلَاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى» (١).

قال ابن عثيمين (٢): ومعنى: «يستبيح»: يستحل، والبيضة: ما يجعل على الرأس وقاية من السهام - وتقدم من قول سليمان آل الشيخ - والمراد: يظهرع ليهم ويغلبهم أهد.



قوله: [رواه البرقاني في صحيحه]:

قال سليمان آل الشيخ (٣): هو الحافظ الكبير، أبو بكر، أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الخوارزمي الشافعي. ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة.

قال الخطيب: كان ثباً ورعاً، لم نر في شيوخنا أثبت منه، عارفاً بالفقه. كثير التصانيف، صنّف (مسنداً) ضمّنه ما اشتمل عليه (الصحيحان)، وجمع حديث الثوري، وحديث شعبة، وطائفة وكان حريصاً على طلب العلم منصرف الهمّة إليه. قلت: - يعني سليمان آل الشيخ - وهذا المسند الذي ذكره الخطيب هو صحيحه الذي عزا إليه المصنف أهد.

قال عبدالرحمن آل الشيخ (٤): وهذا الحديث رواه أبو داود بتمامه، بسنده إلى أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله، أو قال: إن ربي زوى لي الأرض، فرأيت مشارق الأرض ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٧٨/٥) وأبو داود (٤٢٥٢/٩٥/٤) وابن ماجه (٣٩٥٢ /١٣٠٤/٢) والحاكم (٤٤٩/٤).

من طريق أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان بنحوه.

(٢) القول المفيد ١/٦٠٩. تيسير العزيز الحميد (٢٧٤).

(٤) فتح المجيد (١/٤٤٨ - ٤٥٠).

عامة، ولا يسلِّط عليها عدوٌّ من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لأبرى، ولا أهلكهم بسنة عامة، ولا أسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها - أو قال: بأقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وحتى يكون بعضهم يسبي بعضاً، وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين. وإذا وضع السيف في أمتي لم يرتفع عنها إلى يوم القيامة. ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان. وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلُّهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، لا نبيَّ بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق - قال ابن عيسى: ظاهرين، ثم اتفقا - لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله».

وروى أبو داود أيضاً، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ أنه قال: «تدور رَحَى الإسلام لخمس وثلاثين، أو ست وثلاثين، أو سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسييل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاماً»، قال: قلت: مما بقى أو مما مضى؟ قال: مما مضى» (١).

وروى في (سننه) أيضاً، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتقارب الزمان وينقص العلم، وتظهر الفتن، ويلقى الشُّحُّ، ويكثر الهرجُ» قيل: يا رسول الله، أيُّه هو؟ قال: «القتل القتل» (٢).

قوله: [وإنما أخاف عيكم الأئمة المضلين].

قال سليمان آل الشيخ (٣): أى الأمراء والعلماء والعباد، الذين يقتدى بهم الناس، ويحكمون فيهم بغير علم فيضلون ويضلون، فهم ضالون عن الحق مضلون لغيرهم، كما قال تعالى عن أهل النار: ﴿حَتَّى إِذَا دَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأَوْلَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ (٤) وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ (٥) وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (٦) ولشدة الضرورة إلى اتباع

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٥٤). وانظر تخريجنا «فتح المجيد» (ح ٤٥٣).

(٢) [صحيح] أخرجه البخارى (٧٠٦١) ومسلم (٤٧٥/٨) وأبو داود (٤٢٥٥) وانظر تخريجنا فتح

المجيد (ح ٤٥٤).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٧٤ - ٢٧٧).

(٤) الأعراف/ ٣٨.

(٥) الأحراب/ ٦٧.

(٦) الكهف/ ١٠٤.

أئمة الهدى ومعرفتهم، والتفريق بينهم وبين أئمة الضلال المغضوب عليهم والضالين. أمرنا الله أن نسأله الهداية إلى سلوك صراط أئمة الهدى وهم المنعم عليهم من النبيين والصدقيين والشهداء والصالحين، غير المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق ولا يعملون به، ولا الضالين الذين يعملون على غير شرع من الله، بل بما تهوى أنفسهم. فصراط المنعم عليهم هو الجامع بين العلم بالهدى والعمل به، وقد وصف النبي ﷺ أئمة الهدى لما ذكر التفريق من بعده، بأنهم الذين كانوا على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، كما رواه أبو داود وغيره. فمن كان على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه فهو من الأئمة المهديين، ومن خالفهم فهو من الضالين، كالذى يقول لأصحابه من كانت له حاجة فليأت إلى قبري فإني أفضيها له، ولاخير في رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب، أو نحو هذا كالذى يدعى أنه يخلص أصحابه ومريديه من النار، وأنه يحفظ الناس ويكلأهم إذا اعتقدوه، ويضر بهم إذا كفروا به وحاربوه. ويدعى أن ذلك من كرامته. وكالذى يمشى في الأسواق عرياناً ولا يشهد بصلاة ولا ذكر الله علماً بل يعيب علماء الشرع، ويغمزهم ويسميهم أهل علم الظاهر ويدعى أنه صاحب علم الباطن، وربما يدعى أنه يسعه الخروج من شريعة محمد ﷺ، كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، ونحو ذلك من الكفر والهديان. وكالذى يدعى أن العبد يصل مع الله إلى حال تسقط عنه التكليف، أو يدعى أن الأولياء يدعون ويستغاث بهم في حياتهم ومماتهم، وأنهم ينفعون ويضرون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، أو أنه يطلع على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم، أو يجوز بناء المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وإيقادها بالسرج والشموع، وكسوتها بالحرير والديباج والفرش النفيسة أو يدعى أن من عمل بالقرآن والسنة في أصول الدين وفروعه فقد ضل وأضل وابتدع، أو أن ظواهر القرآن في آيات الصفات تشبيه وتمثيل، وأن الهدى لا يؤخذ منه في هذا الباب ولا في غيره، وإنما يؤخذ من الشبهات الوهمية التي يسميها بزعمه براهين عقلية. فكل هؤلاء وأشباههم من أئمة الضلال الذين خاف النبي ﷺ على أمته وحذر منهم والضابط في الفرق بين أئمة المتقين وبين الأئمة المضلين قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿١١﴾ فافهم عن ربك وكن على بصيرة، ولا يفرك جلاله شخص أو عظمته في النفوس. فربك أعظم وتبايع لكلامه وكلام رسول الله ﷺ هو الفرض، والعصمة منتفية عن غير الرسول، وربك أدري بما في

(١) آل عمران، الآيتان ٣١، ٣٢.

الضمانر؛ فرب من تعتقده إمام هدى ليس كذلك، وقد قال تعالى لنييه ﷺ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١) فكل من أتى بشيء يخالف ما جاء عن الله وعن رسوله، فهو من أهواء الذين لا يعلمون، ومن لم يستجب للرسول ﷺ فإنما يتبع هواه. قال الله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَن أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

وعن زياد بن حدير قال: قال لى عمر: هل تعرف ما يهدم الإسلام؟ قلت: لا. قال: يهدمه زلة العالم، وجدال المنافق بالكتاب، وحكم الأئمة المضلين (٢). رواه الدارمي.

وقال يزيد بن عميرة: كان معاذ بن جبل لا يجلس مجلساً للدكر إلا قال حين يجلس: الله حكم قسط هلك المرتابون... الحديث». وفيه: واحذروا زيغة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قلت لمعاذ: ما يدرينى رحمتك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال لى: اجتنب من كلام الحكيم المشتبهات التى يقال: ما هذه ولا يشيك ذلك عنه، فإنه لعله يراجع الحق، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نوراً (٣). رواه أبو داود وغيره وما أحسن ما قال ابن المبارك رضى الله عنه:

وهل أفسد الدين إلا الملو ك وأحبار سوء ورهبانها. أهـ

قال عبدالرحمن آل الشيخ (٤): وهذا هو الضلال البعيد؛ يدعو أصحابه إلى أن يعبدوه من دون الله، ويسألوه ما لا يقدر عليه من قضاء حاجاتهم، وتفريخ كرباتهم، وقد قال تعالى: ﴿يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ (١٢) يدعو

(١) سورة الجاثية، الآية: ١٨.

(٢) أخرجه الدارمي في «سننه» (٧١/١).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦/١).

(٤) فتح المجيد. ٤٥٠، ٤٥١.

لَمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ»<sup>(١)</sup> وقال تعالى: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا»<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: «فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»<sup>(٣)</sup> وأمثالُ هذا في القرآن كثير، يُبينُ تعالى الهدى من الضلال.

ومن هذا الضرب: مَنْ يدعى أنه يصلُ مع الله إلى حال تسقط عنهم التكاليف، أو يدعى أن الأولياء يُدعون أو يستغاث بهم في حياتهم ومماتهم. وأنهم ينفعون ويضرُّون ويدبرون الأمور على سبيل الكرامة، أو أنه يطلع على اللوح المحفوظ، ويعلم أسرار الناس وما في ضمائرهم.

أو يُجوزُ بناء المساجد على قبور الأولياء والصالحين، وإيقادها بالسرج، ونحو ذلك من العُلُو والإفراط والعبادة لغير الله. فما أكثر هذا الهذيان والكفر، والمحادة لله وكتابه ورسوله.

وقوله ﷺ: «وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلِّين» أتى بآئمتها، التي قد تأتي للحرص؛ بياناً لشدة خوفه على أُمَّته من أئمة الضلال. وما وقع في حَلَدِ النبي ﷺ من ذلك، إلا لما أطلعه الله عليه من غيبه أنه سيقعُ نظير ما في الحديث قبله من قوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» الحديث<sup>(٤)</sup>.

وقد بيَّن الله تعالى في كتابه صراطه المستقيم، الذي هو سبيل المؤمنين. فكلُّ من أحدثَ حدثاً ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ فهو ملعونٌ، وحدُّه مردود؛ كما قال ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحَدَّثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»<sup>(٥)</sup>.

وقال: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»<sup>(٦)</sup>.

وقال «كُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(٧)</sup>.

(١) الحج: ١٢ - ١٣.

(٢) الفرقان: ٣.

(٣) العنكبوت: ١٧.

(٤) تقدم.

(٥) [صحيح] أخرجه البخاري (١٨٧)، مسلم (١٤٨/٥) وانظر «فتح المجيد» (٤٥٦ - بتخريجنا).

(٦) [صحيح] أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (ح/١٢) وانظر «فتح المجيد» (٤٥٧ - بتخريجنا).

(٧) أخرجه أحمد (١٢٦/٤، ١٢٧) وانظر «فتح المجيد» (٤٥٨ - بتخريجنا).

وهذه أحاديثٌ صحيحة، ومدارُ أصول الدين وأحكامه على هذه الأحاديث ونحوها. وقد بينَ الله تعالى هذا الأصلَ في مواضع من كتابه العزيز، كما قال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ (١) وقال ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يَغْنُوا عَنكَ مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ الآية (٢) ونظائرُها في القرآن كثيرة. اهـ.

قال ابن عثيمين (٣): قوله: «إنما أخاف من أمتي الأئمة المضلين».

بين الرسول ﷺ أنه لا يخاف على الأمة إلا الأئمة المضلين.

والأئمة: جمع إمام، والإمام قد يكون إماماً في الخير أو الشر، قال تعالى في أئمة الخير: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وقال تعالى عن آل فرعون أئمة: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾.

والذي في حديث الباب: «الأئمة المضلين»، أئمة الشر، وصدق النبي ﷺ، إن أعظم ما يُخاف على الأمة الأئمة المضلون؛ كرؤساء الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم.

والمراد بقوله: «الأئمة المضلين»: الذين يقودون الناس باسم الشرع، والذين يأخذون الناس بالقهر والسلطان؛ فيشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوةً لهم.

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : لو كان لى دعوة مستجابة؛ لصرفتها للسلطان؛ فإنَّ بصلاحه صلاح الأمة.

[قلت]: وما يؤدي هذا المعنى من التحذير من الأئمة المضلين، وأئمة الضلال في القرآن الكريم، وأنهم إذا فسدوا فسد بفسادهم الناس. قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

قال ابن كثير (٤): والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان

(٢) الجاثية: ١٨ - ١٩.

(١) الأعراف: ٢

(٣) القول المفيد (١/٦١٤ - ٦١٥).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٢٣٨).

ابن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة» قالوا اليهود والنصارى؟ قال «فمن؟» وفي رواية فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا هؤلاء؟»<sup>(١)</sup> والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم، ولهذا قال تعالى: ﴿لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأجبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تحيى إليهم فلما بعث الله رسوله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعاً منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم إياها وعوضهم الذل والصغار وباؤوا بغضب من الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أى وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعونهم إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

وقوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية، هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس فإن الناس عالة على العلماء وعلى العباد وعلى أرباب الأموال فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس كما قال ابن المبارك.

وهل أفسد الدين إلا الملوك وأجبار سوء ورهبانها اهـ.

ومن الأحاديث: حديث حذيفة فى الفتن فيه: «دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها» وفي روايات أخرى «دعاة يهدون بغير هدى ويستنون بغير سنى»<sup>(٢)</sup>.

وحديث: «غير الدجال أخوف منى عليكم الأئمة المضلين»<sup>(٣)</sup>.

وفى هذا الباب أحاديث كثيرة. والله المستعان.

قوله: «وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: أى: إذا وقعت الفتنة والقتال بينهم بقى إلى يوم القيامة، وكذلك وقع. فإن السيف لما وضع فيهم بقتل عثمان رضى الله عنه لم يرتفع

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم فى الفتن (١١٠/٢٨٩/٩) عن النواس بن سميان.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١/٢٧٦.



إلى اليوم، وكذلك يكون إلى يوم القيامة. ولكن يكثر تارة ويقبل أخرى، ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى.

قوله: «وَلَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ حَيٌّ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ».

قال سليمان ابن عبدالله<sup>(١)</sup>: الحى واحد الأحياء، وهى القبائل. وفى رواية أبى داود: «ولانقوم الساعة حتى يلحق قبائل من أمتى بالمشركين» والمعنى أنهم ينزلون معهم فى ديارهم، ويصيرون منهم بالردة ونحوها.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: وأما الحى؛ فالظاهر أن المراد به الجنس، وليس واحد الأحياء، وإن قيل: إن المراد واحد الأحياء؛ فلا بد أن يكون لهذا الحى أثره وقيمته فى الأمة الإسلامية، بحيث يتبين ويظهر، وربما يكون لهذا الحى إمام يزيغ - والعياذ بالله - ويفسد؛ فيتبعه كل الحى، ويتبين ويظهر أمره.

والحى: بمعنى القبيلة.

وهل المراد باللحوق هنا اللحوق البدنى، بمعنى أنه يذهب هذا الحى إلى المشركين ويدخلون فيهم، أو اللحوق الحكيمى، بمعنى أن يعملوا بعمل المشركين، أو الأمران معاً؟  
الظاهر أن المراد جميع ذلك. اهـ.

قوله: «وَحَتَّى تَعْبُدَ فِتْنَامٌ مِنْ أُمَّتِي الْأَوْثَانُ».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: الفتنام - مهموز - الجماعات الكثيرة. قاله أبو السعادات،

وفى رواية أبى داود: «وحتى تعبد قبائل من أمتى الأوثان» ومعناه ظاهر.

وهذا هو شاهد الترجمة، ففيه الرد على من قال بخلافه من عباد القبور الذين يتكرون وقوع الشرك، وعبادة الأوثان فى هذه الأمة، وفى معنى هذا ما فى «الصححين»:

عن أبى هريرة مرفوعاً: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَضْطَرَّبَ أَلْيَاتُ نِسَاءِ دَوْسٍ عَلَى ذِي الْخَلْصَةِ»<sup>(٤)</sup> قال: وذو الخلصة طاغية دوس التى كانوا يعبدون فى الجاهلية. وروى ابن حبان عن معمر قال: إن عليه الآن بيتاً مبنياً مغلقاً.

وفى «صحيح مسلم» عن عائشة مرفوعاً: «لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٧٦/١.

(٢) القول المفيد ٦١٥/١، ٦١٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٧٦/١، ٢٧٧.

(٤) تقدم تخريجه.

وَالْعَزْزِيُّ<sup>(١)</sup> وقيل: إن القبر المنسوب إلى ابن عباس بالطائف إنه قبر اللات، وكانوا يعبدونه، ويطوفون به ويقربون إليه القرابين وينذرون له النذور ويسألونه قضاء حاجتهم وتفريج كربتهم.

قال عبدالرحمن آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قال العلامة ابن القيم - فى قصة هدم اللات لما أسلمت ثقيف -: فيه أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها، يوماً واحداً.

وكذلك حكمُ المشاهد التي بُنيت على القبور، والتي اتُّخذت أوثاناً تعبد من دون الله. والأحجار التي تُقصد للشرك والنذر، لايجوز إبقاء شىء منها على وجه الأرض مع القدرة على إزالتها. وكثيرٌ منها بمنزلة اللات والعزى ومناة، وأعظم شركاً عندها وبها. فاتَّبِعْ هولاء سنن من كان قبلهم، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة، وغلب الشرك على أكثر النفوس؛ لظهور الجهل وخفاء العلم. فصار المعروف منكراً والمنكر معروفاً، والسنة بدعة والبدعة سنة. وطُمست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقلَّ العلماء، وغلب السفهاء، وتفاقم الأمر، واشتدَّ البأس، وظهر الفسادُ فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس.

ولكن لاتزال طائفةٌ من العصابة المحمَّدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. انتهى ملخصاً. قلتُ: - يعنى عبدالرحمن آل الشيخ - فإذا كان هذا فى القرن السابع وقبله، فما بعده أعظمُ فساداً [كما هو الواقع].

قلت: وفى القرنين العشرين والحادى والعشرين من الفساد وما هو أعظم.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: الفِئام؛ أى: الجماعات، وهذا وقع؛ ففى كل جهة من جهات المسلمين من يعبدون القبور ويعظَّمون أصحابها ويسألونهم الحاجات والرغبات ويلتجئون إليهم، وفئام؛ أى: ليسوا أحياء؛ فقد يكون بعضهم من قبيلة، والبعض الآخر من قبيلة؛ فيجتمعون.

قوله: «وإنه سيكون فى أمتى كذابون، ثلاثون».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: كلهم يزعم أنه نبي. قال القرطبي: وقد جاء عددهم معيناً فى حديث. حذيفة قال:

(١) تقدم تخريجه. (٢) فتح المجيد ١/٤٥٤، ٤٥٥.

(٣) القول المفيد ١/٦١٦.

(٤) تيسير العزيز الحميد ١/٦٧٧: ٦٧٨.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي كَذَابُونَ دَجَالُونَ سَبْعٌ وَعَشْرُونَ، مِنْهُمْ أَرْبَعُ نُسُوءٍ» (١) أخرجه أبو نعيم وقال: هذا حديث غريب تفرد به معاوية بن هشام قلت: - يعني عبدالرحمن آل الشيخ - حديث ثوبان أصح من هذا قال القاضي عياض: عدد من تنبأ من زمن رسول الله ﷺ إلى الآن ممن اشتهر بذلك، وعرف واتبعه جماعة على ضلالتة، فوجد هذا العدد فيهم ومن طالع كتب الأخبار والتواريخ عرف صحة هذا.

وقال ابن حجر: قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ فخرج مسيلمة الكذاب باليمامة، والأسود العنسي باليمن، ثم خرج في خلافة أبي بكر طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمية، وسجاح التميمية في بني تميم، وقتله الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ، وقتل مسيلمة الكذاب في خلافة أبي بكر رضى الله عنه، وتاب طليحة ومات على الإسلام على الصحيح في زمن عمر رضى الله عنه. ويقال: إن سجاح تابت أيضاً، ثم خرج المختار بن أبى عبيد الثقفى وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير فأظهر محبة أهل البيت، ودعا الناس إلى طلب قتلة الحسين فاتبعهم فقتل كثيراً ممن باشر ذلك، أو أعان عليه فأحبه الناس ثم إنه زين له الشيطان أن يدعى النبوة، وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه؛ ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبدالملك بن مروان فقتل، وخرج في خلافة بنى العباس جماعة. وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقاً فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبهم ينشأ عن جنون أو سوداء، وإنما المراد من قامت له شوكة، وبدت له شبهة. كمن وصفنا. وقد أهلك الله تعالى من وقع له منهم ذلك وبقي منهم من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر أ.هـ.

قال ابن عثيمين (٢): قوله: «وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون».

حصرهم النبي ﷺ بعدد، وكلهم يزعم أنه نبي أوحى إليه، وهم كذابون؛ لأن النبي ﷺ خاتم النبيين ولانبي بعده، فمن زعم أنه نبي بعد الرسول ﷺ؛ فهو كاذب كافر حلال الدم والمال، ومن صدقه في ذلك؛ فهو كافر حلال الدم والمال، وليس من المسلمين ولا من أمة محمد ﷺ، ومن زعم أنه أفضل من محمد، وأنه يتلقى من الله مباشرة ومحمد ﷺ يتلقى منه بواسطة الملك؛ فهو كاذب كافر حلال الدم والمال أ.هـ.

قوله: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».

قال سليمان آل الشيخ (٣): قوله: «وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ» الخاتم - بفتح التاء - بمعنى

(١) أخرجه أحمد (٣٩٦/٥) وانظر «فتح المجيد» (٤٦٥ - بتخريجنا).

(٢) القول المفيد ١/٦١٦، ٦١٧.

(٣) تيسير العزيز الحميد / ٢٧٨.

الطابع، وبكسرهما بمعنى فاعل الطبع والختم. قال الحسن: خاتم الذي ختم به؛ أى: آخر النبيين، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رُّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وإنما ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان حاكماً بشريعة محمد ﷺ، مصلياً إلى قبلته، فهو كآحاد أمته.

كما قال النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَنْزِلَنَّ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُّقْسِطًا، فَلْيَكْسِرَنَّ الصَّلِيبَ، وَلْيَقْتُلَنَّ الْخَنزِيرَ، وَلْيَضَعَنَّ الْجِزْيَةَ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: أى: آخرهم، وأكد ذلك بقوله: «لانى بعدى»، فإن قيل: ما الجواب عما ثبت فى نزول عيسى بن مريم فى آخر الزمان، مع أنه نبى ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام؛ فالجواب: إن نبوته سابقة لنبوة لنبوة محمد ﷺ، وأما كونه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام؛ فليس تشريعاً جديداً ينسخ قبول الجزية، بل هو تشريع من محمد ﷺ؛ لأنه أخبر به مقررأ له.

قوله: [لاتزال طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم].

قال ابن حجر فى «الفتح»<sup>(٣)</sup>: قال النووي: فيه أن الإجماع حجة، ثم قال: يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع وبصير بالحرب، وفقهه، ومحدث، ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وزاهد، وعابد، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين فى بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم فى قطر واحد، وافتراقهم فى أقطار الأرض، ويجوز أن يجتمعوا فى البلد الواحد وأن يكونوا فى بعض منه دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا جاء أمر الله انتهى كلامه ملخصاً مع زيادة فيه أهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: قوله: «ولاتزال طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم» قال يزيد بن هارون، وأحمد بن حنبل: إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدرى من هم. وكذلك قال أنهم أهل الحديث عبد الله بن المبارك، وعلى بن المدنى، وأحمد بن سنان والبخارى وغيرهم. وقال ابن المدينى فى رواية: هم العرب واستدل برواية من روى هم أهل الغرب، وفسر الغرب بالدلو العظيمة لأن العرب هم الذين يستقون بها.

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٢٢٢٢)، ومسلم (١٨٩/٢) وانظر «فتح المجيد» (٤٦٧).

(٢) القول المفيد ٦١٧/١.

(٣) فتح البارى (٣٠٨/١٣).

(٤) تيسير العزيز الحميد ٢٧٨، ٢٧٩.

قلت - سليمان - : ولا تعارض بين القولين، إذ يمتنع أن تكون الطائفة المنصورة لاتعرف الحديث، ولاسن رسول الله ﷺ بل لا يكون منصوراً على الحق إلا من عمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أهل الحديث من العرب وغيرهم، فإن قيل: فلم خصه بالعرب؟ قيل: المراد التمثيل لا الحصر، أى أن العرب إن استقاموا على العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فهم الطائفة المنصورة حال استقامتهم. قال القرطبي: وفيه دليل على أن الإجماع حجة، لأن الأمة إذا أجمعت فقد دخل فيه الطائفة المنصورة.

وقال المصنف: وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لاتزال عليه طائفة. اهـ.

وقال بنحوه عبدالرحمن آل الشيخ وابن عثيمين ثم قال الأخير<sup>(١)</sup>:

مسألة: قال بعض السلف: إن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث؛ فما مدى صحة هذا القول؟

فقال: الجواب: هذا ليس بصحيح على إطلاقه، بل لابد من التفصيل، فإن أريد بذلك أهل الحديث المصطلح عليه، الذين يأخذون الحديث رواية ودراية وأخرج منهم الفقهاء وعلماء التفسير وما أشبه ذلك؛ فهذا ليس بصحيح؛ لأن علماء التفسير والفقهاء الذين يتحررون البناء على الدليل هم فى الحقيقة من أهل الحديث، ولا يختص بأهل الحديث صناعة؛ لأن العلوم الشرعية: تفسير، وحديث، وفقه ... إلخ.

فالمقصود: إن كل من تحاكم إلى الكتاب والسنة؛ فهو من أهل الحديث بالمعنى العام وأهل الحديث هم: كل يتحرى العمل بسنة رسول الله ﷺ؛ فيشمل الفقهاء الذين يتحررون العمل بالسنة، وإن لم يكونوا من أهل الحديث اصطلاحاً.

فشيخ الإسلام ابن تيمية مثلاً لا يعتبر اصطلاحاً من المحدثين، ومع ذلك؛ فهو رافع لراية الحديث.

والإمام أحمد - رحمه الله - تنازعه طائفتان: أهل الفقه قالوا: إنه فقيه، وأهل الحديث قالوا: إنه محدث.

وهو إمام فى الفقه والحديث والتفسير، ولاشك أن أقرب الناس تمسكاً بالحديث هم الذين يعتنون به.

ويخشى من التعبير بأن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث أن يظن أنهم أهل الحديث الذين يعتنون به اصطلاحاً، فيخرج بذلك غيرهم.

(١) القول المفيد (١/٦١٩).

إذا قيل: أهل الحديث بالمعنى الأعم الذين يأخذون بالحديث، سواء انتسبوا إليه اصطلاحاً واعتنوا به أو لم يعتنوا، لكنهم أخذوا به؛ فيحتثذ يكون صحيحاً أ.هـ.

[قلت]: والأولى الجواب بما تقدم عن النووى فى معنى الطائفة المنصورة أنها بين فقيه؛ ومحدث، وزاهد وعابد.. إلخ، أو أن هذا من باب التفسير بالمثال الذى يحتاج إليه العلماء للتوضيح غالباً وليس بذكر الحد المطابق للمحدود من كل الوجوه، وهذا اختلاف تنوع لاتضاد، وعرفه ابن تيمية بقوله: هو أن يذكر كل واحد من المختلفين من الاسم العام بعض أفراده على سبيل المثال لا على سبيل ذكر الحد المطابق للمحدود. والله المستعان.

قوله: «لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله: «لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم». خذلهم؛ أى: لم ينصرهم ويوافقهم على ما ذهبوا إليه، وفى هذا دليل على أنه سيوجد من يخذلهم، لكنه لا يضرهم؛ لأنّ الأمور بيد الله، وقد قال ﷺ: «واعلم أنّ الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك»<sup>(\*)</sup>، وكذلك لا يضرهم من خالفهم؛ لأنهم منصورون بنصر الله؛ فالله - عزوجل - إذا نصر أحداً فلن يستطيع أحد أن يخذله. أ.هـ.

قوله: [حتى يأتى أمر الله].

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: المراد بأمر الله: هبوب تلك الرياح، وأن المراد بقيام الساعة: ساعتهم، وأن المراد بالذين يكونون بيت المقدس: الذين يحصرهم الدجال إذا خرج فينزل عيسى إليهم فيقتل الدجال، ويظهر الدين فى زمن عيسى، ثم بعد موت عيسى تهب الرياح المذكورة، فهذا هو المعتمد فى الجمع، والعلم عند الله تعالى أهـ.

[قلت]: أى الجمع بين حديث «حتى يأتى أمر الله وهم ظاهرون» وحديث «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: قوله: «حتى يأتى أمر الله» الظاهر أن المراد بأمر الله ما روى من قبض من بقى من المؤمنين بالريح الطيبة، ووقوع الآيات العظام، ثم لا يبقى إلا شرار الناس كما روى الحاكم.

وأصله فى «مسلم» عن عبدالرحمن بن شماسه أن عبدالله بن عمرو قال: «لا تقوم

(\*) تقدم تخريجه

(١) القول المفيد (١/٦١٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد ١/٢٧٩، ٢٨٠.

(٣) فتح البارى (١٣/٣٠٧).

السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ لَأَنْزَالُ عَصَابَةٍ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَاهْرِبِينَ لِعَدُوِّهِمْ لَا يَضُرُّهُمْ مِنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ أَجَلٌ ثُمَّ: يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمَسْكِ، مَسَّهَا مَسَّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرَكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ إِيْمَانٍ إِلَّا قَبِضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

وفى «صحيح مسلم» عن ابن مسعود مرفوعاً: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>.

وفى «صحيحه» أيضاً: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ فِي الْأَرْضِ اللَّهُ اللَّهُ» وذلك إنما يقع بعد طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وسائر الآيات العظام<sup>(٣)</sup>.

وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السلك إذا انقطع تناثر الحرز بسرعة، رواه أحمد. ويؤيده حديث عمران بن حصين مرفوعاً: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمُ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ» رواه أبو داود والحاكم<sup>(٤)</sup>. وعلى هذا فالمراد بقوله فى حديث عقبه وما أشبهه من الأحاديث «حتى تأتيهم الساعة» ساعتهم وهى وقت موتهم بهبوب الريح؛ ذكره الحافظ وهو المعتمد - وقد تقدم هذا الكلام بنصه فى الأبواب المتقدمة - وقد اختلف فى محل هذه الطائفة؛ فقال ابن بطال: إنها تكون ببيت المقدس حتى إلى أن تقوم الساعة.

كما روى الطبرانى من حديث أبى أمامة: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بَيْتِ الْمَقْدِسِ»<sup>(٥)</sup>.

وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه: «هم بالشام»<sup>(٦)</sup> وهذا قول أكثر الشارحين.

(١) [صحيح] أخرجه مسلم (٧/٧٦)، والحاكم (٤/٤٥٦) وانظر «فتح المجيد» (٤٧١).

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم فى الفتن (٩/٣١٤/١٣١) عن ابن مسعود به.

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم (١/٤٥٥) وانظر «فتح المجيد» (٤٧٢).

(٤) أخرج أبوداود (٢٤٨١)، والحاكم (٤/٤٥٠).

(٥) أخرجه الطبرانى فى «الكبير» (٧٦٤٣) وانظر «فتح المجيد» (٤٧٣).

(٦) [صحيح] أخرجه البخارى (٣٦٤١) وانظر «فتح المجيد».

وفى كلام الطبرى ما يدل على أنه لا يجب أن تكون فى الشام أو فى أول بيت المقدس دائماً إلى أن يقاتلوا الدجال، بل قد تكون فى موضع آخر، لكن لا تخلو الأرض منها حتى يأتى أمر الله. قلت: - يعنى سليمان آل الشيخ - رهذا هو الحق فإنه ليس فى الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفات، بل ليس فيه إلا عباد القبور، وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة، وأيضاً فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحداً من أهل الكفر، وإنما بأسهم وقاتلهم بينهم. وعلى هذا فقوله فى الحديث: هم بيت المقدس. وقول معاذ: هم بالشام. المراد أنهم يكونون فيه بعض الأزمان دون بعض، وكذلك الواقع فدل على ما ذكرنا. اهـ.

قال عبدالرحمن آل الشيخ<sup>(١)</sup>: ويشهد له الواقع، وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس [فإنهم] من أزمنة طويلة لا يُعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه، فى القرن السابع وأول الثامن.

فإنهم على الحق يدعون إليه، وينظرون عليه، ويجاهدون فيه. وقد يحىء من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة، والله على كل شىء قدير.

ومما يؤيد هذا: أن أهل الحق والسنة فى زمن الأئمة الأربعة، وتوافر العلماء فى ذلك الزمان وقبلة وبعده، لم يكونوا فى محل واحد. بل هم فى غالب الأمصار: فى الشام منهم أئمة، وفى الحرمين، وفى مصر، وفى العراق، وفى اليمن.

وكلُّهم على الحق يناضلون ويجاهدون أهل البدع، ولهم المصنفات التى صارت أعلاماً لأهل السنة، وحجة على كل مُبتدع.

فعلى هذا: فهذه الطائفة قد تجتمع وقد تفترق، وقد تكون فى الشام، وقد تكون فى غيره.

فإن حديث أبى أمامة، وقول معاذ، لا يُفيد حصرها بالشام، وإنما يُفيد أنها تكون فى الشام فى بعض الأزمان لا فى كلها أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: فى قوله [حتى يأتى أمر الله]: الكونى، وذلك عند قيام الساعة، عندما يأتى أمره سبحانه وتعالى بأن تقبض نفس كل مؤمن، حتى لا يبقى إلا شرار الخلق فعليهم تقوم الساعة أهـ.

(١) فتح المجيد ١/ ٤٦٠، ٤٦١.

(٢) القول المفيد (١/ ٦١٩).



## فيه مسائل

### الأولى: تفسير آية النساء.

تقدم هذا بشيء من التفصيل من كلام ابن حجر، وفيه هنا فائدة لذلك ذكرناه والله المستعان.

قوله: «تبارك وتعالى».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال ابن القيم: البركة نوعان: أحدهما بركة وهي فعله تبارك وتعالى، والفعل منها برك، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة، وبأداة في تارة والمفعول منها مبارك، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى. والنوع الثاني بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ولا يصلح إلا له عز وجل، فهو سبحانه المبارك وعبده ورسوله المبارك. كما قال المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ فمن برك الله فيه وعليه فهو المبارك، وأما صفة تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه بقوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ أفلا تراها كيف أطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره، وجاءت على بناء السعة والمبالغة، كتعالى وتعاضم ونحوه، فجاءت تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها. وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك تعاضم. وقال ابن عباس: جاء بكل بركة وأعلم أن هذا الحديث بجملته مما عد من الأدلة على الشهادتين فإن كل جملة منه وقعت كما أخبر بها ﷺ.

وتقدم هذا الكلام في باب من تبرك بشجر أو حجر بالتفصيل والله المستعان.



فيه مسائل:

● الأولى: تفسير آية النساء.

قال ابن عثيمين: وهي قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، وقد سبق ذلك.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٨٠، ٢٨١.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ الْمَائِدَةِ .

الثالثة: تَفْسِيرُ آيَةِ الْكَهْفِ .

الرابعة: وهى أهمها: مَا مَعْنَى الْإِيمَانِ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ؟ هَلْ هُوَ اعْتِقَادُ قَلْبٍ؟ أَوْ مُوَافَقَةُ أَصْحَابِهَا مَعَ بُغْضِهَا وَمَعْرِفَةُ بَطْلَانِهَا؟

الخامسة: قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ كُفْرَهُمْ أَهْدَى سَبِيلًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ .

● الثانية: وهى قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾، وقد سبق تفسيرها .

والشاهد منها هنا قوله: ﴿ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ .

● الثالثة: تفسير آية الكهف .

يعنى: قوله تعالى: ﴿ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾، وقد سبق بيان معناها .

● الرابعة - وهى أهمها -: ما معنى الإيمان بالجبوت والطاغوت؟ هل هو اعتقاد القلب، أو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها؟

أما إيمان القلب واعتقاده؛ فهذا لاشك فى دخوله فى الآية .

وأما موافقة أصحابها فى العمل مع بغضها ومعرفة بطلانها؛ فهذا يحتاج إلى تفصيل، فإن كان وافق أصحابها بناءً على أنها صحيحة؛ فهذا كفر، وإن كان وافق أصحابها ولا يعتقد أنها صحيحة؛ فإنه لا يكفر، لكنه لاشك على خطر عظيم يخشى أن يؤدى به الحال إلى الكفر والعياذ بالله .

● الخامسة: قولهم إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين .

يعنى: إن هذا القول كفر وردة؛ لأن من زعم أن الكفار الذين يعرف كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين؛ فإنه كافر لتقديمه الكفر على الإيمان .

السادسة: وهى المقصودُ بالترجمة: أن هذا لا بدَّ أن يوجدَ في هذه الأمةِ كما تقررَ في حديثِ أبى سعيدٍ.

السابعة: تصرُّيحهُ بوقوعِها - أعنى: عبادة الأوثان.

الثامنة: العجبُ العجَابُ: خروجُ من يدعى النبوة، مثلُ المختارِ مع تكلمه بالشهادتين، وتصرُّيحهُ بأنَّه من هذه الأمة، وأنَّ الرسولَ حق، وأنَّ القرآنَ حق، وفيه أن محمداً خاتم النبیین، ومع هذا يُصدَّق في هذا كلُّه مع التَّضادِّ الواضح، وقد خرجَ المختارُ في آخرِ عصرِ الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرةٌ.

● السادسة - وهى المقصودة بالترجمة -: أن هذا لا بد أن يوجد في هذه الأمة كما تقرر في حديث أبى سعيد.

● السابعة: تصرُّيحه بوقوعها؛ أعنى: عبادة الأوثان.

والترجمة التى أشار إليها رحمه الله هى قوله: «باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان»، وحديث أبى سعيد هو قوله ﷺ: «لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قالوا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟». أخرجاه.

وهذا يتضمن التحذير من أن تقع هذه الأمة فى مثل ما وقع فيه من سبقها.

الثامنة: العجب العجَابُ: خروج من يدعى النبوة، مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين، وتصرُّيحه بأنه من هذه الأمة، وأنَّ الرسولَ حق، وأنَّ القرآنَ حق، وفيه أن محمداً خاتم النبیین، ومع هذا يُصدَّق في هذه كله، مع التَّضادِّ الواضح وقد خرج المختار في آخر عهد الصحابة، وتبعه فئامٌ كثيرة.

والمختار هو ابن أبى عبيد الثقفى، خرج وغلب على الكوفة فى أول خلافة ابن الزبير رضى الله عنه، وأظهر محبة آل البيت، ودعا الناس إلى الثار من قتلة الحسين؛ فتبعهم، وقتل كثيراً ممن باشر ذلك أو أعان عليه، فانخدع به العامة، ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل يأتيه.

ولاشك أن هذه المسألة من العجب العجَاب أن يدعى النبوة وهو يؤمن أن القرآن

التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى: أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة: منها إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغرب، وأخبر بمعنى ذلك، فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال، وإخباره بأنه أعطى الكنزين وإخباره بإجابة دعوته لأمته فى الإثنين وإخباره بأنه منع الثالثة، وإخباره بوقوع السيوف، وأنه لا يرفع إذا وقع. وإخباره

حق، وفى القرآن أن محمداً ﷺ خاتم النبيين؛ فكيف يكون صادقاً، وكيف يصدق مع هذا التناقض؟! ولكن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.

● التاسعة: البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة. يعنى: من هذه الأمة منصوره إلى يوم القيامة.

يؤخذ هذا من آخر الحديث: «لا تزال طائفة من أمتى على الحق منصوره، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى».

● العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قتلهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. آية عظمى: أن الكثرة الكاثرة من بنى آدم على خلاف ذلك، ومع ذلك لا يضرهم، ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (١).

● الحادية عشرة: أن ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

وقد سبق.

● الثانية عشرة: ما فيه من الآيات العظيمة.

أى: ما فى هذا الحديث من الآيات العظيمة، والآيات: جمع آية، وهى العلامة،

(١) البقرة: ٢٤٩.

بِإِهْلَاكَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَسَبَى بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَخَوْفُهُ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْأُتَمَّةِ  
الْمُضْلِينَ وَإِخْبَارُهُ بظُهُورِ الْمُتَنَبِّئِينَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَإِخْبَارُهُ ببقاءِ الطَّائِفَةِ الْمَنْصُورَةِ،  
وَكُلِّ هَذَا وَقَعَ، كَمَا أَخْبَرَ، مَعَ أَنْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مِنْ أَعْدَمَ مَا يَكُونُ فِي الْعُقُولِ .

والآيات التي يويد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام هي العلامات الدالة على  
صدقهم .

فمما في هذا الحديث: إخباره بأن الله - سبحانه وتعالى - زوى له المشرق والمغرب،  
وأخبر بمعنى ذلك؛ فوقع كما أخبر في خلاف الجنوب والشمال، فإن رسالة النبي ﷺ  
امتدت نحو الشرق والغرب أكثر من امتدادها نحو الجنوب والشمال، وهذا من علم  
الغيب الذي أطلع الله رسوله ﷺ عليه .

ومنها: إخباره أنه ﷺ أعطى الكثرين، وهما كثرنا كسرى وقيصر .

ومنها: إخباره بإجابة دعوته لأمته في الاثنتين، وهما ألا يهلكها بسنة بعامة، وألا  
يسلط عليهم عدوآ من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم حتى يكون بعضهم يهلك  
بعضاً... إلخ، ومنع الثالثة، وهي ألا يجعل بأس هذه الأمة بينها؛ فإن هذا سوف يكون  
كما صرح به حديث عامر بن سعد عن أبيه: «إن النبي ﷺ أقبل ذات يوم من العالية،  
حتى إذا مر بمسجد بنى معاوية؛ دخل، فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا دعاءً طويلاً،  
وانصرف إلينا؛ فقال: «سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة: سألت ربي ألا  
يهلك أمتي بالسنة؛ فأعطانيها، وسألته ألا يهلك أمتي بالفرق؛ فأعطانيها، وسألته ألا  
يجعل بأسهم بينهم؛ فمنعنيها»<sup>(١)</sup>؛ أي منعني إياها .

ومن الآيات التي تضمنها هذا الحديث: إخباره بوقوع السيف في أمته، وأنه إذا وقع؛  
فإنه لا يرفع حتى تقوم الساعة، وقد كان الأمر كذلك؛ فإنه منذ سلَّت السيوف على  
المسلمين من بعضهم على بعض بقى هذا إلى يومنا هذا .

ومنها: إخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبى بعضهم بعضاً، هذا أيضاً واقع .

ومنها: خوفه على أمته من الأئمة المضلين، والأئمة: جمع إمام، والإمام: هو من  
يقتدى به؛ إما لعلمه، وإما لسلطته، وإما لعبادته .

(١) [صحيح] أخرجه: مسلم عن الفتن (٩/٢٤١/٢٠) عن سعد رضى الله عنه .

الثالثة عشرة: حَصْرُ الخَوْفِ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الأَثْمَةِ المُضْلِيَةِ.

الرابعة عشرة: التَّبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

ومنها: إخباره بظهور المنتبين في هذه الأمة، وأنهم ثلاثون، قال ابن حجر (١): «هذا الحصر بالثلاثين لا يعنى انحصار المُتَّبِئِينَ بذلك؛ لأنهم أكثر من ذلك».

قلت: - أي ابن عثيمين - فيكون ذكر الثلاثين لبيان الحد الأدنى؛ أي أنهم لا يتقصون عن ذلك العدد، وإنما عدلنا عن ظاهر اللفظ للأمر الواقع، وهذا - والله أعلم - هو السر في ترك المؤلف رحمه الله العدد في مسائل الباب مع أنه صريح في الحديث.

ومنها: إخباره ببقاء الطائفة المنصورة، وهذا كله وقع كما أخبر.

قال الشيخ رحمه الله: «مع أن كل واحدة منها أبعد ما يكون في العقول».

● الثالثة عشرة: حصر الخوف على أُمَّتِهِ مِنَ الأَثْمَةِ المُضْلِيَةِ.

ووجه هذا الحصر أن الأئمة ثلاثة أقسام: أمراء وعلماء وعباد؛ فهم الذي يخشى من إضلالهم لأنه متبوعون، فالأمراء لهم السلطة والتنفيذ، والعلماء لهم التوجيه والإرشاد، والعباد لهم تغيير الناس وخداعهم بأحوالهم، فهؤلاء يطاعون ويقتدى بهم، فيخاف على الأمة منهم: لأنهم إذا كانوا مضلين ضلَّ بهم كثير من الناس، وإذا كانوا هادين اهتدى بهم كثير من الناس.

قد ربط الشرع بين فساد السلطة والأمراء وبين فساد المجتمع في حديث مسلم. صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا» (٢).

● الرابعة عشر: التَّبِيهُ عَلَى مَعْنَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ.

يعنى أنَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ لا تختص بالركوع والسجود لها، بل تشمل اتباع المضلين الذين يحلون ما حرم الله فيحلُّه الناس، ويُحَرِّمُونَ ما أحله الله فيحرمه الناس.



(١) «فتح الباري» (٦/٦١٧).

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في الناس والزينة (٧/٣٦٢/١٢٥) عن أبي هريرة به.

## باب (٢٣)

### مَا جَاءَ فِي السَّحْرِ

مناسبة الباب لكتاب التوحيد:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: لما كان السحر من أنواع الشرك إذ لا يأتي السحر بدونه ولهذا جاء في الحديث: «ومن سحر فقد أشرك»<sup>(\*)</sup> أدخله المصنف في كتاب التوحيد، ليبين ذلك تحذيراً منه كما ذكر غيره من أنواع الشرك. اهـ.

وقال ناصر السعدى<sup>(٢)</sup>: وجه إدخال السحر في أبواب التوحيد أن كثيراً من أقسامه لا يتأتى إلا بالشرك والتوسل بالأرواح الشيطانية إلى مقاصد الساحر فلا يتم للعبد توحيد حتى يدع السحر كله قليله وكثيره. اهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: لأن من أقسام السحر ما لا يتأتى غالباً إلا بالشرك، فالشياطين لا تخدم الإنسان غالباً إلا للمصلحة، ومعلوم أن مصلحة الشيطان أن يغوى بنى آدم فيدخلهم في الشرك والمعاصي. اهـ.

شرح الترجمة والتبويب، وماذا أراد المصنف بهذا الباب:

قال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: باب ما جاء في السحر أى: والكهانة.

قال حامد بن حسن بن محسن<sup>(٥)</sup>: باب ما جاء في بيان السحر وأنواعه وحكمه. اهـ.

تعريف السحر لغة:

قال ابن حجر<sup>(٦)</sup>: قال الراغب وغيره: السحر يطلق على معان:

أحدها: ما لطف ودق، ومنه سحرت الصبى خادعته واستملته، وكل من استمال شيئاً فقد سحره ومنه إطلاق الشعراء سحر العيون لاستمالتها النفوس، ومنه قول الأطباء: الطبيعة ساحرة ومنه قوله تعالى: ﴿بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ أى مصرفون عن المعرفة، ومنه حديث: «إن من البيان لسحراً»<sup>(٧)</sup> ثم ذكر ثلاث أنواع أخرى ستأتى فى نقل ابن كثير عن الرازى. اهـ.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨١). (٢) القول السديد (٧٤، ٧٥).

(\*) سيأتى تخريجه فى الباب القادم عن أبى هريرة.

(٣) القول المفيد (٧/٢). (٤) فتح المجيد (١/٣٦٢).

(٥) فتح الله الحميد المجيد (٣١٣). (٦) فتح البارى (١٠/٢٣٢).

(٧) [صحيح] أخرجه البخارى (٥١٤٦) عن ابن عمر به وأنظر «فتح المجيد» (٤٧٥) بتخريجنا.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: السحر فى اللغة عبارة عما لطف وخفى سببه، ولهذا جاء فى الحديث: «إن من البيان لسحراً»: وسمى السحور لكونه يقع خفياً آخر الليل. والسحر: الرئة، وهى محل الغذاء، وسميت بذلك لخفائها، ولطف مجاريها إلى أجزاء البدن وغضونه.

كما قال أبو جهل يوم بدر لعتبة: انتفخ سحرُك، أى: انتفخت رثته من الخوف. وقالت عائشة رضى الله عنها: توفى رسول الله ﷺ بين سحرى ونحرى (\*). وقال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أى: أخفوا عنهم عملهم. والله أعلم. قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup> بنحو بعض كلام الحافظ حيث قال:

عبارة عما خفى ولطف سبب ولهاذا جاء فى الحديث: «إن من البيان لسحراً» وسمى السحور سحوراً لأنه يقع خفياً آخر الليل وقال تعالى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ أى اخفوا عنهم علمهم.

وقال نحو ذلك ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: وزاد فكل شىء خفى سببه. يسمى سحراً. واصطلاحاً: قال سليمان: قال أبو محمد المقدسى فى «الكافى»: السحر عزائم ورقى وعقد يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجته ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه قال الله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وقال سبحانه ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ يعنى السواحر اللاتى يعقدن فى سحرهن وينفنن فى عقدهن. اهـ.

### أقسام السحر:

قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: وقد ذكر أبو عبد الله الرازى أن أنواع السحر ثمانية:

الأول: سحر الكلدانيين والكلدانيين<sup>(٥)</sup>، الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة، وهى السيارة وكانوا يعتقدون أنها مدبرة العالم، وأنها تأتى بالخير والشر، وهم الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل ﷺ، مبطلاً لمقاتلهم وراداً لمذهبهم، وقد استقصى فى «كتاب السر المكتوم، فى مخاطبة الشمس والنجوم» المنسوب إليه فيما ذكره القاضى ابن خلكان<sup>(٦)</sup> وغيره، ويقال: أنه تاب منه، وقيل: إنه صنفه على وجه إظهار الفضيلة لا

(١) تفسير ابن كثير (١/٢١٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨١، ٢٨٢).

(٣) القول المفيد (٢/٥).

(٤) تفسير ابن كثير (١/٢٠٩ - ٢١٢ - الشعب).

(٥) الكلدانيون والكلدانيون: طائفتان من عبدة الكواكب (تاج العروس).

(٦) وفيات الأعيان: ٣/٣٨١.



على سبيل الاعتقاد، وهذا هو المظنون به، إلا أنه ذكر فيه طرائفهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة، وكيفية ما يفعلون وما يلبسون، وما يتسكون به.

قال: والنوع الثاني: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية: ثم استدل على أن الوهم له تأثير، بأن الإنسان يمكنه أن يمشى على الجسر الموضوع على وجه الأرض، ولا يمكنه المشى عليه إذا كان عموداً على نهر أو نحوه، قال: وكما أجمعت الأطباء على نهى المعروف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصرّوع إلى الأشياء القوية اللمعان أو الدوران وما ذاك إلا لأن النفوس خلقت مطيعة<sup>(١)</sup> للأوهام.

قال: وقد اتفق العقلاء على أن الإصابة بالعين حق.

وله أن يستدل على ذلك بما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ، قال: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين»<sup>(٢)</sup>.

قال: فإذا عرفت هذا، فنقول: النفس التي تفعل هذه الأفعال قد تكون قوية جداً، فتستغنى في هذه الأفعال عن الاستعانة بالآلات والأدوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه الآلات.

وتحقيقه: أن النفس إذا كانت مستعلية على البدن<sup>(٣)</sup> شديدة الانجذاب إلى عالم السموات صارت كأنها روح من الأرواح السماوية، فكانت قوية على التأثير في مواد هذا العالم، وإذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه الذات البدنية، فحيث لا يكون لها تصرف ألبتة إلا في هذا البدن، ثم أرشد إلى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء، والانقطاع عن الناس والرياء.

قلت: وهذا الذي يشير إليه هو التصرف بالحال، وهو على قسمين: تارة يكون حالاً صحيحاً شرعياً يتصرف بها فيما أمر الله ورسوله ﷺ ويترك ما نهى الله عنه ورسوله، وهذه الأحوال مواهب من الله تعالى وكرامات للصالحين من هذه الأمة، ولا يسمى هذا سحراً في الشرع، وتارة تكون الحال فاسدة لا يمثل صاحبها ما أمر الله ورسوله ﷺ ولا يتصرف بها في ذلك، فهذه حال الأشقياء المخالفين للشرية، ولا يدل إعطاء الله إياهم هذه الأحوال على محبته لهم، كما أن الدجال - لعنه الله - له من الخوارق للعادات ما دلّت عليه الأحاديث الكثيرة، مع أنه مذموم شرعاً لعنه الله وكذلك من شابهه من مخالفى الشريعة المحمدية، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام: وبسط هذا يطول جداً، وليس هذا موضعه.

(١) منطبعة، والمثبت عن تفسير الرازي ٢٣١/٣.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) مشتغلة عن البدن، ينظر تفسير الرازي: ٢٣٢/٣.

قال: النوع الثالث من السحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية<sup>(١)</sup>، وهم من الجن، خلافاً للفلاسفة والمعتزلة، وهم على قسمين: مؤمنين، وكفار، وهم الشياطين، وفي ذلك نظر ولكن في اعتبار كون الشياطين جميعاً كفاراً نظراً لأنه كان هناك شياطين فى مملكة سليمان وسليمان لم يكن ليرضى بوجود كفار فى مملكته وهو الذى لم يرض بالكفر فى مملكة سبأ. قال: واتصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية، لما بينهما من المناسبة والقرب، ثم إن أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أن الاتصال بهذه الأرواح الأرضية يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخل والتجريد، وهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل التسخير.

النوع الرابع من السحر: التخيلات، والأخذ بالعيون والشعبذة، ومبناه أن البصر قد يخطئ ويستغل بالشئ المعين دون غيره، ألا ترى أن المشعبذ الحاذق يظهر عمل شئ يذهل أذهان الناظرين به، ويأخذ عيونهم إليه، حتى إذا استفرغهم الشغل بذلك الشئ بالتحديق ونحوه، عمل شئاً آخر عملاً بسرعة شديدة، وحينئذ يظهر لهم شئ آخر غير ما انتظروه، فيتعجبون منه جداً، ولو أنه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر إلى ضد ما يريد أن يعمل، ولم تتحرك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه، لفظن الناظرون لكل ما يفعله.

قال: وكلما كانت الأحوال التى تفيد حسن البصر نوعاً من أنواع الخلل أشد، كان العمل أحسن، مثل أن يجلس المشعبذ فى موضع مضى جداً، أو مظلم، فلا تقف القوة الناظرة على أحوالها بكلالها، والحالة هذه.

قلت: وقد قال بعض المفسرين: إن سحر السحرة بين يدي فرعون إنما كان من باب الشعبذة، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾، وقال تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ قالوا: ولم تكن تسعى فى نفس الأمر، والله أعلم.

النوع الخامس من السحر: الأعمال العجيبة التى تظهر من تركيب الآلات المركبة من النسب الهندسية، كفارس على فرس فى يده بوق، كلما مضت ساعة من النهار ضرب بالبوق، من غير أن يمسه أحد، ومنها الصور التى تُصورها الروم والهند، حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الإنسان، حتى يصورونها ضاحكة وباكية.

إلى أن قال: فهذه الوجوه من لطيف أمور المخاييل، قال: وكان سحر سحرة فرعون من هذا القبيل.

(١) الاستعانة بالأرضية، وينظر المرجع السابق: ٣/٣٣٣.

قلت: يعنى ما قاله بعض المفسرين: إنهم عمدوا إلى تلك الحبال والعصى، فحشوها زيتًا فصارت تتلوى بسبب ما فيها من ذلك الزيت، فيخيل إلى الرائي أنها تسعى باختيارها.

قال الرازى: ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات، ويندرج فى هذا الباب علم جر الأثقال بالآلات الخفيفة .

قال: وهذا فى الحقيقة لا ينبغى أن يعد من باب السحر، لأن لها أسبابًا معلومة يقينية، من اطلع عليها قدر عليها.

قلت: ومن هذا القبيل حيل النصارى<sup>(١)</sup> على عامتهم، بما يرونهم إياه من الأنوار، كقضية قمامة الكنيسة التى لهم بيلد المقدس، وما يحتالون به من إدخال النار خفية إلى الكنيسة، وإشعال ذلك القنديل بصنعة لطيفة تروج على العوام، وأما الخواص فهم يعترفون بذلك، ولكن يتأولون أنهم يجمعون شمل أصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائغًا لهم، وفيه شبه الجهلة والأغبياء من متعبدى الكرامية<sup>(٢)</sup>، الذين يرون جواز وضع الأحاديث فى الترغيب والترهيب فيدخلون فى عداد من قال رسول الله ﷺ فيهم: «من كذب على متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(٣)</sup> وقوله: «حدثوا عنى ولا تكذبوا على فإنه من يكذب على يلج النار».

ثم ذكر ههنا حكاية عن بعض الرهبان، وهو أنه سمع صوت طائر حزين الصوت ضعيف الحركة، فإذا سمعته الطيور ترق له فتذهب فتلقى فى وكره من ثمر الزيتون، ليتبلغ به، فعمد هذا الراهب إلى صنعة طائر على شكله وتوصل إلى أن جعله أجوف، فإذا دخلته الريح يسمع له صوت كصوت ذلك الطائر، وانقطع فى صومعة ابتناها، وزعم أنها على قبر بعض صالحهم، وعلق ذلك الطائر فى مكان منها، فإذا كان زمان الزيتون فتح بابًا من ناحية، فتدخل الريح إلى داخل هذه الصورة، فيسمع صوتها كذلك الطائر فى شكله أيضًا، فتأتى الطيور فتحمل من الزيتون شيئًا كثيرًا فلا ترى النصارى إلا ذلك الزيتون فى هذه الصرمعة، ولا يدرون ما سببه؟ ففتنهم بذلك وأوهم أن هذا من كرامات صاحب هذا القبر، عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة.

(١) تأمل هذا النص جيدًا!!!

(٢) الكرامية: أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرام، وهم طوائف بلغ عددهم اثنى عشرة فرقة، وكان أبو عبد الله من المجسمة والمشبهة، ويوافقون المعتزلة فى التحسين والتسيح العقليين ( الملل والنحل للشهرستانى: ٩٩/١ وما بعدها).

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (١١٠)، ومسلم فى المقدمة (١/٣٠٠) عن أبى هريرة به.

قال الرازي: النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواص الأدوية يعنى فى الأطعمة والدهانات، قال: واعلم أنه لا سبيل إلى إنكار الخواص، فإن أثر المغناطيس مشاهد.

قلت: يدخل فى هذا القبيل كثير من يدعى الفقر ويتحيل على جهلة الناس بهذه الخواص، مدعيًا أنها أحوال له، من مخالطة النيران ومسك الحيات إلى غير ذلك من المحالات.

قال: النوع السابع: من السحر تعليق القلب: وهو أن يدعى الساحر أنه عرف الاسم الأعظم، وأن الجن يطيعونه وينقادون له فى أكثر الأمور، فإذا اتفق أن يكون السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز، اعتقد أنه حق، وتعلق قلبه بذلك، وحصل فى نفسه نوع من الرهب والخافة، فإذا حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكن الساحر أن يفعل ما يشاء.

قلت: هذا النمط يقال له التنبلة، وإنما يروج على ضعفاء العقول من بنى آدم، وفى علم الفراسة ما يرشد إلى معرفة كامل العقل من ناقصه، فإذا كان المتنبل حاذقًا فى علم الفراسة عرف من يتقاد له من الناس من غيره.

قال: النوع الثامن من السحر: السعى بالنميمة والتضريب<sup>(١)</sup> من وجوه خفيفة لطيفة: وذلك شائع فى الناس.

قلت: النميمة على قسمين، تارة تكون على وجه التحريش وتفريق قول<sup>(٢)</sup> المؤمنين، فهذا حرام متفق عليه فأما إذا كانت على وجه الإصلاح، واتلاف كلمة المسلمين، كما جاء فى الحديث: «ليس بالكذاب من ينم خيرًا»<sup>(٣)</sup>، أو يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة، فهذا أمر مطلوب، كما جاء فى الحديث: «الحرب خُدعة»<sup>(٤)</sup> وكما فعل نعيم بن مسعود فى تفريقه بين كلمة الأحزاب وقريظة، وجاء إلى هؤلاء فنى إليهم عن هؤلاء كلامًا.

ونقل من هؤلاء إلى أولئك شيئًا آخر، ثم لأم بين ذلك، فتناكرت النفوس وافترقت، وإنما يحذو على مثل هذا الذكاء والبصيرة النافذة، والله المستعان.

ثم قال الرازي: فهذه جملة الكلام فى أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه.

(١) أى الإغراء، وفى بعض نسخ التفسير (التقريب) والأولى أظهر والله أعلم.

(٢) وفى طبعة المكتبة القيمة [قلوب].

(٣) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٢٦٩٢)، ومسلم فى البر والصلة (١٦/١٥٧ - النووى) عن أم كلثوم به وانظر «رياض الصالحين» (٢٥١ - بتخريجنا).

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٣٠٣٠)، ومسلم فى الجهاد والسير (١٢/٤٥ - النووى) عن جابر به وانظر «رياض الصالحين» (١٣٥٥ - بتخريجنا).

قلت: «وإنما أدخل كثيراً من هذه الأنواع المذكورة في فن السحر، للطاقة مداركها». اهـ.

واقصر سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: على قوله: منه ما هو تخيل، ومنه ماله حقيقة، كما يفهم مما تقدم اهـ.

وأما ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: فقال: وأما في الشرع فإنه ينقسم إلى قسمين:  
الأول: عقد ورقى، أى: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى:  
﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ويستدل له بقصة سحر النبی فی الصحيح<sup>(٣)</sup>.

الثانى: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله، فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمى عندهم بالصرف والعطف.

فيجعلون الإنسان يعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك ويستدل لذلك بحديث التولة.

فيؤثر على بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك.  
وفى تصوره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هى عليه.

وفى عقله، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله. اهـ.

وتقدم تفصيل ابن كثير والرازى بأوسع من ذلك.

● هل للسحر حقيقة أم لا؟ وهل هذه الحقيقة تقلب الأعيان أم هى تأثير فى المزاج فقط؟ الجواب: قال أبو محمد فى الكافى ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه.

وروت عائشة رضى الله عنها- أن النبى ﷺ سحر حتى أنه ليخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله، وإنه قال لها ذات يوم: «أتانى رجلان فجلس أحدهما عند رجلى والآخر عند رأسى فقال الذى عند رجلى: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب - يعنى مسحوراً - قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم قال: وفيم؟ قال فى جف طلعة ذكر فى مشط وماشطة تحت رعوفة فى بئر ذروان.. الحديث» رواه البخارى اهـ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٥)</sup>: حكى أبو عبد الله الرازى فى تفسيره عن المعتزلة أنهم أنكروا وجود السحر، قال: وربما كفروا من اعتقد وجوده، قال: وأما أهل السنة فقد جوزوا أن

(١) تيسير العزيزالحميد (٢٨٢).

(٢) القول المفيد (٥/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٢٠٨/١).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

يقدر الساحر أن يطير في الهواء، ويقلب الإنسان حماراً، والحمار إنساناً، إلا أنهم قالوا: إن الله يخلق الأشياء عندما يقول الساحر تلك الرقى والكلمات المعينة، فإما أن يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا، خلافاً للفلاسفة والمنجمين والصابئة، ثم استدل على وقوع السحر وأنه بخلق الله تعالى، بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ومن الأخبار بأن رسول الله ﷺ سحر، وأن السحر عمل فيه، وبقصة تلك المرأة مع عائشة رضی الله عنها، وما ذكرت تلك المرأة من إتيانها بابل وتعلمها السحر، قال: وبما يذكر في هذا الباب من الحكايات الكثيرة، ثم قال بعد هذا:

وقد ذكر الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة في كتابه: «الإشراف على مذاهب الأشراف في السحر»، فقال: أجمعوا على أن السحر له حقيقة إلا أبا حنيفة، فإنه قال: لا حقيقة له عنده.

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: راداً على من أنكر حقيقة السحر في قوله تعالى: ﴿يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَتَىٰ تَسْعَىٰ﴾ هذه الآية عمدة من زعم أن السحر إنما هو تخييل، ولا حجة له، بها لأن هذه وردت في قصة سحرة فرعون، وكان سحرهم كذلك، ولا يلزم منه أن جميع أنواع السحر تخييل.

قال أبو بكر الرازي في «الأحكام»: أخبر الله تعالى أن الذي ظنه موسى من أنها تسعى لم يكن سعيًا وإنما كان تخيلاً، وذلك أن عصيهم كانت مجوفة قد ملئت زئبقاً، وكذلك الجبال كانت من آدم محشوة زئبقاً، وقد حفروا قبل ذلك أسراباً وجعلوا لها آزاجاً وملأوها ناراً فلما طرحت على ذلك الموضع وحمل الزئبق حركها لأن من شأن الزئبق إذا أصابته النار أن يطير، فلما أثقلته كثافة الجبال والعصى صارت تتحرك بحركته فظن من رآها أنها تسعى، ولم تكن تسعى حقيقة.

وقال في موضع آخر<sup>(٢)</sup>: واختلف في السحر فقيل: هو تخييل فقط ولا حقيقة له وهذا اختيار أبي جعفر الأسترباذي من الشافعية وأبي بكر الرازي من الحنفية وابن حزم الظاهري وطائفة.

قال النووي: والصحيح أن له حقيقة وبه قطع بالجمهور وعليه عامة العلماء، ويدل عليه الكتاب والسنة الصحيحة المشهورة انتهى.

لكن محل النزاع هل يقع بالسحر انقلاب عين أو لا؟ فمن قال إنه تخييل فقط منع ذلك، ومن قال إن له حقيقة اختلفوا هل له تأثير فقط بحيث يغير المزاج فيكون نوعاً من

(٢) فتح الباري (١٠/٢٣٣).

(١) فتح الباري (١٠/٢٣٥، ٢٣٦).

الأمراض أو ينتهى إلى الإحالة بحيث يصير الجماد حيواناً مثلاً وعكسه؟ فالذى عليه الجمهور هو الأول، وذهبت طائفة قليلة إلى الثانى، فإن كان بالنظر إلى القدرة الإلهية فمسلم، وإن كان بالنظر إلى الواقع فهو محل الخلاف، فإن كثيراً ممن يدعى ذلك لا يستطيع إقامة البرهان عليه.

ونقل الخطابى أن قوماً أنكروا السحر مطلقاً. وكأنه عنى القائلين بأنه تخيل فقط وإلا فهي مكابرة.

وقال المازرى: جمهور العلماء على إثبات السحر وأن له حقيقة، ونفى بعضهم حقيقته وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة، وهو مردود لورود النقل بإثبات السحر، ولأن العقل لا ينكر أن الله قد يخرق العادة عند نطق الساحر بكلام ملفق أو تركيب أجسام أو مزج بين قوى على ترتيب مخصوص، ونظير ذلك ما يقع من حذاق الأطباء من مزج بعض العقاقير ببعض حتى يتقلب الضار منها بمفرده فيصير بالتركيب نافعاً اهـ.

وقال القرطبي: السحر حيل صناعية يتوصل إليها بالاكْتساب، غير أنها لدقتها لا يتوصل إليها إلا آحاد الناس، ومادتها الوقوف على خواص الأشياء والعلم بوجوه تركيبها وأوقاتها وأكثرها تخييلات بغير حقيقة وإيهامات بغير ثبوت فيعظم عند من لا يعرف ذلك كما قال الله تعالى عن سحرة فرعون ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ مع أن حبالهم وعصيتهم لم تخرج عن كونها حبالاً وعصيماً، ثم قال: والحق أن لبعض أصناف السحر تأثيراً فى القلوب كالحب والبغض وإلقاء الخير والشر، وفى الأبدان بالألم والسقم، وإنما المنكور أن الجماد يتقلب حيواناً أو عكسه بسحر الساحر ونحو ذلك. اهـ.

● هل يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله فى كتابه:

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: وقيل لا يزيد تأثير السحر على ما ذكر الله تعالى فى قوله: ﴿يُفْرِقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ لكون المقام مقام تهويل، فلو جاز أن يقع به أكثر من ذلك لذكره.

قال المازرى: والصحيح من جهة العقل أنه يجوز أن يقع به أكثر من ذلك، قال: والآية ليست نصاً فى منع الزيادة، ولو قلنا إنها ظاهرة فى ذلك اهـ.

● متى كان بدأ السحر:

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: فى قول الله تعالى: ﴿لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ

(١) فتح البارى (١٠/٢٣٣). (٢) فتح البارى (١٠/٢٣٤).

السِّحْرُ ﴿ الآيَة، فى هذه الآيَة بيان أصل السحر الذى يعمل به اليهود، ثم هو مما وضعته الشياطين على سليمان بن داود عليهما السلام ومما أنزل على هاروت وماروت بأرض بابل، والثانى متقدم العهد على الأول لأن قصة هاروت وماروت كانت من قبل زمن نوح عليه السلام، على ما ذكر ابن إسحق وغيره، وكان السحر موجوداً فى زمن نوح إذ أخبر الله عن قوم نوح أنهم زعموا أنه ساحر، وكان السحر أيضاً فاشياً فى قوم فرعون وكل ذلك قبل سليمان . اهـ .

### ● حكم تعلم السحر:

قال ابن كثير (١) : حكى الرازى فى المسألة الخامسة فى أن العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور: اتفق المحققون على ذلك، لأن العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ولأن السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجزة، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضى أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً فكيف يكون حراماً وقبيحاً!

قال ابن كثير: هذا لفظه بحروفه فى هذه المسألة، وهذا الكلام فيه نظر من وجوه، أحدها: قوله: «العلم بالسحر ليس بقبيح» إن عنى به ليس بقبيح عقلاً، فمخالفة من المعتزلة يمتنعون هذا، وإن عنى أنه ليس بقبيح شرعاً، ففى هذه الآيَة الكريمة تسبيح لتعلم السحر.

وفى الصحيح: «من أتى عراقاً أو كاهناً، فقد كفر بما أنزل على محمد» (٢) وفى السنن: «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر» (٣).

وقوله: «ولا محظور اتفق المحققون على ذلك» كيف لا يكون محظوراً مع ما ذكرناه من الآيَة والحديث!؟

واتفاق المحققين يقتضى أن يكون قد نص على هذه المسألة أئمة العلماء أو أكثرهم، وأين نصوصهم على ذلك، ثم إدخاله السحر فى عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيه نظر، لأن هذه الآيَة إنما دلت على مدح العالمين بالعلم الشرعى، ولم قلت إن هذا منه؟ ثم ترقيه إلى وجوب تعلمه بأنه لا يحصل لعلم

(١) تفسير ابن كثير (١/٢٠٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سيأتى تخريجه فى الباب القادم عن أبى هريرة.



بالمعجز إلا به، ضعيف بل فاسد، لأن معظم معجزات رسولنا عليه الصلاة والسلام هي القرآن العظيم، الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾، ثم إن العلم بأنه معجز لا يتوقف على علم السحر أصلاً، ثم من المعلوم بالضرورة أن الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وعامتهم، كانوا يعلمون المعجز، ويفرقون بينه وبين غيره، ولم يكونوا يعلمون السحر ولا تعلموه ولا علموه، والله أعلم. اهـ.

وقال ابن حجر<sup>(١)</sup>: وأما تعلمه وتعليمه حرام، فإن كان فيه ما يقتضى الكفر كفر واستتيب منه ولا يقتل، فإن تاب قبلت توبته، وإن لم يكن فيه ما يقتضى الكفر عزر.

وقد أجاز بعض العلماء تعلم السحر لأحد أمرين إما لتمييز ما فيه كفر عن غيره وإما لإزالته عن وقع فيه، فأما الأول فلا محذور فيه إلا من جهة الاعتقاد فإذا سلم الاعتقاد فمعرفة الشيء بمجرد لا تستلزم منعاً، كمن يعرف كيفية عبادة الأوثان للأوثان لأن كيفية ما يعملها الساحر إنما هي حكاية قول أو فعل، بخلاف تعاطيه والعمل به، وأما الثانى فإن كان لا يتم كما زعم بعضهم إلا بنوع من أنواع الكفر أو الفسق فلا يحل أصلاً وإلا جاز للمعنى المذكور.

ثم قال: وهذا فصل الخطاب فى هذه المسألة. اهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قال الشافعى رحمه الله إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وإنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحتها تضر اهـ. وسيأتى كلام الشافعى أيضاً من عند ابن كثير.

#### ● حكم تعلم السحر واستعماله:

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: واختلفوا فيما يعلم السحر ويستعمله، فقال أبو حنيفة ومالك وأحمد: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفة من قال: إن تعلمه فيتيه أو ليحجته فلا يكفر، ومن تعلمه معتقداً جوازه أو أنه ينفعه كَفَّرَ، وكذا من اعتقد أن الشياطين تفعل له ما يشاء فهو كافر.

وقال الشافعى - رحمه الله: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك: فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها تفعل ما يلتمس منها، فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحتها فهو كافر. اهـ.

(١) فتح البارى (١٠/٢٣٥).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٨٣).

## ● حكم السحر والساحر:

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: وقد استدل بهذه الآية على أن السحر كفر ومتعلمه كافر، وهو واضح في بعض أنواعه التي قدمتها وهو التعبد للشياطين أو للكواكب، وأما النوع الآخر الذي هو من باب الشعوذة فلا يكفر به من تعلمه أصلاً.

قال النووي: عمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي ﷺ من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفراً، ومنه ما لا يكون كفراً بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضى الكفر فهو كفر وإلا فلا.

قال ابن حجر: وعن مالك: الساحر كافر يقتل بالسحر ولا يستتاب بل يتحتم قتله كالزنديق.

قال عياض: ويقول مالك قال أحمد وجماعة من الصحابة والتابعين اهـ.

وفي إيراد البخارى هذه الآية: ﴿لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ إشارة إلى اختيار الحكم بكفر الساحر لقوله فيها: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفراً، وهذا كله واضح على ما قررته من العمل ببعض أنواعه اهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: فدلّت الآية على تحريم السحر، وهو كذلك، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعوم قوله تعالى: ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ يدل على قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وقد نص أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه.

وروى عبد الرزاق عن صفوان بن سليم قال: قال رسول الله ﷺ: «من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله»<sup>(٣)</sup> وهذا مرسل.

واختلفوا هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر، وبه قال

(١) فتح البارى (١٠/٢٣٥).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨٢، ٢٨٣).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنّفه» (١٨١/٥٣) وانظر «فتح القدير» بتخریجنا.

مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقى شيء يضر فلا يكفر، وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر، وهذا قول الشافعي وجماعته.

ثم قال وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفرة في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.

وفي حديث مرفوع رواه رزين: «الساحر كافر». وقال أبو العالية: السحر من الكفر.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر

وقال ابن جبريخ في الآية: لا يجترئ على السحر إلا الكافر، وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً، ولكنه يكون حراماً لمضرته يُعزَّر من يفعله تعزيراً بليغاً اهـ.

تقسيم السحر من حيث الحكم:

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>:

(أ) شرك، وهو الأول الذي يكون بواسطة الشياطين، يعبدهم ويتقرب إليهم ليسلطهم على المسحور:

(ب) عدوان، وهو الثاني الذي يكون بواسطة الأدوية والعقاقير، ونحوها.

وبهذا التقسيم الذي ذكرناه نتوصل به إلى مسألة مهمة، وهي: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟ اهـ.

يأتي الخلاف والراجع في ذلك.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: اختلف أهل العلم: هل يكفر الساحر أو لا يكفر؟

فمنهم من قال: إنه يكفر.

ومنهم من قال: إنه لا يكفر.

(١) القول المفيد (٢/٦٢٥).

(٢) القول المفيد (٢/٦٦).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ (١).

ولكن التقسيم السابق الذى ذكرناه يعنى منه ما هو شرك وما هو عدوان يتبين به حكم هذه المسألة، فمن كان سحره بواسطة الشياطين، فإنه يكفر لأنه لا يتأتى ذلك إلا بالشرك غالباً لقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سَلِيمَانَ وَمَا كَفَرَ سَلِيمَانٌ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينُ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ...﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ومن كان سحره بالأدوية والعقاقير ونحوها، فلا يكفر، ولكن يعتبر عاصياً معتدياً اهـ.



قوله: [وقول الله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾].

مناسبة الآية للباب:

قال سليمان آل الشيخ (٢): دلت الآية على تحريم السحر، وهو كذلك، وهو محرم فى جميع أديان الرسل عليهم السلام اهـ.

قال القرعاوى (٣): حيث دلت الآية على أن السحر كفر أ.هـ.

مناسبة الآية للتوحيد:

قال القرعاوى (٤): حيث حذرت الآية من السحر الذى لا يتم إلا بالشرك، والشرك منافى للتوحيد.

الإعراب (٥): (ولقد) الواو استئنافية مسوقة للشروع فى بيان حالهم بعد تعلم السحر واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (علموا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم (لمن) اللام لام الابتداء وتفيد التأكيد ومن اسم موصول مبتدأ وجملة (اشتراه) لا محل لها (ما) نافية أو حجازية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خير مقدم أو خير ما (فى الآخرة) الجار والمجرور فى محل نصب حال (من) حرف جر زائد

(١) البقرة/ ١٠٢

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨٢).

(٥) إعراب القرآن ١/ ١٥٩.

(٣، ٤) الجديد للقرعاوى ص ٢٢٠.

(خلاق) اسم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مؤخر أو اسم ما والجملة في محل رفع خبر من والجملة كلها في حيز النصب وقد سدت مفعولى علموا المعلقة عن العمل . اهـ .

ما جاء في تفسير الآية من أقوال المفسرين:

قال الطبرى<sup>(١)</sup>: قال جل ثناؤه: لقد علم النابذون من يهود بنى إسرائيل كتابى (وراء ظهورهم) تجاهلاً منهم، التاركون العمل بما فيه من اتباعك يا محمد، واتباع ما جئت به بعد إنزالى إليك كتابى مصدقاً لما معهم، وبعد إرسالك إليهم بالإقرار بما معهم، وما فى أيديهم المؤثرون عليه اتباع السحر الذى تلتة الشياطين على عهد سليمان، والذى أنزل على الملكين بيباب هاروت وماروت (لمن اشترى) السحر بكتابى الذى أنزلته على رسولى فأثره عليه (ماله فى الآخرة من خلاق) . اهـ .

ثم روى ابن جرير عن قتادة والسدى ومجاهد وابن زيد فى قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ قد علم ذلك أهل الكتاب أو اليهود فى عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له عند الله يوم القيامة .

وروى أيضاً عن مجاهد والسدى وسفيان فى قوله تعالى : ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أنه ماله فى الآخرة من نصيب .

وروى عن قتادة ﴿مِنْ خَلَقٍ﴾ من حجة وعن الحسن ليس له دين .

وعن ابن عباس ﴿مِنْ خَلَقٍ﴾ قال قوام .

ورجح الأوّل فقال<sup>(٢)</sup>: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال معنى (الخلاق) فى هذا الموضع النصيب وذلك أن ذلك معناه فى كلام العرب ومنه قوله ﷺ «ليؤيدن الله هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» يعنى لا نصيب لهم ولا حظ فى الإسلام والدين ومنه قول أمية بن أبى الصلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم إلا سراييل من قطر وأغلال

يعنى بذلك لا نصيب لهم ولا حظ إلا سراييل وأغلال . فكذلك قوله: (ما له فى الآخرة من خلاق) ما له فى الدار الآخرة حظ من الجنة من أجل أنه لم يكن له إيمان ولا دين، ولا عمل صالح يجازى به فى الجنة ويشاب عليه فيكن له حظ ونصيب من

(١) تفسير الطبرى (١/١) / ٣٧٠ .

(٢) تفسير الطبرى ١/٣٧١ .

الجنة، وإنما قال جل ثناؤه ﴿مَّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ فوصفه بأنه لا نصيب له فى الآخرة وهو يعنى به لا نصيب له من جزاء وثواب وجنة دون نصيبه من النار إذ كان قد دلّ ذمه جلّ ثناؤه أفعالهم التى نفى من أجلها أن يكون لهم فى الآخرة نصيب على مراده من الخير وإنه إنما يعنى بذلك أنه لا نصيب لهم فيها من الخيرات وأما من الشرور فإنّ لهم فيها نصيباً اهـ.

وبنحو هذا الذى ذكره الطبرى ذكر البغوى والرازى والقرطبى وغيرهم من المفسرين.

قال ناصر السعدى<sup>(١)</sup>: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ أى اليهود ﴿لَمَنْ اشْتَرَاهُ﴾ أى: رغب فى السحر رغبة المشتري فى السلعة، ﴿مَّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ أى: نصيب بل هو موجب للعقوبة، فلم يكن فعلهم إياه جهلاً، ولكنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة: ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ علماً يثمر العمل ما فعلوه.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: أى ولقد علم اليهود والذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله لمن اشتراه، أى: استبدل ما تتلوا الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ﴿مَّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ ثم قال: وقال الحسن: ليس له دين، فدلّت الآية على تحريم السحر. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: ما له من نصيب، وكل من ليس له فى الآخرة من خلاق، فمقتضاه أن عمله حابط باطل، لكن إما أن يقتضى النصيب انتفاء كلياً فيكون العمل كفرة، أو يتنفى كمال النصيب فيكون فسقاً. اهـ.

مسألة: قوله ﴿اشْتَرَاهُ﴾ على الحقيقة أم على سبيل الاستعارة؟

قال الفخر الرازى<sup>(٤)</sup>: إنما ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة، لوجوه!

الأول: أنهم لما نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وأقبلوا على التمسك بما تتلوا الشياطين فكأنهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله.

الثانى: أن المالكين إنما قصدوا بتعلم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة، فلما استعمل السحر، فكأنه اشترى بمنافع الآخرة منافع الدنيا.

الثالث: أنه لما استعمل السحر علمنا أنه إنما تحمل المشقة ليتمكن من ذلك الاستعمال فكأنه اشترى بالمحن التى تحملها قدرته على ذلك الاستعمال اهـ.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨٢).

(١) تيسر الكريم الرحمن ١/٦٠.

(٤) التفسير الكبير (٢/٣/٢٤١).

(٣) القول المفيد ٨/٢.

وقوله: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ (١).

مسألة:

قال الرازي (٢): بقى فى الآية سؤال: وهو أنه كيف أثبت لهم العلم أولاً فى قوله:

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا﴾ ثم نفاه عنهم فى قوله: ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

والجواب من وجوه: أحدها. أن الذين علموا غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا هم الذين علموا السحر ودعوا الناس إلى تعلمه وهم الذين قال الله فى حقهم ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وأما الجهال الذين يرغبون فى تعلم السحر فهم الذين لا يعلمون.

وهذا جواب الأخفش وقطرب.

[قلت]: وذكره القرطبي ومال إليه.

وثانيها: لو سلمنا كون القوم واحداً ولكنهم علموا شيئاً وجهلوا شيئاً آخر، علموا أنهم ليس لهم فى الآخرة خلاق ولكنهم جهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة وما حصل لهم من مضارها وعقوباتها.

وثالثها: لو سلمنا أن القوم واحد والمعلوم واحد ولكنهم لم يتتبعوا بعلمهم بل أعرضوا عنه فصار ذلك العلم كالعدم كما سمي الله تعالى الكفار ﴿صَمًا وَبُكْمًا وَعَمِيًّا﴾ إذ لم يتتبعوا بهذه الحواس. اهـ.

قلت: أو كما قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾.



قوله [وقوله]: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [.

مناسبة الآية للباب:

قال سليمان آل الشيخ (٣): تقدم الكلام عليها فى الباب الذى قبله .

ووجه إيرادها هنا ظاهر لأن السحر من الجبوت كما قال عمر بن الخطاب .

قال القرعاوى (٤): حيث دلَّت الآية على تحريم تعاطى السحر ودم فاعله .

قال ابن عثيمين (٥): الآية الثانية قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أى: اليهود .

(١) النساء / ٥١ .

(٢) التفسير الكبير (١/٣/٢٤١) . (٣) تيسير العزيز الحميد (١٨٣) .

(٤) الجديد (٢٢٢) . (٥) القول المفيد ١٠، ٨/٢ .

## قَالَ عُمَرُ: «الْجِبْتُ: السَّحْرُ، وَالطَّاغُوتُ: الشَّيْطَانُ» (\*).

﴿بِالْجِبْتِ﴾ أى السحر كما قرأها عمر بن الخطاب واليهود كانوا من أكثر الناس تعلمًا للسحر وممارسة له، ويدعون أن سليمان عليه السلام علمهم إياه، وقد اعتدوا، فسحروا النبي ﷺ.

قوله: ﴿الطَّاغُوتِ﴾ أجمع ما قيل فيه: هو ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع ومعنى «من معبود» أى بعلمه ورضاه، هكذا قال ابن القيم رحمه الله.



قوله: [قال عمر: «الجبنت: السحر، والطاغوت الشيطان»].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم وغيره، وفيه معرفة الجبنت والطاغوت والفرق بينهما.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: فسرها أمير المؤمنين عمر - رضى الله عنه - بأنها السحر.

وأما تفسيره الطاغوت بالشيطان، فإنه من باب التفسير بالمثال.

والسلف رحمهم الله يفسرون الآية أحيانًا بمثال يحتذى عليه، مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنَ اللَّهُ﴾.

قال بعض المفسرين: الظالم لنفسه: الذى لا يصلى إلا بعد خروج الوقت، والمقتصد: الذى يصلى فى آخر الوقت، والسابق بالخيرات: الذى يصلى فى أول الوقت.

وهذا مثال من الأمثلة، وليس ما تدل عليه الآية على وجه الشمول، ولهذا فسرها بعضهم بأن الظالم لنفسه الذى لا يخرج الزكاة، والمقتصد من يخرج الزكاة ولا يتصدق، والسابق بالخيرات من يخرج الزكاة ويتصدق.

فتفسير عمر رضى الله عنه للطاغوت بالشيطان تفسير بالمثال، لأن الطاغوت أعم من الشيطان، فالأصنام تعتبر من الطواغيت، كما قال تعالى: ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ﴾ والعلماء والأمرء، الذين يضلون الناس يُعتبرون طواغيت، لأنهم طغوا وزادوا وفعلوا ما ليس لهم به حق. اهـ.

[قلت]: وهذا عين ما قرره شيخ الإسلام فى مقدمة التفسير له، حيث قال فى

(\* تقدم تخريجه.

(٢) القول المفيد (٩/٢-١٠).

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨٣).



وَقَالَ جَابِرٌ: «الطَّوَاعِيتِ كُهَّانٌ، كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٍ» (\*).

اختلاف التنوع هو أن يذكر كل واحد من المختلفين بعض اللفظ العام بعض أفراده على سبيل المثال على سبيل ذكر الحد المطابقة للمحدود ثم ضرب الأمثلة السابقة على ذلك وضرب غيرها والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قال قرعاوي<sup>(٢)</sup>: الفوائد:

- ١- بيان انحراف أهل الكتاب.
- ٢- وجود السحر في أهل الكتاب.
- ٣- أن المداهنة وشهادة الزور من صفات اليهود . اهـ.



قوله: [وقال جابر: الطواغيت كهان كانت تنزل عليهم الشيطان... إلخ].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: هذا الأثر رواه ابن أبي حاتم بنحوه مطولاً عن وهب بن منبه قال: سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التي كانوا يتحاكمون إليها، قال: إن في جهينة واحداً وفي أسلم واحداً وفي هلال واحداً وفي كل حي واحداً، وهم كهان تنزل عليهم الشياطين.

ثم قال ومطابقة هذه الترجمة ظاهرة من جهة أن الساحر طاغوت من الطواغيت إذا كان هذا الاسم يطلق على الكاهن فالساحر أولى لأنه أشر وأخبث.

قوله: «جابر»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: هو ابن عبد الله بن عمرو بن حرام أبو عبد الله الأنصاري ثم السلمى بفتحيتين. صحابي جليل ابن صحابي جليل مكث عن النبي ﷺ. مات بالمدينة بعد السبعين، وقد كف بصره وله أربع وتسعون سنة. اهـ.

قوله: «الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>: المراد بهذا أن الكهان. من الطواغيت لا أنهم الطواغيت لا غير. وقوله كان ينزل عليهم الشيطان. أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس فقط، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم ببعض الغيب، مما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة ويكذبون مائة.

(١) انظر كتابي النكت المتممة على مقدمة ابن تيمية.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٨٤

(٣) تيسير العزيز الحميد ٢٨٤.

(\*) تقدم تخريجه.

(٢) الجديد (٢٢٢).

(٤) نفس المصدر السابق.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُبِقَاتِ. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسَّحَرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ»<sup>(١)</sup>.

قوله: (فى كل حى واحد الحى): واحد الأحياء، وهم القبائل أى: فى كل قبيلة من قبائل العرب كاهن يتحاكمون إليه ويسألونه عن الغيب، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبى ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام حرست السماء بالشهب . اهـ.  
قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: هذا أيضاً من باب التفسير بالمثال، حيث إنه جعل من جملة الطواغيت الكهان .

والكاهن؛ قيل: هو الذى يخبر عما فى الضمير .  
وقيل: الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .

وكان هؤلاء الكهان تنزل عليهم الشياطين بما استرقوا من السمع من السماء، وكان كل حى من أحياء العرب لهم كاهن يستخدم الشياطين، فتسرق له السمع، فتأتى بخبر السماء إليه .

وكانوا يتحاكمون إليهم فى الجاهلية .

والطواغيت ليسوا محصورين فى هؤلاء، فتفسير جابر رضى الله عنه تفسير بالمثال كتفسير عمر رضى الله عنه .



قوله: وعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: اجتنبو السبع الموبقات . . . إلخ .

هذا الحديث أخرجه البخارى فى أكثر من موضع فذكره فى كتاب الوصايا قال: باب قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ ولفظه ما ذكره المصنف .

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى الحدود /باب: «رمى المحصنات» (١٢/١٨٨/ح ٦٨٥٧) «مسلم فى الإيمان/باب: «أكبر الكبائر» (١/٢/٨٢، ٨٣، النووى) من حديث أبى هريرة .  
وانظر كتابنا فتح ذى الجلال (ح ٤٨٦) . وانظر «فتح المجيد» (ح ٤٨٥) بتخریجنا) .  
(٢) القول المفيد (٢/١٠-١١) .

وذكره في كتاب الطب ويوب عليه «باب الشرك والسحر من الموبقات» ولفظه: «اجتنبوا الموبقات: الشرك بالله والسحر» وذكره في كتاب الحدود، باب «رمى المحصنات» ولفظه هو لفظ المصنف أيضاً وأخرجه مسلم بنفس اللفظ.

مناسبة الحديث للباب:

قال القرعاوى<sup>(١)</sup>: حيث دلَّ الحديث على تحريم تعلم السحر وتعليمه.

مناسبة الحديث للتوحيد:

قال القرعاوى<sup>(٢)</sup>: حيث حرّم السحر لأن مبناه على الشرك.

قوله [اجتنبوا]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: أى ابعدوا، وهو الأبلغ من لا تفعلوا، لأن نهى القربان

أبلغ من نهى المباشرة، ذكره الطيبي اهـ.

وقال ابن عثيمين: النبى ﷺ أنصح الخلق للخلق، فكل شيء يضر الناس فى دينهم وديناهم يحذرهم منه، ولهذا قال: «اجتنبوا» وهى أبلغ من قوله: اتركوا، لأن الاجتناب معناه أن تكون فى جانب وهى فى جانب آخر، وهذا يستلزم البعد عنها .

«واجتنبوا» أى: اتركوا، بل أشد من مجرد الترك، لأن الإنسان قد يترك الشيء، وهو قريب منه، فإذا قيل: اجتنبه، يعنى: اتركه مع البعد.

قوله: [السبع الموبقات]:

قال ابن حجر<sup>(٤)</sup>: الموبقات المهلكات.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>: المهلكات، وسميت الكبائر موبقات لأنها تهلك فاعلها

فى الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات، وفى الآخرة من العذاب اهـ.

[قلت]: وفى الحديث: كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» وهو فى

صحيح مسلم.

قال ابن حجر<sup>(٦)</sup>: وقال ابن مالك: تضمن هذا الحديث حذف المعطوف للعلم به،

فإن التقدير اجتنبوا الموبقات الشرك بالله والسحر وأخواتها، وجاز الحذف لأن الموبقات سبع، وقد ثبتت فى حديث آخر، واقتصر فى هذا الحديث على ثنتين منها - يقصد الرواية المتقدمة فى باب الشرك والسحر من الموبقات - تبييناً على أنها أحق بالاجتناب.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٨١)

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٨١)

(٢، ١) الجديد ٢٢٥.

(٤) فتح البارى (١٠/٢٤٣).

(٦) فتح البارى (١٠/٢٤٣).

ذكر ما ورد في عدد الكبائر والراجع من ذلك:

ثم قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: قال المهلب: سميت بذلك لأنها سبب لإهلاك مرتكبها.

قلت: والمراد بالموبقة هنا الكبيرة كما ثبت في حديث أبي هريرة من وجه آخر أخرجه البزار وابن المنذر من طريق عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رفعه «الكبائر الشرك بالله وقتل النفس» الحديث مثل رواية أبي الغيث، إلا أنه ذكر بدل السحر الانتقال إلى الأعرابية بعد الهجرة<sup>(٢)</sup>.

وأخرج النسائي والطبراني وصححه ابن حبان والحاكم من طريق صهيب مولى العتارين عن أبي هريرة وأبي سعيد قالوا: «قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يصلى الخمس ويحْتَنِبُ الكبائر السبع إلا فتحت له أبواب الجنة»<sup>(٣)</sup> الحديث، ولكن لم يفسرها، والمعتمد في تفسيرها ما وقع في رواية سالم، وقد وافقه كتاب عمرو بن حزم الذى أخرجه النسائي وابن حبان في صحيحه والطبراني من طريق سليمان بن داود عن الزهرى عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده قال: «كتب رسول الله ﷺ كتاب الفرائض والديات والسِّنِّ وبعث به مع عمرو بن حزم إلى اليمن» الحديث بطوله، وفيه «وكان في الكتاب: وإن أكبر الكبائر الشرك»<sup>(٤)</sup> فذكر مثل حديث سالم سواء.

وللطبراني من حديث سهل بن أبي خيثمة عن علي رفعه «اجتنب الكبائر السبع» فذكرها لكن ذكر التعرب بعد الهجرة بدل السحر<sup>(٥)</sup>.

وله في الأوسط من حديث أبي سعيد مثله وقال: «الرجوع إلى الأعراب بعد الهجرة»<sup>(٦)</sup> ولإسماعيل القاضي من طريق المطلب بن عبد الله بن حنطب عن عبد الله

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (١٠٣/١) ونسبه للبزار. قال: وفيه عمر بن أبى سلمة ضعفه شعبه وغيره ووثقه أبو حاتم، وابن حبان وغيرهما.

(٢) القول السديد (٧٤ ، ٧٥).

(٣) أخرجه النسائي (٨/٥ - السيوطي)، وابن خزيمة فى «صحيحه» (٣١٥)، وابن حبان فى «صحيحه» (١٢٢-١٢٣ - الإحسان)، والحاكم فى «المستدرک» (٢/٢٤٠). وانظر «الدر» (٢/٢٦٠).

(٤) أنظر تخريجه فى مقدمتنا على «منار السبيل».

(٥) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (١٠٣/١) عن سهل بن أبى حثمة عن أبىه ونسبه للطبراني فى «الكبير» وفيه ابن لهيعة.

(٦) أخرجه الطبراني فى «الأوسط» (٩٠٧-٩٠٨).

قال الهيثمى فى «المجمع» (١٠٤/١٠): وفيه أبو بلال الأشعري وهو ضعيف.

ابن عمرو قال: «صعد النبي ﷺ المنبر ثم قال أبشروا من صلى الخمس واجتنب الكبائر السبع نودى من أبواب الجنة» فقيل له: «أسمعت النبي ﷺ يذكرهن؟ قال: نعم (١)، فذكر مثل حديث علي سواء.

وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن الحسن قال الكبائر الإشراك بالله، فذكر مثل الأصول سواء إلا أنه قال: «اليمين الفاجرة» بدل السحر.

ولابن عمر فيما أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد» والطبرى فى التفسير.

وعبد الرزاق والخرائطى فى «مساوى الأخلاق» وإسماعيل القاضى فى «أحكام القرآن» مرفوعاً وموقوفاً قال: «الكبائر تسع» فذكر السبعة المذكورة وزاد «الإلحاد فى الحرم وعقوق الوالدين» (٢).

ولأبى داود والطبرانى من رواية عبيد بن عمير بن قتادة اللبى عن أبيه رفعه «إن أولياء الله المصلون ومن يجتنب الكبائر قالوا: ما الكبائر؟ قال: هن تسع، أعظمهن الإشراك بالله» فذكر مثل حديث ابن عمر سواء إلا أنه عبر عن الإلحاد فى الحرم باستحلال البيت الحرام (٣)، وأخرج إسماعيل القاضى بسند صحيح إلى سعيد بن المسيب قال: «هن عشر» فذكر السبعة التى فى الأصل وزاد: «وعقوق الوالدين واليمين الغموس وشرب الخمر». ولابن أبى حاتم من طريق مالك بن حريث عن علي قال: «الكبائر» فذكر التسعة إلا مال اليتيم وزاد «العقوق والتعرب بعد الهجرة وفراق الجماعة ونكث الصفقة» (٤)، وللطبرانى عن أبى أمامة أنهم تذكروا الكبائر فقالوا: الشرك ومال اليتيم والفرار من الزحف والسحر والعقوق وقول الزور والغلول والزنا فقال رسول الله ﷺ: «فأين تجعلون الذين يشترون بعهد الله ثمنا قليلاً» (٥).

قلت: فى كتاب الأدب عند البخارى أبواب اليمين الغموس وكذا شهادة الزور وعقوق الوالدين.

(١) ذكره الهيمى فى «المجمع» (١٠٣/١ - ١٠٤) ونسبه للطبرانى فى «الكبير» وفيه مسلم بن الوليد بن العباس ولم أر من ذكره.

(٢) ذكره السيوطى فى «الدر» (٢٦٢/٢) وزاد نسبه لابن راهوية، وعن بن حميد، وابن المنذر.

(٣) أخرجه أبو دود (٢٨٧٥) ولم يذكر لفظه والنسائى (٨٩/٧) مختصراً، والطبرانى فى «الكبير»

(١٧/٤٧/١٠١)، والبيهقى فى «الكبرى» (٨٦/١٠).

وانظر «الدر» (٢٦٢/٢).

(٤) ذكره السيوطى فى «الدر» (٢٦٤/٢) ونسبه لابن أبى حاتم.

(٥) ذكره السيوطى فى الموضوع السابق ونسبه لابن جرير وقال: بسند حسن.

وعند عبد الرزاق والطبراني عن ابن مسعود: «أكبر الكبائر الإشراك بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله»<sup>(١)</sup> وهو موقوف، وروى إسماعيل بسند صحيح من طريق ابن سيرين عن عبد الله بن عمرو مثل حديث الأصل لكن قال: «البهتان» بدل السحر والقذف، فستل عن ذلك فقال: البهتان يجمع. وفي «الموطأ» عن النعمان بن مرة مرسلًا: «الزنا والسرقة وشرب الخمر فواحش» وله شاهد من حديث عمران بن حصين<sup>(٢)</sup> عند البخاري في «الأدب المفرد» والطبراني والبيهقي وسنده حسن، وعند البخاري من حديث ابن عباس في النميمية ومن رواه بلفظ الغيبة وترك التنزه من البول<sup>(٣)</sup> كل ذلك في الطهارة، ولإسماعيل القاضي من مرسل الحسن ذكر «الزنا والسرقة» وله عن أبي إسحق السبيعي «شتم أبي بكر وعمر»، وهو لابن أبي حاتم من قول مغيرة بن مقسم<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الطبري عنه بسند صحيح «الإضرار في الوصية من الكبائر»<sup>(٥)</sup> وعنه «الجمع بين الصلاتين من غير عذر»<sup>(٦)</sup> رفعه.

وله شاهد أخرجه ابن أبي حاتم عن عمر قوله<sup>(٧)</sup>، وعند إسماعيل من قول ابن عمر ذكر النبهة.

ومن حديث بريدة عند البزار «من فضل الماء ومنع طروق الفحل»<sup>(٨)</sup>.

ومن حديث أبي هريرة عند الحاكم «الصلوات كفارات إلا من ثلاث: الإشراك بالله ونكث الصفقة وترك السنة»<sup>(٩)</sup> ثم فسر نكث الصفقة بالخروج على الإمام وترك السنة بالخروج عن الجماعة أخرجه الحاكم.

(١) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠٤/١) ونسبه للطبراني في «الكبير» قال: واسناده صحيح.

وانظر «الدر» (٢٦٤/٢). وسيأتي.

(٢) ذكره السيوطي في «الدر» (٢٠٦٤/٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٧٨)، ومسلم في الطهارة (٣/٢٠٠ - النوى).

وانظر «رياض الصالحين» (١٥٤٠ - بتخريجنا).

(٤) ذكره السيوطي في «الدر» (٢٦٦/٢) ونسبه لابن أبي حاتم فانظره بتخريجنا.

(٥) ذكره السيوطي في «الدر» (٢٦٤/٢) ونسبه لابن أبي حاتم فانظره بتخريجنا.

(٦) أخرجه الترمذي (١٨٨) وضعفه.

(٧) ذكره السيوطي في «الدر» (٢٦٣/٢) ونسبه لابن أبي حاتم.

(٨) ذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠٥/١) ونسبه للبخاري. قال: وفيه صالح بن حيان وهو ضعيف ولم

يوثقه أحد.

(٩) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (١١٩/١ - ١٢) عن أبي هريرة به.

ومن حديث ابن عمر عند ابن مردويه «أكبر الكبائر سوء الظن بالله».

ومن الضعيف فى ذلك نسيان القرآن أخرجه أبو داود والترمذى عن أنس رفعه «نظرت فى الذنوب فلم أر أعظم من سورة من القرآن أوتيتها رجل فنيها»<sup>(١)</sup> وحديث «من أتى حائضاً أو كاهناً فقد كفر»<sup>(٢)</sup> أخرجه الترمذى، فهذا جميع ما وقفت عليه مما ورد التصريح بأنه من الكبائر أو من أكبر الكبائر صحيحاً وضعيفاً مرفوعاً وموقوفاً، وقد تتبعت غاية التبع، وفى بعضه ما ورد خاصاً ويدخل فى عموم غيره كالتسبب فى لعن الوالدين وهو داخل فى العقوق وقتل الولد وهو داخل فى قتل النفس والزنا بحليلة الجار وهو داخل فى الزنا والنهبة والغلول واسم الخيانة يشملها ويدخل الجميع فى السرقة وتعلم السحر وهو داخل فى السحر وشهادة الزور وهى داخله فى قول الزور ويمين الغموس وهى داخله فى اليمين الفاجرة والقنوط من رحمة الله كاليأس من روح الله.

والمعتمد من كل ذلك ما ورد مرفوعاً بغير تداخل من وجه صحيح وهى السبعة المذكورة فى حديث الباب والانتقال عن الهجرة والزنا والسرقة والعقوق واليمين الغموس والإلحاد فى الحرم وشرب الخمر وشهادة الزور والنميمة وترك التنزه من البول والغلول ونكت الصفقة وفراق الجماعة، فتلك عشرون خصلة وتتفاوت مراتبها، والمجمع على عده من ذلك أقوى من المختلف فيه إلا ما عضده القرآن أو الإجماع فيلتحق بما فوقه ويجتمع من المرفوع ومن الموقوف ما يقاربها.

الحكمة من الاقتصار على السبعة .

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup>: ويحتاج عند هذا إلى الجواب عن الحكمة فى الاقتصار على

سبع، ويجب أن مفهوم العدد ليس بحجة وهو جواب ضعيف.

وبأنه أعلم أولاً بالمذكورات ثم أعلم بما زاد فيجب الأخذ بالزائد.

أو أن الاقتصار بحسب المقام بالنسبة للسائل أو من وقعت له واقعة ونحو ذلك.

وقد أخرج الطبرى وإسماعيل القاضى عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال:

هن أكثر من سبع وسبع.

(١) أخرجه أبو داود (٤٦١)، والترمذى (٢٩١٦) واستغربه الترمذى.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) الفتح ١٣/١٩٠.

وفى رواية عنه هي إلى السبعين أقرب.

وفى رواية إلى السبعمائة. ويحمل كلامه على المبالغة بالنسبة إلى من اقتصر على سبع، وكان المقتصر عليها اعتمد على حديث الباب المذكور. أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: هذا لا يقتضى الحصر، فإن هناك موبقات أخرى، ولكن النبي ﷺ يحصر أحياناً بعض الأنواع والأجناس، ولا يعنى بذلك عدم وجود غيرها. ومن ذلك حديث: «السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله»<sup>(٢)</sup> فهناك غيرهم، ومثله. أهـ.

قلت: وحديث: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، وأمثلة هذا كثيرة، وإن قلنا بدلالة حديث أبي هريرة في الباب على الحصر لكونه وقع بـ «أل» المعرفة فإنه حصرها، لأن هذه أعظم الكبائر. أهـ.

حد الكبيرة: واختلاف العلماء في ذلك والترجيح:

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup>: وإذا تقرر ذلك عرف فساد من عرف الكبيرة بأنها ما وجب فيها الحد، لأن أكثر المذكورات لا يجب فيها الحد.

قال الرافعي في «الشرح الكبير»: الكبيرة هي الموجبة للحد، وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة، هذا أكثر ما يوجد للأصحاب، وهم إلى ترجيح الأول أميل، لكن الثاني أوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر، وقد أقره في «الروضة»، وهو يشعر بأنه لا يوجد عن أحد من الشافعية الجمع بين التعريفين، وليس كذلك.

فقد قال الماوردي في «الحاوي»: هي ما يوجب الحد أو توجه إليها الوعيد، أو في كلامه للتنويع لا للشك، وكيف يقول عالم إن الكبيرة ما ورد فيه الحد مع التصريح في الصحيحين بالعقوق واليمين الغموس وشهادة الزور وغير ذلك، والأصل فيما ذكره الرافعي قول البغوي في «التهذيب» من ارتكب كبيرة من زنا أو لواط أو شرب خمر أو غضب أو سرقة أو قتل بغير حق ترد شهادته، وإن فعله مرة واحدة، ثم قال: فكل ما يوجب الحد من المعاصي فهو كبيرة.

وقيل ما يلحق الوعيد بصاحبه بنص كتاب أو سنة انتهى.

(١) القول المفيد (٢/).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) فتح الباري ١٣/ ١٩٠-١٩١.



والكلام الأول لا يقتضى الحصر، والثاني هو المعتمد.

وقال ابن عبد السلام: لم أقف على ضابط الكبيرة يعنى يسلم من الاعتراض قال:  
والأولى ضبطها بما يشعر بتهاون مرتكبها إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها، قال  
وضبطها بعضهم بكل ذنب قرن به وعيد أو لعن.

قلت: وهذا أشمل من غيره، ولا يرد عليه إخلاله بما فيه حد، لأن كل ما ثبت فيه  
الحد لا يخلو من ورود الوعيد على فعله، ويدخل فيه ترك الواجبات الفورية منها مطلقاً  
والتراخية إذا تضيقت.

وقال ابن الصلاح: لها أمارات.

منها: إيجاب الحد.

ومنها: الإبعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها فى الكتاب أو السنة.

ومنها: وصف صاحبها بالفسق.

ومنها: اللعن، قلت: وهذا أوسع مما قبله، وقد أخرج إسماعيل القاضى بسند فيه  
ابن لهيعة عن أبى سعيد مرفوعاً «الكبائر كل ذنب أدخله صاحب النار» وبسند صحيح  
عن الحسن البصرى قال «كل ذنب نسبه الله تعالى إلى النار فهو كبيرة» ومن حسن  
التعريف قول القرطبى فى المفهم «كل ذنب أطلق عليه بنص كتاب أو سنة أو إجماع أنه  
كبيرة أو عظيم أو أخبر فيه بشدة العقاب أو علق عليه الحد أو شدد النكير عليه فهو  
كبيرة، وعلى هذا فينبغى تتبع ما ورد فيه الوعيد أو اللعن أو الفسق من القرآن أو  
الأحاديث الصحيحة والحسنة ويضم إلى ما ورد فيه التنصيص فى القرآن، والأحاديث  
الصحاح والחסان على أنه كبيرة، فمهما بلغ مجموع ذلك عرف منه تحرير عدها، وقد  
شرعت فى جميع ذلك وأسأل الله الإعانة على تحريره بمنه وكرمه، وقال الحلیمى فى  
«المنهاج»: ما من ذنب إلا وفيه صغيرة وكبيرة، وقد تنقلب الصغيرة كبيرة بقرينة تضم  
إليها، وتنقلب الكبيرة فاحشة كذلك، إلا الكفر بالله فإنه أفحش الكبائر وليس من نوعه  
صغيرة، قلت: ومع ذلك فهو ينقسم إلى فاحش وأفحش، ثم ذكر الحلیمى أمثلة لما قال  
فالثانى كقتل النفس بغير حق فإنه كبيرة، فإن قتل أصلاً أو فرعاً أو ذا رحم أو بالحرم  
أو بالشهر الحرام فهو فاحشة، وشرب الخمر كبيرة، فإن كان فى شهر رمضان نهاراً أو  
فى الحرم أو جاهر به فهو فاحشة والأول كاللصاخذة مع الأجنبية صغيرة، فإن كان مع

امرأة الأب أو حليلة الابن أو ذات رحم فكبيرة، وسرقة ما دون النصاب صغيرة، فإن كان المسروق منه لا يملك غيره وأفضى به عدمه إلى الضعف فهو كبيرة، وأطال في أمثلة ذلك، وفي الكثير منه ما يتعقب، لكن هذا عنوانه، وهو منهج حسن لا بأس باعتباره، ومداره على شدة المفسدة وخفتها والله أعلم.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: كان الصحابة رضى الله عنهم أحرص الناس على العلم، والنبى ﷺ إذا ألقى إليهم الشيء مبهما طلبوا تفسيره وتبينه، فلما حذرهم النبى ﷺ من السبع الموبقات قالوا ذلك لأجل أن يجتنبوهن، فأخبرهم، وعلى هذه القاعدة أن الصحابة رضى الله عنهم أحرص الناس على العلم لكن ما كانت الحكمة فى إخفائه، فإن النبى ﷺ لا يخبرهم، كقوله ﷺ: «إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة»<sup>(٢)</sup> ولم يردُ تبينها عن النبى ﷺ فى حديث صحيح.

وقد حاول بعض الناس أن يصحح حديث سرد الأسماء التسعة والتسعين، ولم يصب، بل نقل شيخ الإسلام اتفاق أهل المعرفة فى الحديث على أن عدها وسردها لا يصح عن النبى ﷺ، وصدق رحمه الله بدليل الاختلاف الكبير فيها.

فمن حاول تصحيح هذا الحديث، قال: إن الثواب عظيم، «من أحصاها دخل الجنة» فلا يمكن للصحابة أن يُفوتوه، فلا يسألوا عن تعيينها، فدل هذا على أنها قد عُنيت من قبل النبى ﷺ.

لكن يجاب عن ذلك بأنه ليس بلازم، ولو عينها النبى ﷺ، لكانت هذه الأسماء التسع والتسعين معلومة للعالم أشد من علم الشمس، ولنقلت فى «الصحيحين» وغيرهما، لأن هذا مما تدعو الحاجة إليه، وتلح بحفظه والعناية به، فكيف لا يأتى إلا عن طرق واهية وعلى صور مختلفة؟!

فالنبى ﷺ لم يبينها لحكمة بالغة، وهى أن يطلبها الناس ويتحروها فى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ حتى يعلم الحريص من غير الحريص.

كما ولم يبين النبى ﷺ ساعة الإجابة يوم الجمعة، والعلماء اختلفوا فى حديث أبى موسى الذى فى مسلم، حيث قال فيه: «إنها ما بين أن يخرج الإمام إلى أن تقضى الصلاة»<sup>(\*)</sup> فإن بعضهم صححه وبعضهم ضعفه، لكن هو عندى صحيح، لأن علة

(١) القول المفيد (٢/١٢، ١٣، ١٤، ١٥).

(٢) سيأتى تخريجه.

(\*) [صحيح] أخرجه مسلم فى الجمعة (٣/٤٠٣-٤٠٤).

لتضعيف فيه واهية، والحال تؤيد صحته، لأن الناس مجتمعون أكبر اجتماع في البلد على صلاة مفروضة، فيكون هذا الوقت في هذه الحال حرياً بإجابة الدعاء، وكذلك ليلة القدر لم يبينها النبي ﷺ مع أنها من أهم ما يكون .

قوله: «قالوا: يا رسول الله! وما هن؟»

سألوا عن تبيينها، وبه تتبين الفائدة من الإجمال، وهي أن يتطلع المخاطب لبيان هذا المجمل، لأنه إذا جاء مبنياً من أول وهلة، لم يكن له التلقى والقبول كما إذا أجمل ثم بين .

قوله: «وما هن»

«ما» اسم استفهام مبتدأ، و«هن»: خبر المبتدأ.

وقيل: بالعكس، «ما»: خبر مقدم وجوباً، لأن الاستفهام له الصدارة، و«هن»: مبتدأ مؤخر .

لأن «هن» ضمير معرفة، و «ما» نكرة، والقاعدة المتبعة أنه يُخبر بالنكرة عن المعرفة ولا عكس . اهـ .

قوله: (قال: الشرك بالله).

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هو أن يجعل لله ندأ يدعو كما يدعو الله، ويرجوه كما يرجو الله، ويخافه كما يخاف الله، وبدأ به لأنه أعظم ذنب عصى الله به، كما في الصحيحين عن ابن مسعود سألت أو سُئل - رسول الله ﷺ أى الذنب عند الله أكبر؟ قال «أن تجعل لله ندأ وهو خلقك»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: والشرك بالله يتناول الشرك بربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته .

فمن اعتقد أن مع الله خالقاً أو معيناً، فهو مشرك، أو أن أحداً سوى الله يستحق أن يعبد، فهو مشرك وإن لم يعبده، فإن عبده، فهو أعظم، أو أن لله مثيلاً فى أسمائه، فهو مشرك، أو أن الله استوى على العرش كاستواء الملك على عرش مملكته، فهو مشرك، أو أن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزول الإنسان إلى أسفل بيته من أعلى، فهو مشرك .

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨٦).

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) القول المفيد ١٧، ١٦/٢ .

قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

وبين ﷺ أن الشرك أعظم ما يكن من الجناية والجُرم بقوله حين سئل : أى الذنب أعظم : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

فالذى خلقك وأوجدك وأمدك وأعدك ورزقك كيف تجعل له نداً؟ فلو أن أحداً من الناس أحسن إليك بما دون ذلك، فجعلت له نظيراً، لكان هذا الأمر بالنسبة إليه كُفراً وجحوداً. اهـ.

قوله: «والسحر»: والسحر تقدم معناه، وهذا وجه إيراد المصنف لهذا الحديث فى الباب (١).

قال ابن عثيمين (٢): قوله «والسحر»: أى من الموبقات، وظاهر كلام النبى ﷺ أنه لا فرق بين أن يكون ذلك بواسطة الشياطين أو بواسطة الأدوية والعقاقير.

لأنه إن كان بواسطة الشياطين، فالذى لا يأتى إلا بالإشراك بهم، فهو داخل فى الشرك بالله.

وإن كان دون ذلك، فهو أيضاً جرم عظيم، لأن السحر من أعظم ما يكون فى الجناية على بنى آدم، فهو يفسد على المسحور أمر دينه ودينه ويقلّقه فيصبح كالبهائم، بل أسوأ من ذلك، لأن البيهمة خلقت هكذا على طبيعتها، أما الآدمى، فإنه إذا صُرف عن طبيعته وفطرته لحقه من الضيق والقلق ما لا يعلمه إلا رب العباد، ولهذا كان السحر يلى الشرك بالله عز وجل.

قوله: «وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق».

قال ابن عثيمين (٣): القتل: إزهاق الروح، والمراد بالنفس: البدن الذى فيه الروح، والمراد بالنفس هنا: نفس الآدمى وليس نفس البعير والحمار وما أشبهها.

وقوله: «إلا بالحق».

أى: بالعدل، لأن هذا حكم، والحق إذا ذكر بإزاء الأحكام، فالمراد به العدل، وإن

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨٧).

(٢) القول المفيد ٢/١٧-٢٧.

(٣) القول المفيد ٢/١٧، ١٨، ١٩.

ذكر بإزاء الأخيار، فالمراد به الصدق، والعدل: هو ما أمر الله به ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ (١).

والنفس المحرمة أربعة أنفس، هي: نفس المؤمن، والذمي، والمعاهد، والمستأمن، بكسر الميم: طالب الأمان.

فالمؤمن لإيمانه، والذمي لذمته، والمعاهد لعهدده، والمستأمن لتأمينه.

والفرق بين الثلاثة - الذمي، والمعاهد، والمستأمن - أن الذمي هو الذي بيننا وبينه ذمة، أى: عهد على أن يقيم فى بلادنا معصوماً مع بذل الجزية.

وأما المعاهد، فيقيم فى بلاده، لكن بيننا وبينه عهد أن لا يحاربنا ولا نحاربه.

وأما المستأمن، فهو الذى ليس بيننا وبينه ذمة ولا عهد، لكننا أمناه فى وقت محدد،

كرجل حربى دخل إلينا بأمان للتجارة ونحوها، أو ليفهم الإسلام، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلغَهُ مَأْمَنَهُ﴾ (٢) وهناك فرق آخر، وهو أن العهد يجوز من جميع الكفار، والذمة لا تجوز إلا من اليهود والنصارى والمجوس دون بقية الكفار وهذا هو المشهور من المذهب، والصحيح: أنها تجوز من جميع الكفار.

فهذه الأئفس الأربع قتلها حرام، لكنها ليست على حد سواء فى التحريم، فنفس المؤمن أعظم، ثم الذمي، ثم المعاهد، ثم المستأمن.

وهل المستأمن مثل المعاهد أو أعلى.

أشك فى ذلك، لأن المستأمن من له عهد خاص، بخلاف المعاهدين، فالمعاهدون يتولى العهد أهل الحل والعقد منهم، فليس بيننا وبينهم عقود تأمينات خاصة، وأيا كان، فالحديث عام، وكل منهم معصوم الدم والمال.

وقوله: «إلا بالحق» أى مما يوجب القتل، مثل: الشيب الزانى، أى بالرجم والنفس بالنفس، أى بالقصاص، والتارك لدينه المفاوق للجماعة، أى المرتد يقتل لردته.

قوله «وأكل الربا» الربا فى اللغة: الزيادة، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ﴾ (٣) يعنى زادت.

وفى الشرع: تفاضل فى عقد بين أشياء يجب فيها التساوى، ونسأ فى عقد بين أشياء يجب فيها التقابض.

(٣) الحج: ٥

(٢) التوبة: ٦

(١) النحل: ٩٠

والربا: ربا فضل؟ أى «زيادة» وربا نسيئة، أى: تأخير، وهو يجرى فى ستة أموال، بينها الرسول ﷺ فى قوله: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة والبر بالبر، والتمر بالتمر، والشعير بالشعير، والملح بالملح»<sup>(١)</sup> فهذه هى الأموال الربوية بنص الحديث وإجماع المسلمين، وهذه الأصناف الستة إن بعث منها جنساً بمثله جرى فيها ربا الفضل وربا النسيئة، فلو زدت واحداً على آخر، فهو ربا فضل، أو سويته لكن أخرت القبض، فهو ربا نسيئة، وربما يجتمع النوعان كما لو بعث ذهباً بذهب متفاضلاً والقبض متأخراً، فقد اجتمع فى هذا العقد ربا الفضل وربا النسيئة، وعلى هذا فإذا بعث جنساً بجنسه، فلا بد من أمرين: التساوى، والتقابض فى مجلس العقد.

وإذا اختلفت الأجناس واتفقت العلة، أى: اتفق المقصود فى العوضين، فإنه يجرى ربا النسيئة دون ربا الفضل، فذهب بفضة متفاضلاً مع القبض جائز، وذهب بفضة متساوياً مع التأخير ربا لتأخير القبض.

قال ﷺ: «إذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»<sup>(٢)</sup>.

وقولنا: اتفقا فى الغرض والمقصود احترازاً ما إذا اختلف الغرض منها.

فالذهب مثلاً ثمن للأشياء، والفضة ثمن للأشياء، والبر قوت.

وعلى هذا يجوز بيع صاع من البر بدينار من الذهب مع التفرق وعدم التساوى لاختلاف القصد، لأن هذا يقصد به النقد والثمنية، وهذا يقصد به القوت

فإن قيل: الحديث يدل على أنه لا يصح إلا بالقبض، فما هو الجواب؟

نقول: حقيقة إن هذا مقتضى الحديث أنك إذا بعث ذهباً ببر وجب التقابض، لقوله

ﷺ: «إذا اختلفت هذه الأصناف، فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد»<sup>(٣)</sup>.

والجواب عن هذا أن نقول: قد دلت السنة من وجه آخر على أن القبض ليس بشرط

فيما إذا كان أحدهما ثمناً، قال ابن عباس: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يُسلفون فى الثمار السنة والستين، فقال: «من أسلف فى شئ فليسلف فى كيل معلوم، ووزن معلوم، إلى أجل معلوم»<sup>(٤)</sup>.

وعلى هذا، فحديث: «فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد» لا عموم لمفهومه، فلا يشترط القبض فى كل صورة من صور المخالفة، وإنما يشترط القبض فيما إذا اتفقا فى

(١) [صحيح] أخرجه (١٥٨٧/١٥/١١) عن عبادة به. وانظر كتابنا «فتح ذى الجلال فى تخريج

أحاديث الظلال» (١٢٤)

(٢) ما قبله (٣)

(٢) ما قبله

(٤) [صحيح] أخرجه مسلم فى المسافة (١٢٧ / ٤٦ / ٦) عن ابن عباس به.

الغرض، كذهب بفضة، أو بر بشعير، وأما ذهب أو فضة بشعير، ونحوه، فلا يشترط القبض.

واختلف العلماء فيما عدا هذه الأصناف الستة، فالظاهرية قالوا: لا يجرى الربا إلا في هذه الأصناف الستة، لأنهم لا يرون القياس فيقتصر على ما جاء به النص، فيجوز عندهم مبادلة أرز بذرة متفاضلاً مع تأخر القبض لأنهما لا يدخلان في المنصوص عليه. .  
وأما أهل القياس من المذاهب الأربعة، فإنهم عدّوا الحكم إلى غيره، إلا أن بعضاً منهم لم يعد الحكم إلى غيرها، وهو من أهل القياس، مثل ابن عقيل رحمه الله فإنه قال: لا يجرى الربا إلا في هذه الأصناف الستة، لا لأنه قياس، ولكن لأن العلماء اختلفوا واضطربوا في العلة التي من أجلها كان الربا، فلما اضطربوا في العلة ألقينا جميع هذه العلل، وأبقينا النص على ما هو عليه من الحصر في المنصوص عليه.

والصحيح أن الربا يجرى في غير الأصناف الستة، وأن العلة هي الكيل والادخار مع الطعم، وهو أن يكون قوتاً مدخراً، وهذا بالنسبة للبر والتمر والشعير.

وبالنسبة للذهب والفضة: العلة هي الجنس والثمنية، فقولنا: «الجنس» لأجل أن يشمل الحلوى إذا بيع بعضه ببعض، فيجرى فيه الربا، مع أنه ليس بتمن، والثمنية مثل الدراهم والدنانير والأوراق النقدية المعروفة، فإنها بمنزلة الذهب والفضة، أو يقال: العلة الثمنية فقط والحلوى خارج عن الثمنية خروجاً طارئاً، لأن التحلى طارئ، والأصل في الذهب والفضة الثمنية، لأنهما ثمن الأشياء.

وأما الملح، فقال شيخ الإسلام: إنه يصلح به القوت، أى: فهو تابع له، فالعلة ليس أنه قوت، لكنه من ضرورياته، ولهذا لو طحنت برأ ولم يكن فيه ملح، لم يبق إلا أياماً سيرة، فيفسد، فإن كان فيه الملح منعه من الفساد، فيقول: لما كان يصلح به القوت جعل له حكمه.

وقوله: «وأكل الربا» .

ذكر النبي ﷺ الأكل، لأنه أعم وجوه الانتفاع، هكذا قال أهل العلم، ولهذا قال تعالى في بنى إسرائيل: «وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ» ولم يقل أكلهم، والأخذ أعم من الأكل، فأكل الربا معناه أخذه، سواء استعمله فى الأكل أو الفرش أو البناء أو المسكن أو غير ذلك.

قوله: «وأكل مال اليتيم»:

اليتيم: هو الذى مات أبوه قبل بلوغه، سواء كان ذكراً أم أنثى، أما من ماتت أمه قبل بلوغه، فليس يتيماً لا شرعاً ولا لغةً.

لأن اليتيم مأخوذ من اليتم، وهو الانفراد، أى: انفرد عن الكاسب له، لأن أباه هو الذى يكسب له.

وخص اليتيم، لأنه لا أحد يدافع عنه، ولأنه أولى أن يرحم، ولهذا جعل الله له حقاً فى الفىء، وإذا كان أحق أن يرحم، فكيف يسطو هذا الرجل الظالم على ماله فيأكله؟!<sup>(١)</sup>

ويقال فى أكل مال اليتيم ما قيل فى أكل الربا، فليس خاصاً فى الأكل بل حتى لو استعمله فى السكن أو الفرش أو الكتب أو غيرها، فهو داخل فى ذلك.

وأكل مال غير اليتيم ليس من الكبائر، لأن اليتيم له شأن خاص، ولهذا توعده الله من يأكل أموال اليتامى، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. اهـ.

قلت: (ظلمًا) يشير إلى جواز أكل ماله بالحق، وهو جاء صريحاً فى قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ والأكل بالتى هى أحسن أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وله ثلاث صور ذكرها ابن الجوزى فى تفسيره منها القرض.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله «التولى يوم الزحف» أى: الإدبار من وجوه الكفار وقت ازدحام الطائفتين فى القتال وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير منحرف لقتال كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْإِدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُؤَلِّمُ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبئس المصير﴾. اهـ.

وشرح ذلك ابن عثيمين<sup>(٢)</sup> فقال: التولى: بمعنى الإدبار، والإعراض، ويوم الزحف، أى: يوم تلاحم الصفيين فى القتال مع الكفار، وسمى يوم الزحف، لأن الجموع إذا تقابلت تجد أن بعضها يزحف إلى بعض، كالذى يمشى زحفاً كل واحد منهم يهاب الآخر، فيمشى رويداً رويداً.

(٢) القول المفيد ٢/ ٢٤، ٢٥، ٢٦.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨٧).



والتولى يوم الزحف من كبائر الذنوب، لأنه يتضمن الإعراض عن الجهاد فى سبيل الله ، وكسر قلوب المسلمين، وتقوية أعداء الله وهذا يؤدى إلى هزيمة المسلمين.

لكن هذا الحديث خصصته الآية، وهى قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحِيزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَا وَاهُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ فالله سبحانه استثنى حالين:

الأولى: أن يكون متحرفًا لقتال، أى: متهيئًا له، كمن يتصرف ليصلح من شأنه أو يهوى الأسلحة ويعددها، ومنه الانحراف إلى مكان آخر يأتى العدو من جهته، فهذا لا يعد متوليًا، إنما يعد متهيئًا.

الثانية: المتحيز إلى فئة كما إذا حصرت سرية للمسلمين يمكن أن يقضى عليها العدو، فانصرف من هؤلاء لينقذها، فهذا لا بأس به لدعاء الضرورة إليه، بشرط ألا يكون على الجيش ضرر، فإن كان على الجيش ضرر وذهبت طائفة كبيرة إلى هذه السرية بحيث توهن قوة الجيش وتكسره أمام العدو، فإنه لا يجوز، لأن الضرر هنا متحقق، وإنقاذ السرية غير متحقق، فلا يجوز لأن المقصود إظهار دين الله، وفى هذا إذلال لدين الله. إلا إذا كان الكفار أكثر من مثلى المسلمين، فيجوز الفرار حينئذ، لقوله تعالى: ﴿الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ﴾ أو كان عندهم عدة لا يمكن للمسلمين مقاومتها، كالطائرات، إذا لم يكن عند المسلمين من الصواريخ ما يدفعها، فإذا علم أن الصمود يستلزم الهلاك والقضاء على المسلمين، فلا يجوز لهم أن يبقوا، لأن مقتضى ذلك أنهم يغررون بأنفسهم.

وفى هاتين الآيتين تخصيص السنة بالكتاب، وهو قليل. اهـ.

[قلت]: بل هناك أحاديث خصصت هذا التولى كقوله ﷺ: «أنا فستكم ..» الحديث.

ثم قال: ومن تخصيص السنة بالكتاب أن من الشروط التى بين النبى ﷺ والمشرىكين فى الحديثية أن من جاء من المشرىكين مسلماً يرد إليهم<sup>(١)</sup>، وهذا الشرط عام يشمل الذكر

(١) [متفق عليه] أخرجه : البخارى (٢٦٩٩)، ومسلم فى الجهاد (٦/٣٧٧/٩٣).

والأثني، فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ .

قوله: «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»:

قال الشيخ سليمان<sup>(١)</sup>: قوله «وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»: هو بفتح الصاد: المحفوظات من الزنا، وبكسرهما: الحافظات فروجهن عنه، والمراد الحرائر العفيفات، ولا يختص المتزوجات بل حكم البكر كذلك بالإجماع كما ذكره الحافظ، إلا إن كانت دون تسع سنين، والمراد رميهن بزنا أو لواط، والغافلات أى: عن الفواحش وما رمين به، لا خبر عندهن من ذلك، فهو كناية عن البريئات لأن الغافل برئ عما بهت به من الزنا، والمؤمنات، أى: بالله تعالى، احترازاً عن قذف الكافرات، فإنه من الصغائر.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>:

القذف: بمعنى الرمى، والمراد به هنا الرمى بالزنا، والمحصنات هنا الحرائر، وهو الصحيح، وقيل: العفيفات عن الزنا.

والغافلات: وهن العفيفات عن الزنا البعيدات عنه، اللاتي لا يخطر على بالهن هذا الأمر. اهـ.

قلت: وشهد له قصة الإفك حيث كانت عائشة غافلة عما رميت به وكذلك الوليد ابن عبد الملك قال: ما ما ظننت أن ذكراً يعلو ذكراً حتى قص الله خبر قوم لوط .

ثم قال: والمؤمنات احترازاً من الكافرات، فمن قذف امرأة هذه صفاتها، فإن ذلك من الموبقات، ومع ذلك يقام عليه الحد- ثمانون جلدة- ولا تقبل شهادته ويكون فاسقاً، فجعل الله عليه ثلاثة أمور، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ ثم قال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ .

وهذا الاستثناء لا يشمل أول الجمل بالاتفاق، ويشمل آخر الجمل بالاتفاق، واختلف

(١) تيسير العزيز ٢٨٧، ٢٨٨.

(٢) القول المفيد ٢٦، ٢٧.

العلماء فى الجملة الثانية، وهى قوله : «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» فقيل : إنه يعود إليها، وقيل : لا يعود. اهـ.

قلت: وانظر تفصيل ذلك عند ابن كثير وغيره.

ثم قال: وبناء على ذلك إذا تاب القاذف: هل تقبل شهادته أم لا؟

الجواب: اختلف فى ذلك أهل العلم:

فمنهم من قال: لا تقبل شهادته أبدا ولو تاب، وأيدوا قولهم بأن الله أبد ذلك

بقوله: «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا» وفائدة هذا التأييد أن الحكم لا يرتفع عنه مطلقاً.

وقال آخرون: بل تقبل، لأن مبنى قبول الشهادة وردها على الفسق، فإذا زال وهو

المانع من قبول الشهادة، زال ما يترتب عليه.

وينبغى فى مثل هذا أن يقال: إنه يرجع إلى نظر الحاكم، فإذا رأى من المصلحة عدم

قبول الشهادة لردع الناس عن التهاون بأعراض المسلمين، فيفعل.

وإلا، فالأصل أنه إذا زال الفسق وجب قبول الشهادة، وهل قذف المحصنين الغافلين

المؤمنين كقذف المحصنات من كبائر الذنوب؟

الجواب: الذى عليه جمهور أهل العلم أن قذف الرجل كقذف المرأة، وإنما خص

بذلك المرأة، لأن الغالب أن القذف يكون للنساء أكثر، إذ البغايا كثيرات قبل الإسلام،

وقذف المرأة أشد، لأنه يستلزم الشك فى نسب أولادها من زوجها، فيلحق بهن القذف

ضراً أكثر، فتخصيصه من باب التخصيص بالغالب، والقيد الأعلى لا مفهوم له، لأنه

ليبان الواقع.

والشاهد من هذا الحديث قوله: «السحر» اهـ.

قلت: ومن الآيات المرهبة من قذف المحصنة: «وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا».

ومن الأحاديث التى ترهب قذف المحصنات حديث: «قذف المحصنة يهدم عمل مائة

سنة».

وحديث: «وإن أربا الربا الاستطالة فى عرض المسلم» وهذا يدل على أن الواو فى

الحديث لا تقتضى الترتيب، لأن القذف أشد من الربا، وكذلك قوله «ألا أدلكم على

شراركم الثرثارون النمامون المفرقون بين الأحبة الباغون للبراء العيب أو العنت».



وَعَنْ جُنْدَبٍ مَرْفُوعًا: «حَدَّثَ السَّاحِرَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: «الصَّحِيحُ أَنَّهُ مَوْقُوفٌ»<sup>(١)</sup>.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: هذه الحديث رواه الترمذى كما قال: المصنف من طريق إسماعيل عن مسلم المكى وقال بعد أن رواه: لانعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكى يضعف في هذا الحديث من قبل حفظه، وإسماعيل بن مسلم العبدى البصرى، قال وكيع هو نفسه، ويروى عن الحسن أيضاً، والصحيح عن جندب موقوف أهـ.

ورواه أيضاً الدارقطنى والبيهقى والحاكم وقال: صحيح غريب وقال الترمذى فى «العلل» سألت عنه محمداً يعنى البخارى فقال: هذا لاشئ وإسماعيل ضعيف جداً وقال الذهبى فى «الكباثر» إنه من قول جندب وأشار مغلطاً إلى أنه وإن كان ضعيفاً يتقوى بكثرة طرقه وقال: أخرجه جمع: منهم البغوى الكبير والصغير والطبرانى والبخارى ومن لا يحصى كثرة أهـ.

قوله: «عن جندب».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: قوله: عند جندب. ظاهر صنيع الطبرانى فى «الكبير» أنه جندب بن عبد الله البجلي جندب الخير الأزدي قاتل الساحر، فإنه رواه فى «ترجمة»

(١) أخرجه الترمذى فى الحدود/ باب ما جاء فى السحر (٤/ ٦٠ / ١٤٦٠)، والدارقطنى فى «سننه» (٣/ ١١٤)، والطبرانى فى «الكبير» (٢/ ١٦١ / ١٦٦٥)، والحاكم فى «المستدرک» (٤/ ٣٦٠)، والبيهقى فى «الكبرى» (٨/ ١٣٦).

من طريق إسماعيل بن مسلم عن الحسن عن جندب..... فذكره.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد وإن كان الشيخان تركا حديث إسماعيل بن مسلم فإنه غريب صحيح وله شاهد صحيح على شرطهما جميعاً من ضد هذا. اهـ.

قال الترمذى: هذا حديث لانعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وإسماعيل بن مسلم المكى يضعف فى الحديث. وإسماعيل بن مسلم العبدى البصرى، قال وكيع هو ثقة ويروى عن الحسن أيضاً والصحيح عن جندب موقوفاً.

قال البيهقى: إسماعيل بن مسلم ضعيف.

وقال الترمذى فى «العلل الكبير» (١/ ٢٣٧ / ح ٤٣) سألت محمداً عن هذا الحديث؟ فقال: هذا لاشئ وإنما رواه إسماعيل بن مسلم وضعف إسماعيل بن مسلم المكى جداً.

وقال الحافظ فى «الفتح» (١٠/ ٢٤٧) فى سنده ضعف وانظر «فتح المجيد» (ح ٢ / ٥٠) بتخريجنا.

(٢ - ٣) تيسير العزيز الحميد (٢٨٨).

جندب البجلي من طريق خالد العبد عن الحسن عن جندب عن النبي ﷺ وذكره؛ وخالد العبد ضعيف.

**قال ابن حجر:** والصواب أنه غيره، فقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين؛ عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات. وقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: فذكره. وجندب الخير هو جندب بن كعب، وقيل جندب بن زهير، قيل هما واحد كما قاله ابن حبان. أبو عبد الله الأزدي الغامدي صحابي.

قوله: «حد الساحر ضربه بالسيف».

**قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:** وروى ابن السكن من حديث بريدة أن النبي ﷺ قال: «يُضْرَبُ ضَرْبَةً فَيَكُونُ أُمَّةً وَحْدَةً»<sup>(٢)</sup>.

قوله: «حد الساحر ضربة بالسيف». روى بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبو حنيفة فقالوا: يقتل الساحر. وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر ابن عبدالعزيز. ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحره ما يبلغ الكفر. وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد، والأول أولى للحديث، ولأثر عمر الذي ذكره المصنف وعمل به الناس في خلافته من غير تكبير فكان إجماعاً. اهـ.

**قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:** قوله «حد الساحر ضربة بالسيف».

حده يعنى: عقوبته المحددة شرعاً.

وظاهره أنه لا يكفر؛ لأن الحدود تطهر المحذود من الإثم.

والكافر إذا قتل على رده؛ فالقتل لا يطهره.

وهذا محمول على ما سبق: أن من أقسام السحر ما لا يخرج الإنسان عن الإسلام، وهو ما كان بالأدوية والعقاقير التي توجب الصرف والعطف وما أشبه ذلك.

قوله: «ضربة بالسيف».

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٨٩.

(٢) أخرجه ابن السكن كما في الإصابة (١/ ٢٥٠) وانظر «فتح المجيد» (ح ٥٠٦) بتخريننا

(٣) القول المفيد ٢/ ٢٨ و ٢٩.

روى بالتاء بعد الباء، وروى بالهاء، وكلاهما صحيح، لكن الأولى أبلغ؛ لأن التنكير وصيغة الوحدة يدلان على أنها ضربة قوية قاضية.

هذا كناية عن القتل، وليس معناه أن يضرب بالسيف مع ظهره مصفحاً.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: «حكم قتل الساحر» وأما قتل الساحر، فإن كان سحره كفرة؛ قُتل قتل ردة، إلا أن يتوب على القول بقبول توبته، وهو الصحيح، وإن كان سحره دون الكفر؛ قُتل قتل الصائل؛ أى: قتل لدفع أذاه وفساده فى الأرض، وعلى هذا يرجع فى قتله إلى اجتهاد الحاكم، وظاهر النصوص التى ذكرها المؤلف أنه يقتل بكل حال؛ فالمهم أن السحر يؤثر بلاشك، لكنه لا يؤثر بقلب الأعيان إلى أعيان أخرى؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - عزوجل - وإنما يُخَيَّل إلى المسحور أن هذا الشيء انقلب وهذا الشيء تحرك أو مشى وما أشبه ذلك، كما جرى لموسى عليه الصلاة والسلام أمام سحرة آل فرعون، حيث كان يخيل إليه من سحرهم إنها تسعى. اهـ.

#### ● هل يقتل الساحر بمجرد فعله واستعماله؟

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله؟ فقال مالك وأحمد: نعم. وقال الشافعى وأبو حنيفة: لا فأما إن قتل بسحره إنساناً فإنه يُقتل عند مالك والشافعى وأحمد. وقال أبو حنيفة: لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك، أو بقى بذلك فى حق شخص معين. وإذا قُتل فإنه يُقتل حداً عندهم إلا الشافعى، فإنه قال: يقتل - والحالة هذه - قصاصاً.

#### ● هل حكم الرجل الساحر والمرأة سواء؟

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: واختلفوا فى المسلمة الساحرة، فعند أبى حنيفة لا تقتل، ولكن تجس. وقال الثلاثة: حكمها حكم الرجل، والله أعلم وقال أبو بكر الخلال: أخبرنا أبو بكر المروزى، قال: قرأ على أبى عبدالله - يعنى أحمد بن حنبل - عمر بن هارون، حدثنا يونس، عن الزهرى، قال: يقتل ساحر المسلمين ولا يقتل ساحر المشركين، لأن رسول الله ﷺ سحرته امرأة من اليهود فلم يقتلها. اهـ.

قلت: وفى الباب قتل حفصة رضى الله عنها للمرأة التى سحرتها.

#### ● هل يعفى عن الذمى إذا سحر

أخرج البخارى<sup>(٤)</sup> عن ابن شهاب سُئل: أعلَى من سحرَ من أهل العهد قتل؟ قال:

(٢ - ٣) تفسير ابن كثير (١/٢١٢).

(١) القول المفيد (٢/٦٧).

(٤) (٦/٣١٩ الفتح).

بلغنا أن رسول الله ﷺ قد صنع له ذلك فلم يقتل من صنعه، وكان من أهل الكتاب. وأخرج أيضاً عن عائشة أن النبي ﷺ سحر حتى كان يخيل إليه أنه صنع شيئاً ولم يصنعه (١).

قال ابن حجر: قال ابن بطال: لا يُقتل ساحر أهل العهد لكن يعاقب، إلا إن قُتل بسحره فيُقتل، أو أحدث حدثاً فيؤخذ به وهو قول الجمهور.

وقال مالك: إن أدخل بسحره ضرراً على مسلم نقض عهده بذلك. وقال أيضاً: يُقتل الساحر ولا يستتاب، وبه قال أحمد وجماعة وهو عندهم كالزناديق.

قوله: (وكان من أهل الكتاب) قال الكرمانى: ترجم البخارى بلفظ الذمى، وسئل الزهرى بلفظ أهل العهد، وأجاب بلفظ أهل الكتاب، فالأولان يقاريان، وأما أهل الكتاب فمراده من له منهم عهد، وكان الأمر فى نفس الأمر كذلك.

قال ابن بطال: لاجحة لابن شهاب فى قصة الذى سحر النبي ﷺ؛ لأنه كان لا ينتقم لنفسه؛ ولأن السحر لم يضره فى شىء من أمور الوحى ولا فى بدنه، وإنما كان اعتراه شىء من التخيل وذلك أن عفرتياً تغلت عليه ليقطع صلته فلم يتمكن من ذلك، وإنما ناله من ضرر السحر ما ينال المريض من ضرر الحمى.

قلت - ابن حجر -: ولهذا الاحتمال لم يجزم البخارى بالحكم، ثم ذكر طرفاً من حديث عائشة أن النبي ﷺ سحر، وأشار بالترجمة إلى ما وقع فى بقية القصة أن النبي ﷺ لما عوفى أمر بالبئر فردمت، وقال: «كرهت أن أثير على الناس شراً» أهـ.

#### ● هل للساحر توبة؟

قال ابن كثير (٢): قال الرازى: وهل إذا تاب الساحر تُقبل توبته؟ فقال مالك، وأبو حنيفة وأحمد فى المشهور عنهما: لا تقبل وقال الشافعى وأحمد فى الرواية الأخرى: تقبل. وأما ساحر أهل الكتاب فعند أبى حنيفة أنه يقتل، كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك والشافعى وأحمد: لا يقتل. يعنى لقصة لبيد بن أعصم.

ورجح ابن عثيمين (٣) أن له توبة، وقال: وهو الصحيح.



(١) تقدم.

(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٠٨).

(٣) القول المفيد (٢/٦).

وَفِي «صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ» عَنْ بَجَالَةَ بْنِ عَبْدِةَ، قَالَ: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنْ أَقْتُلُوا كُلَّ سَاحِرٍ وَسَاحِرَةٍ». قَالَ: فَقَتَلْنَا ثَلَاثَ سَوَاحِرٍ» (١).

قوله: [وفي صحيح البخارى عن بجالة بن عبدة، قال: كتب عمر بن الخطاب... الخ].

قلت: الحديث فى صحيح البخارى وليس فيه هذا اللفظ.

قال ابن حجر (٢): زاد مسدد وأبو يعلى فى روايتهما «اقتلوا كل ساحر، قال: فقتلنا فى يوم ثلاث سواحر وفرقنا بين المحارم منهم، وصنع طعاماً فدعاهم وعرض السيف على فخذيه، فأكلوا بغير زمزمة».

وقال: وأما الأمر بقتل الساحر فهو من مسائل الخلاف، وقد وقع فى رواية سعيد بن منصور من الزيادة «واقتلوا كل ساحر وكاهن» أهد.

[قلت]: وتقدم فى أول الباب حكم قتل الساحر.

قال سليمان آل الشيخ (٣): وهذا الأثر رواه البخارى كما ذكره المصنف، لكنه لم يذكر قتل السحرة. ولفظه: عن بجالة بن عبدة قال: كنت كاتباً لجزء بن معاوية عم الأحنف فأتانا كتاب عمر بن الخطاب قبل موته بسنة: فرقوا بين كل محرم من المجوس ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله ﷺ أخذها من مجوسى هجر. وعلى هذا فعزوا المصنف إلى البخارى يحتمل أنه أراد أصله لالفظه ورواه الترمذى والنسائى مختصراً، ورواه عبدالرزاق وأحمد وأبوداود والبيهقى مطولاً. ورواه القطيعى فى الجزء الثانى من «فوائده» بزيادة. فقال: حدثنا أبو على بشر بن موسى الأسدى. ثنا هودبة بن خليفة ثنا عوف عن عمار مولى بنى هاشم عن بجالة بن عبدة قال: كتب إلينا عمر بن الخطاب أن اعرضوا على من كان قبلكم من

(١) أخرجه البخارى فى «الجزية والموادعة»/ باب: الجزية والموادعة مع أهل الذمة (٦/٢٩٧/ح٣١٥٦) وعبدالرزاق فى «مصنفه» (ح١٨٧٤٥) وابن أبى شيبة فى «مصنفه» (٦/٥٨٣).  
جميعاً من حديث بجالة بن عبدة.

ولفظ المصنف هذا لم يذكره البخارى. قال الحافظ رواه مسدد وأبو يعلى فى روايتهما اقتلوا كل ساحر فذكره.

وانظر «فتح المجيد» (ح ٥١٤) بتخریجنا.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٨٩ - ٢٩٠).

(٢) فتح البارى (٦/٣٠١).



المجوس أن يدعوا نكاح أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم ويسأكلوا جميعاً كيما نلحقهم بأهل الكتاب، ثم اقتلوا كل كاهن وساحر.

قلت - سليمان آل الشيخ -: وإسناده حسن.

قوله: «عن بجالة»<sup>(١)</sup> هو بفتح الموحدة بعدها جيم، ابن عبدة بفتح التيمى العنزى

بصرى ثقة.

قوله: «كتب إلينا عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.. إلى آخره.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: صريح فى قتل الساحر والساحرة، وهو من حجج

الجمهور القائلين بأنه يقتل، وظاهره أنه يقتل من غير استتابه، وهو كذلك على المشهور عن أحمد. وبه قال مالك: إن الصحابة لم يستتبيوهم، ولأن علم السحر لا يزول بالتوبة. وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته وخلقى سبيله، وبه قال الشافعى، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك، والمشرك يستتاب وتقبل توبته، فكذلك الساحر وعلمه بالسحر لا يمنع توبته، بدليل ساحر أهل الكتاب إذا أسلم ولذلك صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم.

قلت: الأول أصح لظاهر عمل الصحابة. فلو كانت الإستتابة واجبة لفعلوها أو بينها وأما قياسه على المشرك فلا يصح. لأنه أكثر فساداً وتشبيهاً من المشرك، وكذلك لا يصح قياسه على ساحر أهل الكتاب لأن الإسلام يجِب ما قبله، وهذا الخلاف إنما هو فى إسقاط الحد عنه بالتوبة؛ أما فيما بينه وبين الله فإن كان صادقاً قبلت توبته.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: وهذا القتل هل هو حد أم قتله لكفره؟

يحتمل هذا وهذا بناءً على التفصيل السابق فى كفر الساحر، ولكن بناء على ما سبق من التفصيل نقول: من خرج به السحر إلى الكفر فقتله قتل ردة، ومن لم يخرج به السحر إلى الكفر فقتله قتل حد يجب تنفيذه.

والحاصل: أنه يجب أن تقتل السحرة، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل؛ لأنهم يُمرضون ويقتلون، ويُفرقون بين المرء وزوجه، وكذلك بالعكس؛ فقد يعطفون فيؤلفون بين الأعداء، ويتوصلون إلى أغراضهم؛ فإن بعضهم قد يسحر أحداً ليعطفه إليه وينال مأربه منه، كما لو سحر امرأة ليبنى بها، ولأنهم كانوا يسعون فى الأرض فساداً؛ فكان

(١ - ٢) تيسير العزيز الحميد (٢٨٩ - ٢٩٠).

(٣) القول المفيد ٢/ ٣٠ و ٣١.

وَصَحَّ عَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، «أَنَّهَا أَمَرَتْ بِقَتْلِ جَارِيَةٍ لَهَا. سَحَرَتْهَا، فَقُتِلَتْ» (١).

وَكَذَلِكَ صَحَّ عَنْ جُنْدَبٍ (٢).

واجباً على ولى الأمر قتلهم بدون استتابة مادام أنه حدٌّ لضرهم وفضاعة أمرهم، فإن الحد لا يستتاب صاحبه، متى قبض عليه وجب أن ينفذ فيه الحد.



قوله: [وصح عن حفصة رضى الله عنها أنها أمرت بقتل جارية لها... إلخ.

قال سليمان آل الشيخ (٣): هذا الأثر رواه مالك فى «الموطأ» عن محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة زوج النبي ﷺ قتلت جارية لها سحرتها وكانت قد دبرتها فأمرت بها فقتلت. ورواه عبدالرزاق وحفصة هى أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ بعد خنيس بن حذافة سنة ثلاث وماتت سنة خمس وأربعين.

قال سليمان آل الشيخ (٤): المراد به هنا قطعاً جندب الخير الأزدي قاتل الساحر، وهو جندب بن كعب بن عبدالله قال أبو حاتم: جندب بن كعب قاتل الساحر. ويقال: جندب بن زهير فجعلها واحداً وفرق بينهما ابن الكلبي وغيره قال ابن عبدالبر: ذكر الزبير أن جندب بن زهير قاتل الساحر والصحيح أنه غيره وأشار المصنف بهذا إلى قتله

(١) أخرجه مالك فى «الموطأ» (١٤/٦٦٣/٢).

من طريق محمد بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة أنه بلغه أن حفصة... فذكره.

ووصله عبدالرزاق فى «المصنف» (١٠/١٨٠/١٨٧٤٧) عن عبد الله أو عبيد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر أن جارية لحفصة سحرتها.

وانظر «فتح المجيد» (ح ٥١٥) بتخریجنا.

(٢) أخرجه البخارى فى «التاريخ الكبير» (٢/١/٢٢٢/٢٢٦٨)، والطبرانى فى «الكبير»

(٢/١٧٧/١٧٢٥)، والبيهقى فى «الكبرى» (٨/١٣٦).

من طريق خالد الحذاء، عن أبى عثمان النهدي به.

وأخرجه عبدالرزاق فى «مصنفه» (١٠/١٨١/١٨٧٤٨).

عن عمرو بن دينار، قال: سمعت بجالة التيمي قال: وجد عمر... الحديث. وانظر «فتح المجيد»

(ح ٥١٦) بتخریجنا

(٣ - ٤) تيسير العزيز الحميد ٢٩٠.

## قال أحمد: عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ. فيه مسائل

### الأولى: تفسير آية البقرة.

الساحر كما روه البخارى فى «تاريخه» عن أبى عثمان النهدى قال: كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنساناً وأبان رأسه فمعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله. ورواه البيهقى فى «الدلائل» مطولاً وفيه فقال الناس: سبحان الله يحيى الموتى. وراه رجل صالح من المهاجرين فنظر إليه فلما كان من الغد اشتمل على سيفه فذهب يلعب ثعبه ذلك، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه وقال: إن كان صادقاً فليحيى نفسه فأمر به الوليد فسجن. وذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة.

قوله: [قال أحمد: ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: أحمد هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل. وقوله: عن ثلاثة أى: صح قتل الساحر، عن ثلاثة أو جاء قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ، يعنى: عمر وحفصة، وجندباً والله أعلم.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: والقول بقتلهم موافق للقواعد الشرعية؛ لأنهم يسعون فى الأرض فساداً، وفسادهم من أعظم الفساد؛ فقتلهم واجب على الإمام، ولا يجوز للإمام أن يتخلف عن قتلهم؛ لأن مثل هؤلاء إذا تركوا وشأنهم انتشر فسادهم فى أرضهم وفى أرض غيرهم، وإذا قُتلوا سلم الناس من شرهم، وارتدع الناس عن تعاطى السحر. اهـ.

قوله: فيه مسائل:

● الأولى: تفسير آية البقرة.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:

وهى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾<sup>(٤)</sup>؛ أى: نصيب، ومن لا خلاق له فى الآخرة؛ فإنه كافر؛ إذ كلُّ من له نصيب، فإن ماله إلى الجنة.

(٢) القول المفيد ٢/٣١.

(٤) البقرة: ١٠٢.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٩١.

(٣) القول المفيد ٢/٣٢: ٣٥.

الثانية: تَفْسِيرُ آيَةِ النَّسَاءِ.

الثالثة: تَفْسِيرُ الْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا.

الرابعة: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ.

الخامسة: مَعْرِفَةُ السَّبْعِ الْمُوَبَقَاتِ الْمَخْصُوصَاتِ بِالنَّهْيِ.

السادسة: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

السابعة: أَنَّهُ يَقْتُلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.

● الثانية: تفسير آية النساء.

وهي قوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾<sup>(١)</sup>، وفسَّرَ عمر الجبْتِ بالسحر والطاغوت بالشیطان، وفسَّرَ بأن الجبْتِ: كل ما لاخير فيه من السحر وغيره. وأما الطاغوت؛ فهو: كل ما تجاوز به الإنسان حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

● الثالثة: تفسير الجبْتِ والطاغوت والفرق بينهما.

وهذا بناءً على تفسير عمر رضى الله عنه.

● الرابعة: أَنَّ الطَّاغُوتَ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْجِنِّ، وَقَدْ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ.

تؤخذ من قول جابر: الطواغيت كهان، وكذلك قول عمر: الطاغوت الشيطان، فإن الطاغوت إذا أطلق؛ فالمراد به شيطان الجن، والكهان شياطين الإنس.

● الخامسة: معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهي.

وقد سبق بيانها.

● السادسة: أَنَّ السَّاحِرَ يَكْفُرُ.

تؤخذ من قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ الآية<sup>(١)</sup>.

● السابعة: أَنَّهُ يَقْتُلُ وَلَا يُسْتَتَابُ.

(١) النساء: ٥١.

(٢) البقرة: ١٠٢.

## الثامنة: وَجُودُ هَذَا فِي الْمُسْلِمِينَ عَلَى عَهْدِ عُمَرَ، فَكَيْفَ بَعْدَهُ؟! ---

يؤخذ من قوله: «حد الساحر ضربة بالسيف»<sup>(١)</sup>، والحد إذا بلغ الإمام لا يستتاب صاحبه، بل يقتل بكل حال، أما الكفر؛ فإنه يستتاب صاحبه، وهذا هو الفرق بين الحد وبين عقوبة الكفر، وبهذا نعرف خطأ من أدخل حكم المرتد في الحدود، وذكروا من الحدود قتل الردة.

فقتل المرتد ليس من الحدود؛ لأنه يستتاب، فإذا تاب ارتفع عنه القتل، وأما الحدود؛ فلا ترتفع بالتوبة إلا أن يتوب قبل القدرة عليه، ثم إن الحدود كفارة لصاحبها وليس بكافر، والقتل بالردة ليس كفارة وصاحبها كافر؛ لا يصلى عليه، ولا يُغسل، ولا يدفن في مقابر المسلمين.

### ● الثامنة: وجود هذا في المسلمين في عهد عمر؛ فكيف بعده؟! ---

تؤخذ من قوله: «كتب عمر: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة»؛ فهذا إذا كان في زمن الخليفة الثاني في القرون المفضلة، بل أفضلها؛ فكيف بعده من العصور التي بعدت عن وقت النبي ﷺ وخلفائه وأصحابه؟! فهو أكثر انتشاراً بين المسلمين، وكلما بعد الناس عن زمن الرسالة استولت عليهم الضلالة والجهالة؛ فالضلالة: ارتكاب الخطأ عن جهل، والجهالة: ارتكاب الخطأ عن عمد، ولهذا نقول: من عمل سوءاً بجهالة؛ فهو آثم، ومن عمل سوءاً بجهل؛ فليس بآثم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾<sup>(٢)</sup>، والمراد بالجهالة هنا ليست ضد العلم، بل ضد الرشد، وهي السفه أ.هـ.



---

(١) سبق.

(٢) النساء: ١٧.

## بَيَانُ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ السَّحْرِ

ثناء العلماء على هذه الترجمة:

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: أن المؤلف كان حكيماً في تعبيره بالترجمة، حيث قال: باب بيان شيء من أنواع السحر، ولم يحكم عليها بشيء؛ لأن منها ما هو شرك، ومنها ما هو من كبائر الذنوب، ومنها دون ذلك، ومنها ما هو جائز على حسب ما يقصد به وعلى حسب تأثيره وآثاره. اهـ.

ماذا أراد المؤلف بهذا الباب:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>:

أراد المصنف هنا أن يبين شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس. اهـ.  
قال ابن باز<sup>(٣)</sup>:

أراد المؤلف أن يبين شيئاً مما يسمى سحراً لئلا يتبته المؤمن ويجتنبها ويتعد عنها وقد تسمى سحراً من جهة أنها تضر وتؤذي وإن لم تكن سحراً من جهة المعنى والحقيقة الذي هو استخدام الشياطين وعبادتهم فهذا سحر محبط.

أما الثانية فهو يعمل عمل السحر ويؤذي وإن لم يكن سحراً في الحقيقة أ.هـ.

قلت: كالنميمة.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>:

قوله: «باب بيان شيء من أنواع السحر».

أى: بيان حقائق هذه الأشياء مع حكمها.

وقد سبق أن السحر ينقسم إلى قسمين: كفر، وفسق.

فإن كان باستخدام الشياطين وما أشبه ذلك؛ فهو كفر.

وكذلك ما ذكره هنا من أنواع السحر: منها ما هو كفر، ومنها ما هو فسق حسب ما

تقتضيه الأدلة الشرعية. أ.هـ.

مناسبة الباب لما قبله

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>:

لما ذكر المصنف ما جاء في السحر أراد هنا أن يبين شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها على الناس. حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت عنه هذه الأمور فهو من الأولياء، وعدوها من كرامات الأولياء وآل الأمر إلى أن عبد أصحابها ورجى منهم النفع

(١) القول المفيد (٢/٣٦).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٩١).

(٣) التعليق المفيد.

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٩١).

والضر، والحفظ والكلاءة والنصر أحياء وأمواتاً، بل اعتقد كثير في أناس من هؤلاء أن لهم التصرف التام المطلق في الملك. أ.هـ

قلت: ومن المناسبات أيضاً التفصيل بعد الاجمال.

قال عبد الله بن جبار الله:

ماصلة هذا الباب لما قبله؟

هي أنه لما ذكر المؤلف السحر ذكر شيئاً من أنواعه. اهـ.

مناسبة الباب لكتاب التوحيد

تقدم في الكلام على الباب الماضي

شرح التبويب:

قول المصنف [أنواع]

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>:

والأنواع: جمع نوع، والنوع أخص من الجنس؛ لأن الجنس اسم يدخل تحته أنواع، والنوع يدخل تحته أفراد، وقد يكون الجنس نوعاً باعتبار ما فوقه، والنوع جنساً باعتبار ما تحته.

فالإنسان نوع باعتبار الحيوان، والحيوان باعتبار الإنسان جنس؛ لأنه يدخل فيه الإنسان والإبل والبقر والغنم، والحيوان باعتبار الجسم نوع؛ لأن الجسم يشمل الحيوان والجماد.

و«أنواع» هنا باعتبار الجنس العام.

قوله: (السحر).

قال ابن عثيمين: وسبق أن السحر في اللغة: كل ما كان خفى السبب دقيقاً في إدراكه حتى عد الفخر الرازي من جملة أنواع السحر الساعات، وهي في القديم عبارة عن آلات مركبة؛ فكيف بالساعات الألكترونية اليوم؟! اهـ.

قلت: وتقدم نقل هذا وغيره في الباب السابق من كلام ابن كثير في الرد على قول الرازي.

### تمهيد

### في الفرق بين السحر والمعجزة والكرامة

هناك أمور تحدث للصالحين ولأولياء الله تسمى بالكرامات، ونفس هذه الأمور أو

(١) القول المفيد (٢/٣٦).

قريباً منها تحدث للدجالين، والسحرة، فكيف نفرق بين الكرامة، وبين الأحوال الشيطانية؟

الجواب: ذكر ابن تيمية الفروق بين السحر والمعجزة والكرامة في مجموع الفتاوى في أكثر من موضع، على سبيل المثال في المجلد العاشر والحادي عشر، وأيضاً في رسالة «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».

وكذلك ابن حجر في «الفتح»<sup>(١)</sup> حيث نقل عن المازري قوله:

والفرق بين السحر والمعجزة والكرامة أن السحر يكون بمعانة أقوال وأفعال حتى يتم للساحر ما يريد، والكرامة لا تحتاج إلى ذلك بل إنما تقع غالباً اتفاقاً، وأما المعجزة فتمتاز عن الكرامة بالتحدى.

ونقل إمام الحرمين الإجماع على أن السحر لا يظهر إلا من فاسق، وأن الكرامة لا تظهر على فاسق.

ونقل النووي في زيادات الروضة عن المتولى نحو ذلك.

وينبغي أن يعتبر بحال من يقع الخارق منه، فإن كان متمسكاً بالشريعة متجنباً للموبقات فالذى يظهر على يده من الخوارق كرامة، وإلا فهو سحر، لأنه ينشأ عن أحد أنواعه كإعانة الشياطين أ. هـ.

وذكر الشيخ سليمان شيناً من ذلك في كتاب «تيسير العزيز الحميد» فأنقله إختصاراً ولمن أراد المزيد عليه بالرجوع إلى ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: - ولا بد من ذكر فرقان يفرق به المؤمن بين ولى الله وبين عدو الله، من ساحر وكاهن وعائف<sup>(٣)</sup> وزاجر ومنتطير ونحوهم ممن قد يجرى على يده شيء من الخوارق.

فاعلم أنه ليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يجب أن يكون ولياً لله تعالى، لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب، مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع.

وفعل الشياطين بأناس ممن يتسبون إلى دين وصلاح ورياضة مخالفة للشريعة كأناس من الصوفية وكرهبان النصارى ونحوهم، فيطيرون بهم فى الهواء ويمشون بهم على الماء ويأتون بالطعام والشراب والدراهم، وقد يكون ذلك بعزائم ورقى شيطانية وبحيل

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٩١ - ٢٩٤.

(١) (١٠/٢٣٣).

(٣) العراف



وأدوية، كالذين يدخلون النار بحجر الطلق ودهن النارج. وقد يكون برؤيا صادقة فيها وما يستدل به على وقوع ما لم يقع، وهذه مشتركة بين ولي الله وعدوه. وقد يكون ذلك بنوع طيرة يجدها الإنسان في نفسه فتوافق القدر وتقع كما أخبر وقد يكون بعلم الرمل والضرب بالحصى، وقد يكون ذلك استدراجاً والأحوال الشيطانية كثيرة.

وقد فرق الله بين أوليائه وأعدائه في كتابه فاعتصم به وحده، لا إله إلا هو فإنه لا يضل من اعتصم به ولا يشقى. قال الله تعالى ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١﴾ فذكر تعالى أن أولياءه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون هم المؤمنون المتقون ولم يشترط أن يجرى على أيديهم شيء من خوارق العادة. فدل أن الشخص قد يكون ولياً لله وإن لم يجر على يديه شيء من الخوارق إذا كان مؤمناً متقياً.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢) فأولياء الله المحبوبون عند الله هم المتبعون للرسول ﷺ باطنياً وظاهراً؛ ومن كان بخلاف هذا فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، وإنما أحبه الله تعالى لأنهم والوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما ينهى، وأعطوا من يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع. وأصل الولاية المحبة والقرب وأصل العداوة البغض والبعد.

وبالجملة: فأولياء الله هم أحبابه المقربون إليه بالفرائض والتوافل وترك المحارم، الموحدون له، الذين لا يشركون بالله شيئاً وإن لم تجر على أيديهم خوارق فإن كانت الخوارق دليلاً على ولاية الله فلتكن دليلاً على ولاية الساحر والكاهن والمنجم والمتفرس، ورهبان اليهود والنصارى، عباد الأصنام؛ فإنهم يجرى لهم من الخوارق ألوف، ولكن هي من قبل الشياطين؛ فإنهم يتنزلون عليهم لمجانستهم لهم في الأفعال والأقوال كما قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ \* تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاكٍ أَتِيمٌ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنِ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ (٤) وقد طارت الشياطين ببعض من ينتسب إلى الولاية، فقال: لا إله إلا الله فسقط وتجد عمدة كثير من الناس في اعتقادهم الولاية في شخص أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور أو بعض الخوارق للعادة، مثل أن يشير إلى شخص فيموت أو يطير في الهواء إلى مكة أو

(٢) آل عمران: ٣١.

(١) يونس: ٦٢.

(٤) الزخرف: ٣٦.

(٣) الشعراء: ٢٣١.

غيرها أحياناً أو يمشى على الماء أو يملأ إبريقاً من الهواء أو يخبر فى بعض الأوقات بشىء من الغيب، أو يختفى أحياناً عن أعين الناس، أو يخبر بعض الناس بما سرق له أو بحال غائب أو مريض، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت، فرآه قد جاء ففضى حاجته أو نحو ذلك.

وليس فى شىء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها مسلم فضلاً من أن يكون ولياً لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار فى الهواء ومشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ، وموافقته لأمره ونهيه.

ومثل هذه الأمور قد يكون صاحبها ولياً لله وقد يكون عدواً له، فإنها قد تكون لكثير من الكفار والمشركين واليهود والنصارى والمنافقين وأهل البدع، وتكون لهؤلاء من قبل الشياطين أو تكون استدراجاً فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شىء من هذه الأمور فهو ولي لله بل يعرف أولياء الله بصفاتهم وأحوالهم وأفعالهم التى دل عليها الكتاب والسنة؛ وأكثر هذه الأمور قد توجد فى أشخاص يكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلى المكتوبة ولا يتنظف ولا يتطهر الطهارة الشرعية، بل يكون ملابساً للنجاسات، معاشراً للكلاب، يأوى إلى المزابل، رائحته خبيثة، ركباً للفواحش، يمشى فى الأسواق كاشفاً لعورته غامزاً للشرع، مستهزئاً به وبحملته، يأكل العقارب والحبائث التى تحبها الشياطين كافرأ بالله، ساجداً لغير الله من القبور وغيرها، يكره سماع القرآن وينفر منه ويؤثر سماع الأغاني والأشعار ومزامير الشيطان على كلام الرحمن. فلو جرى على يدى شخص من الخوارق ماذا عساه أن يجرى فلا يكون ولياً لله، محبوباً عنده حتى يكون متبعاً لرسوله ﷺ باطناً وظاهراً.

فإن قلت: فعلى هذا ما الفرق بين الكرامة وبين الاستدراج والأحوال الشيطانية؟

قيل: إن علمت ما ذكرنا عرفت الفرق لأنه إذا كان الشخص مخالفاً للشرع فما يجرى له من هذه الأمور ليس بكرامة، بل هى إما استدراج وإما من عمل الشياطين، ويكون سببها هو ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فإن المعاصى لا تكون سبباً لكرامة الله، ولا يستعان بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء بل تحصل بما تحبه الشياطين كالأستغاثة بغير الله، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش فهى من الأحوال الشيطانية لا من الكرامات الرحمانية؛ وكلما كان الإنسان أبعد عن الكتاب والسنة كانت الخوارق الشيطانية له أقوى وأكثر من غيره، فإن الجن الذين يقترون بالإنس من جنسهم. فإن كان كافرأ ووافقهم على ما يختارونه من الكفر والفسوق والضلال والإقسام عليهم بأسماء من يعظمونه،

قَالَ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَوْفٌ، عَنْ حَيَّانَ بْنِ الْعَلَاءِ، حَدَّثَنَا قَطْنُ بْنُ قَبِيصَةَ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجَبْتِ». قَالَ عَوْفٌ: الْعِيَافَةُ: زَجْرُ الطَّيْرِ، وَالطَّرْقُ: الْخَطُّ يُخَطُّ بِالْأَرْضِ، وَالْجَبْتُ: قَالَ الْحَسَنُ: رَنَّةُ الشَّيْطَانِ. إِسْنَادُهُ جَيِّدٌ. وَأَبِي دَاوُدَ وَالتَّنَائِي، وَابْنِ حِبَّانَ: فِي «صَحِيحِهِ» لَهُمُ الْمُسْتَدُّ مِنْهُ (١).

وللسجود لهم وكتابة أسماء الله أو بعض كلامه بالنجاسة؛ فعلوا معه كثيراً مما يشتهي بسبب ما يطلبهم به من الكفر وقد يأتونه بما يهواه من امرأة وصبي، بخلاف الكرامة فإنها لا تحصل إلا بعبادة الله والتقرب إليه ودعائه وحده لا شريك له، والتمسك بكتابه، واجتناب المحرمات، فما يجرى من هذا الضرب فهو كرامة. وقد اتفق على هذا الفرق جميع العلماء.

وبالجملية: فإن عرفت الأسباب التي بها تنال ولاية الله عرفت أهلها وعرفت أنهم أهل الكرامة؛ وإن كنت ممن يسمع بالأولياء وهو لا يعرف الولاية ولا أسبابها ولا أهلها بل يميل مع كل ناعق وساحر: «وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» ولشيخ الإسلام كتاب- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان- فراجعه فإنه أتى فيه بالحق المبين. اهـ.

ولم يذكره صاحب «فتح المجيد» ولو بالاختصار.



قوله: (قال أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف... الحديث).

- مناسبة الحديث للباب.

قال القرعاوي (٢):

دل الحديث على أن العيافة والطرق والطييرة من أنواع السحر. اهـ.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٠/٤٠٣/٢/١٩٥)، وأحمد في «مسنده» (٣/٤٧٧)، (٥/٦٠)، وأبو داود في الطب/ باب في الخط وزجر الطير (٤/٣٩٠٧/١٥)، والنسائي في «الكبرى» في التفسير (٦/٣٢٤/١١١٠٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٧/٦٤٦/٦٠٩٨)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/١٣٩).

من طريق عوف العبدي، عن حيان بن قطن بن قبيصة، عن أبيه... الحديث.  
وانظر «رياض الصالحين» (١٦٧٣)، وابن أبي حاتم (٥٤٤٢) و«فتح المجيد» (ح ٥٢٢) بتخریجنا.  
(٢) الجديد (٢٣٠)

- مناسبة الحديث للتوحيد:

قال القرعاوى (١): أفاد الحديث أن هذه الثلاثة من السحر، والسحر مبني على الشرك. أهـ.

قوله: (قال أحمد)

قال سليمان آل الشيخ (٢): - هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل.

ومحمد بن جعفر هو المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور، ثبت في شعبة حتى فضله على بن المديني فيه على عبدالرحمن بن مهدي بل أقر له ابن مهدي بذلك. مات سنة ست ومائتين.

وعوف هو ابن أبي جميلة- بفتح الميم- العبدى البصرى المعروف بعوف الأعرابي ثقة. مات سنة ست أو سبع وأربعين ومائة، وله ست وثمانون سنة.

وحيان بن العلاء هو بالتحية ويقال حبان بن مخارق أبو العلاء البصرى مقبول. وقطن- بفتح ح- أبو سهلة البصرى صدوق.

«قوله: عن أبيه».

هو قبيصة- بفتح أوله وكسر الموحدة ابن المخارق- بضم الميم وتخفيف المعجمة أبو عبد الله الهلالي، صحابي نزل البصرة.

قوله: «إن العيافة»

قال سليمان آل الشيخ (٣): قال عوف: العيافة زجر الطير. هذا التفسير ذكره غير واحد كما قال عوف وهو كذلك.

قال أبو السعادات: العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيراً وهو كثير فى أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدث ووطن أهـ.

قال حامد بن محمد بن حسن (٤): (قلت): العيافة على ما ذكرها أهل العلم: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها وهو من العرب كثير فى أشعارهم. يقال: عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحدث ووطن، وبنو أسد يذكرون بالعيافة ويوصفون

(٢-٣) تيسير العزيز الحميد (٢٩٤).

(١) الجديد (٢٣٠).

(٤) فتح الله الحميد المجيد (٣١٩).

بها. قيل: إن قوماً من الجن تذكروا أعيافهم فاتوها فقال: ضلت ناقة فلو أرسلتهم معنا من يعيف فقالوا للغلام منهم: انطلق معهم فاستردفه أحدهم، ثم ساروا فلقبهم عقاب كاسرة إحدى جناحيه فاقشعر جلد الغلام وبكى فقالوا: مالك؟ فقال: كسرت جناحاً، ورفعت جناحاً، وحلفت بالله صراحاً، ما أنت يانسي ولا تبغى لقاحاً، وأنشد الشيخ التوربشتي وقال:

تحايى هدهد فوق بابه      هدى وبيان بالجناح يلوح  
وقالوا حمامات فحم لقائها      وطلح فسلت والمطى طليح

وقال آخر:

يغنى الطائرات بين سلمى      على غضين من غرب وبان

وقال آخر:

جرت سخاً فقلت لها أجيرى      نوى مشهولة فمتى اللقاح السانح

مما كانوا يمينون به أى قلت للنفس: أجيرى، أى: طغى حال نوى، والمشمولة المكروهة من الشمال، فإنه كانوا يكرهونها لما فيها من البرد، وذهابها بالغيم الذى فيه الحيا والخصب. اهـ.

قال عبد الله بن جبار الله<sup>(١)</sup>: العيافة: زجر الطير وتنفيرها وإرسالها والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. اهـ.

قال ابن باز<sup>(٢)</sup>: العيافة: زجر الطير. كما قال عوف. فيزجرون الطير ويزعمون أنها تدلهم على شيء فيشاءمون بها تارة ويقيمون بها تارة أخرى، وهذا من عمل الجاهلية، والطيور ليس عندها خير ولا شر ولكن هذا من جهلهم وخلالهم كما يتشاءمون بالغراب والبقعة أو حيوان سئ الخلق، ويقيمون بالحيوان الحسن الخلق، ويقولون هذا مخرج طيب والعكس كذلك. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: مصدر عاف يعيف عيافةً، وهى: زجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل؛ فعند العرب قواعد فى هذا الأمر؛ لأن زجر الطير له أقسام:

(١) الجامع الفريد (١٠٥).

(٢) التعليق المفيد (١٤٣).

(٣) القول المفيد ١/ (٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢).

فتارة يزجرها للصيد، كما قال أهل العلم في باب الصيد: إن تعليم الطير بأن يتزجر إذا زجر؛ فهذا ليس من هذا الباب.

وتارة يزجر الطير للتشاؤم أو التفاؤل، فإذا زجر الطائر وذهب شمالاً تشاءم، وإذا ذهب يميناً تفاءل، وإن ذهب أماماً؛ فلا أدرى أيتوقفون أم يعيدون الزجر؟ فهذا من الجبت.

قال: ووجه كون العيافة من السحر أن العيافة يستند فيها الإنسان إلى أمر لاحقيقة له فماذا يعنى كون الطائر يذهب يمينا أو شمالاً أو أماماً أو خلفاً؟ فهذا لا أصل له وليس بسبب شرعى ولا حسى فإذا اعتمد الإنسان على ذلك فقد اعتمد على أمر خفى لا حقيقة له وهذا سحر كما سبق تعريف السحر فى اللغة أ.هـ.

قوله: «الطرق»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله: والطرق: الخط يخط فى الأرض، هكذا فسره عوف، وهو تفسير صحيح. وقال أبو السعادات: هو الضرب بالحصى الذى يفعله النساء. قلت أي سليمان: وأياما كان فهو من الجبت. أ.هـ.

قال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: (الطرق) هو الضرب بالحصى الذى تفعله النساء. وقيل: هو الخط فى الرمل، واقتصر فى الفائق على الوجه الأول، وأنشد قوله لييد:

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى ولا زاجرت الطير ما الله صانع

قال عبد الله بن جبار الله<sup>(٣)</sup>: (الطرق): الخط يخط فى الأرض، وقيل: هو الضرب بالحصى. أ.هـ.

قال ابن باز<sup>(٤)</sup>: (الطرق) الخط يخط فى الأرض، ويقولون هذا يدل على كذا، وأنه يحصل كذا، وهذا قد يكون من العبث أحياناً، وقد يكون تخيلاً، وهو فى الحقيقة خدمة للشياطين، وأخذ بأقوالهم وطاعتهم، ودعوة علم الغيب، وكله كذب، وهى لاتفيد شيئاً. أ.هـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: هى من السحر؛ لأنهم يستعملونه فى السحر ويتوصلون به إليه.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٩٤.

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٣٢٠).

(٣) الجامع الفريد (١٠٥).

(٤) التعليق المفيد (١٤٣).

(٥) القول المفيد ١/ (٣٧، ٣٨، ٤١، ٤٢).

وفسره عرف: بأنه الخط يخط في الأرض، وكأنه من الطريق، من طرق الأرض يطرقتها إذا سار عليها، وتخطيها مثل المشى عليها يكون له أثر في الأرض كآثر السير عليها.

ومعنى الخط بالأرض معروف عندهم، يضربون به على الرمل على سبيل السحر والكهانة، ويفعله النساء غالباً، ولا أدري كيف يتوصلون إلى مقصودهم وما يزعمونه من علم الغيب، وأنه سيحصل كذا على ما هو معروف عندهم؟! وهذا نوع من السحر. أما خط الأرض ليكون سترة في الصلاة.

[قلت]: إن صحح الحديث لأن الحديث ضعيف أو لبيان حدودها ونحو ذلك؛ فليس داخلاً في الحديث.

فإن قيل: قد صح عن الرسول ﷺ أنه سئل عن نبي من الأنبياء يخط؛ فقال: من وافق خطه؛ فذاك<sup>(١)</sup>.

قلنا: يجاب عنه بجوابين:

الأول: أن الرسول ﷺ علقه بأمر لا يمكن الحصول عليه؛ لأنه قال: فمن وافق خطه فذاك، وما يدرينا هل وافق خطه أم لا؟

الثاني: أنه إذا كان الخط بالوحي من الله تعالى كما في حال هذا النبي؛ فلا بأس به؛ لأن الله يجعل له علامة ينزل الوحي بها بخطوط يعلمه إياها. أما هذه الخطوط السحرية؛ فهي من الوحي الشيطاني.

فإن قيل: طريقة الرسول ﷺ أنه يسد الأبواب جميعاً خاصة في موضوع الشرك؛ فلماذا لم يقطع ويسد هذا الباب؟

فالجواب: كأن هذا والله أعلم أمر معلوم، وهو أن فيه نبياً من الأنبياء يخط؛ فلا بد أن يجيب عنه الرسول ﷺ.

[قلت]: بل أجاب ﷺ بهذه الطريقة لیسد هذا الباب لأنه كما تقدم علق على أمر مستحيل الوقوع فكأنه يقول من وافق خطه وهذا مستحيل ولن تستطيعوا ذلك فذاك والله أعلم.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: وفي الحديث دليل على تحريم التنجيم لأنه إذا كان الخط ونحوه الذي هو من فروع النجامة من الجبت فكيف بالنجامة. اهـ.

(١) [صحيح] أخرجه مسلم من حديث معاوية بن الحكم.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

قلت: وفيه تحريم قراءة الفنجان أو الكوتشينة ونحو ذلك من باب أولى.

فائدة: نهت غير مرة على أن الشيطان يحاول أن يتشبه بالله في كل أفعاله حتى في باب الوحي فلما أوحى الله لبعض أنبياءه عن طريق الخط أوحى هو لبعض أوليائه كذلك عن طريق الخط ولما أوحى الله عن طريق الثباس جبريل بالنبى ثم يفصم عنه وقد وعي ما قال كذلك أوحى هو باللبس الشيطاني ولما أوحى عن طريق جبريل في صورة بشر جاء هو لأولياته في صورة بشر كما جاء في دار الندوة.

قوله: «والطيرة».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: وأما الطيرة فسيأتى الكلام عليها في بابها إن شاء الله.

اهـ.

وقصد الباب السبع والعشرون [التطير].

قال حامد بن محمد<sup>(٢)</sup>: الطيرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن، وهي التشاؤم بالشيء، وهو مصدر تطير طيرة، مثل تخير خيرة، ولم يجئ من المصادر غيرهما، وأصله فيما يقال: التطير بالسوانح والبوارح من الطير، والظبا، وغيرهما، وكان ذلك يصددهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير في جلب نفع أو دفع ضرر، فلا يصدنهم مما يتوجهون إليه من المقاصد أو من سواء السبيل والصراط المستقيم ما يجدونه في صدورهم من الوهم. اهـ.

قال عبد الله بن جار الله<sup>(٣)</sup>: والطيرة: هي التشاؤم بمرئى أو مسموع. اهـ.

قال ابن باز<sup>(٤)</sup>: التشاؤم بالمرئى أو المسموع، وهي محرمة، ومن الشرك الأصغر، وقد تكون أكبر إذا اعتقد بأن الطائر يتصرف في الكون أو يدبر شيئاً، ولكن الغالب أنهم يتشاؤمون بها فقط. فكل هذا من عمل الجاهلية ومن الجبت. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: - والطيرة من السحر أيضاً لأنها مثل العيافة تماماً مستند إلى أمر خفى لا يصح الاعتماد عليه وسيأتى في باب الطيرة ما يستثنى منه.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

(٢) فتح الله الحميد المجيد (٣٢٠).

(٣) الجامع الفريد (١٠٥).

(٤) التعليق المفيد (١٤٣، ١٤٤).

(٥) القول المفيد ٢/٣٩٤١.



والطيرة: على وزن فعلة، وهى اسم مصدر تطير، والمصدر منه تطير، وهى التشاؤم  
بمرئى أو مسموع. وقيل: التشاؤم بمعلوم مرئياً كان أو مسموعاً، زماناً كان أو مكاناً،  
وهذا أشمل؛ فيشمل ما لا يرى ولا يسمع؛ كالتطير بالزمان. اهـ.

[قلت]: مثل تطير الجهلة بيوم الجمعة ويقولون فيه ساعة نحس.

وأصل التطير: التشاؤم، لكن أضيفت إلى الطير؛ لأن غالب التشاؤم عند العرب  
بالطير، فعلمت به، وإلا؛ فإن تعريفها العام: التشاؤم بمرئى أو مسموع أو معلوم.

وكان العرب يتشاءمون بالطير وبالزمان وبالمكان وبالأشخاص، وهذا من الشرك كما  
قال النبى ﷺ.

والإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم؛ ضاقت عليه الدنيا، وصار يتخيل كل شيء  
أنه شؤم، حتى إنه يوجد أناس إذا أصبح وخرج من بيته ثم قابله رجل ليس له إلا عين  
واحدة تشاءم، وقال: اليوم يوم سوء، وأغلق دكانه، ولم يبع ولم يشتر - والعياذ بالله -،  
وكان بعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء، ويقول: إنه يوم نحس وشؤم، ومنهم من يتشاءم  
بشهر شوال، ولا سيما فى النكاح، وقد نقضت عائشة رضى الله عنها هذا التشاؤم، بأنه  
ﷺ عقد عليها فى شوال، وبنى بها فى شوال؛ فكانت تقول: «أىكن كان أحظى عنده  
منى؟»<sup>(١)</sup>، والجواب: لا أحد.

فالمهم أن التشاؤم ينبغى للإنسان أن لا يطرأ له على بال؛ لأنه يُنكِّد عليه عيشه؛  
فالواجب الاقتداء بالنبى ﷺ حيث كان يعجبه الفأل<sup>(٢)</sup>؛ فينبغى للإنسان أن يتفأل  
بالخير ولا يتشاءم، وكذلك بعض الناس إذا حاول الأمر مرة بعد أخرى تشاءم بأنه لن  
ينجح فيه فيتركه، وهذا خطأ؛ فكل شيء ترى فيه المصلحة؛ فلا تتفأس عنه فى أول  
محاولة، وحاول مرة بعد أخرى حتى يفتح الله عليك.

قلت: ويستدل بقوله ﷺ «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى  
كل خير احرص على ما ينفعك و استعن بالله ولا تعجز فإن فاتك شيء فلا تقل لو كان  
كذا لكان كذا فإن لو تفتح عمل الشيطان»<sup>(٣)</sup>

وقد يكون عمل الشيطان ها هنا ليس فقط الندم على ما فات بل التشاؤم الصادر عن  
عدم تحصيل ما فات وادراكه والله أعلم.

(١) [صحيح] أخرجه: فى النكاح (٥/٢٢٥/٧٣).

(٢) سيأتى تخريجه

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم فى القدر ١٦٠/٢١٥ - النووى) عن أبى هريرة به.

انظر «رياض الصالحين» (١٠١ - بتخريجنا) ..

قوله: «من الجبت» قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup> أى: من أعمال السحر.

قال القاضى: والجبت فى الأصل الفشل الذى لا خير فيه ثم استعير لما يعبد من دون الله وللساحر والسحر.

وقال الطيبى: «من» فيه إما ابتدائية أو تبعية، فعلى الأول المعنى الطيرة ناشئة من الساحر، وعلى الثانى المعنى الطيرة من جملة السحر والكهانة، أو من جملة عبادة غير الله، أى الشرك يؤيده قوله فى الحديث «الطيرة شرك»<sup>(٢)</sup> انتهى.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: سبق أن الجبت السحر، وعلى هذا فتكون (من) للتبويض على الصحيح وليست لليبان، أى هذان النوعان من الجبت. أهـ.

قوله [قال عوف: العياقة: زجر الطير] تقدم ذلك

قوله [والطرق: الخط يخط فى الأرض] تقدم بيان ذلك من كلام سليمان وابن عثيمين.

وزاد حامد بن محمد<sup>(٤)</sup>: قال ابن عباس: الخط يخط فى الأرض، كان نبي من الأنبياء يخط فيعرف بالفراصة بتوسط تلك الخطوط.

قيل: هو إدريس، فمن وافق خطه فى الصورة والحالة وهو قوة الخاط فى الفراصة، والعلم والعمل الموجبين لها فذاك مصيب، وذا محال، لأن خط ذاك النبى معجزة له، ولذا قال ﷺ «من وافق خطه فذاك» على سبيل الزجر، معناه لا يوافق أحد خط ذلك النبى ﷺ لأنه معجزة. قال: والخط هو ما يخط الحازى بالحاء المهملة والزاي المعجمة: الذى يحرز الأشياء ويقدرها بظنه، ويقال للمنجم الحازى أيضاً؛ لأنه ينظر فى النجوم وأحكامها بظنه، والحازى: هو الكاهن. قال: والخط هو علم تركه الناس يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلواناً فيقول: اقعد حتى اخط لك وبين يدي الحازى غلام له معه ميل، ثم يأتى إلى أرض رخوة فيخط فيها خطوطاً بالعجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين وغلامه يقول للتفال: ابني عيان أسرعاً ليبان فإن بقى خطان فهما علامة النجح وإن بقى خط واحد فهو علامة الخيبة.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٩٠٤) والترمذى (١٦١٤) وقال: حسن صحيح.

(٣) القول المفيد (٣٩/٢).

(٤) فتح الله الحميد المجيد (٣٢٠، ٣٢١).

قال صاحب النهاية المشار إليه: علم معروف وللناس فيه تصانيف كثيرة ويستخرجون به الضمير وغيره على زعمهم هذا.

قلت - أي حامد - : كيف يتصور استخراج الضمير وغيره من الغيوبات، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وقال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَن ارْتَضَىٰ﴾ قال صاحب «الكشاف»: وقد بطل بهذه كرامات الأولياء بإدعائهم الغيب فيه. اللهم إلا أن يكون من نوع الفراسة لقول ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله»(\*) قاله أكثر أهل العلم. اهـ.

قوله: «والجبت: قال الحسن رنة الشيطان»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: - لم أجد فيه كلاماً.

قال عبدالرحمن آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: ذكر إبراهيم بن محمد بن معلم: أن فسى تفسير بقى بن مخلد «أن إبليس رن أربع رنات: رنة حين لُعن، ورنه حين أهبط، ورنه حين ولد رسول الله ﷺ ورنه حين نزلت فاتحة الكتاب»

قال سعيد بن جبير: «لما لعن الله تعالى إبليس، تغيرت صورته عن صورة الملائكة، ورن رنة، فكل رنة منها في الدنيا إلى يوم القيامة» رواه ابن أبي حاتم<sup>(٣)</sup>.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة، رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده» رواه الحافظ الضياء في المختارة.

الرنين: الصوت. وقد رن يرن رنيناً. وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: بعد أن ذكر الكلام المتقدم

والظاهر أن رنة الشيطان؛ أي: وحى الشيطان؛ فهذه من وحى الشيطان وإملائه. اهـ.

[قلت]: ويؤيده المعنى اللغوي وقول ابن عباس المتقدم اجتمعت إليه جنوده وأيضاً لأن الباب اشتمل على كثير من طرق الوحى الشيطاني مثل الخط.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٩٥.

(\*) سيأتي تخريجه.

(٢) فتح المجيد: ٣٧٧ - ٣٧٨ ط قرطبة. (٣) تفسير ابن أبي حاتم (٧/١٢٣٨٩). فانظره بتخريجنا.

(٤) القول المفيد ٤١/٢ - ٤٢.

وأيضاً: لأن جبريل كان يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشده على النبي وتقدم أن الشيطان يحاول أن يتشبه بالله حتى في باب الوحي.

قال: وقول الحسن جاء في تفسير ابن كثير باللفظ الذي ذكره المؤلف وجاء في «المسند» بلفظ إنه الشيطان<sup>(١)</sup>.

قوله [إسناده جيد]

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: وعندى أنه أقل من جيد في الواقع إلا أن يكون هناك متابعات وكان بعض العلماء يذهب إلى أن الحديث إذا صح متنه، وكان موافقاً للأصول؛ فإنه يتساهل في سنده، والعكس بالعكس، إذا كان مخالفاً للأصول؛ فإنه لا يبالي بالسند، وهذا مسلك جيد بالنسبة لأخذ الحكم من الحديث، لكن بالنسبة للحكم على السند بأنه جيد بمجرد شهادة الأصول لهذا الحديث بالصحة؛ فهذا مشكل لأنه يلزم أنه لو جاءنا هذا السند في حديث آخر حكمنا بأنه جيد؛ فالأولى أن يقال: إن السند فيه ضعيف، ولكن المتن صحيح، فأنا أرى أن مثل هذا لا يحكم له بالجود؛ إذ جيد أرقى من حسن، ثم الحكم بالحسن في مثل هذا السند في نفسى منه شيء؛ لأنه ينبغي لنا أن نتحرى في الحديث عن الرسول ﷺ، إلا أن الذي يخفف الأمر هو صحة المتن أ.هـ.

[قلت]: وسبب عدم قوله بتجويد هذا الحديث أو تحسينه أن فيه راوٍ مقبول كما تقدم، وهذا يعني كما قال ابن حجر أن حديثه لين إلا إذا توبع، والحديث له شواهد معنوية كثيرة فلهذا جوده المصنف.

ثم قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:

وأيهما أهم: السند أم المتن؟

الجواب: كلاهما مهمان، لكن المتن إذا كان صحيحاً تشهد له الأصول قد تستغنى عنه بما تشهد به الأصول، أما السند؛ فلا بد منه، يقول ابن المبارك: لولا السند؛ لقال كل من شاء ما شاء.

قوله [ولأبي داود والنسائي وابن حبان في «صحيحه» لهم المسند منه].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: يعني أن هؤلاء رووا الحديث واقتصروا على المرفوع منه، ولم يذكروا التفسير الذي فسره به عوف. وقد رواه أبو داود في التفسير المذكور بدون كلام الحسن.

(٢) القول المفيد ٤١/٢ - ٤٢.

(١) «المسند» (٥/ ٦٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد (٢٩٥).

(٣) القول المفيد (٣٨/٢).

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ؛ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحْرِ، زَادَ مَا زَادَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ<sup>(١)</sup>.

والنسائي هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار أبو عبدالرحمن صاحب «السنن» وغيرها من المصنفات. روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة بن سعيد وخلق. وكان إليه المنتهى في الحفظ والعلم لعل الحديث. مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة.

قوله: (وعن ابن عباس.....).

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: هذا الحديث رواه أبو داود كما قال المصنف بإسناد صحيح، وكذا صححه النووي والذهبي ورواه أحمد ولين مساجه.  
مناسبة الحديث للباب:

قال ابن باز<sup>(٣)</sup>: تعلم أمر النجوم في التأثير في اللكون هو من أقوال المنجمين والمشعوذين، وهو باطل، ومنه التعلق بالنجوم في موت أحد وحياته أو زوال ملك فلان وغيره. أ. هـ

وجه مناسبة الحديث لترجمة المؤلف:-

إن من أنواع السحر: تعلم النجوم ليستدل بها على الحوادث الأرضية، وهذا الحديث وإن كان ضعيف السند؛ لكن من حيث المعنى صحيح تشهد له النصوص الأخرى.

قال القرعاوي<sup>(٤)</sup>: حيث دل الحديث على أن علم التنجيم نوع من السحر.

مناسبة الحديث للتوحيد

قال القرعاوي<sup>(٥)</sup>: حيث دل الحديث على أن علم التنجيم نوعاً من السحر والسحر

مبنى على الشرك.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣١١/١) وأبو داود في «الطب»/ باب: النجوم (٣٩٥/١٥/٤) وابن ماجه في «الأدب»/ باب: تعلم النجوم (٣٧٢٦/١٢٢٨/٢) والبيهقي (٢٣٩/٨/ح ١٦٥١٣).  
من طريق يحيى، عن سعيد بن أخنس عن الوليد بن عبدالله، عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس قال رسول الله ﷺ... فذكره.

وانظر «رياض الصالحين» (ح ١٦٧٤) و«فتح المجيد» (ح ٥٢٦) يتخيرنا

(٢) تيسير العزيز الحميد ٢٩٦. (٣) التعليق المفيد (١٤٤).

(٤ - ٥) الجديد ٢٣١.

قوله: «وعن ابن عباس - رضی الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ - من اقتبس شعبة من النجوم»

قال سليمان آل الشيخ (١):

قوله: «من اقتبس» قال أبو السعادات: قبست العلم واقتبسته إذا تعلمته انتهى.  
وعلى هذا فالمعنى من تعلم.

قال ابن عثيمين (٢):

قوله: «من».

شرطية، وفعل الشرط: «اقتبس»، وجوابه: «فقد اقتبس».

قوله: «اقتبس».

أى: تَعَلَّمَ؛ لأنَّ التَّعَلَّمَ وهو أخذ الطالب من العالم شيئاً من علمه.

قوله: «فقد اقتبس شعبة من السحر»

قال سليمان آل الشيخ (٣).

قوله: «شعبة» أى: طائفة وقطعة من النجوم والشعبة: الطائفة من الشيء والقطعة منه، ومنه الحديث «والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ» أى جزء منه.

قوله: «فقد اقتبس شعبة من السحر». أى: المعلوم تحريمه.

قال شيخ الإسلام: فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر. وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ وهكذا الواقع فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون فى الدنيا ولا فى الآخرة.

قال عبدالله بن جار الله (٤): معنى اقتبس: أخذ وحصل وتعلم. شعبة من النجوم: طائفة وجزء من علم النجوم أهد.

ثم قال: حكم تعلم النجوم: على قسمين جائز ومحرم، فالجائز ما يدرك بطريق المشاهدة كالاستدلال بالشمس والقمر والنجوم على أوقات الصلوات وجهة القبلة ونحو ذلك.

والمحرم ما يدعيه أهل التنجيم من معرفة الحوادث التى لم تقع بمجيء الأمطار ووقت

(٢) القول المفيد ٤٣/٢.

(١) تيسير العزيز الحميد ٢٩٦.

(٤) الجامع الفريد (١٠٥).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٩٦).

هبوب الرياح وتغيير الأسعار وغير ذلك مما استأثر الله بعلمه فلا يعلمه أحد غيره.  
أ.هـ.

قال ابن باز<sup>(١)</sup>: والمراد علم أن للنجوم تأثير، فهذا هو المنكر وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية، أما الاستفادة من النجوم وسيرها فى معرفة القبلة والحر والبرد فلا بأس به، لأنه من علم التسيير لا من علم التأثير وهو من نعمة الله أ. هـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>:

المراد بالسحر هنا: ما هو أعم من السحر المعروف؛ لأن هذا من الاستدلال بالأموال الخفية التى لا حقيقة لها، كما أن السحر لا حقيقة له؛ فالسحر لا يقلب الأشياء، لكنه يُمَوِّه، وهكذا اختلاف النجوم لا تتغير بها الأحوال.

قوله «علماً من النجوم»

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:

قوله: «من النجوم».

المراد: علم النجوم، وليس المراد النجوم أنفسها؛ لأن النجوم لا يمكن أن تُقتبس وتُتعلَّم، والمراد به هنا علم النجوم الذى يستدل به على الحوادث الأرضية؛ فيستدل مثلاً باقتران النجم الفلانى بالنجم الفلانى على أنه سيحدث كذا وكذا.

ويستدل بولادة إنسان فى هذا النجم على أنه سيكون سعيداً، وفى النجم الآخر على أنه سيكون شقيماً فيستدلون باختلاف أحوال النجوم على اختلاف الحوادث الأرضية، والحوادث الأرضية من عند الله، قد تكون أسبابها معلومة لنا، وقد تكون مجهولة، لكن ليس للنجوم بها علاقة، ولهذا جاء فى حديث زيد بن خالد الجهنى فى غزوة الحديبية؛ قال: صلى بنا رسول الله ذات ليلة على أثر سماء من الليل؛ فقال: «قال الله تعالى: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فمن قال: مُطِرْنَا بِتَوَّءِ كَذَا وكَذَا- بنوء يعنى: بنجم، والباء للسببية؛ يعنى: هذا المطر من النجم-؛ فإنه كافر بى مؤمن بالكوكب، ومن قال: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ؛ فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب»<sup>(٤)</sup>.

(٢) القول المفيد (٢/٤٥، ٤٦).

(١) التعليق المفيد (١٤٤).

(٤) سيأتى تخريجه.

(٣) القول المفيد ٤٣/٢، ٤٥.

فالنجوم لا تأتى بالمطر ولا تأتى بالرياح أيضاً. ومنه نأخذ خطأ العوام الذين يقولون: إذا هبت الريح طلع النجم الفلانى؛ لأن النجوم لا تأثير لها بالرياح، صحيح أن بعض الأوقات والفصول يكون فيها ريح ومطر؛ فهي ظرف لهما، وليست سبباً للريح أو المطر.

\* وعلم النجوم ينقسم إلى قسمين:

الأول: علم التأثير، وهو أن يُستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية؛ فهذا محرم باطل لقول النبي ﷺ: «من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر»<sup>(١)</sup> وقوله فى حديث زيد بن خالد: «من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا؛ فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب»<sup>(٢)</sup>، ولقول النبي ﷺ فى الشمس والقمر: «إنهما آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته»<sup>(٣)</sup>؛ فالأحوال الفلكية لا علاقة بينها وبين الحوادث الأرضية.

الثانى: علم التسيير، وهو ما يستدل به على الجهات والأوقات؛ فهذا جائز، وقد يكون واجباً أحياناً، كما قال الفقهاء: إذا دخل وقت الصلاة يجب على الإنسان أن يتعلم علامات القبلة من النجوم والشمس والقمر، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، فلما ذكر الله العلامات الأرضية انتقل إلى العلامات السماوية؛ فقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾<sup>(٥)</sup>؛ فالاستدلال بهذه النجوم على الأزمان لا بأس به، مثل أن يقال: إذا طلع النجم الفلانى دخل وقت السيل ودخل وقت الربيع، وكذلك على الأماكن؛ كالقبلة، والشمال، والجنوب.

قوله: «زاد ما زاد»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٦)</sup>:

قوله: «زاد ما زاد» يعنى: كلما زاد من علم النجوم زاد له من الأثم مثل إثم الساحر، أو زاد اقتباس شعب السحر ما زاد اقتباس علم النجوم.

(١) سبق تخريجه.

(٢) سيأتى تخريجه

(٣) سيأتى تخريجه.

(٤ - ٥) النحل: ١٥، ١٦.

(٦) تيسير العزيز الحميد (٢٩٦)



قلت: والقولان متلازمان لأن زيادة الإثم فرع عن زيادة السحر، وذلك لأنه تحكم على الغيب الذى استأثر الله بعلمه. فعلم أن تأثير النجوم باطل محرم، وكذا العمل بمقتضاه كالتقرب إليها بتقريب القرابين لها كفر. قاله ابن رجب.

وتابع سليمان آل الشيخ على هذا: عبدالرحمن آل الشيخ، وعبدالله بن جار الله، وابن باز.

وقال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: ووجه ذلك أن الشيء إذا كان من الشيء فإنه يزداد بزيادته. أ.هـ

قلت: وسيأتى مزيد شرح وبيان لأنواع التنجيم الجائر والمحرم فى باب ما جاء فى التنجيم والله الموفق لارب سواه.

**مسألة فى حكم صناعة التنجيم، والأجرة عليها، وتأجير الحكاكين أو الحوانيت أو البيوت لهم.**

**وهل يتعين على أحد من المسلمين تخيير هذا المنكر؟**

سئل ابن تيمية عن<sup>(٢)</sup>:

صناعة التنجيم محرمة أم لا؟ وهل يجوز أخذ الأجرة على ذلك، وبذلها حرام أم لا؟ وهل يجب على ولى الأمر وكل مسلم يقدر على ذلك إزالة ذلك أم لا؟

فأجاب: الحمد لله رب العالمين. لا يحل شيء من ذلك، وصناعة التنجيم التى مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكية<sup>(\*)</sup> والقوايل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل هى محرمة على لسان جميع المرسلين فى جميع الملل. قال تعالى ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ وقال ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾.

(١) القول المفيد (٤٦/٢).

(٢) مجموع فتاوى (٣٥/١٩١ - ١٩٦).

(\*) هكذا فى المطبوع ولعلها [الفلكية].

وروى أحمد وأبو داود وابن ماجة وغيرهم بإسناد صحيح عن ابن عباس قال:-  
فذكر حديث الباب- فإن الاستقراء يدل على أن أهل النجوم لا يفلحون، لا فى الدنيا  
ولا فى الآخرة.

وقد تبين بما ذكرناه أن الأجرة المأخوذة على ذلك والهبة والكرامة حرام على الدافع  
والأخذ وأنه يحرم على الملاك والنظار والوكلاء إكراء الخوانيت المملوكة أو الموقوفة أو  
غيرها من هؤلاء الكفار الفساق بهذه المنفعة إذا غلب على ظنهم أنهم يفعلون فيها هذا  
الجبت الملعون.

ويجب على ولي الأمر وكل قادر السعي فى إزالة ذلك.

وأفراخ الصابئة عباد الكواكب، فهل كانت بعثة الخليل صلاة الله وسلامه عليه إمام  
الحنفاء إلا إلى سلف هؤلاء، فإن عمرو بن كنعان كان ملك هؤلاء، وعلماء الصابئة هم  
المنجمون ونحوهم، وهل عبّدت الأوثان فى غلبة الأمر إلا عن رأى هذا الصنف الخبيث  
الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله.

وقد اعترف رؤساء المنجمين من الأولين والآخرين أن أهل الإيمان أهل العبادات،  
والدعوات، يرفع الله عنهم ببركة عباداتهم ودعائهم وتوكلهم على الله ما يزعم المنجمون  
أن الأفلاك توجهه.

ويعترفون أيضاً بأن أهل العبادات والدعوات ذوى التوكل على الله يعطون من  
ثواب الدنيا والآخرة ما ليس فى قوى الأفلاك أن تجلبه، فالحمد لله الذى جعل خير  
الدنيا والآخرة فى اتباع المرسلين. أ. هـ.

وقد أجمل الإجابة فى موضع آخر<sup>(١)</sup> حيث قال:

بل ذلك- صناعة التنجيم- محرم بإجماع المسلمين، وأخذ الأجرة على ذلك، ومن  
الجلوس فى الخوانيت والطرقات، ومنع الناس أن يكرههم، والقيام فى ذلك من أفضل  
الجهاد فى سبيل الله. والله أعلم-أهـ.



(١) مجموع الفتاوى (١٩٧/٣٥).

وللنَّسَائِي من حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ «مَنْ عَقَدَ عَقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا، فَقَدْ سَحَرَ، وَمَنْ سَحَرَ؛ فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَعَلَّقَ شَيْئًا، وَكَلَّ إِلَيْهِ» (١).

قوله: [وللنسائي من حديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها...» الحديث .

قال سليمان آل الشيخ (٢):

هذا الحديث ذكره المصنف من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي ولم يبين هل هو موقوف أو مرفوع؟ وقد رواه النسائي مرفوعاً وذكر المصنف عن الذهبي أنه قال: لا يصح وحسنه ابن مفلح . اهـ .

قلت: ولعله استغنى بقوله حديث عن رفعه، ذلك لأنه يرى أن الحديث لا يختص إلا بالمرفوع

مناسبة الحديث للباب:

قال القرعاوي (٣): دل الحديث على أن التعقيد والنفث فيه، نوع من السحر. أهـ .

مناسبة الحديث لكتاب التوحيد:

قال القرعاوي (٤): اعتبر الحديث الساحر مشركاً.

قال ابن عثيمين (٥): إن هؤلاء الذين يتعلقون بالسحر، ويجعلونه صناعة يصلون بها إلى مآربهم يولكون إلى ذلك، وآخر أمرهم الخسارة والندم.

قوله: [ من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ]

قال سليمان آل الشيخ (٦): أعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل السحر عقدوا الخيوط ونفثوا على كل عقدة حتى يتعقد ما يريدونه من السحر .

ولهذا أمر الله بالاستعاذة من شرهم في قوله: «وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ» يعني: السواحر اللآتي يفعلن ذلك والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما، والنفث فعل الساحر . فإذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذي يريده المسحور ويستعين عليه

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (١١٢/٧) وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧١٩/٦) وعزاه لابن

مردويه .

وانظر «فتح القدير» (ح ١٤٢٢٧) و«فتح المجيد» (٥٢٨) بتخریجنا .

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٩٦) . (٣ - ٤) الجديد (٢٣٤) .

(٥) القول المفيد (٤٦/٢) . (٦) تيسير العزيز الحميد (٢٩٦) .

بالأرواح الخبيثة، نفخ في تلك العقد نفخاً معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك. وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيصيب السحر بإذن الله الكوني القدرى لا الإذن الشرعى قاله ابن القيم أهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: النَّفْثُ: النفخ بريق خفيف، والمراد هنا النفث من أجل السحر.

أما لو عقد عقدة، ثم نفث فيها من أجل أن تحتكم بالرطوبة؛ فليس بداخل في الحديث، والنفث من أجل السحر يفعلونه بعض الأحيان للصراف؛ فيصرفون به الرجل عن زوجته، ولا سيما عند عقد النكاح؛ فيبعد الرجل عن زوجته، فلا يقوى على جماعها، فمن عقد هذه العقدة؛ فقد وقع في السحر كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾. أهـ.

[قلت]: تقدم غير مرة أنه لا بد للشيطان من مثال كوني يقتدى به في عمله الشركى أو السحرى، والمثال الكونى الذى قلده الشيطان أولياؤه فى النفخ أو النفث أو الريق هى تلك الرقى الشرعية التى ثبتت عن نبينا ﷺ قبل النوم حيث أمر بجمع الكفين والنفخ أو النفث فىهما وقراءة المعوذات وسورة الإخلاص ثم مسح ما استطاع من جسده مبتدأ بوجهه ورأسه. الحديث. وفى الصحيح قال ﷺ «تربة أرضنا بريق بعضنا يشفى سقيمنا بإذن ربنا» (\*).

قوله [ومن سحر فقد أشرك]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: وقوله: «ومن سحر فقد أشرك». نص فى أن الساحر مشرك إذ لا يتأتى السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ عن بعضهم.

وقال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: (من) شرطية، وفعل الشرط (سحر) وجوابه (فقد أشرك).

وهذا لا يتناول جميع السحر، إنما المراد مَنْ سَحَرَ بالطرق الشيطانية.

أما من سحر بالأدوية والعقاقير وما أشبهها؛ فقد سبق أنه لا يكون مشركاً، لكن الذى يسحر بواسطة طاعة الشياطين واستخدامهم فيما يريد؛ فهذا لا شك أنه مشرك. أهـ.

(١) القول المفيد (٢/٤٦، ٤٧).

(\*) [صحيح] أخرجه البخارى (٥٧٤٥)، ومسلم فى السلام (١٤/١٨٣ - النووى) عن عائشة به.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٩٧). (٣) القول المفيد (٢/٤٧ - ٤٨).

[قلت]: وكذلك من يتقرب إلى الكواكب السيارة كسحر أهل بابل، أو الذي يجمع بين الصورتين كذلك، كما تقدم. والله أعلم.

قوله [من تعلق شيئاً وكل إليه]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:

قوله: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه». أى: من تعلق قلبه شيئاً بحيث يتوكل عليه: ويرجوه وكله الله إلى ذلك الشيء. فإن تعلق العبد على ربه وإلهه وسيده ومولاه، رب كل شيء ومليكه وكله إليه فكفاه ووقاه وحفظه وتولاه، ونعم المولى ونعم النصير كما قال تعالى: «اليس الله بكاف عبده» ومن تعلق على السحرة والشياطين وكله الله إليهم فأهلكوه فى الدنيا والآخرة.

وبالجملة فمن توكل على غير الله كائناً من كان وكل إليه وأتاه الشر فى الدنيا والآخرة من جهته مقابلة له بنقيض قصده، وهذه سنة الله فى عباده التى لا تبدل، وعادته التى لا تحول، أن من اطمأن إلى غيره أو وثق بسواه أو ركن إلى مخلوق يدبره أجرى الله تعالى له بسببه أو من جهته خلاف ما علق به آماله وهذا أمر معلوم بالنص والعيان. ومن تأمل ذلك فى أحوال الخلق بعين البصيرة النافذة رأى ذلك عياناً. وفائدة هذه الجملة بعد ما قبلها الإشارة إلى أن الساحر متعلق على غير الله فإنه متعلق على الشياطين.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: «تعلق شيئاً»؛ أى: استمسك به، واعتمد عليه.

«وكل إليه»؛ أى: جعل هذا الشيء الذى تعلق به عماداً له، ووكله الله إليه، وتخلي عنه.

ومناسبة هذه الجملة لتى قبلها: أن النافع فى العُقْد يريد أن يتوصل بهذا الشيء إلى حاجته ومآربه، فيُوكل إلى هذا الشيء المُحَرَّم.

ووجه آخر: وهو أن من الناس من إذا سحر عن طريق التفتيح بالعقد ذهب إلى السحرة وتعلق بهم، ولا يذهب إلى القراءات والأدوية المباحة والأدعية المشروعة، ومن توكل على الله كفاه، قال تعالى: «ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره»، وإذا كان الله حسبك؛ فلا بد أن تصل إلى ما تريد.

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٩٧).

(٢) القول المفيد (٤٨/٢).

قال: وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا هَلْ أَنْبَيْتُمْ مَا الْعِضَةُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ، الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ (١).

لكن من تعلق شيئاً من المخلوقين وكل إليه، ومن وكل إلى شيء من المخلوقين وكل إلى ضعف وعجز وغورة، وقد يشمل الحديث من اعتمد على نفسه وصار معجباً بما يقول ويفعل؛ فإنه يوكل إلى نفسه، ويوكل إلى ضعف وعجز وغورة، ولهذا ينبغي أن تكون دائماً متعلقاً بالله في كل أفعالك وأحوالك حتى في أهون الأمور.

ونقول للإنسان: اعتمد على نفسك بالنسبة للناس، فلا تسألهم ولا تستذل أمامهم، واستغن عنهم ما استطعت، أما بالنسبة لله؛ فلا تستغن عنه، بل كن دائماً معتمداً على ربك حتى تتيسر لك الأمور، ومن هذا النوع من يتعلقون ببعض الأحرار يعلقونها؛ فإنهم يوكلون إلى هذا، ولا يحصل لهم مقصودهم، لكنهم لو اعتمدوا على الله، وسلكوا السبل الشرعية؛ حصل لهم ما يريدون، ومن هذا النوع أيضاً من تعلق شيئاً من القبور، وجعلها ملجأه ومغيثه عند طلب الأمور؛ فإنه يوكل إليه، والإنسان قد يفتن ويحصل له المطلوب بدعاء هؤلاء، ولكن هذا المطلوب الذي حصل عند دعائهم لا بدعائهم، والآية صريحة في ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ لِيُجِيبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾، لكن الله تعالى قد يفتن من شاء من عباده.

[قلت] قد مر في باب من تبرك بشجر أو حجر وغيره مثل باب من الشرك لبس الحلقة والخيوط قوله ﷺ «من تعلق شيئاً وكل إليه» وقوله «من تعلق تميمة فقد أشرك» وقوله «من تعلق تميمة فلا أتم الله له ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له» وقوله «انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً» إلى غير ذلك من النصوص.

قوله: قال: وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «هل أنبئكم ما العضة؟!»

مناسبة الحديث للباب:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: ظاهر إيراد المصنف لهذا الحديث هنا يدل على أن معنى العضة عنده هنا هو السحر، ويدل على ذلك حديث: «كَادَتِ النَّمِيمَةُ أَنْ تَكُونَ سِحْرًا»<sup>(٣)</sup>

(١) [صحيح] أخرجه مسلم في البر والصلة/ باب تحريم التيممة (١٥٩/١٦/٦) وأحمد في مسنده «١٤٣٧/١٠ مطولاً والدارمي في «سننه» (٣٠٠٠٢٢٩٩/٢) مطولاً والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠٠/٢٤٦/٢) ح ٢١١٥٨.

جميعاً من طريق: أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود.

وانظر «رياض الصالحين» (ح ١٥٤١) بتخريجنا.

وانظر «فتح المجيد» (٥٢٩- بتخريجنا).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٢٩٧) (٣) حديث موضوع.

رواه ابن لال فى «مكارم الأخلاق» بإسناد ضعيف. وذكر ابن عبدالبر عن يحيى بن أبى كثير قال: يفسد المنام والكذاب فى ساعة ما لا يفسد الساحر فى سنة.

وقال أبو الخطاب فى «عيون المسائل»، ومن السحر السعى بالتميمة والإفساد بين الناس. قال فى «الفروع» ووجهه أنه يقصد الأذى بكلامه وعلمه على وجه المكر والحيلة، أشبه السحر، ولهذا يعلم بالعرف والعادة أنه يؤثر ويتج ما يعمله الساحر أو أكثر فيعطى حكمه تسوية بين المتماثلين أو المتقاربين، لكنه يقال الساحر إنما كفر لوصف السحر وهو أمر خاص، ودليله خاص، وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره فيعطى حكمه إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة انتهى ملخصاً. وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة. أ.هـ.

قال القرعاوى<sup>(١)</sup>: حيث دل الحديث على أن التميمة نوع من السحر، وذلك لأن التميمة تؤثر ما يؤثر أو أكثر أ.هـ.

قوله [ألا]

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: أداة استفتاح والغرض تنبيه المخاطب، والاعتناء بما يلقي إليه أ.هـ.

قوله [هل أنبتكم]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: أخبركم أ.هـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: الاستفهام للتشويق؛ كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾.

لأن الإنسان مشتاق إلى العلوم يحب أن يعلم، وقد يكون المراد به التنبيه؛ لأن الموجه إليه الخطاب ينبغى أن يتنبه ليعلم، وهى تصلح للجميع.

ومعنى أنبتكم: أخبركم، وهى مرادفة للخبر فى اصطلاح المحدثين، وقال بعض

(١) الجديد (٢٣٥).

(٢) القول المفيد (٥٠ / ٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٢٩٧).

(٤) القول المفيد (٥٠ / ٢).

العلماء من ناحية اللغة لا الاصطلاح: إن الإنشاء لغة يكون فى الأمور الهامة، والإخبار أعم منه يكون فى الهامة وغير الهامة.

قوله: [ما العضة].

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله «ما العضة»: هو بفتح العين المهملة وسكون المعجمة. قال أبو السعادات: هكذا تروى فى كتب الحديث: والذى جاء فى كتب الغريب «ألا أنبئكم ما العضة» بكسر العين وفتح الضاء وفى حديث آخر «إياكم والعضه» قال الزمخشري: أصلها العضة فعلة من العضة وهو البهت فحذفت لامه، كما حذفت من السنة والشفة. وتجمع على عضين.

ثم فسره بقوله: هى النيمة القالة بين الناس وعلى هذا فاطلق عليها العضة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً.

ذكره القرطبي والحديث دليل على تحريم النيمة، وهو كذلك بالإجماع. وقد قال أبو محمد بن حزم: اتفقوا على تحريم الغيبة والنيمة فى غير النصيحة الواجبة، وفيه دليل على أنها من الكبائر. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: قوله: «العضه» على وزن الجبل والصمت والوعد، بمعنى القطع، وأما العضة على وزن عدة؛ فإنها التفريق، وأياً كان؛ فإنها تتضمن قطعاً وتفريقاً. اهـ.

[قلت] ومنه قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ أى مفرقاً يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض. اهـ.

ثم قال:- قوله: «هى النيمة».

فعيلة بمعنى مفعولة، وهى من نم الحديث إلى غيره؛ أى: نقله، والنيمة فسرها بقوله: «القالة بين الناس»؛ أى: نقل القول بين الناس، فينتقل من هذا إلى هذا، فيأتى لفلان ويقول: فلان يسبك؛ فهو نم إليه الحديث ونقله، وسواء كان صادقاً أو كاذباً، فإن كان كاذباً؛ فهو بهت ونيمة، وإن كان صادقاً؛ فهو نيمة.



(١) تيسير العزيز الحميد (٢٩٨).

(٢) القول المفيد (٢/ ٥٠).



قال: وَلَهُمَا عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ

الْبَيَانَ لَسِحْرًا» (\*).

هذا الحديث ذكره البخارى فى كتاب الطب باب إنَّ من البيان سحراً ولفظه «أنه قدم رجلان من المشرق فخطبا، فعجب الناس لبيانهما، فقال رسول الله ﷺ - إنَّ من البيان لسحراً، أو إنَّ بعض البيان سحراً.

مناسبة الحديث للباب:

قال القرعاوى<sup>(١)</sup>: حيث دل الحديث أن بعض البيان نوع من السحر وذلك لأنه

يستميل القلوب كما يستميل السحر.

قوله: [إن من البيان لسحراً]

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: قال الخطابى: البيان اثنان:

(أحدهما) ما تقع به الإبانة عن المراد بأى وجه كان.

(والآخر) ما دخلته الصنعة بحيث يروق للسامعين ويستميل قلوبهم، وهو الذى يشبه بالسحر إذا جلب القلب وغلب على النفس حتى يحول الشيء عن حقيقته ويصرفه عن جهته، فيلوح للناظر فى معرض غيره. وهذا إذا صرف إلى الحق يمدح، وإذا صرف إلى الباطل يذم.

قال: فعلى هذا فالذى يشبه بالسحر منه هو المذموم.

وتعقب بأنه لا مانع من تسمية الآخر سحراً، لأن السحر يطلق على الاستمالة كما تقدم تقريره فى أول باب السحر، وقد حمل بعضهم الحديث على المدح والحث على تحسين الكلام وتجبير الألفاظ - وفى الحديث قال أبو موسى: «لو كنت أعلم مكانك يارسول الله لخيرته لك تجبيراً»<sup>(٣)</sup> وهذا واضح إن صح أن الحديث ورد فى قصة عمرو بن الأهم.

وحمله بعضهم على الذم لمن تصنع فى الكلام وتكلف لتحسينه وصرف الشيء عن ظاهره، فشبهه بالسحر الذى هو تخييل لغير حقيقة، وإلى هذا أشار مالك حيث أدخل هذا الحديث فى «الموطأ» فى «باب ما يكره من الكلام بغير ذكر الله» وفى «باب الخطبة»

(١) الجديد ( ) .

(٢) سيأتى تخريجه .

(\*) تقدم تخريجه .

(٢) فتح البارى (١٠/٢٤٨) .

من كتاب النكاح فى «الصحيح» الكلام على حديث الباب من قول صعصعة بن صوحان فى تفسير هذا الحديث ما يؤيد ذلك، وهو أن المراد به الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بالحجة من صاحب الحق فيسحر الناس ببيانه فيذهب بالحق، وحمل الحديث على هذا صحيح، لكن لا يمنع حمله على المعنى الآخر إذا كان فى تزيين الحق.

وبهذا جزم ابن العربى وغيره من فضلاء المالكية.

وقال ابن بطال: أحسن ما يقال فى هذا أن هذا الحديث ليس ذمّاً للبيان كله ولا مدحاً لقوله من البيان، فأتى بلفظة «من» التى للتبعض قال: وكيف يذم البيان وقد امتن الله به على عباده حيث قال ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ انتهى.

والذى يظهر أن المراد بالبيان فى الآية المعنى الأول الذى نبه عليه الخطابى، لا خصوص ما نحن فيه.

وقد اتفق العلماء على مدح الإيجاز، والإتيان بالمعانى الكثيرة بالألفاظ السيرة، وعلى مدح الإطناب فى مقام الخطابة بحسب المقام، وهذا كله من البيان بالمعنى الثانى. نعم الإفراط فى كل شئ مذموم، وخير الأمور أوسطها. والله أعلم.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: البيان: البلاغة والفصاحة. قال صعصعة بن صوحان: صدق نبى الله أما قوله: «وإن من البيان لسحر» فالرجل يكون عليه الحق وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق فيسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق. وقال ابن عبد البر: تأولته طائفة على الذم؛ لأن السحر مذموم. وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان. قال: وقد قال عمر بن عبدالعزيز لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله فقال: هذا والله السحر الحلال.

قلت - يعنى سليمان آل الشيخ -: الأول أصح وهو أنه خرج مخرج الذم لبعض البيان لا كله، وهو الذى فيه تصويب الباطل وتحسينه، حتى يتوهم السامع أنه حق أو يكون فيه بلاغة زائدة عن الحد، أو قوة فى الخصومة حتى يسحر القوم ببيانه، فيذهب بالحق ونحو ذلك فسماه سحراً لأنه يستميل القلوب كالسحر، ولهذا قال ﷺ لَمَّا جَاءَهُ رَجُلَانِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَخَطَبَا فَعَجِبَ النَّاسُ لِبَيَانِهِمَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»<sup>(٢)</sup> كما رواه مالك والبخارى وغيرهم.

وأما جنس البيان فمحمود، بخلاف الشعر فجنسه مذموم إلا ما كان حكماً ولكن لا

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٩٨، ٢٩٩).

(٢) تقدم تخريجه.

يحمد البيان إلا إذا لم يخرج إلى حد الإسهاب والإطناب أو تصوير الباطل في صورة الحق، فإذا خرج إلى هذا الحد فهو مذموم.

وعلى هذا تدل الأحاديث كقوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةَ بِلِسَانِهَا». رواه أحمد وأبو داود (١).  
وقوله ﷺ: «لَقَدْ رَأَيْتُ أَوْ لَقَدْ أُمِرْتُ أَنْ أَتَجَوَّزَ فِي الْقَوْلِ فَإِنَّ الْجَوَازَ هُوَ خَيْرٌ» رواه أبو داود (٢).

ثم تابع ابن عثيمين ابن حجر فقال: والبيان نوعان:

الأول: بيان لا بد منه، وهذا يشترك فيه جميع الناس فكل إنسان إذا جاع قال: إني جعت، وإذا عطش قال: إني عطشت، وهكذا.

الثاني: بيان بمعنى الفصاحة التامة التي تَسْبِي العقول وتغير الأفكار، وهي التي قال فيها الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا».

وعلى هذا التقسيم تكون «من» للتبويض؛ أي: بعض البيان- وهو البيان الكامل الذي هو الفصاحة- سحر.

أما إذا جعلنا البيان بمعنى الفصاحة فقط؛ صارت «من» لبيان الجنس.

ووجه كون البيان سحراً: أنه يأخذ بلب السامع، فيصرفه أو يعطفه، فيظن السامع أن الباطل حق لقوة تأثير المتكلم، فينصرف إليه، ولهذا إذا أتى إنسان يتكلم بكلام معناه باطل، لكن لقوة فصاحته وبيانه يسحر السامع حقاً\*، فينصرف إليه، وإذا تكلم إنسان بليغ يُحذِر من حق، ولفصاحته وبيانه يظن السامع أن هذا الحق باطل، فينصرف عنه، وهذا من جنس السحر الذي يسمونه العطف والصرف، والبيان يحصل به عطف وصرف فالبيان في الحقيقة بمعنى الفصاحة، ولا شك أنها تفعل فعل السحر، وابن القيم يقول عن الحُور: حديثها السحر الحلال.

وقوله: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»، وهل هذا على سبيل الازدواج، أو على سبيل المدح، أو لبيان الواقع أم ينظر إلى أثره؟

الجواب: الأخير هو المراد؛ فالبيان من حيث هو بيان لا يمدح عليه ولا يذم، ولكن ينظر إلى أثره، والمقصود منه، فإن كان المقصود منه رد الحق وإثبات الباطل؛ فهو

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٦٥/٢) وأبو داود (٥٠٠٥) والترمذي (٢٨٥٣).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٠٠٨).

(\* كذا في الأصل، ولعل الكلام (يسحر السامع فيظنه حقاً).

## فِيهِ مَسَائِلُ الأولى: أَنَّ الْعِيَاةَ وَالطَّرْقَ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجِبْتِ.

مذموم؛ لأنه استعمال لنعمة الله في معصيته، وإن كان المقصود منه إثبات الحق وإبطال الباطل؛ فهو ممدوح، وإذا كان البيان يستعمل في طاعة الله وفي الدعوة إلى الله؛ فهو خير من العي، لكن إذا ابتلى الإنسان ببيان ليصد الناس عن دين الله؛ فهذا لا خير فيه، والعي خير منه، والبيان من حيث هو لا شك أنه نعمة، ولهذا امتن الله به على العبد؛ فقال تعالى: ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ (١).

قلت: وقد سمى الرسول العي الذي هو ضد البيان بالمرض حيث جاء في الحديث «إنما شفاء العي السؤال» وقد سخر فرعون من موسى لعدم بيانه كما أخبر الله تعالى عنه حديث قال: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ لهذا دعا موسى ربه فقال: ﴿وَاحْلِلْ الْعُقَدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾.

قال ابن عثيمين (٢): قوله: «إن من البيان».

«إن»: حرف توكيد، ينصب الاسم ويرفع الخبر، «ومن»: يحتمل أن تكون للتبويض، ويحتمل أن تكون لبيان الجنس؛ فعلى الأول يكون المعنى: إن بعض البيان سحر وبعضه ليس بسحر، وعلى الثاني يكون المعنى: إن جنس البيان كله سحر. قوله: «لسحراً».

اللام للتوكيد، و«سحراً»: اسم إن.

والبيان: هو الفصاحة والبلاغة، وهو من نعمة الله على الإنسان، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾. اهـ.



قوله: «فيه مسائل».

أى: فى هذا الباب وما تضمنه من الأحاديث والآثار مسائل:

● المسألة الأولى: أن العيافة والطرق والطييرة من الجبت.

قال ابن عثيمين (٣): وقد سبق تفسير هذه الثلاثة وتفسير الجبت.

(١) القول المفيد ٥٣/٢ ٥٥.

(٢) القول المفيد (٢/٥٣).

(٣) القول المفيد ٥٦/٢ و ٥٧.

- الثانية: تَفْسِيرُ الْعِيَاةِ وَالطَّرْقِ.
- الثالثة: أَنَّ عِلْمَ النُّجُومِ نَوْعٌ مِنَ السِّحْرِ.
- الرابعة: الْعَقْدُ مَعَ النَّفْثِ مِنْ ذَلِكَ.
- الخامسة: أَنَّ النَّمِيمَةَ مِنْ ذَلِكَ.
- السادسة: أَنَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضُ الْفَصَاحَةِ.

- الثانية: تفسير العيافة والطرق.
- وقد بينت في الباب أيضاً وشرحت.
- الثالثة: أن علم النجوم نوع من السحر.
- لقوله: «من اقتبس شعبة من النجوم؛ فقد اقتبس شعبة من السحر»، وسبق الكلام عليها أيضاً.
- الرابعة: العقد مع النفث من ذلك.
- لحديث أبي هريرة: «من عقد عقدة ثم نفث فيها؛ فقد سحر»، وقد تقدم الكلام على ذلك.
- الخامسة: أن النميمة من ذلك.
- لحديث ابن مسعود: «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النميمة»، وهي من السحر؛ لأنها تفعل ما يفعل الساحر من التفريق بين الناس والتحريش بينهم، وقد سبق بيان ذلك.
- السادسة: أن من ذلك بعض الفصاحة.
- أى: من السحر بعض الفصاحة؛ لقول النبي ﷺ: «إن من البيان لسحراً»، والمؤلف - رحمه الله - قال: بعض الفصاحة استدلالاً بقوله ﷺ: «إن من البيان؛ لأن «من» هنا عند المؤلف للتبعيض، ووجه ذلك من السحر أن لسان البليغ ذى البيان قد يصرف الهمم وقد يلهب الهمم بما عنده من الفصاحة. اهـ.



## باب ماجاء في الكهان ونحوهم

● مناسبة هذا الباب لما قبله

قال سليمان آل الشيخ (١): ولما ذكر المصنف شيئاً مما يتعلق بالسحر ذكر ماجاء في الكهان ونحوهم كالعراف اهـ. لمشابهة هؤلاء للسحرة.

[قلت]: وقد تكون هناك مناسبة أخرى أردف بسببها المصنف هذا الباب بعد الذي قبله وهى أنه لما ختم الباب الماضى بقوله ﷺ «إن من البيان لسحراً» وكان منه مذموم يشبه السحر فى العطف والصرف وعلى رأس من يستخدم هذا النوع من البيان هم الكهان فناسب أيضاً أن يذكر ما جاء فى الكهان وليس أدل على ذلك مما ثبت عن النبى ﷺ حين قضى فى جنين امرأة ضربتها الأخرى فسقط ميتاً بغرة على عاقلة الضاربة قال رجل منهم: كيف ندى من لاشرب ولا أكل، ولا صاح فاستهل، ومثل دمه يطل قال ﷺ: «إياكم وسجع الكهان» (\*) وأيضاً هناك مناسبة أخرى فى هذا الباب وهو أن القاسم المشترك بين السحر والكهانة أن كلاهما جيت.

● مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد (٢).

قال عبدالله بن جار الله: مناسبة هذا الباب للتوحيد هى أن الكهانة لا تخلو من الشرك المنافى للتوحيد ودخل فيها الشرك من جهتين.

من جهة التقرب إلى غير الله كاستخدام الشياطين والاستعانة بهم ومن جهة دعوى مشاركة الله فى علم الغيب الذى اختص به.

قال ناصر السعدى (٣): أى من كان يدعى علم الغيب بأى طريق من الطرق وذلك أن الله تعالى هو المنفرد بعلم الغيب فمن ادعى مشاركة الله فى شىء من ذلك بكهانة أو عرافة أو غيرها أو صدق من ادعى ذلك فقد جعل الله شريكاً فيما هو من خصائصه وقد كذب الله ورسوله - قلت: ذلك لأنه تعالى قال ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ وأهـ وكثير من الكهانة المتعلقة بالشياطين لا تخلو من الشرك والتقرب إلى الوسائط التى تستعين لها على دعوى العلوم الغيبية فهو شرك من جهة دعوى مشاركة الله فى علمه الذى اختص به ومن جهة التقرب إلى غير الله وفيه إبعاد الشارع للخلق عن الخرافات المفسدة للأديان والعقول اهـ.

(١) وسياى وتخرجه فى أثناء الباب.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٠٠

(٣) القول السديد ٧٧: ٩٧.

(٢) الجامع الفريد ١٠٨

## ● تعريف الكهانة، والكهان، والكاهن:

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: الكهانة بفتح الكاف ويجوز كسرهما ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة، فيلقيه فى أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذى يضرب بالحصى. والمنجم. ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى فى قضاء حوائجه.

وقال فى «المحكم»: الكاهن القاضى بالغيب.

قلت: فأى أحد يحكم بالغيب هو كاهن، فإذا لم يكن عنده علم وضرب فى المسألة ضرب عشواء متكهن، فهذا مُخْمَنٌ مُخْرَصٌ لعدم وجود برهان على قوله وهى محض كهانة ولا يصح أن تقول «أتكهن لك».

وقال فى «الجامع»: العرب تسمى كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً.

قلت/ وأذن يعنى أعلم ﴿وأذان من الله ورسوله﴾ أى إعلام من الله ورسوله وأصل الآذان فى اللغة هو الإعلام.

وقال الخطابى: الكهانة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب فى هذه الأمور ومساعدتهم بكل ماتصل قدرتهم إليه. وكانت الكهانة فى الجاهلية فاشية، خصوصاً فى العرب لانقطاع النبوة فيهم اهـ.

قلت/ لكن بعد النبوة فالحمد لله كما حمد الله الخطابى أنها قلت أو انعدمت لكن تعود الجاهلية مرة أخرى تعود أيضاً الكهانة إلى ازدهارها وإلى نموها وانتشارها.

ونقل سليمان آل الشيخ نفس كلام ابن حجر كعادته فى كثير من نقولاته بعد أن يهذبها ويختصرها وربما رجح مالم يرجحه ابن حجر وقل أن يتعقبه حيث قال<sup>(٢)</sup>:

والكهانة ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه فى أذن الكاهن؛ والكاهن لفظ يطلق على العراف والذى يضرب بالحصى والمنجم. وقال فى «المحكم»: الكاهن القاضى بالغيب.

وقال الخطابى: الكهان فيما علم بشهادة الامتحان؛ قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة، وطباع نارية، فهم يفزعون إلى الجن فى أمورهم ويستفتونهم فى الحوادث، فيلقون إليهم الكلمات اهـ.

(١) فتح البارى (١٠/٢٢٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد (٣٠٠).

قال ابن باز<sup>(١)</sup>: الكاهن هو الذى له رأى من الجن، أى صاحب، وحكمهم أنه يجب القضاء عليهم وتعزيزهم وتكذيبهم وعدم سؤالهم. اهـ.  
فعرّف الكاهن وما ينبغى تجاهه من أولى الأمر.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: الكهان: جمع كاهن، والكهنة أيضاً جمع كاهن، وهم قوم يكونون فى أحياء العرب يتحاكم الناس إليهم، - ولذلك سموهم طاغوت وجبت - وتتصل بهم الشياطين، وتخبرهم عما كان فى السماء، تسترق السمع من السماء، وتأتى وتخبر الكاهن، ثم الكاهن يضيف إلى هذا الخبر ما يضيف من الأخبار الكاذبة، ويخبر الناس، فإذا وقع مما أخبر به شيء؛ اعتقده الناس عالماً بالغيب، - وتقدم معنا فى باب ﴿حتى إذا فرغ عن قلوبهم﴾ صفة استراق السمع وصفة تلقى الكهنة الكلمة من السماء عن طريق الجن وكيف أنه يضيف عليها مئة كذبة وأنه يُصدّق فى هذه المئة من أجل الكلمة التى جاءت من خبر السماء - فصاروا يتحاكمون إليهم؛ فهم مرجع للناس فى الحكم، ولهذا يسمون الكهنة؛ إذ هم يخبرون عن الأمور فى المستقبل، يقولون: سيقع كذا وسيقع كذا، وليس من الكهانة فى شيء من يخبر عن أمور تدرك بالحساب؛ فإن الأمور التى تدرك بالحساب ليست من الكهانة فى شيء، كما لو أخبر عن كسوف الشمس أو خسوف القمر؛ فهذا ليس من الكهانة؛ لأنه يدرك بالحساب، وكما لو أخبر أن الشمس تغرب فى ٢٠ من برج الميزان مثلاً فى الساعة كذا وكذا؛ فهذا ليس من علم الغيب، وكما يقولون: إنه سيخرج فى أول العام أو العام الذى بعده مذنب (هالى)، وهو نجم له ذنب طويل؛ فهذا ليس من الكهانة فى شيء؛ لأنه من الأمور التى تدرك بالحساب؛ فكل شيء يدرك بالحساب، فإن الإخبار عنه ولو كان مستقبلاً لا يعتبر من علم الغيب، ولا من الكهانة.

مسألة: وهل من الكهانة ما يخبر به الآن من أحوال الطقس فى خلال أربع وعشرين ساعة أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا؛ لأنه أيضاً يستند إلى أمور حسية، وهى تكيف الجو؛ لأن الجو يتكيف على صفة معينة تعرف بالموازين الدقيقة عندهم؛ فيكون صالحاً لأن يمطر، أو لا يمطر، نظير ذلك فى العلم البدائى إذا رأينا تجمع الغيوم والرعد والبرق وثقل السحاب، نقول: يوشك أن ينزل المطر.

فالهم أن ما استند إلى شيء محسوس؛ فليس من علم الغيب، وإن كان بعض

(١) التعليق المفيد (١٤٩).

(٢) القول المفيد (٢/٥٨، ٥٩).



العامّة يظنون أن هذه الأمور من علم الغيب، ويقولون: إن التصديق بها تصديق بالكهانة.

والشئ الذى يدرك بالحس إنكاره قبيح؛ كما قال السفاريني:

فكل معلوم بحس أو حجا فنكره جهل قبيح بالهجا

فالذى يعلم بالحس لا يمكن إنكاره ولو أن أحداً أنكره مستنداً بذلك إلى الشرع؛ لكان ذلك طعناً بالشرع اهـ.

● الفرق بين العراف، والكاهن، والمنجم، والرمال:

قال ابن تيمية (١): العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطريقة. وتقدم كلام ابن حجر وسليمان آل الشيخ تبعاً له.

وسياتى تنمة كلام ابن تيمية فى آخر هذا الباب مستفيضاً - والله المستعان.

وقال ابن حجر (٢): العراف: من يستخرج الوقوف على المغيبات بضرب من فعل أو قول اهـ. فكان الجميع ليس هناك فرق بينهم.

وقال عبدالله بن جار الله (٣): العراف: هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق، ومكان الضالة ونحو ذلك، وقيل: هو الكاهن.

والكاهن: هو الذى يأخذ عن مسترق السمع ويخبر عن المغيبات فى المستقبل، وقيل: هو الذى يخبر عما فى الضمير.

والمنجم: هو الذى يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية - كحظك اليوم وأنت والنجوم.

والرمال: هو الذى يدعى معرفة المغيبات بطريق الضرب بالحصى، والخط فى الرمل اهـ.

وقال ابن عثيمين (٤): العراف: صيغة مبالغة من العارف، أو نسبة؛ أى: من ينتسب إلى العرافة.

والعراف: قيل: هو الكاهن، وهو الذى يخبر عن المستقبل.

وقيل: هو اسم عام للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب

(١) تيسير العزيز الحميد (٣٠٥) والجامع الفريد (١١٠).

(٢) فتح البارى (١٠/٢٢٨). (٣) الجامع الفريد (١١٠).

(٤) القول المفيد (٢/٦٠).

بمقدمات يستعملها، وهذا المعنى أعم، ويدل عليه الاشتقاق؛ إذ هو مشتق من المعرفة، فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة اهـ.

### ● أنواع الكهانة وحكمها:

قال ابن حجر (١): هي على أصناف:

منها: مايتلقونه من الجن، فإن الجن كانوا يصعدون إلى جهة السماء فيركب بعضهم بعضاً إلى أن يدنو الأعلى بحيث يسمع الكلام فيلقيه إلى الذى يليه، إلى أن يتلقاه من يلقه فى أذن الكاهن فيزيد فيه، فلما جاء الإسلام ونزل القرآن حرست السماء من الشياطين، وأرسلت عليهم الشهب، فبقى من استراقهم ما يتخطفه الأعلى فيلقيه إلى الأسفل قبل أن يصيبه الشهاب، وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾، وكانت أصابة الكهان قبل الإسلام كثيرة جداً كما جاء فى أخبار شق وسطيح ونحوهما، وأما فى الإسلام فقد ندر ذلك جداً حتى كاد يضمحل والله الحمد.

ثانيها: ما يخبر الجنى به من يواليه بما غاب عن غيره مما لا يطلع عليه الإنسان غالباً، أو يطلع عليه من قرب منه لامن بعد.

ثالثها: ما يستند إلى ظن وتخمين وحس، وهذا قد يجعل الله فيها لبعض الناس قوة مع كثرة الكذب فيه.

رابعها: ما يستند إلى التجربة والعادة، فيستدل على الحادث بما وقع قبل ذلك، ومن هذا القسم الأخير ما يضاهاى السحر، وقد يعتضد بعضهم فى ذلك بالزجر والطرق والنجوم. وكل ذلك مذموم شرعاً. اهـ.

### ● ماجاء فى ذم الكهانة غير ما ذكر المصنف فى الباب.

أخرج البخارى: عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قضى فى امرأتين من هذيل أقتلتا، فرمت إحداهما الأخرى بحجر، فأصاب بطنها وهى حامل، فقتلت ولدها الذى فى بطنها، فاختصموا إلى النبى ﷺ، فقضى أن دية ما فى بطنها غرة عبد أو أمة، فقال لى المرأة التى غرمت كيف أغرم يارسول الله من لاشرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل، فمثل ذلك يُطل فقال النبى ﷺ «إنما هذا من إخوان الكهان» (٢).

(١) فتح البارى (١٠/٢٢٧) وأنظر شرح النووى لصحيح مسلم (٧/٤٨٥).

(٢) [صحيح] أخرجه البخارى (٦٩٠٩)، ومسلم فى القسامة (١٧٧/١ - النووى) عن أبى هريرة به.

وأنظر «منار السبيل» (٢٣٨٨ - بتخريجنا).

وأخرج أيضاً: عن أبي مسعود: نهى النبي ﷺ عن ثمن الكلب ، ومهر البغي، وحلوان الكاهن<sup>(١)</sup>.

وأخرج أيضاً: عن عائشة رضى الله عنها قالت: سألت ناساً رسول الله ﷺ عن الكهان فقال «ليس بشيء» فقالوا: يا رسول الله: إنهم يحدثوننا أحياناً بشيء حقاً، فقال رسول الله ﷺ «تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى فيقرأها في أذن وليه فيخلطون معها مائة كذبة»<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup>: وورد في ذم الكهانة ما أخرجه أصحاب السنن<sup>(٤)</sup> والحاكم من حديث أبي هريرة رفعه «من أتى كاهناً أو عرافاً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد».

وله شاهد من حديث جابر وعمران بن حصين أخرجهما السبزار بسندين جيدين ولفظهما: «من أتى كاهناً»

وأخرجه مسلم من حديث امرأة من أزواج النبي ﷺ ومن الرواة من سماها حفصة - بلفظ «من أتى عرافاً».

- وأخرجه أبو يعلى من حديث ابن مسعود بسند جيد، لكن لم يصرح برفعه، ومثله لا يقال بالرأى، ولفظه «من أتى عرافاً أو ساحراً أو كاهناً»<sup>(٥)</sup>.

- وأنفقت ألفاظهم على الوعيد بلفظ حديث أبي هريرة إلا حديث مسلم فقال فيه «لم يقبل لهما صلاة أربعين يوماً».

ووقع عند الطبراني من حديث أنس بسند لين مرفوعاً بلفظ: «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد، ومن أتاه غير مصدق له، لم تقبل صلاته أربعين يوماً»<sup>(٦)</sup>.

- والأحاديث مع صحتها وكثرتها أولى من هذا، والوعيد جاء تارة بعدم قبول الصلاة، وتارة بالتكفير، فيحمل على حالين من الآتى أشار إلى ذلك القرطبي. اهـ.

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٢٢٣٧)، ومسلم فى المساقاة (١٠/٢٣١ - النووى) عن أبى مسعود

به.

وانظر «منار السبيل» (١٣٨٨ - بتخريجنا).

(٢) تقدم تخريجه. (٣) فتح البارى (١٠/٢٢٧-٢٢٨).

(٤) سيأتى فى نهاية هذا الباب تنبيه سليمان آل الشيخ على توهيم الحافظ فى لفظة (أصحاب السنن).

(٥) تقدم تخريجه. (٦) تقدم تخريجه.

## ● الفرق بين ما تقدم وبين الدجال:

قال الفقير: الدجال - فى غالب علمى - لىس عنده هذه المقدمات الخاصة بصنعة الكهانة ولا العرافة ولا التنجيم، ولكنه يفعل فعلهم بدون ما عندهم من أدوات، فهم عندهم أصول يتكهنون بها وهو يجهلها ومع ذلك يعمل بالكهانة على جهل. فالدجال: هو المتكهن مع جهله بأصل الكهانة.

## ● الفارق بين الفراسة والكهانة:

### قال الفقير:

(١) الفراسة غالباً لا يدعى صاحبها الغيب بخلاف الكاهن فإنه يدعى هذا الغيب ويفتخر بادعائه، بل وربما كثر مريدوه بسبب هذا الادعاء، وهذا بخلاف المنفوس لا يدعى الغيب فضلاً أن يقتخر به.

(٢) الكهانة لها مقدمات غالباً غير مشروعة، وأما الفراسة فإنها تعتمد على مقدمات مشروعة.

مثال ذلك:

أنت تعرف أن من يعصى الله - عزوجل - فى معصية معينة، هذه المعصية قد تؤثر على عقله ووجهه وبدنه وقوته، كما قال ابن عباس فى المعصية أنها ضعف فى العقل وكسفة فى الوجه وسواد فى القلب ووهن فى الجسد.

فقد تنظر فى وجهه فرد فتعلم أنه يفعل العادة السرية نتيجة مقدمات وهى ما تراها على وجهه وتستشعرها فى عقله، حتى إذا جاءك وحكى لك أن فرداً آخر واقع فى هذه المشكلة علمت أن الفراسة فى محلها وأنه هو الواقع فى ذلك بدون ادعاء الغيب وبمقدمات مشروعة لأنه علم من قول الصحابة وأقوال أهل الطب المعتمدة شرعاً هذه النتيجة.

وهذا كما علم عثمان - رضى الله عنه - بمثل هذه المقدمات فنظر إلى بعض أصحابه فقال: ألا يستحى أن يدخل أحدكم على أمير المؤمنين وأثر الزنا فى عينيه. وهذا إن صح الأثر، وعقد ابن القيم أيضاً فى كتابه «الطرق الحكمية» فصلاً للفراسة بل اعتبر للقاضى أن له الحكم بالفراسة، فإن كانت محض تخمين وظن أو كهانة ما اعتبرها ابن القيم فى الحكم ودلل عليها، وذكر أيضاً فراسات للنبي ﷺ وتفريسات للخلفاء الراشدين.

ويستدل للفراسة بأدلة من القرآن والسنة

من القرآن قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ والمتوسم هو المتفرس، كأن يتوسم في وجوه الناس الخير لما يراه من أمارات وعلامات دلته على ذلك.

وأحياناً تكون هذه الآيات غامضة، تحتاج إلى فراسة قوية، وأحياناً تكون هذه الآيات ظاهرة وواضحة، لا تحتاج إلى فراسة قوية.

فهذه فوارق بين الكهانة والفراسة والتحديث والإلهام، وقد تقدم الإلهام والتحديث في باب ﴿إنك لاتهدى من أحببت﴾ بما يغنى عن إعادته هنا.

(٣) الكهانة تزيد بزيادة الكفر وتنقص بنقصانه، وأما الفراسة فتزيد بزيادة الإيمان وتنقص بنقصانه، ولهذا نقل ابن القيم عن بعض السلف أن من غضَّ بصره لم تخطيء له فراسة، ومن هاهنا جاء الحديث الضعيف «اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله»<sup>(١)</sup>.

فكلما ازداد الإيمان تزداد الفراسة ولم تخطيء وكلما قلَّ الإيمان أو ضعف بكثرة المعاصي ضعفت الفراسة، أما الكاهن فكلما ازداد تقربه إلى الشياطين زادت خدمتهم له، فزادت كهانته قوة، وزاد ما يخبر به من الغيب النسبي.

ويتأيد كل ذلك بما ذكره ابن القيم في منزلة الفراسة في مدارج السالكين شرح منال السائرين.

فقال صاحب «المنازل»: الفراسة: استئناس حكم غيب.

قال ابن القيم: والاستئناسى استفعال من أنست كذا، وإذا رأيت، فإن أدركت بهذا الاستئناسى حكم غيب، كان فراسة وإن كان بالعين. كان رؤية وإن كان بغيرها من المدارك فيحسبها.

ثم قال صاحب «المنازل»: «من غير استدلال بشاهده». قال ابن القيم: هذا الاستدلال بالشاهد على الغائب: أمر مشترك بين البر والفاجر. والمؤمن والكافر، كالأستدلال بالبروق والرعود على الأمطار. وكالأستدلال رؤساء البحر بالكدر الذى يبدو لهم فى جانب الأفق على ربح عاصف أو نحو ذلك.

وكأستدلال الطبيب بالشحنة والتفسرة على حال المريض.

ويَدِقُّ ذلك حتى يبلغ إلى حد يعجز عنه أكثر الأذهان. وكما يستدل بسيرة الرجل على عاقبة أمره فى الدنيا من خير أو شر فيطابق. أو يكاد.

(١) أخرجه الترمذى (٣١٢٧) واستغربه.

فهذا خارج عن الفراسة التى تتكلم فيها هذه الطائفة. وهو نوع فراسة، لكنهما غير فراستهم. وكذلك ما علم بالتجربة من مسائل الطب والصناعات والفلاحة وغيرها والله أعلم. أهـ.

قال صاحب «المنازل»: «الفراسة على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: فراسة طارئة نادرة، تسقط على لسان وحشى فى العمر مرة، لحاجة وسمع مريد صادق إليها، لا يتوقف على مخرجها، ولا يؤبه لصاحبها، وهذا شىء لا يخلص من الكهانة وما ضاهاها، لأنها تشر عن عين، ولم تصدر عن علم، ولم تسبق بوجود» قال ابن القيم:

قوله: «وهذا شىء لا يخلص من الكهانة» (\*).

يعنى أنه من جنس الكهانة. وأحوال الكهان معلومة قديماً وحديثاً فى إخبارهم عن نوع من المغيبات بواسطة إخوانهم من الشياطين الذين يلقون إليهم السميع، ولم يزل هؤلاء فى الوجود ويكثرون فى الأزمنة والأمكنة التى يخفى فيها نور النبوة. ولذلك كانوا أكثر ما كانوا فى زمن الجاهلية، وكل زمان جاهلية وبلد جاهلية وطائفة جاهلية، فلمهم نصيب منها بحسب اقتران الشياطين بهم وطاعتهم لهم وعبادتهم إياهم.

وقوله - أى صاحب «المنازل» - : «لأنها لم تشر عن عين».

أى عن عين الحقيقة التى لا يصدر عنها إلا الحق. يعنى غير متصلة بالله - عز وجل - .

وقوله - أى صاحب «المنازل» - : «لم يصدر عن علم».

يعنى أنها ظن وحسبان لآعن علم ويقين. وصاحبها دائماً فى شك. ليس على بصيرة من أمره.

وقوله - أى صاحب «المنازل» - : «ولم تسبق بوجود».

أى لم يسبقها وجود الحقيقة لصاحبها، بل هو فارغ.. بل فاقد من غير أهل الوجود. والله أعلم.

قال - أى صاحب «المنازل» - : «الدرجة الثانية» فراسة تُجنى من غرس الإيمان. وتطلع من صحة الحال. وتلمع من نور الكشف».

قال ابن القيم: هذا نوع من الفراسة مختص بأهل الإيمان ولذلك قال «تجنى من غرس الإيمان» وشبه الإيمان بالغرس، لأنه يزداد وينمر، ويزكو على السقى، ويؤتى أكله كل حين بإذن ربه. وأصله ثابت فى الأرض. وفروعه فى السماء. فمن غرس الإيمان فى

(\* ) ما بين القوسين كلام صاحب المنازل.

أرض قلبه الطيبة الزاكية، وسقى ذلك الغراس بماء الإنخلاص والصدق والمتابعة، كان من بعض ثمره هذه الفراسة.

قوله - أى صاحب «المنازل» - : «وتطلع من صحة الحال».

يعنى: أن صدق الفراسة من صدق الحال. فكلما كان الحال أصدق وأصح فالفراسة كذلك.

قوله - أى صاحب «المنازل» - : «وتلمع من نور الكشف».

قال ابن القيم: يعنى أن نور الكشف من جملة ما يولد الفراسة بل أصلها نور الكشف.

وقوة الفراسة، بحسب قوة هذا النور وضعفه وقوته وضعفه بحسب قوة مادته وضعفها. والله أعلم اهـ.

#### ● أسباب انتشار الكهانة والسحر

لماذا تنتشر؟ ومتى تنتشر وفي أى الأماكن تنتشر؟

قال الفقير: السبب ورد فى سورة البقرة، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ...﴾ الآية.

فالسبب هو نبذ كتاب الله وراء الظهر، ونبذ العلم، وتفشى الجهل، وهذا المناخ يهيبه مكاناً هو مرتع للكهانة والسحر والعرافة وما شاكل ذلك من ضروب ادعاء الغيب.

والواقع يؤيد ذلك؛ فما كثر الجهل فى مكان إلا وتزامن مع ظهوره: السحر والعرافة والكهانة وهذه الضروب فى ادعاء الغيب.

فهذا سببه، وهذا وقته، وهذا مناخه الذي يظهر فيه.

وليس أدل على ذلك من أنك ما ترى هذه الأمور غالباً إلا فى النجوع والقرى والأرياف التى أبعد ماتكون عن العلم والعلماء وطلبة العلم.

وهذا هو الحاصل فىمن ينتسب إلى الباطنية من الصوفية وغيرهم. وقد تقدم كلام ابن القيم فى المسألة السابقة عند قوله وهذا شئ لا يخلص من الكهانة.



رَوَى مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَتَى عَرَاْفًا، فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، فَصَدَّقَهُ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا لَا لَيْلَةَ» (١).

قوله: روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً..... الحديث».

مناسبة الحديث للباب (٢):

قال سليمان آل الشيخ: حيث دل الحديث على أن العرافه وتصديقها حرام اهـ.

مناسبة الحديث للتوحيد (٣):

قال سليمان آل الشيخ: حيث ذم النبي ﷺ - من صدق العراف لأنه جعله شريكاً مع الله في علم الغيب أهـ.

قلت: تقدم قول ابن حجر أنه قال: اتفقت ألفاظهم على الوعيد بلفظ حديث أبي هريرة إلا حديث مسلم اهـ.

يعنى هذا الحديث، ثم ذكر له رواية أكثر تفصيلاً من حديث أنس بسند فيه لين مرفوعاً - «من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد برىء مما أنزل على محمد، ومن أتاه غير مصدق له لم تقبل له صلاته أربعين يوماً» (٤) اهـ.

وقال سليمان آل الشيخ (٥): هذا الحديث رواه مسلم كما قال المصنف، ولفظه: حدثنا محمد بن المثني العنزي ثنا يحيى بن سعيد عن عبيد الله - في نسخة: عبد الله - عن نافع عن صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين يوماً وليلة» هكذا رواه، وليس فيه فصدقه»  
قوله [من].

(١) [صحيح] أخرجه مسلم في السلام / باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان (٥/١٤/٢٢٧) وأحمد في «مسنده» (٤/٦٨)، (٥/٣٨٠).

من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي ﷺ  
وانظر رياض الصالحين (ح ١٦٧٢) بتخريجنا وانظر فتح المجيد (٥٣٢ - بتخريجنا).  
(٢)(٣) تيسير العزيز الحميد (٣٠٠).  
(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٣٠٠).



قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: شرطية، فهي للعموم.

قلت/ أى تعم كل من ذهب لهذا المذكور.

قوله: [عرافاً]

تقدم تعريفه من كلام ابن تيمية، وابن حجر، وغيرهما.

وقال النووي<sup>(٢)</sup> أيضاً: العراف من جملة أنواع الكهان، قال الخطابي وغيره: العراف

هو الذى يتعاطى معرفة مكان المسروق، ومكان الضالة ونحوهما. اهـ.

[قلت] وقد مر نقل عبدالله بن جار الله لهذا القول فى الفرق بين العراف والكاهن..

ولكنه لم ينسبه. والله المستعان.

قوله [فسأله عن شيء]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: وظاهر الحديث أن هذا الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله

سواء صدقة أو شك فى خبره، لأن إتيان الكهان منهى عنه.

قلت: ويشهد له حديث أنس المتقدم.

قال ابن باز<sup>(٤)</sup>: ليست هذه اللفظة فى مسلم فلعل المؤلف وهم أو نقله من نسخة فيها

هذه الكلمة فى مجموعة التوحيد: (فصدقه) هى عند أحمد.

وذكر ابن عثيمين<sup>(٥)</sup> تعليلاً آخر فقال:

ليست فى «صحيح مسلم»، بل الذى فى «مسلم»: «فسأله؛ لم تقبل له صلاة أربعين

ليلة»، وزيادتها فى نقل المؤلف؛ إما لأن النسخة التى نقل منها بهذا اللفظ «فصدقه» أو أن

المؤلف عزاه إلى «مسلم» باعتبار أصله، فأخذ من «مسلم»: «فسأله»، وأخذ من

أحمد: «فصدقه». اهـ.

ثم قال ابن باز: فرواية مسلم تدل على أن السؤال المجرد لا يجوز لأن فيه رفعاً من

شأنهم وسؤالهم وسيلة إلى تصديقهم وتعظيمهم ولما يقولون به سر الشعوذة،

(١) القول المفيد (٢/ ٥٩)

(٢) مسلم بشرح النووى (٧/ ٤٨٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣٠٠).

(٤) التعليق المفيد (١٤٩)

(٥) القول المفيد (٢/ ٦٠-٦٣)

فينبغي تركهم وتناسيهم، وعند مسلم عن معاوية بن الحكم قال «ليسوا بشيء، ولا تأتوهم»<sup>(١)</sup> احتقاراً لهم وإعراضاً عنهم وإماتة لهم ولشأنهم. اهـ.

قلت: فالقول كما قال القائل اسكت عن الشر ليندثر وحدث عن الخير ليتشر.

وقال ابن عثيمين: قوله «فسأله؛ لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

ظاهر الحديث أن مجرد سؤاله يوجب عدم قبول صلاته أربعين يوماً، ولكنه ليس على إطلاقه؛ فسؤال العراف ونحوه ينقسم إلى أقسام:

قلت/ لكن في الحقيقة، مع هذا التقسيم لا بد أن تحطاط في السؤال الجائر المشروع كما سيأتي.

القسم الأول: أن يسأله سؤالاً مجرداً؛ فهذا حرام لقول النبي ﷺ «من أتى عرافاً...»<sup>(٢)</sup> فإثبات العقوبة على سؤاله يدل على تحريمه؛ إذ لا عقوبة إلا على فعل محرم.

القسم الثاني: أن يسأله فيصدق، ويعتبر قوله؛ فهذا كفر لأن تصديقه في علم الغيب تكذيب للقرآن، حيث قال تعالى ﴿قُلْ لَأَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(٣)</sup>  
القسم الثالث: أن يسأله ليختبره: هل هو صادق أو كاذب، لا لأجل أن يأخذ بقوله؛ فهذا لا بأس به، ولا يدخل في الحديث.

وقد سأل النبي ﷺ ابن صياد؛ فقال: «ماذا خبأت لك؟ قال: الدُّخ. فقال: أحسأ؛ فلن تعدو قدرك»<sup>(٤)</sup> فالنبي ﷺ سأله عن شيء أضمره له؛ لأجل أن يختبره، فأخبره به.

القسم الرابع: أن يسأله ليظهر عجزه وكذبه، فيمتحنه في أمور يتبين بها كذبه وعجزه، وهذا مطلوب، وقد يكون واجباً.

وإبطال قول الكهنة لا شك أنه أمر مطلوب، وقد يكون واجباً؛ فصار السؤال هنا ليس على إطلاقه، بل يفصل فيه هذا التفصيل على حسب ما دلت عليه الأدلة الشرعية الأخرى. اهـ.

قلت: والقسم الرابع الأولي أن يتنزل عليه حديث ابن صياد، ذلك لأن النبي ﷺ أراد

(١) أخرجه مسلم في المساجد (٣/٢٣/٢٣) وتقدم.

(٢) أخرجه مسلم في الفتوح (٩/٢٧٥/٨٦) عن ابن مسعود به.

أيضاً أن يظهر عجز ابن صياد وكذبه، وهذا واضح من قوله «أخساً فلن تعدو قدرك»<sup>(٢)</sup> وبالجملة فهو يدخل فى القسم الثالث والله تعالى أعلم.

ثم قال ابن عثيمين: وقد ذكر شيخ الإسلام أن الجن يخدمون الإنس فى أمور، والكهان يستخدمون الجن ليأتوهم بخبر السماء، فيضيفون إليه من الكذب ما يضيفون، وخدمة الجن للإنس ليست محرمة على كل حال، بل هى على حسب الحال.

فالجنى يخدم الإنسان فى أمور لمصلحة الإنس، وقد يكون للجن فيها مصلحة، وقد لا يكون له فيها مصلحة، بل لأنه يحبه فى الله والله ولا شك أن من الجن مؤمنين يحبون المؤمنين من الإنس، لأنه يجمعهم الإيمان بالله. اهـ.

[قلت]: وهذا محلله إذا كانت هذه الخدمة من الجن بغير استعانة أو استعاذة من الإنس، وإلا سيدخل فى عموم من ذمهم الله بقوله «وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا» أما إن كانت الخدمة بغير ذلك كما فعل مع أبى هريرة رضى الله عنه فجائزة بلا خلاف. والله المستعان.

ثم قال ابن عثيمين: وقد يخدمونهم لطاعة الإنس لهم فيما لا يرضى الله - عز وجل - إما فى الذبح لهم، أو فى عبادتهم، أو ما أشبه ذلك. اهـ.

[قلت]: وهذا شرك..

ثم قال: والأغرب من ذلك أنهم ربما يخدمون الإنس لأمر محرّم من زنا أو لواط، لأن الجنية قد تستمتع بالإنسى بالعشق والتلذذ بالاتصال به، أو بالعكس، وهذا أمر معلوم مشهود، حتى ربما كان الجنى الذى فى الإنسان ينطق بذلك، كما يُعلم من الذين يقرؤون على المصابين بالجن.

والنبي ﷺ حضر إليه الجن وخاطبهم، وأرشدهم، ووعدهم بعتاء لا نظير له، فقال لهم: «كل عظم ذكر اسم الله عليه تجدونه أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة، فهى علف لدوابكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

وذكر أن في عهد عمر رضى الله عنه امرأة لها رثى من الجن - يعنى صاحب - ، وكانت توصيه بأشياء، حتى إذا تأخر عمر ذات يوم، فأتوا إليها، فقالوا: ابحثنى لنا عنه، فذهب هذا الجنى الذى فيها، وبحث وأخبرهم أنه فى مكان كذا، وأنه يسم إبل الصدقة<sup>(١)</sup> اهـ.

[قلت]: تقدم فى باب / الاستعاذة بغير الله أن الاستعاذة بالجن لها أحكام، منها ما هو كفر، ومنها ما هو محرم، وذلك مستفاد من تفسير السلف لقول الله عز وجل : ﴿فراذوهم رهقاً﴾ فبعضهم قال (إنماً) وبعضهم قال (كفرًا) فإن استعان أو استعاذ بالجن فيما لا يستطيعه إلا الله عز وجل فهو كفر، وإن استعان أو استعاذ بهم فيما يستطيعون فهو إثم، لأنه أشبه الاستعاثة بالمخلوق الحى الغائب فيما يستطيعه الحى الحاضر، أو دعاءه كذلك، ولأنه لم يثبت دليل على الاستعانة بالجن فى المعروف أو المباح ولو كان خيرًا لسبقونا إليه.

أما إذا قدم لنا الجن الخدمة فى المعروف المشروع بغير طلب منا له فهذا جائز لحديث أبى هريرة حينما عرض الشيطان عليه هذه الخدمة: تعليم آية الكرسي وفضلها، فى مقابل أن يخلى سبيله، وعلى هذه الصورة الأخيرة يحمل قول من قال من العلماء بجواز أو بوقوع خدمة الجنى للإنسى فى المعروف أما القصة التى ذكرها الشيخ - حفظه الله - فهى عند أبى الدنيا بسند ضعيف ومن أخطر ما يكون ذكر هذه الآثار فى الكتب، لأن المسلمين - إلا من رحم ربي - خرجوا من باب العلاج بالقرآن الذى هو دين الله إلى دين الشيطان بغير دليل، فما الظن إذا كان معهم شبه كهذا الأثر، وخاصة أنه فى كتاب من كتب التوحيد وينسب لابن تيمية ويستشهد به ابن عثيمين شارحاً لكتاب التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب.

وأنا أتعجب من هذا، فهل يتصور أن يرى الصحابة - كأبى موسى الأشعري الذى ذهب لهذه المرأة كما جاء فى هذا الأثر المتقدم - وأمرها أن تأمر من فيها من الجن الذى تلبس بها ليذهب فيبحث لهم عن عمر ولايتعاونون فيما بينهم على إخراجه؟ فكيف يتأتى ذلك؟

فهذا والله إن لم يثبت ضعفه فهو من النكارة بمكان فكيف وقد ثبت ضعفه. والله أعلم.

قوله: «لم تقبل له صلاة أربعين يوماً».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: إذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول قال النووى

(١) وسيأتى تخريجه فى آخر الباب. (٢) تيسير العزيز الحميد ٣٠١.

وغيره: معناه: أنه لا ثواب له فيها ، وإن كانت مجزئة في سقوط الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة ، ونظير هذه الصلاة في أرض مغمصوبة مجزئة مسقطه للقضاء ، لكن لا ثواب له فيها، قاله جمهور أصحابنا قالوا: فصلاة الفرض إذا أتى بها على وجهها الكامل ترتب عليها شيثان سقوط الفرض، وحصول الثواب، فإذا أداها في أرض مغمصوبة حصل له الأول دون الثاني ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العرّاف إعادة صلاة أربعين ليلة فوجب تأويله، هذا كلامه، وهو مبنى على الملازمة بين الإجزاء وعدم الإعادة، والصواب أن عدم الإعادة لا يستلزم الإجزاء لكن الصلاة في الأرض المغمصوبة في إجزائها نزاع والمشهور من مذهب أحمد أنها تجزئ وتجب إعادتها وفي الحديث النهى عن إتيان الكاهن ونحوه قال القرطبي: يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم على من يتعاطى شيئاً من ذلك من التعزيرات وينكر عليهم أشد النكير وعلى من يجيئ إليهم، ولا يغتر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يجيئ إليهم ممن ينسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم، بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور.

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: نفى القبول هنا هل يلزم منه نفى الصحة أولاً؟

نقول: نفى القبول إما أن يكون لفوات شرط، أو لوجود مانع، ففى هاتين الحالين يكون نفى القبول نفياً للصحة، كما لو قلت: من صلى بغير وضوء لم يقبل الله صلاته، ومن صلى في مكان مغمصوب لم يقبل الله صلاته عند من يرى ذلك .

وإن كان نفى القبول لا يتعلق بفوات شرط ولا وجود مانع، فلا يلزم من نفى القبول نفى الصحة، وإنما يكون المراد بالقبول المنفى: إما نفى القبول التام، أى: لم تقبل على وجه التمام الذى يحصل به تمام الرضا وتمام المثوبة.

وإما أن يراد به أن هذه السيئة التى فعَلَهَا تقابل تلك الحسنة فى الميزان، فتسقطها ويكون وزرها موازياً لأجر تلك الحسنة وإذا لم يكن له أجر صارت كأنها غير مقبولة، وإن كانت مجزئة ومبرئة للذمة لكن الثواب الذى حصل بها قوبل بالسيئة فأسقطته.

ومثله قوله ﷺ: «من شرب الخمر، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»<sup>(٢)</sup>.

(١) القول المفيد ٢/٦٢ .

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣٥/٢) والترمذى (١٨٦٢) عن ابن عمر به .

قوله: «أربعين يوماً».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: تخصص هذا العدد لا يمكننا أن نعلله، لأن الشيء المقدر بعدد لا يستطيع الإنسان غالباً أن يعرف حكمته، فكون الصلاة خمس صلوات أو خمسين لا نعلم لماذا خصصت بذلك، فهذا من الأمور التي يقصد بها التبعيد لله، والتعبد لله بما لا تعرف حكمته أبلغ من التبعيد له بما تعرف حكمته، لأنه أبلغ في التذلل، صحيح أن الإنسان إذا عرف الحكمة اطمأنت نفسه أكثر، لكن كون الإنسان ينقاد لما لا يعرف حكمته دليل على كمال الانقياد والتعبد لله - عز وجل - فهو من حيث العبودية أبلغ وأكمل، أما ذلك، فهو من حيث الطمأنينة إلى الحكم يكون أبلغ، لأن النفس إذا علمت بالحكمة في شيء اطمأنت إليه بلا شك، وازدادت أخذاً له وقبولاً، فهناك أشياء مما عيَّنه الشرع بعدد أو كيفية لا نعلم ما الحكمة فيه، ولكن سبيلنا أن نكون كما قال الله تعالى عن المؤمنين: «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم».

فعلينا التسليم والانقياد وتفويض الأمر إلى الله تعالى.

ويؤخذ من الحديث: تحريم إتيان العراف وسؤاله، إلا ما استثنى، كالقسم الثالث والرابع، أى لاختبارهم وبيان كذبهم لما فى إتيانهم وسؤالهم من المفاصد العظيمة التى ترتب على تشجيعهم، وإغراء الناس، وهم فى الغالب يأتون بأشياء كلها باطلة. اهـ.

[قلت]: إن كان مقصد الشيخ ابن عثيمين عدم إمكان تعليل العدد فوجهه أما إن كان المقصد عدم تعليل علاقة العدد بالعقوبة على هذا الفعل فيمكن أن يعلل هذا العدد بأن الشرع أورد له بيان حجم الجرم الذى فعله هذا الذى أتى كاهناً أو عرافاً حيث بين أن ذلك مبطل لصلاة أربعين يوماً على قول الحنابلة أو لثواب صلاة أربعين يوماً على قول الشافعية كما تقدم فى حديث «إن قذف المحصنة يهدم عمل مائة سنة» أى لشدة جرم هذه القاذفة استحقت هذا العقاب أى أن هذه الجريمة لا تكفر إلا بصلاة أربعين يوماً لكن يبقى السؤال لماذا الأربعين؟! ولماذا لم تكن أقل أو أكثر وهذا الذى قصده الشيخ بقوله: لا يمكننا أن نعلله وأيضاً إذا كانت المحافظة على تكبيرة الإحرام فى صلاة الجماعة أربعين يوماً فيها براءة من النفاق وبراءة من النار فالذهاب إلى العرافين ونحوهم حتى ولو يسؤال بغير تصديق فهذا ضرب من ضروب النفاق.

(١). القول المفيد ٢/٦٣، ٦٤.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ (١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

فإذا كان من الأجور المترتبة على هذه المحافظة أن يأخذ براءة من النفاق فهو يبطل له صلاة أربعين يوماً فيبطل له هذا الأجر لأنه نافق لأن من صفات المنافقين أنهم مذنبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ولحديث ابن عمر مرفوعاً: «مثل المنافق مثل الشاة العائرة بين الغنمين، تعبر إلى هذه مرة وإلى هذه مرة، لاتدرى أيها تتبع» (٢).

● مسألة:

إن قال قائل: لماذا خص الصلاة دون باقي العبادات؟

قال الفقير: قلنا أن الصلاة في الدرجة الثانية بعد الإيمان بالغيب كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ فإنه إن لم يؤمن بالغيب وذهب إلى هذا الكاهن فلا بد من أن تحبط صلاته. فهذه مترتبة على هذه، لأنه إن لم يأت بالمقدمة وهو الإيمان بالغيب فلا بد أن يتقضى المترتب على الإيمان بالغيب وهو إقامة الصلاة.



قوله عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «من أتى كاهنا فصدقه...» الحديث.

قال سليمان آل الشيخ (٣): هذا الحديث رواه أبو داود ولفظه: حدثنا موسى بن

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٧٦، ٤٠٨/٢) وأبو داود في «الطب»/ باب: في الكاهن (١٤/٤/٣٩٠) والنسائي في «الكبرى» في «عشرة النساء» (٥/٣٢٣/٩٠١٦) والترمذي في «أبواب الطهارة» باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض (١/٢٤٣، ٢٤٢/١٣٥) وابن ماجه في «الطهارة وسنتها» باب: النهى عن إتيان الحائض (١/٢٠٩/٦٣٩)، والدارمي في «سننه» (١/٢٥٩) وابن الجارود في «المتقى» (ج١٠٧) والبيهقي في الكبرى (١٩٨/٧).

من طريق حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تيممة.

قال البخارى في «التاريخ الكبير» (٣/٩٦٧/١٧) هذا حديث لا يتابع عليه لا يعرف لأبي تيممة سماع من أبي هريرة اهـ.

وانظر «منار السبل» (ج٢١٧٣) بتخریجنا ، وفتح المجید (٥٣٤). بتخریجنا

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في صفات المنافقين (٩/١٣٩/١٧) عن ابن عمر به وانظر «الدر» (٢/٤١٨).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٠١، ٣٠٢.

إسماعيل ثنا حماد . ح وحدثنا مسدد ثنا يحيى عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم، وعن أبي تيمية عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من أتى كاهنًا - قال موسى في حديثه: فصدقه بما يقول [ثم اتفقا] أو أتى امرأة، قال مسدد: امرأته حائضًا، أو أتى امرأة قال مسدد: يعنى: امرأته في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد ﷺ» (١) ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه بنحوه وقال الترمذى: لا نعرفه إلا من حديث الأثرم، وضعف محمد هذا الحديث من جهة إسناده وقال البغوى: سنده ضعيف وقال الذهبى ليس إسناده بالقائم قلت: أطال أبو الفتح اليعمرى فى بيان ضعفه وادعى أن متنه منكر، وأخطأ فى إطلاق ذلك، فإن إتيان الكاهن له شواهد صحيحة منها ما ذكر المصنف بعده وكذلك إتيان المرأة فى الدبر له شواهد، منها: ما رواه عبد بن حميد بإسناد صحيح عن طاووس أن رجلاً سأل ابن عباس عن إتيان المرأة فى دبرها فقال: تسألنى عن الكفر؟ (٢) ومنها ما رواه الترمذى والنسائى وابن حبان فى «صحيحه».

وصححه ابن حزم عن ابن عباس مرفوعاً: «لا ينظر الله إلى رجل أتى رجلاً أو امرأة فى الدبر» (٣) والأحاديث فى ذلك كثيرة. وغاية ما ينكر من متنه ذكر إتيان الحائض والله أعلم.

قلت: وذكرها ابن القيم فى «الزاد»

● مناسبة الحديث للباب (٤):

قال القرعاوى: حيث دل الحديث بطريق الإلزام أو اللزوم على كفر الكهان.

● مناسبة الحديث للتوحيد (٥):

قال القرعاوى: حيث دل الحديث بطريق اللزوم على أن الكهانة كفر وذلك لما

يعتمدون من وسائل الشرك فى كهانتهم.

● شرح الحديث:

قوله: «من أتى كاهنًا»:

قلت: أى من أراد.

(١) تقدم تخريجه .

(٢) عبد الرزاق فى مصنفه (٢٠٩٥٣).

(٣) [ضعيف] أخرجه الترمذى (١١٦٥)، والنسائى فى «الكبرى» (٩٠٠١) عن ابن عباس به .

وانظر «بلوغ المرام» (٩٥٣) - بتخريجنا).

(٤، ٥) الجديد ٢٤٠.



قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: تقدم معنى الكاهن وأنهم كانوا رجالاً في أحياء العرب تنزل عليهم الشياطين، وتخبرهم بما سمعت من أخبار السماء.

قوله: «فصدقه».

أى : نسبة إلى الصدق، وقال: إنه صادق، وتصديق الخبر يعنى: تثبته وتحقيقه، فقال: هذا حق وصحيح وثابت.

قوله: «بما يقول»

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: «ما» عامة فى كل ما يقول، حتى ما يحتمل أنه صدق، فإنه لا يجوز أن يصدقه، لأن الأصل فيهم الكذب.

قوله: «فقد كفر بما أنزل على محمد».

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: أى : بالذى أنزل، والذى أنزل على محمد ﷺ القرآن أنزل إليه بواسطة جبريل، وقال تعالى: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين﴾ وقال تعالى: ﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾ وبهذا نعرف أن القول الراجح فى الحديث القدسى أنه من كلام الله تعالى معنى، وأما لفظه، فمن الرسول ﷺ لكنه حكاة عن الله، لأننا لو لم نقل بذلك لكان الحديث القدسى أرفع سنداً من القرآن، حيث إن الرسول ﷺ يرويه عن ربه مباشرة والقرآن بواسطة جبريل.

ولأنه لو كان من كلام الله لفظاً لوجب أن تثبت له أحكام القرآن، لأن الشرع لا يفرق بين المتماثلين، وقد علم أن أحكام القرآن لا تنطبق على الحديث القدسى، فهو لا يتعبد بتلاوته، ولا يقرأ فى الصلاة، ولا يعجز لفظه، ولو كان من كلام الله، لكان معجزاً لأن كلام الله لا يماثله كلام البشر، وأيضاً باتفاق أهل العلم فيما أعلم أنه لو جاء مشرك يستجير لسمع كلام الله وأسمعناه الأحاديث القدسية، فلا يصح أن يقال: إنه سمع كلام الله.

فدل هذا على أنه ليس من كلام الله، وهذا هو الصحيح، وللعلماء فى ذلك قولان: هذا أحدهما، والثانى: أنه من قول الله لفظاً. قلت: وقد تقدم هذا الكلام فى الفرق بين الحديث القدسى والنبوى والقرآن فى باب «فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب».

(١) القول المفيد ٢/٦٥ : ٦٨ .

(٢)(٣) القول المفيد (٢/٦٥، ٦٦).

فإن قال قائل: كيف تصححون هذا والنبى ينسب القول إلى الله، ويقول: قال الله تعالى، ومقول القول هو هذا الحديث المسوق؟

قلنا: هذا كما قال الله تعالى عن موسى وفرعون وإبراهيم: قال موسى، قال فرعون، قال إبراهيم... مع أننا نعلم أن هذا اللفظ ليس من كلامهم ولا قولهم، لأن لغتهم ليست اللغة العربية، وإنما نُقِلَ نقلًا عنهم، ويدل لهذا أن القصص في القرآن تختلف بالطول والتقصير والألفاظ، مما يدل على أن الله سبحانه ينقلها بالمعنى، ومع ذلك ينسبها إليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وقال عن موسى: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ وقال عن فرعون: ﴿قَالَ لِلْمَلَآئِكَةِ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ اهـ.

[قلت]: فإن قال قائل: فما الفرق بين الحديث القدسي والنبوي على هذا حيث أن الجميع من الله معنًا، ومن الرسول لفظًا؟!

الجواب: ما قاله ابن عثيمين في: أن الحديث القدسي ما رواه النبي عن ربه وقد أدخله المحدثون في الأحاديث النبوية لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تليغاً اهـ، وقال غيره ويفرق بين الحديث القدسي وبين الحديث النبوي بأن الحديث القدسي وحى بالمعنى من الله عزوجل أما ألفاظه فهي من عند رسول الله ﷺ على الأرجح من قولي العلماء، أما الأحاديث النبوية فهي قسمان: قسم توقيفي، تلقى الرسول ﷺ مضمونه من الوحي وبينه للناس بكلامه، وقسم اجتهادي وهو الذي استنبطه الرسول ﷺ من فهمه للقرآن لأنه مبين له، وهذا القسم يقره الوحي إن كان صواباً ويسدد ما عسى أن يقع فيه من خطأ.

وبهذا يمكن أن يقال: إن الأحاديث النبوية مردها جميعاً إلى الوحي، وهذا معنى قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ فإن قيل: إذا كان الحديث النبوي ويحاً بالمعنى كالحديث القدسي، فلماذا لا نسميه قدسياً أيضاً؟ ويجاب على ذلك بأننا نقطع في الحديث القدسي بنزول معناه من عند الله تعالى لورود النص الشرعي على نسبه إلى الله بقوله ﷺ قال الله تعالى: ولذا سمي قدسياً، أما الأحاديث النبوية فلم يرد فيها مثل هذا النص فيحتمل في كل واحد فيها أن يكون توقيفاً أو أن يكون مستنبطاً بالاجتهاد، ولذا سمينا الجميع نبوياً وقروفاً عند القدر المقطوع به، ولو كان لدينا ما يميز الوحي التوقيفي منها لسميناه قدسياً كذلك اهـ (١).

(١) محاضرات في علوم القرآن/ محمد سالم - صلاح الصاوي (ص ١٠، ١١).

وَلِلْأَرْبَعَةِ وَالْحَاكِمِ - وَقَالَ: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِهِمَا» - عَنْ «أَبِي هُرَيْرَةَ»: «مَنْ  
أَتَى عَرَأْفًا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (١).

قوله: «بما أنزل على محمد»

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: ذكر أهل السنة أن كل كلمة وصف فيها القرآن بأنه مُنزل أو أنزل من الله، فهي دالة على علو الله - سبحانه وتعالى - بذاته، وعلى أن القرآن كلام الله، لأن النزول يكون من أعلى، والكلام لا يكون إلا من متكلم به.

قوله: «كفر بما أنزل على محمد»:

قال ابن عثيمين: وجه ذلك: أن ما أنزل على محمد قال الله تعالى فيه: ﴿قُلْ لَأَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا من أقوى طرق الحصر، لأن فيه النفي والإثبات

قلت: وقوله: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ الآية فهي دالة على حصر الغيب لله لأن مفاتيحه لا يعلمها إلا هو فمن باب أولى الغيب لا يعلمه إلا هو. اهـ.  
فالذي يصدق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فهو كافر كفرةً أكبر مخرجاً عن الملة، وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب، فكفره كفر دون كفر. اهـ.

[قلت]: وفيه حجة لمن قال: أن من كفر بآية من القرآن أو بعض آية فقد كفر بالقرآن كله.



قوله: وللأربعة والحاكم

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: هكذا بيَّض المصنف اسم الراوي، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً ولفظ أحمد:

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤٢٩/٢) والحاكم في «المستدرک» (٨/١) ومن طريقه البيهقي (١٣٥/٨).

من طريق عوف قال خلاص عن أبي هريرة... فذكره.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرطهما جميعاً من حديث ابن سيرين ولم يخرجاه، وانظر فتح المجيد (٥٣٥) - بتخريجنا.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣٠٢).

(٢) القول المفيد (٦٧/٢، ٦٨).

حدثنا يحيى بن سعيد عن عوف عن خلاص عن أبي هريرة والحسن عن النبي ﷺ فذكره، وهذا إسناد صحيح على شرط البخارى فقد روى عن عوف عن خلاص عن أبي هريرة، حديث أن موسى كان رجلاً حياً . . الحديث. قال العراقي فى أماليه: حديث صحيح، وقال الذهبى: إسناده قوى وعلى هذا فعزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك فإنه لم يروه أحد منهم وأظنه تبع فى ذلك الحافظ فإنه عزاه فى «الفتح» إلى أصحاب السنن والحاكم، فوهم، ولعله أراد الذى قبله.

قلت: وهو كما قال وانظر فتح البارى<sup>(١)</sup> فى موضع هذا الوهم.

قال ابن عثيمين: (٢)

قوله: «وللأربعة والحاكم».

الأربعة هم: أبو داود، والنسائى، والترمذى، وابن ماجه، والحاكم ليس من أهل «السنن»، لكن له كتاب سمي «صحيح الحاكم».

قلت: واسمه الحقيقى: «المستدرک على الصحيحين».

قوله: «صحيح على شرطهما»

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: أى: شرط البخارى ومسلم، لكن قول: «على شرطهما» هذا على ما يعتقد، وإلا، فقد يكون الأمر على خلاف ذلك.

ومعنى قوله «على شرطهما»، أى: أن رجاله رجال «الصحيحين» وأن ما اشترطه البخارى ومسلم موجود فيه.

ونحن لا ننكر أن هناك أحاديث صحيحة لم يذكرها البخارى ومسلم، لأنهما لم يستوعبا الصحيح كله، وهذا أمر واقع، ولكن ينظر فى قول من قال إن هذا الحديث على شرطهما، فقد تكون فيه علة خفية خفيت على هذا القائل، ويكون البخارى ومسلم علماها وتركوا الحديث من أجلها.

قوله: «صحيح»:

يقولون: الحاكم ممن يتساهل بالتصحيح، ولهذا قالوا: (لا عبرة) بتصحيح الحاكم، ولا بثبوت ابن حبان، ولا بوضع ابن الجوزى، ولا بإجماع ابن المنذر.

(١) فتح البارى (١٠/٢٢٧).

(٢) القول المفيد (٢/٦٨-٧٠).

(٣) القول المفيد ٢/٦٩، ٧٠.

وهذا القول فيه مجازفة في الحقيقة، لأن كلمة «لا عبرة»، أى: لا يلتفت إليه، والصواب أنه لا يؤخذ مقبولاً في كل حال، مع أنى تدبرت كلام ابن المنذر رحمه الله، ووجدت أنه دائماً إذا نقل الإجماع يقول: إجماع من نحفظ قوله من أهل العلم، وهو بهذا قد احتفظ لنفسه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولكننا مع ذلك نقول: إذا كان الرجل ذا اطلاع واسع، فقد يكون هذا القول إجماعاً، أما إذا كان هذا الرجل لا يعرف إلا ما حوله، فإن قوله هذا لا يكون إجماعاً ولا يوثق به، ولا نحكم بأنه إجماع.

مثاله: فلو قال رجل لم يدرس إلا المذهب الحنبلى فى مسألة، وقال: هذا إجماع من نحفظ قوله من أهل العلم، فإن قوله هذا لا يعتبر، لأنه لم يحفظ إلا قولاً قليلاً من أقوال أهل العلم.

قوله: «من أتى كاهناً»:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله: «من أتى كاهناً» إلى آخره

قال بعضهم: لا تعارض بين هذا الخبر، وبين قوله ﷺ «من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»<sup>(٢)</sup> إذ الغرض فى هذا الحديث أنه سأله معتقداً صدقه وأنه يعلم الغيب فإنه يكفر، فإن اعتقد أن الجن تلقى إليه ما سمعته من الملائكة، أو إنه بإلهام فصدقه من هذه الجهة لا يكفر، كذا قال، وفيه نظر، وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأى وجه كان، لاعتقاده أنه يعلم الغيب، وسواء كان ذلك من قبل الشياطين أو من قبل الإلهام لا سيما وغالب الكهان فى وقت النبوة إنما كانوا يأخذون عن الشياطين.

وفى حديث رواه الطبرانى عن وائلة مرفوعاً: «مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ حُجِبَتْ عَنْهُ التَّوْبَةُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَإِنَّ صَدَقَهُ بِمَا قَالَ كَفَرَ»<sup>(٣)</sup> قال المنذرى: ضعيف - فهذا - لو ثبت - نص فى المسألة لكن ما تقدم من الأحاديث يشهد له، فإن الحديث الذى فيه الرعيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه والأحاديث التى فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: قوله: «من أتى عرافاً أو كاهناً».

(٢) تقدم تخريجه.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٢.

(٣) ذكره فى «المجمع» (١١٨/٥) وضعفه.

(٤) القول المفيد ٧٠/٢.

## وَأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ مَوْقُوفًا<sup>(١)</sup>.

«أو» يحتمل أن تكون للشك، ويحتمل أن تكون للتنوع، فالحديث الأول بلفظ عراف، والثاني بلفظ كاهن، والثالث جمع بينهما، فتكون «أو» للتنوع.

وجاء المؤلف بهذا الحديث مع أن الأول والثاني مغنيان عنه، لأن كثرة الأدلة مما يُقوى المدلول، أُرِيت لو أن رجلاً أخبرك بخبر فوثقت به، ثم جاء آخر وأخبرك به ازدادت توثقاً وقوة، ولهذا فرق الشارع بين أن يأتي الإنسان بشاهد واحد أو شاهدين.

وظاهر صنيع المؤلف: أن حديث أبي هريرة: «من أتى عراقاً أو كاهناً أنه موقوف، لأنه قال عن أبي هريرة، لكنه لما قال في الذي بعده: «موقوفاً ترجح عندنا أن الحديث الذي قبله مرفوع».

قوله: «فقد كفر بما أنزل على محمد»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قال الطيبي: المراد بالمتزل الكتاب والسنة، أي: من ارتكب الهناة فقد برئ من دين محمد ﷺ وما أنزل عليه انتهى. وهل الكفر في هذا الموضوع كفر دون كفر أو يجب التوقف؟ فلا يقال ينقل عن الملة. ذكروا فيها روايتين عن أحمد وقيل: هذا على التشديد والتأكيد أي قارب الكفر والمراد كفر النعمة، وهذان القولان باطلان. اهـ.

[قلت]: تقدم تفصيل الشيخ ابن عثيمين للكفر في الحديث الذي قبله حيث قال: أن الذي يصدق الكاهن في علم الغيب وهو يعلم أن لا يعلم الغيب إلا الله فهو كافر كفاً أكبر مخرج عن الملة.

وإن كان جاهلاً ولا يعتقد أن القرآن فيه كذب فكفره دون كفر.



قوله: «وَأَبِي يَعْلَى بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ مِثْلَهُ مَوْقُوفًا».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: أبو يعلى اسمه أحمد بن علي بن المثنى الموصلي الإمام

(١) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥٣٨٦).

قال: حدثنا عبد الرحمن بن سلام، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن أبي إسحاق، عن هبيرة بن بريم عن عبد الله بن مسعود... فذكره.

والطبراني في «الكبير» (١٠٠/٩٣/١٠٠) ح (١٠٠٠٥).

وقال: حدثنا العباس بن الفضل الأسفاطي ثنا عيسى بن إبراهيم البركي ثنا عبد العزيز بن مسلم عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله... فذكره.

وانظر فتح القدير (ح ٨٢٦) بتخريننا «وفتح المجيد» (٥٣٧- بتخريننا).

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٠٣. (٣) تيسير العزيز الحميد ٣٠٣.

وَعَنْ عَمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ مَرْفُوعًا : «لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَطَيَّرَ أَوْ تَطَيَّرَ لَهُ، أَوْ تَكْهَنَ أَوْ تَكْهَنَ لَهُ، أَوْ سَحَرَ أَوْ سُحِرَ لَهُ، وَمَنْ أَتَى كَاهِنًا، فَصَدَقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ» (١) رَوَاهُ الْبَزَارُ بِإِسْنَادٍ جَيِّدٍ.

وَرَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، دُونَ قَوْلِهِ : «وَمَنْ أَتَى...» إِلَى آخِرِهِ (٢).

صاحب التصانيف كـ «المسند» وغيره روى عن يحيى بن معين وأبى خيثمة وأبى بكر بن أبى شيبة وخلق وكان من الأئمة الحفاظ مات سنة سبع وثلاثمائة.

وهذا الأثر رواه البزار أيضاً وإسناده على شرط مسلم ولفظه : «من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» (٣) وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لهما لأنهما يدعيان علم الغيب وذلك كفر، والمصدق لهما يعتقد ذلك ويرضى به وذلك كفر أيضاً.



قوله: وعن عمران ابن حصين مرفوعاً: «ليس منا من تطير أو تطير له.... الحديث».

● مناسبة الحديث للباب:

قال القرعاوى (٤):

حيث دل الحديث بطريق اللزوم على كفر الكاهن.

● مناسبة الحديث للتوحيد:

حيث دل الحديث بطريق اللزوم على أن الكاهن كافر لأنه يعتمد الشرك في كهانته.

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (١١٧/٥) وقال : رواه البزار ورجاله رجال الصحيح خلا إسحاق ابن الربيع وهو ثقة.

وانظر فتح القدير (ح ٨٢٧) بتخريجنا . وفتح المجيد بتخريجنا (ح ٥٣٩)

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» (٣٠١/٤، ٣٠٢/٣ ح ٤٢٦٢).

وذكره الهيثمى فى «المجمع» (١١٧/٥) وقال : رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وفيه زمعة بن صالح

وهو ضعيف . وأنظر «فتح المجيد» (ح ٥٤٠) بتخريجنا

(٣) أخرجه الطبرانى (١٠٠٥) وانظر المجمع (١١٨/٥).

(٤) الجديد ٢٤٣.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: هذا الحديث رواه الطبراني كما قال «المصنف» في «الأوسط» قال المنذرى: إسناده الطبراني حسن وإسناده البزار جيد.

قلت: ولعل المصنف أقر التحسين والتجويد من المنذرى أو ابن حجر .

قوله: «ليس منا»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: أى ليس يفعل ذلك من هو من أشياعنا العاملين باتباعنا المقتفين لشرعنا.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: تقدم الكلام على هذه الكلمة، وأنها لا تدل على خروج الفاعل من الإسلام، بل على حسب الحال.

قوله: «من تطير»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: قوله: «من تطير» أى فعل الطيرة «أو تطير له» أى: أمر من يتطير له كذلك معنى تكهن أو تُكهن له أو سُحر له.

قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: التطير: هو التشاؤم بالمرئى أو المسموع أو المعلوم أو غير ذلك، وأصله من الطير، لأن العرب كانوا يتشاءمون أو يتفاءلون بها، وقد سبق ذلك.

[قلت]: أى فى الباب السابق وغيره مثل باب «من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب». اهـ.

قال ابن عثيمين: ومنه ما يحصل لبعض الناس إذا شرع فى عمل، ثم حصل له فى أوله تعثر تركه وتشاءم، فهذا غير جائز، بل يعتمد على الله ويتوكل عليه، وما دمت أنك تعلم أن فى هذا الأمر خيراً، فغامر فيه، ولا تشاءم، لأنك لم توفق فيه لأول مرة، فكم من إنسان لم يوفق فى العمل أول مرة، ثم وفق فى ثانى مرة أو ثالث مرة؟!

ويقال: إن الكسائى - إمام النحو - طلب النحو عدة مرات، ولكنه لم يوفق، فرأى نملة تحمل نواة تمر، فتصعد بها إلى الجدار، فتسقط، حتى كررت ذلك عدة مرات، ثم صعدت بها إلى الجدار وتجاوزته، فقال: سبحان الله! هذه النملة تكابد هذه النواة حتى نجحت، إذن أنا سأكابد علم النحو حتى أنجح، فكابد، فصار إمام أهل الكوفة فى النحو.

(٢،١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٤.

(٣) القول المفيد ٧١/٢. (٤) تيسير العزيز الحميد ٣٠٤.

(٥) القول المفيد ٧١/٢، ٧٢.



قوله: «أو تطير له».

بالبناء للمفعول، أى: أمر من يتطير له، مثل أن يأتى شخص، ويقول: سأسافر إلى المكان الفلانى، وأنت صاحب طير، وأريد أن تزجر طيرك لأنظر: هل هذه الوجهة مباركة أم لا، فمن فعل ذلك، فقد تبرأ منه الرسول ﷺ.

وقوله: «من تطير» يشمل من تطير لنفسه، أو تطير لغيره.

وقوله: «أو تكهن أو تكهن له».

سبق أن الكهانة ادعاء علم الغيب فى المستقبل يقول: سيكون كذا وكذا، وربما يقع، فهذا متكهن، ومن الغريب أنه شاع الآن فى أسلوب الناس قولهم، تكهن بأن فلاناً سيأتى، ويطلقون هذا اللفظ الدال على عمل محرم على أمر مباح، وهذا لا ينبغى، لأن العامى الذى لا يفرق بين الأمور يظن أن الكهانة كلها مباحة بدليل إطلاق هذا اللفظ على شىء مباح معلوم إباحته.

قلت: وبدل عليه قوله تعالى ﴿لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا﴾

قوله: «أو تكهن له»

أى طلب من الكاهن أن يتكهن له، كأن يقول للكاهن: ماذا سيصينى غداً، أو فى الشهر الفلانى، أو فى السنة الفلانية، وهذا تبرأ منه الرسول ﷺ.

قوله: «أو سحر أو سحر له».

تقدم تعريف السحر، وتقدم بيان أقسامه.

قوله: «أو سحر له»

أى: طلب من الساحر أن يسحر له، ومنه النشرة عن طريق السحر، فهى داخله فيه، وكانوا يستعملونها على وجوه متنوعة، منها أنهم يأتون بطست فيه ماء، ويصبون فيه رصاصاً، فيتكون هذا الرصاص، ويسمونها العامة عندنا «صب الرصاص» وهذا من أنواع السحر المحرم، وقد تبرأ رسول الله ﷺ من فاعله.

الشاهد من هذا الحديث: قوله «ومن أتى كاهناً... إلخ»، وقوله: «ورواه الطبرانى فى الأوسط» بإسناد جيد من حديث ابن عباس... إلخ، فيكون هذا مقويًا للأول.

قوله «رواه البزار».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: اسمه أحمد بن عمرو بن عبد الخالق أبو بكر البزار

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٤.

## قَالَ الْبَغَوِيُّ: «الْعُرَافُ: الَّذِي يَدْعِي مَعْرِفَةَ الْأُمُورِ بِمُقَدِّمَاتٍ يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى الْمَسْرُوقِ وَمَكَانِ الضَّالَّةِ وَنَحْوِ ذَلِكَ».

البصري صاحب «المسند الكبير» الذي عزا إليه المصنف، روى عن ابن بشار وابن المثني وخلق، قال الدارقطني: ثقة يخطئ ويتكل على حفظه مات سنة اثنين وتسعين ومائتين.



قوله: [قال البغوي: «العراف: الذي يدعى معرفة الأمور بمقدمات.... الخ»].

البغوي: بفتحتين اسمه الحسين بن مسعود بن الفراء المعروف بمجيب السنة الشافعي صاحب التصانيف، وعالم أهل خراسان وكان ثقة فقيهاً زاهداً مات في شوال سنة ست عشرة وخمسمائة.

قوله: العراف الذي يدعى معرفة الأمور إلى آخره: هذا تفسير حسن وظاهره يقتضي أن العراف هو الذي يخبر عن الواقع كالمسروق والضالة، وأحسن منه كلام شيخ الإسلام: أن العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم، كالحازر الذي يدعى علم الغيب أو يدعى الكشف، وقال أيضاً: والمنجم يدخل في اسم العراف وعند بعضهم هو في معناه وقال أيضاً: والمنجم يدخل في اسم الكاهن عند الخطابي وغيره من العلماء وحكى ذلك عن العرب وعند آخرين من جنس الكاهن وأسوء حالاً منه، فيلحق به من جهة المعنى.

وقال الإمام أحمد: العراف(\*) طرف من السحر والساحر أخبث.

وقال أبو السعادات: العراف المنجم والحازر الذي يدعى علم الغيب وقد استأثر الله تعالى به، وقال ابن القيم: من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائناً وعرافاً، والمقصود من هذا معرفة أن من يدعى علم شيء من المغيبات فهو إما داخل في اسم الكاهن، وإما مشارك له في المعنى فيلحق به، وذلك أن إصابة المخبر ببعض الأمور الغائبة في بعض الأحيان يكون بالكشف ومنه ما هو من الشياطين ويكون بالفأل والزجر والطير والضرب بالخصى والخط في الأرض والتنجيم والكهانة والسحر ونحو هذا من علوم الجاهلية، ونعني بالجاهلية: كل من ليس من اتباع الرسل كالفلاسفة والكهان والمنجمين وجاهلية العرب الذين كانوا قبل مبعث النبي ﷺ، فإن هذه علوم قوم ليس لهم علم بما جاءت به الرسل عليهم السلام وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهناً وعرافاً أو في معناها فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد، وقد ورث هذه

(\*) في فتح المجيد العرافة ٣٩١.

وَقِيلَ: هُوَ الْكَاهِنُ، وَالْكَاهِنُ: هُوَ الَّذِي يُخْبِرُ عَنِ الْمَغِيَّاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.  
وَقِيلَ: الَّذِي يُخْبِرُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ.

العلوم عنهم أقوام فادعوا بها علم الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وادعوا أنهم أولياء وأن ذلك كرامة، ولا ريب أن من ادعى الولاية، واستدل عليها بإخباره ببعض المغيبات، فهو من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن، إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده المؤمن المتقى، إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولى فيها ولا قدرة له عليها بخلاف من يدعى أنه ولى الله ويقول للناس اعلموا إنى أعلم المغيبات فإن مثل هذه الأمور قد تحصل بما ذكرنا من الأسباب وإن كانت أسباباً محرمة كاذبة فى الغالب.

ولهذا قال ﷺ فى وصف الكهان: «فيكذبون [منها] مائة كذبة [من عند أنفسهم]» (١) فيبين أنهم يصدقون مرة ويكذبون مائة، وهكذا حال من سلك سبيل الكهان ممن يدعى الولاية والعلم بما فى ضمائر الناس مع أن نفس دعواه دليل على كذبه لأن فى دعواه الولاية تزكية النفس المنهى عنها بقوله: «فلا تزكوا أنفسكم» وليس هذا من شأن الأولياء بل شأنهم الإزدراء على نفوسهم وعييهم لها وخوفهم من ربهم فكيف يأتون الناس يقولون: اعرفوا أنا أولياء وأنا نعلم الغيب، وفى ضمن ذلك طلب المنزلة فى قلوب الخلق، واقتناص الدنيا بهذه الأمور وحسبك بحال الصحابة والتابعين وهم سادات الأولياء أفكان عندهم من هذه الدعاوى والشطحات شىء؟ لا والله بل كان أحدهم لا يملك نفسه من البكاء إذا قرأ القرآن كالصديق، وكان عمر يسمع نشيجه من وراء الصفوف يبكى فى صلاته، وكان يمر بالآية فى ورده بالليل فيمرض منها ليلى يعودونه الناس، وكان تميم الدارى يتقلب فى فراشه لا يستطيع النوم إلا قليلاً خوفاً من النار، ثم يقوم إلى صلاته ويكفيك فى صفات الأولياء ما ذكر الله من صفاتهم فى سورة (الرعد) (والمؤمنون)، و(الفرقان)، و(الذاريات)، و(الطور) فالتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعوى، والكذب، ومنازعة رب العالمين فيما اختص من الكبرياء والعظمة، وعلم الغيب بل مجرد دعواه علم الغيب كفر، فكيف يكون المدعى لذلك ولياً لله؟ ولقد عظم الضرر واشتد الخطب بهؤلاء المفتريين الذين ورثوا هذه العلوم عن المشركين ولبسوا بها على خفافيش البصائر، نسأل الله السلامة والعافية فى الدنيا والاخرة. اهـ.

(١) تقدم تخريجه.

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: الْعَرَّافُ اسْمٌ لِلْكَاهِنِ، وَالْمَنْجَمُ وَالرَّمَّالُ،  
وَنَحْوِهِمْ، مِمَّنْ يَتَكَلَّمُ فِي مَعْرِفَةِ الْأُمُورِ بِهَذِهِ الطَّرِيقِ .

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: العراف: صيغة مبالغة فإما أن يراد بها الصيغة، وإما أن يراد بها النسبة، وهو الذى يدعى معرفة الأشياء، وليس كل من يدعى معرفة يكون عرافاً، لكن من يدعى معرفة تتعلق بعلم الغيب، فيدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على مكان المسروق والضالة ونحوها.

وظاهر كلام البغوى رحمه الله: أنه شامل لمن ادعى معرفة المستقبل والماضى، لأن مكان المسروق ماضٍ قد سُرق، وكذلك الضالة قد حصل الضياع، ولكن المسألة ليست اتفاقية بين أهل العلم، ولهذا قال المؤلف رحمه الله: «وقيل: هو» أى: العراف الكاهن.

والكاهن: هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .

قوله: «وقيل: هو الذى يخبر عما فى الضمير»

أى: أن تضمّر شيئاً فتقول: ما أضمرت؟ فيقول: أضمرت كذا وكذا .

أو المغيبات فى المستقبل، تقول: ماذا سيحدث فى الشهر الفلانى فى اليوم الفلانى؟ ماذا ستلد امرأتى؟ متى يقدم ولدى؟ وهو لا يدرى.

والخلاصة: أن العلماء اختلفوا فى تعريف العراف، فقيل:

هو الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على مكان المسروق والضالة ونحوها، فيكون شاملاً لمن يخبر عن أمور وقعت.

وقيل: الذى يخبر عما فى الضمير .

وقيل: هو الكاهن، والكاهن: هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل اهـ.

قوله: «وقال أبو العباس: ابن تيمية»:

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: هو أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية، يكنى بأبى العباس، ولم يتزوج، ولم يتركه من باب الرهبانية، ولكن والله أعلم كان مشغولاً بالجهاد العلمى مع قلة الشهوة، وإلا لو كان قوى الشهوة لتزوج، وليس كما يدعى المزورون أن له ولداً مدفوناً إلى جانبه فى دمشق، فإنه غير صحيح قطعاً.

قوله: [العراف: اسم للكاهن والمنجم ... إلخ].

(٢) القول المفيد ٢/ ٧٥.

(١) القول المفيد (٢/ ٧٤، ٧٥).

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: وظاهر كلام الشيخ: أن شيخ الإسلام جزم بهذه، ولكن شيخ الإسلام قال: وقيل العراف، وذكره بقيل، ومعلوم أن ما ذكره بقيل ليس مما يجزم بأن الناقل يقول به، صحيح أنه إذا نقله ولم ينقضه، فهذا دليل على أنه ارتضاه.

وعلى كل حال، فشيخ الإسلام ساق هذا القول وارتضاه، ثم قال: ولو قيل: إنه اسم خاص لبعض هؤلاء الرمال والمنجم ونحوهم، فإنهم يدخلون فيه بالعموم المعنوي، لأن عندنا عمومًا معنويًا، وهو ما ثبت عن طريق القياس، وعمومًا لفظيًا، وهو ما دل عليه اللفظ، بحيث يكون اللفظ شاملًا له.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن استخدام الإنس للجن له ثلاث حالات:

الحال الأولى: أن يستخدم في طاعة الله، كأن يكون له نائبًا في تبليغ الشرع، فمثلًا: إذا كان له صاحب من الجن مؤمن يأخذ عنه العلم، ويتلقى منه، وهذا شيء ثبت أن الجن قد يتعلمون من الإنس، فيستخدمه في تبليغ الشرع لنظرته من الجن، أو في المعونة على أمور مطلوبة شرعًا، فهذا لا بأس به، بل إنه قد يكون أمرًا محمودًا أو مطلوبًا، وهو من الدعوة إلى الله - عز وجل - والجن حضروا النبي ﷺ وقرأ عليهم القرآن، وولوا إلى قومهم منذرين، والجن فيهم الصلحاء والعباد والزهاد والعلماء، لأن المنذر لا بد أن يكون عالمًا بما ينذر، عابدًا مطيعًا لله - سبحانه - في الإنذار.

الحال الثانية: أن يستخدمهم في أمور مباحة، مثل أن يطلب منهم العون على أمر من الأمور المباحة، قال: فهذا جائز بشرط أن تكون الوسيلة مباحة، فإن كانت محرمة، صار حرامًا، كما لو كان الجنى لا يساعده في أموره إلا إذا ذبح له أو سجد له أو أشبه ذلك.

ثم ذكر ما ورد أن عمر تأخر ذات مرة في سفره، فاشتغل فكر أبي موسى، فقالوا له: إن امرأة من أهل المدينة لها صاحب من الجن، فلو أمرتها أن ترسل صاحبها للبحث عن عمر، ففعل، فذهب الجنى، ثم رجع، فقال: إن أمير المؤمنين ليس به بأس، وهو يسم إبل الصدقة في المكان الفلاني<sup>(٢)</sup>، فهذا استخدام في أمر مباح.

(١) القول المفيد (٢/٧٦، ٧٧).

(٢) [مرسل] الأثر ذكره «شيخ الإسلام» كما في مجموع الفتاوى (١٩/٦٣).

قال: وقد روى عن أبي موسى الأشعري أنه أبطأ عليه خبر عمر وكان هناك امرأة لها قرين من الجن فسأله عنه فأخبره أنه ترك عمر يسم إبل الصدقة اهـ.

وصدره - رحمه الله - بصيغة «روى» وهي مشهورة عند أهل التحقيق أنها من صيغ التمريض.

وهذا الأثر أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٦٥).

قلت: وقد تقدم فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ أنه لا يجوز الاستعاذة فى الأمور المباحة وأن الأثر الذى أورده الشيخ ضعيف .

الحال الثالثة: أن يستخدمهم فى أمور محرمة، كتهب أموال الناس وترويعهم، وما أشبه ذلك، فهذا محرم، ثم إن كانت الوسيلة شركاً صار شركاً، وإن كانت وسيلته غير شرك صار معصية، كما لو كان هذا الجنى الفاسق يألف هذا الإنسانى الفاسق ويتعاون معه على الإثم والعدوان، فهذا يكون إثماً وعدواناً، ولا يصل إلى حد الشرك .

ثم قال: إن من يسأل الجن، أو يسأل من يسأل الجن، ويصدقهم فى كل ما يقولون، فهذا معصية وكفر، والطريق للحفاظ من الجن هو قراءة آية الكرسي، فمن قرأها فى ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح، كما ثبت ذلك عنه ﷺ<sup>(١)</sup>، وهى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ...﴾ الآية . اهـ .

مسألة:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: فإن قلت: كيف يكون علم الخط من الكهانة؟

وقد روى أحمد ومسلم عن معاوية بن الحكم أنه قال لرسول الله ﷺ ومنا رجال يخطون، فقال: «كان نبي من الأنبياء يخط فمن وافق خطه فذاك»<sup>(٣)</sup>.

قال: حدثنى عبد الله بن أبى بدر، حدثنى يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن عمر بن محمد، عن سالم بن عبد الله قال: أبطأ خبر عمر على أبى موسى . . فذكره بنحوه .

[قلت]: فى إسناده يحيى بن يمان العجلي صدوق عابد إلا أن فى روايته عن سفيان الثورى مقال، قال الساجى: ضعفه أحمد بن حنبل، وقال: حدثنا عن الثورى بعجائب لا أدرى لم يزل هكذا أو تغير حين لقيناه أو لم يزل الخطأ فى كتبه وروى من التفسير عن الثورى عجائب، قال إبراهيم بن الجنيد عن يحيى بن معين: ليس مثبت، لم يكن يبالى أى شىء حدث، كان يتوهم الحديث، قال: وقال وكيع: هذه الأحاديث التى يحدث بها يحيى بن يمان ليست من أحاديث الثورى - تهذيب الكمال (٥٧/٣٢) - وسأل عثمان بن سعيد ابن معين عن حديثه فى الثورى فقال: ليس بالقوى: «شرح علل الترمذى» (ص: ٣٠٠).

وفيه علة أخرى وهى الانقطاع بين سالم وعمر - رضى الله عنه - قال العلائسى: (٢١٩): ذكر أبو زرعة أن حديثه عن أبى بكر الصديق، وعن جده عمر بن الخطاب - رضى الله عنهما - مرسل، قال العلائسى: وهذا لا ريب فيه اهـ .

وانظر «الطب النبوى» (٥٦٩) - بتحقيقنا).

(١) علقه البخارى وتقدم . (٢) تيسير العزيز الحميد (٣٠٦، ٣٠٧)

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم فى المساجد (٣/٢٣/٣٣) وتقدم .

قلت سليمان: قال النووي: معناه أن من وافق خطه فهو مباح له لكن لا طريق لنا إلى العلم باليقين بالموافقة، فلا يباح والقصد أنه لا يباح إلا بيقين الموافقة وليس لنا بيقين، وقال غيره: المراد به النهى عنه والزجر عن تعاطيه. لأن خط ذلك النبي كان معجزة وعلماً لنبوته، وقد انقطعت نبوته ولم يقل فذلك الخط حرام دفعاً لتوهم أن خط ذلك النبي حرام.

قلت - سليمان آل الشيخ -: ويحتمل أن المعنى أن سبب إصابة صاحب الخط هو موافقته لخط ذلك النبي، فمن وافق خطه أصاب، وإذا كان كذلك وكانت الإصابة نادرة بالنسبة إلى الخط، ولا طريق إلى اليقين بالموافقة صار ذلك بالنسبة إلى من يتعاطاه من أنواع الكهانة لمشاركته لها في المعنى إذا علمت ذلك فاعلم أن مذهب الإمام أحمد أن حكم الكاهن والعراف الاستتابة، فإن تابا وإلا قتلا، ذكره غير واحد من الأصحاب.

فأما المعزم الذى يعزم على المصروع، ويزعم أنه يجمع الجن وأنها تطيعه، والذى يحل السحر، فقال فى «الكافى» ذكرهما أصحابنا فى السحرة الذين ذكرنا حكمهم، وقد توقف أحمد لما سئل عن الرجل يحل السحر، فقال قد رخص فيه بعض الناس، قيل: إنه يجعل فى الطنجير ماء ويغيب فيه، فنفض يده، وقال: ما أدرى ما هذا؟! قيل له: فترى أن يؤتى مثل هذا يحل؟ قال: ما أدرى ما هذا؟ قال: وهذا يدل على أنه لا يكفر صاحبه، ولا يقتل.

قلت سليمان: إن كان ذلك لا يحصل إلا بالشرك والتقرب إلى الجن فإنه يكفر ويقتل. ونص أحمد: لا يدل على أنه لا يكفر، فإنه قد يقول مثل هذا فى الحرام البين. اهـ.

[قلت]: وتقدم جواب ابن عثيمين عن حديث معاوية فى النبى الذى كان يخط فى الباب الماضى وسيأتى التفصيل والراجع فى حل السحر عن المسحور فى الباب القادم (ما جاء فى النشرة).



وقَالَ: ابنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْمٍ يَكْتُبُونَ (أَبَا جَادٍ) وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ: «مَا أَرَى مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ» (١).

قوله: [وقال: ابن عباس في قوم يكتبون «أبا جاد»... إلخ].

قال سليمان آل الشيخ (٢): هذا الأثر ذكره المصنف عن ابن عباس، ولم يعزه .

وقد رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً، وإسناده ضعيف، ولفظه «رَبِّ مُعَلِّمٍ حُرُوفِ أَبِي جَادٍ دَارِسٍ فِي النُّجُومِ لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَلْقٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ورواه أيضاً حميد بن زنجويه عنه بلفظ «رَبِّ نَاطِرٍ فِي النُّجُومِ وَمُتَعَلِّمٍ حُرُوفِ أَبِي جَادٍ لَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَلْقٌ» (٣).

[قلت]: وفي تضعيف الشيخ سليمان الأثر نظر فقد أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» عن معمر، عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس قال: «إِنْ قَوْمًا يَحْسِبُونَ أَبَا جَادٍ، وَيَنْظُرُونَ فِي النُّجُومِ وَلَا أَرَى لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْ خَلْقٍ» وإسناده صحيح على شرط الشيخين والله أعلم.

قوله: «يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم».

قال ابن عثيمين (٤): الواو هنا ليست عطفاً، ولكنها للحال، يعني: والحال أنهم ينظرون، فيربطون ما يكتبون بسير النجوم وحركتها.

قوله: «ما أرى من فعل ذلك».

قال سليمان آل الشيخ (٥): قوله ما أرى . يجوز فتح الهمزة من أرى بمعنى لا أعلم له عند الله من خلق : أى من نصيب، ويجوز ضمها بمعنى لا أظن ذلك لاشتغاله بما فيه من اقتحام الخطر والجهالة.

ويجوز فتح الهمزة بمعنى: أعلم، وبالضم بمعنى: ما أظن.

(١) أخرجه عبد الرزاق (١١/٢٦/٥٠١٩٨) والبيهقي (٨/١٣٩) من طريق معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن ابن عباس. وإسناده صحيح.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» من طريق خالد بن زيد العمرى، ثنا محمد بن مسلم، ثنا إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس مرفوعاً به قال الهيثمي في «المجمع» (٥/١١٧): وفيه خالد بن يزيد العمرى وهو كذاب. وأنظر «فتح المجيد» (ح ٥٤٣) بتخريجنا

(٢) تيسير العزيز الحميد (٧/٣٠٧).

(٣) تقدم قبله.

(٥) تيسير العزيز الحميد ٣٠٧.

(٤) القول المنيد (٢/٧٨، ٧٩).



وقوله: «أباجاد»

قال سليمان آل الشيخ: وادعاء علم الغيب الذى استأثر الله به، وكتابة: أبى جاد وتعلمها لمن يدعى بها معرفة علم الغيب هو الذى يسمى علم الحرف، ولبعض المبتدعة فيه مصنف، فأما تعليمها للتهجى وحساب الجمل فلا بأس بذلك.

قال ابن عثيمين: هي: أبجد هوز حطى كلمن سغفص قرشت تخذ ضظغ... وتعلم أباجاد ينقسم إلى قسمين:

الأول: تعلم مباح بأن نتعلمها لحساب الجمل، وما أشبه ذلك، فهذا لا بأس به، وما زال أناس يستعملونها، حتى العلماء يؤرخون بها، قال شيخنا عبد الرحمن بن سعدى رحمه الله فى تاريخ بناء المسجد الجامع القديم:

جد بالرضا واعط المنى  
من ساعدوا فى ذا البنى  
تاريخه حين انتهى  
قول النبي اغفر لنا  
والشهر فى شوال يا  
رب تقبل سعيينا

فقوله: «اغفر لنا» لو عدناها حسب الجمل صارت ١٣٦٢هـ.

وقد اعتنى بها العلماء فى العصور الوسطى، حتى فى القوائد الفقهية والنحوية وغيرها.

ويؤرخون بها مواليد العلماء ووفياتهم، ولم يرد ابن عباس هذا القسم. اهـ.

[قلت]: قال السخاوى فى شرح منظومة ابن الجزرى (الغاية)<sup>(١)</sup>:

[الجمل] وسردها، وهى تسع كلمات كل كلمة منها ثلاثة أحرف من حروف المعجم الأولى فأربعة وترتيبها الراسخ الثابت عند أهل الحساب، أن الحرف الأول من كل هذه الكلمات التسع آحاد، والثانى منها أعشار، والثالث مئات والغين وهو الحرف الرابع من الكلمة الأولى والموحدة بثنتين، والجيم بثلاثة، وهكذا والياء التحتانية بعشرة والكاف بعشرين واللام بثلاثين، وهكذا، والقاف بمائة، والراء بمائتين والشين المعجمة بثمائة، وهكذا.

ذكر ابن الجزرى مثال ذلك:

سنة (يا) النبي والصديق (جى) عمر (كج) عثمان (هل) على (لى)

(١) انظر الهداية شرح الغاية فى علم الرواية (ص ١٣٥، ١٣٦) بتحقيقنا وتخريجنا.

قال السخاوي: أشار إلى تعيين وفاته ﷺ والخلفاء الأربعة رضى الله عنهم فبالياء التحتانية والألف إلى أن وفاته ﷺ سنة إحدى عشرة من الهجرة فى ربيع الأول وبالجميم والتحتانية أيضاً إلى أن وفاة صاحبه وخليفته أبى بكر الصديق كانت فى سنة ثلاث عشرة.

بالكاف والجميم أيضاً إلى أن وفاة عمر بن الخطاب كانت فى سنة ثلاث وعشرين وذلك فى آخر يوم من ذى الحجة شهيداً.

وبالهاء واللام إلى أن وفاة عثمان بن عفان كانت فى سنة خمس وثلاثين وذلك فى ذى الحجة أيضاً شهيداً وباللام والتحتانية إلى أن وفاة على بن أبى طالب كانت فى سنة أربعين، وذلك فى رمضان شهيداً .

واستعمل فيه تلفيق الأربعين من الحرفين مع الاستغناء عنهما بالميم للضرورة كما أشرت إليه أولاً.

ثم قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>:

الثانى: محرم، وهو كتابة «أباجاد» كتابة مربوطة بسير النجوم وحركتها وطلوعها وغروبها، وينظرون فى النجوم ليستدلوا بالموافقة أو المخالفة على ما سيحدث فى الأرض، إما على سبيل العموم، كالجذب والمرض والحرب وما أشبه ذلك، أو على سبيل الخصوص، كأنه يقول لشخصك سيحدث لك مرض أو فقر أو سعادة أو نحس فى هذا وما أشبه ذلك، فهم يربطون هذه بهذه، وليس هناك علاقة بين حركات النجوم واختلاف الوقائع فى الأرض. اهـ.

وقوله: «ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق».

قوله: «خلاق»:

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: أى نصيب .

ظاهر كلام ابن عباس أنه يرى كفرهم، لأن الذى ليس له نصيب عند الله هو الكافر، إذ لا ينفى النصيب مطلقاً عن أحد من المؤمنين، وإن كان له ذنوب عُدِّ بقدر ذنوبه، أو تجاوز الله عنها، ثم صار آخر أمره إلى نصيبه، الذى يجده عند الله .

[قلت]: وتقدم معنى الخلاق فى باب «ما جاء فى السحر» فى تفسير قوله تعالى :

﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق﴾ .

(٢) القول المفيد ٢ / ٨٠ .

(١) القول المفيد (٢/ ٧٨، ٧٩) .

قوله : «وينظرون فى النجوم»:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله: وينظرون فى النجوم هذا محمول على علم التأثير لا التسيير، كما سيجىء فى باب التنجيم، وفيه عدم الاغترار بما يؤتاه أهل الباطل من معارفهم وعلومهم، كما قال تعالى: ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: ولم يبين المؤلف رحمه الله حكم الكاهن والمنجم والرمال من حيث العقوبة فى الدنيا، وذلك أننا إن حكمنا بكفرهم، فحكمهم فى الدنيا أنهم يستابون، فإن تابوا، وإلا، قتلوا كفاراً.

وإن حكمنا بعدم كفرهم، إما لكون السحر لا يصل إلى الكفر، أو قلنا: إنهم لا يكفرون، لأن المسألة فيها خلاف، فإنه يجب قتلهم لدفع مفسدتهم ومضرتهم، حتى وإن قلنا بعدم كفرهم، لأن أسباب القتل ليست مختصة بالكفر فقط، بل للقتل أسباب متعددة ومتنوعة، قال تعالى: ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ فكل من فسد على الناس أمور دينهم أو دنياهم، فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قتل، ولا سيما إذا كانت هذه الأمور تصل إلى الإخراج من الإسلام.

والنظر فى النجوم ينقسم إلى أقسام:

الأول: أن يستدل بحركاتها وسيرها على الحوادث الأرضية، سواء كانت عامة أو خاصة، فهو شرك إن اعتقد أن هذه النجوم هى المدبرة للأمور، أو أن لها شركاً، فهو كفر مخرج عن الملة، وإن اعتقد أنها سبب فقط، فكفره غير مخرج عن الملة، ولكن يسمى كफراً، لقول النبى ﷺ على إثر سماء كانت من الليل: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم». قال: قال: أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، أما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب»<sup>(\*)</sup>.

وقد سبق لنا أن هذا الكفر ينقسم إلى قسمين بحسب اعتقاد قائله.

الثانى: أن يتعلم علم النجوم ليستدل بحركاتها وسيرها على الفصول وأوقات البذر والحصاد والغرس وما أشبهه، فهذا من الأمور المباحة، لأنه يستعان بذلك على أمور دنيوية.

القسم الثالث: أن يتعلمها لمعرفة أوقات الصلوات وجهات القبلة، وما أشبه ذلك من الأمور المشروعة، فالتعلم هنا مشروع، وقد يكون فرض كفاية أو فرض عين.

(\*) سيأتى تخريجه.

(٢) القول المفيد ٢/ ٨٠، ٨١.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٨.

## فِيهِ مَسَائِلٌ

الأولى: أَنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ تَصَدِيقُ الْكَاهِنِ مَعَ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ.  
الثانية: التَّصْرِيحُ بِأَنَّهُ كُفْرٌ.

### فصل

ما جاء في أجر الكاهن، والرمال، والعراف، والمنجم، والضارب بالحصى.

أخرج البخارى<sup>(١)</sup>: عن أبى مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ نهى عن ثمن الكلب ومهر البغي، وحلوان الكاهن.

قال الحافظ<sup>(٢)</sup>: «حلوان الكاهن هو حرام بالإجماع، لما فيه من أخذ العوض على أمر باطن، وفى معناه التنجيم والضرب بالحصى وغير ذلك مما يتعاناها العرافون من استطلاع الغيب.

والحلوان: مصدر حلوته إذا أعطيته، وأصله من الخلاوة، شبه بالشئء الحلو من حيث أنه يأخذه سهلاً بلا كلفة ولا مشقة، يقال: حلوته إذا أطعمته الحلو، والحلوان أيضاً الرشوة، والحلوان أيضاً أخذ الرجل مهر ابنته لنفسه. اهـ.

[قلت]: إنما أردت فى هذا الفصل الإمعان فى حرمة الكهانة والعرافة والتنجيم، وغيرها وليبيان حرمة الأجر أيضاً الذى يتعاطاه هؤلاء، وحرمة هذا الحلوان على الآخذ والمعطى.

فعلى هذا: فالذى يذهب للكاهن أو العراف أو الدجال بالثمن قد ارتكب محرمين: (الأول) الإتيان. (الثانى): دفع الحلوان. فإذا ضم إلى ذلك تصديقه فقد كفر، والله نسأل صلاح أحوال المسلمين ودفع الأذى عنهم.

قوله: فيه مسائل:

● الأولى: لا يجتمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:

يؤخذ من قوله: «من أتى كاهناً، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد» ووجهه: أنه كذب بالقرآن، وهذا من أعظم الكفر. اهـ.

[قلت]: لأن القرآن إن كنت مصدقاً به فلا بد وأن تكذب الكاهن، وإن كنت مصدقاً للكاهن فسوف تكون بلك مكذباً للقرآن الذى نص على أنه لا يعلم الغيب إلا الله وحده لا شريك له.

● الثانية: التصريح بأنه كفر: تؤخذ من قوله: «فقد كفر بما أنزل على محمد».

(٣) القول المفيد ٢/ ٨٢: ٨٤.

(٢) فتح البارى (٤/ ٤٩٨).

(١) تقدم تخريجه.

- الثالثة: ذَكَرُ مَنْ تُكْهَنَ لَهُ.
- الرابعة: ذَكَرُ مَنْ تُطَيَّرُ لَهُ.
- الخامسة: ذَكَرُ مَنْ سُحِرَ لَهُ.
- السادسة: ذَكَرُ مَنْ تَعَلَّمَ أَبَا جَادٍ.
- السابعة: ذَكَرُ الْفَرْقِ بَيْنَ الْكَاهِنِ وَالْعَرَّافِ.

● الثالثة: ذكر من تكهن له: تؤخذ من حديث عمران بن حصين، حيث قال: «ليس منا»، أي: إنه كالكاهن في براءة النبي ﷺ منه.

● الرابعة: ذكر من تطير له: تؤخذ من قوله: «أو تطير له».

● الخامسة: ذكر من سحر له: تؤخذ من قوله: «أو سحر له».

وأتى المؤلف بذكر من تكهن له، أو سحر له، أو تطير له، لأنه قد يعارض فيه معارض، فيقول هذا في الكهان، وهذا في المستطيرين، وهذا في السحرة، فقال: إن من طلب أن يفعل له ذلك، فهو مثلهم في العقوبة.

● السادسة: ذكر من تعلم أباجاد. وتعلم ذلك فيه تفصيل لا يحمد ولا يذم، إلا على

● السابعة: ذكر الفرق بين الكاهن والعراف.

وفي هذه المسألة خلاف بين أهل العلم:

القول الأول: أن العراف هو الكاهن، فهما مترادفان، فلا فرق بينهما.

القول الثاني: أن العراف هو الذي يستدل على معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها، فهو

أعم من الكاهن، لأنه يشمل الكاهن وغيره، فهما من باب العام والخاص.

القول الثالث: أن العراف يخبر عن أمور بمقدمات يستدل عليها والكاهن هو الذي

يخبر عما في الضمير، أو عن المغيبات في المستقبل.

فالعراف أعم، أو أن العراف يختص بالماضي، والكاهن بالمستقبل، فهما متباينان،

والظاهر أنها متباينان، فالكاهن من يخبر عن المغيبات في المستقبل والعراف من يدعى

معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك.



## ٢٦ باب ما جاء في النشرة

• مناسبة هذا الباب لما قبله:-

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:- لما ذكر المصنف حكم السحر والكهانة ذكر ما جاء في النشرة، لأنها قد تكون من قبل الشياطين والسحرة، فتكون مضادة للتوحيد، وقد تكون مباحة، كما سيأتى تفصيله.

[قلت]: لما كانت النشرة حل السحر عن المسحور ولايكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر ناسب أن تذكر بعد أبواب الكهانة والسحر ولأن الجميع قد يستعينون في ذلك بالشياطين فيقعون من ذلك في شرك.

وقد تقدم في مناسبة الباب الماضى أن المصنف لما ذكر شيئاً مما يتعلق بالسحر، ذكر ما يتعلق بالكهان وغيرهم كالعراف لمشابه هؤلاء بالسحرة، ولما كانت النشرة ضرب من ضروب السحر ناسب أن تذكر بعد هذه الأبواب، وإن كان الأولى أن توضع قبل الباب الماضى.

ولأن باب ماجاء في النشرة أليق والصق بالسحر من باب ماجاء في الكهان فالمناسب أن يعم ثم يفصل ثم يخص النشرة فيقال باب ماجاء في السحر على الإجمال ثم على التفصيل فى باب بيان شىء من أنواع السحر ثم يخص النشرة لأهميتها وإنتشارها ثم يأتى باب ماجاء فى الكهان لأنه أليق بالبواب الذى سيأتى وهو باب ماجاء فى التطير لأنهما يجتمعان فى أن كل من المتطير والمتكهن يتحاكمان إلى غير الله إلى شىء خفى ينشدون من وراءه أمراً غيبى فى بهذا تنسجم الأبواب وتترتب فى الأذهان.

وأيضاً فإن هذه الأبواب فى الكهانة والسحر والنشرة بينها عموم حيث تجتمع جميعاً فى الاعتماد على أشياء خفية وهى فى الغالب جاهلية. والله أعلم.

• مناسبة الباب لكتاب التوحيد:-

قال عبدالله بن جار الله<sup>(٢)</sup>:- مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد: هى أن بعض أنواع النشرة من حل السحر وهو لا يحصل غالباً إلا بالشرك المنافى للتوحيد.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٨.

(٢) الجامع الفريد ١١١.

- شرح الترحمة والتبويب.

قلت: ترجمة الباب من باب عطف البيان والله أعلم

- تعريف النشرة:

قال ابن عثيمين: لغة: - بضم النون: فَعَلَّةٌ من النشر وهو التفريق<sup>(١)</sup>.

وقال عبدالله بن جار الله<sup>(٢)</sup>: - الكشف والإزالة.

قلت: وكلاهما واحد لأن النشرة إذا قلنا أنها من النشر والتفريق فبالنشرة يفرق عن المسحور والسحر وينتشر عنه.

وإذا قلنا أنه من الكشف والإزالة فبالنشرة يكشف عن المسحور السحر ويزال عن المسحور السحر فكلاهما مؤداه واحد.

وشرعاً:-

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: - قال أبو السعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية، يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء: أى يكشف ويزال.

وقال الحسن: النشرة من السحر، وقد نشرت عنه تنشيراً، ومنه الحديث «فَلَعَلَّ طَبًّا أَصَابَهُ ثُمَّ نُشِرَهُ بِـ» «قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ»: أى رقاه.

وقال غيره: ونشره أيضاً إذا كتب له النشرة، وهى كالتعويد والرقية.

وقال ابن الجوزى: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر.

قال السعدى<sup>(٤)</sup>: - هو حل السحر عن المسحور، ذكر فيه المصنف كلام ابن القيم فى التفصيل بين الجائز منه والممنوع وفيه كفاية.

وذكر نحو ذلك ابن باز وعبدالله بن جار الله وابن عثيمين وزاد ابن باز فقال: يقال نشر عنه إذا حل ما أصابه وزاد ابن عثيمين: لأن هذا الذى يحل السحر عن المسحور: يرفعه، ويزيله، ويفرقه.

(٢) الجامع الفريد ١١١.

(٤) القول السديد ٧٩.

(١) القول المفيد ٢/٨٥.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٠٨.

عَنْ جَابِرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سُئِلَ عَنِ النَّشْرَةِ؟ فَقَالَ: (هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ).  
 رَوَاهُ أَحْمَدُ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ، وَأَبُو دَاوُدَ، قَالَ: «سُئِلَ أَحْمَدُ عَنْهَا؟ فَقَالَ: ابْنُ مَسْعُودٍ  
 يَكْرَهُ هَذَا كُلَّهُ» (١).

حكماها:

قال ابن عثيمين (٢): - أما حكمها؛ فهو يبين مما قاله المؤلف - رحمه الله -، وهو  
 من أحسن البيانات.

ولا ريب أن حل السحر عن المسحور من باب الدواء والمعالجة، وفيه فضل كبير لمن  
 ابتغى به وجه الله، لكن في القسم المباح منها.

لأن السحر له تأثير على بدن المسحور وعقله ونفسه وضيق الصدر، حيث لا يأنس  
 إلا بمن استعطف عليه.

وأحياناً يكون أمراضاً نفسية بالعكس، تنفر هذا المسحور عن تنفره عنه من الناس،  
 وأحياناً يكون أمراضاً عقلية؛ فالسحر له تأثير إما على البدن، أو العقل، أو النفس. أهـ  
 قلت: كأن ابن عثيمين أحال الحكم على كلام ابن القيم الآتي في المتن أنه إذا كانت  
 النشرة حل السحر بالسحر فهي حرام، وإما إذا كانت بغير سحر فمباحة، وسيأتي  
 تفصيل ذلك في موضعه.

قوله: [قال: عن جابر أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال: هي من عمل  
 الشيطان]

قال سليمان الشيخ (٣): - هذا الحديث رواه أحمد، ورواه عنه أبو داود في «سننه»  
 والفضل بن زياد في كتاب «المسائل» عن عبدالرزاق عن عقيل بن معقل بن منبه عن عمه  
 وهب بن منبه عن جابر، فذكره. قال ابن مفلح: إسناده جيد، وحسن الحافظ إسناده،  
 ورواه ابن أبي شيبة، وأبو داود في المراسيل عن الحسن رفعه «النشرة من عمل  
 الشيطان». (٤).

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، وأبو داود في الطب/ باب في النشرة (٤/٥/٣٨٦٨) من طريق  
 عبدالرزاق قال: حدثنا عقيل بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يحدث عن جابر .. فذكره وانظر «فتح  
 القدير (ح ٥٤٧) بتخريجنا.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٠٩.

(٣) القول المفيد ٨٥/٢.

(٤) أخرجه أبو داود في «المراسيل» (٤٥٣) عن الحسن مراسلاً.



قلت: ولعل المصنف تابع الحافظ وابن مفلح على تحسين الحديث .  
- مناسبة الحديث للباب :-

قال القرعاوى<sup>(١)</sup>: حيث دل الحديث على تحريم النشرة. أهـ

[قلت] مناسبة الحديث للباب ظاهرة، حيث أن الباب فى النشرة والحديث فيه السؤال عن حكم النشرة وحقيقتها.

- مناسبة الحديث للتوحيد :-

قال القرعاوى<sup>(٢)</sup>: - حيث دل الحديث على تحريم نشرة الجاهلية التى لا تتم إلا بالشرك. أهـ

[قلت] وهذا كلام جيد، لأن قوله (نشرة جاهلية) معناه أن هناك نشرة إسلامية كما سيأتى.

وعلى هذا فالنشرة الجاهلية من عمل الشيطان، وأما النشرة الإسلامية فلا دخل للشيطان فيها ولا يدخلها شرك.

قوله: «عن جابر أن رسول الله سئل عن النشرة؟»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>:-

قوله: سئل عن النشرة؛ الألف واللام فى النشرة للعهد: أى النشرة المعهودة التى كان أهل الجاهلية يصنعونها، هى من عمل الشيطان، لا النشرة بالرقى والتعوذات الشرعية والأدوية المباحة، فإن ذلك جائز كما قرره ابن القيم فيما سيأتى.

وشرح ذلك ابن عثيمين فقال: (٤):- قوله فى حديث جابر «سئل عن النشرة»

أل للعهد ذهنى؛ أى: المعروفة فى الجاهلية التى كانوا يستعملونها فى الجاهلية، وذلك طريق من طرق حل السحر.

ثم ذكر أنواعها فقال: وهى على نوعين:

الأول: أن تكون باستخدام الشياطين، فإن كان لا يصل إلى حاجته منهم إلا

(١) الجديد ٢٤٦.

(٢) الجديد ٢٤٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٠٩.

(٤) القول المفيد ٨٦/٢ و ٨٧.

بالشرك؛ كانت شركاً، وإن كان يتوصل لذلك بمعصية دون الشرك؛ كان لها حكم تلك المعصية.

الثانى: أن تكون بالسحر؛ كالأدوية والرُقَى والعُقَد والنَّفَث وما أشبه ذلك؛ فهذا له حكم السحر على ما سبق.

[قلت] فعلى هذا فإن استخدام الشياطين إما شرك، وإما معصية - فإذا كانت النشر باستخدام الشياطين، والشياطين لا يخدمون إلا بالشرك - فهو شرك، وإن كانت الشياطين لا يخدمون إلا بمعصية فهي معصية، لها حكم المعصية.

ثم قال: ومن ذلك ما يفعله بعض الناس، أنهم يضعون فوق رأس المسحور طستاً فيه ماء وَيَصْبُونُ عليه رصاصاً ويزعمون أن الساحر يظهر وجهه فى هذا الرصاص؛ فيستدل بذلك على من سحره، وقد سئل الإمام أحمد عن النشرة، فقال إن بعض الناس أجازها، فقيل له: إنهم يجعلون ماء فى طَسْتٍ، وإنه يغوص فيه، وإنه يبدو وجهه، فنفض يده وقال: ما أدرى ما هذا؟ ما أدرى ما هذا؟ فكأنه رحمه الله توقف فى الأمر وكره الخوض فيه. أهـ

قوله: فقال «هو من عمل الشيطان».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: - أى: من العمل الذى يأمر به الشيطان ويوحى به؛ لأن الشيطان يأمر بالفحشاء ويوحى إلى أوليائه بالمنكر، وهذا يغنى عن قوله: إنها حرام، بل هو أشد؛ لأن نسبتها للشيطان أبلغ فى تبيحها والتنفير منها، ودلالة النصوص على التحريم لا تنحصر فى لفظ التحريم أو نفي الجواز، بل إذا رُبَّت العقوبات على الفعل كان دليلاً على تحريمه. أهـ

قلت: فإن قوله «هُوَ مَنْ عَمَلَ الشَّيْطَانَ» ربما يكون الزجر أبلغ إذا عرفت أن ورائها عدو لك هو الشيطان.

ودلائل النصوص لا تنحصر فى ذلك بل أساليب القرآن فى طلب الكف عن الفعل كثيرة من ذلك.

١- صريح النهى، كقوله تعالى «وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) القول المفيد ٢/ ٨٧.

(٢) النحل: ٩٠.

٢- التحريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾<sup>(١)</sup> و﴿وحرم ذلك على المؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>

٣- عدم الحل، كقوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾<sup>(٣)</sup>.

٤- صيغة النهي، وهى المضارع المسبوق بلا الناهية، أو فعل الأمر الدال على طلب الكف، مثل: دَعَّ، وَذَرَّ، واجتنب كقوله ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَا لَ الْمُتِمِّ إِلَّا بِأَلْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله ﴿وَدَعَّ أَذَاهُمْ﴾<sup>(٦)</sup>.

٥- نفي البر عن الفعل، كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾<sup>(٧)</sup>.

٦- نفي الفعل، كقوله تعالى ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٨)</sup>.

٧- ذكر الفعل مقروناً باستحقاق الإثم، كقوله تعالى ﴿فَمَنْ بَدَلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾<sup>(٩)</sup>.

٨- ذكر الفعل مقروناً بوعيد، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾<sup>(١٠)</sup>.

٩- وصف الفعل بأنه شر كقوله ﴿وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ يَخْلُونِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾<sup>(١١)</sup>.

١٠- التعبير بنفي الصحة بلفظ ماكان، كقوله تعالى ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾<sup>(١٢)</sup>.

١١- الاستفهام الإنكارى فى بعض المواضع كقوله ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(١٣)</sup>.

(١) الأعراف : ٣٣	(٢) النور : ٣٢	(٣) النساء : ١٩
(٤) الإسراء : ٣٤	(٥) الأنعام : ١٢٠	(٦) الأحزاب : ٤٨
(٧) البقرة : ١٧٧	(٨) البقرة : ١٩٣	(٩) البقرة : ١٨١
(١٠) التوبة : ٣٤	(١١) آل عمران : ١٨٠	(١٢) التوبة : ١٧
(١٣) البقرة : ٤٤		

١٢ - ذكر الفعل مقروناً بعقوبة نصية كقوله ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءُ بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ ﴿١﴾ .

١٣- الحكم على الفعل بأنه كفر، أو ظلم ، أو فسق كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) و﴿الظَّالِمُونَ﴾ و﴿لَفَاسِقُونَ﴾ (\*).  
قوله: «رواه أحمد بسند جيد وأبو داود»  
قال ابن عثيمين (٣):-

سند أبي داود إلى أحمد متصل؛ لأنه قد حدثه وأدركه. أهـ  
قلت: لأن الإمام أحمد من مشايخ الإمام أبي داود له كتاب في مسائل الإمام أحمد فالبخارى وأبو داود من تلاميذ الإمام أحمد والترمذى من تلميذ البخارى إذاً الإمام أحمد شيخ شيخ الترمذى.  
قوله «سئل أحمد عنها فقال ابن مسعود: يكره هذا كله».

قلت: وذلك لأنه جاء عن ابن القيم فى «إعلام الموقعين» أنه رتب مصادر الفقه عند الإمام أحمد فكان على رأس الأدلة الكتاب والسنة ثم بعد الكتاب والسنة: والإجماع ثم قول الصحابة إذا اجتمعوا ثم بعد ذلك إذا تفرقوا - إختلفوا - يأخذ أقرب هذه الأقوال إلى الدليل ثم بعد ذلك القياس فلم أفتأ بقول ابن مسعود دل ذلك أنه ليس عنده دليل صحيح.

إشكال: إذا كان الإمام أحمد هو راوى الحديث نفسه أن النشرة من عمل الشيطان فكيف لم يكن عنده دليل وكيف يعدل عن الحديث إلى قول ابن مسعود؟

قال الفقير: يجاب عنه بأجوبة

١- أن يقال أنه أجابه قبل أن يبلغه الحديث فلم يكن عنده فى هذا الوقت فى هذه الساعة هذا الحديث فلذلك أجاب بقول ابن مسعود.

٢- أنه لعله كان عنده هذا الحديث لكن لم ير صحته فأتى بقول الصحابى الأصح عنده.

(١) المائة : ٣٨ (٢) المائة : ٤٤-٤٧

(٣) القول المفيد ٨٧/٢.

(\*) وانظر «تاريخ التشريع الإسلامى» للدكتور مناع القطان نقلاً عن «تاريخ التشريع» للخضرى.

٣- أو لعل السائل كان يعلم أن في المسألة حديثاً فأراد شيئاً آخر بخلاف الحديث فقال له الإمام أحمد عبدالله بن مسعود كان يكره ذلك كله.

٤- أولعله لم يصح هذا الحديث عنده فأراد أن يبين أن أصله صحيح وأن المعنى صحيح لأنه جاء عن ابن مسعود هذا النهى ولم يعلم له مخالف فمعناه صحيح. والله أعلم.

### قال سليمان آل الشيخ (١):-

قوله: وقال: سئل أحمد عنها فقال ابن مسعود: يكره هذا كله مراد أحمد، والله أعلم أن ابن مسعود يكره النشرة التى من عمل الشيطان والنشرة التى بكتابة وتعليق كالتمايم، فإن ابن مسعود كان يكره التمايم كلها من القرآن وغير القرآن، أما النشرة بالتعويذ والرقى بأسماء الله وكلامه من غير تعليق فلا أعلم أحداً كرهه، وكذلك ما رواه ابن أبى شيبة عن إبراهيم: كانوا يكرهون التمايم والرقى، والنشر محمول على ما ذكرنا.

[قلت]: ويؤيد ذلك قول ابن مسعود لامرأته حينما وجدها معلقة خيطاً رقى لها فيه فتهاها ووصف هذا الفعل بالشرك ووصاها بما جاء عن الرسول ﷺ اللهم رب الناس أذهب البأس واشف أنت الشافى، لاشفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً (٢).

قال ابن عثيمين (٣):- قوله: «فقال: ابن مسعود يكره هذا كله».

أجاب - رحمه الله - بقول الصحابى، وكأنه ليس عنده أثر صحيح عن النبى ﷺ فى ذلك، وإلا لاستدل به.

إشكال وجواب: ثم قال وجواب المشار إليه فى قوله: «يكره هذا كله» كل أنواع النشرة، وظاهره: ولو كانت على الوجه المباح على ما يأتى، لكنه غير مراد؛ لأن النشرة بالقرآن والتعوذات المشروعة لم يقل أحد بكرهته، وسبق أن ابن مسعود رضى الله عنه كان يكره تعليق التمايم من القرآن وغير القرآن.

وعلى هذا؛ فالكلية فى قول أحمد: «يكره هذا كله» يراد بها النشرة التى من عمل الشيطان، وهى النشرة بالسحر والنشرة التى من التمايم.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٠٩.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) القول المفيد ٢/٨٧ و ٨٨.

وفى «البخارى» عن قتادة: «قلت لأبْنِ الْمُسَيْبِ رَجُلٌ بِهِ طِبٌّ أَوْ يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ، أَيَحِلُّ عَنْهُ أَوْ يُنْشَرُ؟ قَالَ: لَا بَأْسَ بِهِ، إِنَّمَا يَرِيدُونَ بِهِ الْإِصْلَاحَ، فَأَمَّا مَا يَنْفَعُ، فَلَمْ يَنْفَعْ عَنْهُ» (١).

وقوله: «يكروه».

الكرهة عند المتقدمين يراد بها التحريم غالباً، ولا تخرج عنه إلا بقريضة، وعند المتأخرين خلاف الأولى؛ فلا تظن أن لفظ المكروه في عرف المتقدمين أو كلامهم مثله في كلام المتأخرين، بل هو يختلف، انظر إلى قوله تعالى: «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا...»، إلى أن قال بعد أن ذكر أشياء محرمة: «كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا»، ولا شك أن المراد بالكرهة هنا التحريم.

قلت: والسبب عند أبي حنيفة على وجه الخصوص وعند الشافعي في أنهما كانا لا يقولان على الحرام حرام ولكن يقولان مكروه تورعاً من الوقوع في خلاف قوله تعالى «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ»

أنظر إلى تورع الأئمة بجلالة قدرهم أنه يخافوا أن يقولوا هذا حرام من الحرام الذي عليه دليل ولكن ليس دليل قطعى بل دليل ظنى عند أبي حنيفة فلا يقدر أن يقول حرام ولكن يقول مكروه حتى كان المكروه عنده منزلة أقل من الحرام عند الجمهور وفوق المكروه وهو ما ثبت حرمة بدليل ظنى بخير الأحاد وخبر الأحاد هو الحديث الذى ثبت بطريق واحد حتى ولو فى صحيح البخارى.

فبرغم ثبوت الحرمة لم يقل عليه حرام وقال عليه مكروه لكى لا يقع فى خلاف قوله تعالى «وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتِكُمُ الْكُذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ».

(١) علقه البخارى فى الطب/ باب هل يستخرج السحر (١٠/ ٢٤٣ - الفتح)

قال الحافظ: فى «الفتح» (١٠ / ٢٤٤) وصله أبو بكر الأثرم فى «كتاب السنن» من طريق أبان العطار، عن قتادة ومثله - طريق هشام الدسوائى عن قتادة. . قال: وأخرجه الطبرى فى «التهذيب» عن طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن الميبد. أهـ.  
وأنظر «فتح المجيد» (ج-٥٤٨) بتخريجنا

وانظر إلى واقعنا نجد أن كلمة حرام وحلال منتشرة للغاية وهو لا يعلم أنه يكذب على الله ليس كذب على الناس فقط بل هو كذب على الله عزوجل .

قوله: [وفى البخارى عن قتادة: قلت لابن المسيب رجل به طب أو يؤخذ. الخ

هذا الأثر رواه البخارى تعليقاً فى كتاب الطب باب. هل يستخرج السحر؟

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>:- وصله أبو بكر الأثرم فى «كتاب السنن» من طريق أبان العطار عن قتادة ومثله من طريق هشام الدستوائى عن قتادة بلفظ «يلتمس من يداويه؟» فقال: إنما نهى الله عما يضر ولم ينه عما ينفع» وأخرجه الطبرى فى (التهذيب) من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد ابن المسيب أنه كان لا يرى باساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشى إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح. أهـ

- مناسبة الأثر للباب:-

قال القرعاوى<sup>(٢)</sup>:- حيث أفاد الأثر أن سعيد بن المسيب يرى جواز حل السحر

عن المسحور. أهـ

قوله: «عن قتادة».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>:-

قوله: عن قتادة هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسى البصرى ثقة ثبت فقيه من أحفظ التابعين، يقال إنه ولد أكمه مات سنة بضع عشرة ومائة.

قلت: غالباً ماتجد العلماء عند الولادة هكذا وتكون هذه آية على أنه لا يكون عنده الحواس التى يستطيع بها الإنسان أن يُحصّل العلم كما يُحصل الإنسان السميع البصير، ومع ذلك يكون آية فى العلم أكثر من الإنسان السميع البصير كما قيل فى البخارى أنه وُلد أعمى، نعم بعد ذلك دعت له أمه فاستُجيب لها فأبصر ثم صار الإمام البخارى.

قوله: «قلت لابن المسيب رجلٌ به طب»

قال ابن حجر<sup>(٤)</sup>: «قوله: «به طب» بكسر الطاء أى السحر. أهـ

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>:-

يقال: طب الرجل بالضم إذا سحر ويقال: كنوا عن السحر بالطب تفاؤلاً، كما قالوا

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٠٩.

(٢) الجديد ٢٤٧.

(١) الفتح ١٠/٢٤٤.

(٥) تيسير العزيز الحميد.

(٤) الفتح ١٠/٢٤٤.

للديغ: سليم، وقال ابن الأثباري: الطب من الأضداد يقال لعلاج الداء: طب، والسحر من الداء، يقال له: طب.

قلت: كما في الصحيح من حديث أبي سعيد حين مرهوا وأصحابه في اهد سفر على قوم فقالوا: «إن سيدنا سليم فهل معكم راقى»(\*) وأطلقوا على المريض اسم السليم تفاؤلاً

وذكر ذلك ابن عثيمين بأسلوبه فقال<sup>(١)</sup>: - قوله: «رجل به طب».

أى: سحر، ومن المعلوم أن الطب هو علاج المرضى، لكن سمي السحر طباً من باب التفاؤل، كما سمي اللديغ سليماً والكسير جييراً.

قلت: كما يقال للمريض في الواقع الآن: إذا سئل عنه: هو بعافيه.

قوله: «أو يؤخذ عن امرأته»

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: - قوله (أو يؤخذ) بفتح الواو مهموز وتشديد الحاء ويعدها معجمه أى يحبس عن امرأته ولا يصل إلى جماعها، والأخذة بضم الهمزة: هى الكلام الذى يقوله الساحر، وقيل خرزة يرقى عليها، أو هى الرقية نفسها.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: -

والعجيب أنه مشتهر عند الناس أنه إذا كان عند العقد، وعقد أحد عقدة عند العقد؛ فإنه يحصل حبسه عن امرأته، وبالغ بعضهم؛ فقال: إذا شبك أحدهم بين أصابعه عند العقد حبس الزوج عن أهله، وهذا لا أعرف له أصلاً.

قلت: سواء كان هكذا أو هكذا إذا نوى بالتشبيك السحر فهو حرام وإن لم سحر لأن من عقد عقدة ونفت فيها فقد سحر وإن لم يقصد السحر فإن كان هذا التشبيك ليس سحر وقصد به السحر له حكم الساحر فالأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى وكذلك إن أتى سحراً ولم يقصد به السحر فقد سحر لأن النبي أطلق كما تقدم أن من عقدة عقدة ونفت فيها فقد سحر ولم يقل ونوى السحر حتى ولو كان ينوى هزار ولعب فهو قد بسحر كما تقدم فى باب بيان شئ من أنواع السحر فكذلك ههنا إذا علم أن تشبيك الأصابع يسحر أو يأخذ الرجل عن امرأته وفعل ذلك بهذا القدر فقد سحر.

(\*) تقدم تخريجه (١) القول المفيد ٢/٣٠٩. (٢) الفتح ١٠/٢٤٤.

(٣) القول المفيد ٢/٨٩.



ثم قال ابن عثيمين ولكن كثيراً ما يقع حبس الزوج عن زوجة ويطلبون العلاج .  
وقد ذكر بعض أهل العلم أن من العلاج أن يطلقها، ثم يراجعها؛ فينكح السحر .  
لكن لا أدري هل هذا يصح أم لا؟ فإذا صح؛ فالطلاق هنا جائز؛ لأنه طلاق  
للاستبقاء، فيطلق كعلاج، ونحن لا نفتى بشيء من هذا، بل نقول: لا نعرف عنه  
شيئاً.

قلت: أين من أفتى بهذا مع قوله ﷺ في فضل قراءة البقرة: «قراءتها بركة وتركها  
حسرة ولا يستطيعها البطة»<sup>(١)</sup> أى السحرة والحديث عند مسلم وسيأتى وهى مجربة  
مجربة سورة البقرة فهلا أمر بها ووصابها ودعا إليه خير من أن يأمر أو يفتى بالطلاق  
وهذا أمره محتمل أو ظن مستبعد وقوع الحل ووقوع العلاج بالطلاق فكيف يأخذ بالظن  
المستبعد ويترك اليقيني المجرب وهو سورة البقرة لكن لعل من أفتى بذلك أو عمل بهذه  
الفتوى أخشى أن يقع فى شرك لأنه نظر إلى أن الساحر قصد بهذا السحر التفريق كما  
قال تعالى «فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ» فهو قال الساحر طائعاً له  
وطائعاً لشیطانه إننا سنطلق فإذا طلق بهذا يحصل ويقع مراد الساحر فينحل السحر  
وينفك لكن أنحل بطريقة غير شرعية لا ترضى رب البرية وإنما ترضى الشاطين والمسالك  
الجاهلية وأخشى أنه يقع فى شرك بسبب ذلك .

لأنه إنما فعل ما فعل إرضاءً لشیطان وليس طاعة لشیطان وإذا قال إنما أنا أطيع  
الرحمن نقول بل الرحمن أوحى إلى نبيه ﷺ أن قراءة سورة البقرة قراءتها بركة وتركها  
حسرة . . ولا يستطيعها البطة فهلا أخذ بذلك بدلاً من أن يلبي مطالب الشياطين كما  
يفعل أولياؤهم .

فالزار فى الحقيقة والذبح هذا إنما تلبية لرغبات إبليس، فالشیطان يريد هذا ذلك  
ويحبه فيفعلون له ما يريد، وبعده ينحل السحر أو يهدأ المسحور أو يتفق الناس مع  
بعضهم، أو تنحل المشاكل التى يعانون منها .

فما الفرق بين هذا، وبين أن يطلق امرأته تلبية لرغبات إبليس، ليس هناك فرق .  
ولإن الشيخ بن عثيمين يدري أن هذه المسألة ليست مريحة، لذلك قال فى آخر  
كلامه: «ونحن لانفتى بشيء من هذا، بل نقول لانعرف عنه شيئاً» وهذا من الشيخ -  
حفظه الله فإساسة وبعد نظر، لأنه سيأتى ضعيف العقل، ويقول: بأن الشيخ قد أفتى  
بهذا، وليس نقل هذا، لكن أفتى بهذا ونقل هذا وأجاز هذا، ومن الممكن أن تطلقها .

(١) تقدم تخريجه

ثم قال ابن عثيمين: و«أو» فى قوله: «أو يؤخذ» يحتمل أنها للشك من الراوى: هل قال قتادة «به طب» أو قال: «يؤخذ عن امرأته»؟

أى: أو قلت: يؤخذ، ويحتمل أن تكون للستويغ، أى أنه سأله عن أمرين: عن المسحور، وعن الذى يؤخذ عن امرأته.

قلت: لراجع التنويغ لأن النشرة تطلق على جميع أنواع السحر سواء الأخذ عن المرأة، أو الربط، أو الحبس عنها، وعن مطلق السحر لكن سيأتى فى صفة النشرة ما يفيد أنها للشك.

قوله: «أيحل عنه أو ينشر»

قال ابن حجر (١):-

قوله (أو يحل عنه) بضم أوله وفتح المهملة.

قوله (أو ينشر) بتشديد المعجمة من النشرة بالضم وهى ضرب من العلاج يعالج به من يظن أن به سحراً أو مساً من الجن، قيل لها ذلك لأنه يكشف بها عنه ما خالطه من الداء، ويوافق قول سعيد بن المسيب ما تقدم فى «باب الرقية» فى حديث جابر عند مسلم مرفوعاً «من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل» (٢)

قلت: فكان سعيد بن المسيب فهم من هذا الحديث أنه إنما نهى عما يضر أما ما ينفع فلم ينه عنه أهـ. ويؤيد مشروعية النشرة ما تقدم فى حديث «العين حق» (٣) فى قصة اغتسال العائن .

قلت: لأنها صورة من صور النشرة الشرعية أهـ

وقد أخرج عبدالرزاق من طريق الشعبى قال: لا بأس بالنشرة العربية التى إذا وطئت لا تضره، وهى أن يخرج الإنسان فى موضع عضاه فيأخذ عن يمينه وعن شماله من كل ثم يده ويقرأ فيه ثم يغتسل به. وذكر ابن بطال أن فى كتب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضره بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل.

قلت: وربما كانت للمعوذتين والاحلاص.

(١) الفتح ١٠/٢٤٤ و ٢٤٥.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) تقدم تخريجه

ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله، أهـ

ومن صرح بجواز النشرة المزني صاحب الشاقعي وأبو جعفر الطبري وغيرهما ثم وقفت على صفة النشرة .

قلت: حذر ابن باز من هذه النشرة لاحتمال أن يكون أخذها من أهل الكتاب

### صفة النشرة

قال ابن حجر ففى «كتاب الطب النبوى» لجعفر المستغفرى قال: وجدت فى خط نصوح بن واصل على ظهر جزء من «تفسير قتبية بن أحمد البخارى»

قلت: وهذه الرواية تفيد أن هذا شك من الرواى، لأنه قال: رجل به طب أخذ عن امرأته، وفسر الطب بأنه أخذ عن امرأته. أهـ.

قال: قال قتادة لسعيد بن المسيب: رجل به طب أخذ عن امرأته أيحل له أن ينشر؟ قال: لا بأس، إنما يريد به الإصلاح، فأما ما ينفع فلم ينه عنه. قال نصوح: فسألنى حماد بن شاکر: ما الحل وما النشرة؟ فلم أعرفهما، فقال: هو الرجل إذا لم يقدر على مجامعة أهله وأطاق ما سواها فإن المتبلى بذلك يأخذ حزمة قضبان وفأساً ذا قطارين ويضعه فى وسط تلك الحزمة ثم يؤجج ناراً فى تلك الحزمة حتى إذا ما حوى الفأس استخراجاً من النار ويال على حره فإنه يبرأ بإذن الله تعالى، وأما النشرة فإنه يجمع أيام الربيع ما قدر عليه من ورد المفازة وورد البساتين ثم يلقيها فى إناء نظيف ويجعل فيها ماءً عذباً ثم يغلى ذلك الورد فى الماء غلياً يسيراً ثم يمهل حتى إذا فتر الماء أفاضه عليه فإنه يبرأ بإذن الله تعالى. قال حاشد: تعلمت هاتين الفائدتين بالشام. قلت- يعنى الحافظ-: وحاشد هذا من رواة الصحيح عن البخارى، وقد أغفل المستغفرى أن أثر قتادة هذا علقه البخارى فى صحيحه وأنه وصله الطبرى فى تفسيره، ولو اطلع على ذلك ما اكتفى بعزوه إلى تفسير قتبية بن أحمد بغير إسناد، وأغفل أيضاً أثر الشعبى فى صفة وهو أعلى ما اتصل بنا من ذلك. أهـ

قال ابن باز: مثل هذا لا يعمل فيه برأى لىث بن أبى سليم، ولا برأى ابن القيم ولا غيرهما، وإنما يعمل بالسنة الثابتة عن رسول الله ﷺ، لا بشيء مما يقول ابن أبى سليم ولا ابن القيم، وما يتقل عن وهب بن منبه على سنة الإسراييلين لا على هدى خير المرسلين، ومن باب هذا التساهل دخلت البدع ثم الشرك الأكبر، وعلى المؤمن

الناصح لنفسه أن يعرض بالنواجذ على هدى رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين رضی الله عنهم ويتجنب المحدثات، وإن كانت عنمن يكون، فكل أحد يؤخذ من قوله ويرد عليه إلا الرسول ﷺ.

قلت: وهذا الكلام فى الحقيقة عمدة فى هذا الأمر

قوله «قال: لا بأس به: إنما يريدون به الإصلاح، فأما ما ينفع، فلم ينه عنه»  
قال سليمان آل الشيخ (١):-

قوله: قال لا بأس به... إلى آخره يعنى أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح أى إزالة السحر، ولم ينه عما يراد به الإصلاح، إنما ينهى عما يضر، وهذا الكلام من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم هل هو نوع من السحر أم لا، فإما أن يكون ابن المسيب يفتى بجواز قصد الساحر الكافر المأمور بقتله، ليعمل السحر، فلا يظن به ذلك، حاشاه منه، ويدل على ذلك قوله: إنما يريدون به الإصلاح، فأى إصلاح فى السحر؟ بل كله فساد وكفر والله أعلم. أهـ

قلت: لأن الله عزوجل يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وهذا فى الساحر أصالة ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُّطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وكيف نسمى أعمال السحر صالحة، أو صلاحاً وإن أرادوا الإصلاح. أهـ.

وفصل ذلك ابن عثيمين فقال (٢):-

كأن ابن المسيب - رحمه الله - قسم السحر إلى قسمين: ضار، ونافع.

فالضار محرم، قال تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (٣)، والنافع لا بأس به، وهذا ظاهر ما روى عنه، وبهذا أخذ أصحابنا الفقهاء، فقالوا: يجوز حل السحر بالسحر للضرورة، وقال بعض أهل العلم: إنه لا يجوز حل السحر بالسحر، وحملوا ما روى عن ابن المسيب بأن المراد به ما لا يعلم عن حاله: هل هو سحر، أم غير سحر؟ أما إذا علم أنه سحر؛ فلا يحل، والله أعلم.

ولكن على كل حال حتى ولو كان ابن المسيب ومن فوقه ابن المسيب ممن ليس قوله حجة يرى أنه جائز؛ فلا يلزم من ذلك أن يكون جائزاً فى حكم الله حتى يعرض على الكتاب والسنة، وقد سئل الرسول ﷺ عن النشرة؟ فقال: «هى من عمل الشيطان» (٤). أهـ

(١) تيسير العزيز الحميد - ٣١٠.

(٢) القول المفيد ٢/ ٨٩ و ٩٠.

(٣) تقدم تخريجه

(٤) البقرة.

وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَحِلُّ السَّحْرُ إِلَّا سَاحِرًا».

قلت: الخلاصة من كلام سعيد إما يحمل على حل السحر بالطرق الشرعية فكلامه وجيه وأما يحمل على حل السحر بالطرق الغير شرعية - وهذا لا يظن به - فلا يلتفت إليه لأنه مخالف للكتاب والسنة ولا يخفى أن العمل لا يقتصر لقبوله على القصد الحسن النافع فقط بل لا بد من الاتباع وموافقة السنة فلا تغتر بقول ابن المسيب: إنما يريدون الإصلاح لأن إرادة الخير مع المخالفة للكتاب أو السنة لا تنفع قال تعالى: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ» وقال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» أى متبع بعد إسلام وإخلاص النية وحسن القصد والله أعلم.

قوله: [وروى عن الحسن أنه قال: «لا يحل السحر إلا ساحرًا]

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>:-

هذا الأثر ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد» بغير إسناد، ولفظه «لا يطلق السحر إلا ساحر»، وروى ابن جرير في «التهذيب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحر أن يمشى إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح، قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك يقول: لا يعلم ذلك إلا ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضر، ولم ينه عما ينفع.

قوله: «عن الحسن»

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>:-

هو ابن أبي الحسن، واسمه يسار- بالتحتمانية، والمهملة - البصرى الأنصارى مولا هم ثقة فقيه إمام فاضل من خيار التابعين. مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين. أهر رأى بعض الصحابة وحدث عنهم.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>:-

هذا الأثر إن صح؛ فمراد الحسن الحل المعروف غالباً، وأنه لا يقع إلا من السحرة.

قلت: وهو بذلك لا يرى جوازه على هذه الصورة



(١) تيسير العزيز الحميد ٣١٠.

(٢) القول المفيد ٢ / ٣١٠.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣١٠.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «النُّشْرَةُ: حَلُّ السَّحْرِ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَهِيَ نَوَّعَانُ: أَحَدُهُمَا حَلُّ  
بِسَحْرِ مِثْلِهِ، وَهُوَ الَّذِي مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْهِ يُحْمَلُ قَوْلُ الْحَسَنِ، فَيَتَقَرَّبُ  
النَّاسُ وَالْمُسْتَشِرُّ إِلَى الشَّيْطَانِ، بِمَا يُحِبُّ، فَيُيْطَلُّ عَمَلُهُ عَنِ الْمَسْحُورِ، وَالثَّانِي:  
النُّشْرَةُ بِالرَّقِيَّةِ وَالتَّعَوُّذَاتِ وَالْأَدْوِيَةِ وَالدَّعَوَاتِ الْمُبَاحَةِ، فَهَذَا جَائِزٌ».

قوله: قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور.. إلخ».

قلت: وهذا هو الاستدلال، وكثيراً ما يذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المتن في  
الباب منهج أهل السنة في الاستدلال، ومنهج أهل السنة في طلب الدليل، وهو الكتاب  
والسنة بفهم سلف الأمة، كما أتى في باب المحبة، فهو بعد أن أتى بالآيات أتى بقول  
ابن عباس «وتقطعت بهم الأسباب» قال: المودة، أيضاً في هذا الباب بادلالة المرفوعة ثم  
الموقوفة ثم المقطوعة لبيان الدليل بفهم السلف: فالسلف منهم من يفهم من كلامه  
الجواز، ومنهم من لا يفهم من كلامه إلا المنع مطلقاً، ومنهم من فصل، فأما الذي منع  
مطلقاً ابن مسعود، وهذا ظاهر كلامه فيما تبعه فيه الإمام أحمد في ذلك، وأما الجواز  
مطلقاً يفهم من كلام قتادة وسعيد بن المسيب، والمنع أيضاً من كلام الحسن البصري،  
ثم التفصيل من كلام ابن القيم، وهو الكلام الذي ختم به المصنف هذا الباب، وهذا  
ترتيب بديع في الاستدلال، وفي أصول أهل السنة في طلب الدليل، وهو الكتاب والسنة  
بفهم سلف الأمة. أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: - هذا الكلام جيد ولا مزيد عليه.

قال الشيخ سليمان<sup>(٢)</sup>: -

هذا الثاني هو الذي يحمل عليه كلام ابن المسيب.

قلت: يعنى بذلك النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية المباحة، فهذا جائز، وهذا الذي  
يحمل عليه قول سعيد بن المسيب أنه قال بالجواز مطلقاً، إذا كانت النشرة بالرقية  
والتعوذات والأدوية المباحة. أهـ.

أو على نوع لا يدرى هل هو من السحر أم لا؟ وكذلك ما روى عن الإمام أحمد من  
إجازة النشرة، فإنه محمول على ذلك وغلط من ظن أنه أجاز النشرة السحرية. وليس

(١) القول المفيد ٢/ ٩١.

(٢) تيسير العزيز حميد ٣١٠ و ٣١١.

فى كلامه ما يدل على ذلك، بل لما سئل عن الرجل يحل السحر قال: قد رخص فيه بعض الناس. قيل: إنه يجعل فى الطنجير ماء ويغيب فيه فنفض يده وقال: لا أدرى ما هذا؟ قيل له: أفتسرى أن يؤتى مثل هذا؟ قال: لا أدرى ما هذا؟ وهذا صريح فى النهى عن النشرة على الوجه المكروه. وكيف يجيزه؟ وهو الذى روى الحديث أنها من عمل الشيطان لكن لما كان لفظ النشرة مشتركاً بين الجائزة التى من عمل الشيطان ورأوه قد أجاز النشرة ظنوا أنه قد أجاز التى من عمل الشيطان، وحاشاه من ذلك. وما جاء فى صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن أبى سليم قال: بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى إناء فيه ماء ثم تصب على رأس المسحور الآية التى فى يونس ﴿فَلَمَّا أَتَوْا قَالُوا لِمُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ السَّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٨١) ويحق لله الحق بكلماته ولو كره المجرمون ﴿وقوله: ﴿فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون﴾ إلى آخر أربع آيات. وقوله: ﴿إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ وقال ابن بطال: فى كتاب وهب بن منبه أنه يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقه بين حجرين ثم يضره بالماء ويقرأ فيه آية الكرسى والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم يغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله.

وقد تقدم فيما نقله الحافظ فى الفتح.

قلت: فانظر التدرج فى الردود:

الرد الأول: ما قاله الشيخ ابن باز وابن عثيمين.

أنه يؤخذ من هذا ويرد وأن كلام وهب على سنة الإسرائيليين،

الرد الثانى: أن هذا لم يصح عن الليث بن أبى سليم، لأننا لاندرى بلغه عمن، فلعله بلغه عمن يأخذ عن بنى إسرائيل، فيعود الأمر إلى ما عاد إليه فى أثر وهب أن هذا على سنة الإسرائيليين لاعلى سنة هدى خير المرسلين.

الرد الثالث: على فرض صحته وثبوته عنهما فيأخذ منهم ويرد لأن الأمر كما قال ابن عباس ومالك: «كل يؤخذ منه ويرد إلا صاحب هذا القبر ﷺ».

الرد الرابع: وعلى فرض أن هذا الكلام كالأحاديث، وله حكم المرفوع، فنقول: سمنع منه من باب سد الذريعة لثلاث تختلط النشرة المشروعة بغير المشروعة، لهذا.

قلت: والأولى من هذا كله ما صح عن نبينا فى النشرة فنيه غنية وفيه الكفاية لمن أراد الهداية ولأهميته سأفرد له فصلاً أقدم له بمقدمة فى أسباب الإصابة بالسحر والتحصن منه.

## فصل فى النشرة الشرعية

أسباب الإصابة بالسحر:-

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>:- وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفَعلة، والنفوس الشهوانية التى هى معلقة بالسُّفليات.

قلت: والسفليات يعنى الشهوات والأمور الدنيئة الخبيثة، التى توافق طبع الجنى الخيىث والساحر الخيىث، فمثلاً: تذهب إلى الساحر فيقول: أنك قد عمل لك عملاً سفلى، وهو لا يدري ما معنى سفلى.

وكلام ابن القيم لا يدل على أن السفليات الجن، لأنه ليس لديه ميل للجن، وإنما معناه: ميل للأمور الدنيئة المنحطة الخبيثة، التى تتفق مع خبث ودنائة وسفول الجن أو الساحر. أهـ.

ولهذا فإن غالب ما يؤثر: فى النساء، والصبيان.

قلت: وفى هذا رد على خرافات المعالجين الذين يقولون بأن الصبى لا يلبس ولا يمس أهـ.

والجُهال، وأهل البوادي، ومن ضَعُفَ حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية.

قلت: وهذا يبين مدى أهمية أذكار الصباح والمساء وإنى لاتعجب من المعالج الذى يصفها للمعالج ولايقولها هو.

وبالجملة: فسلطان تأثيره فى القلوب الضعيفة المنفَعلة التى يكون ميلها إلى السفليات، قالوا: والمسحور هو الذى يُعِين على نفسه، فإننا نجد قلبه متعلقاً بشيء كثير الالتفات إليه، فيتسلط على قلبه بما فيه من الميل والالتفات، والأرواح الخبيثة إنما تتسلط على أرواح تلقاها مستعدة لتسلطها عليها بميلها إلى ما يناسب تلك الأرواح الخبيثة، وبفراغها من القوة الإلهية، وعدم أخذها للعدة التى تُحاربها بها، فتجدها فارغة لا عدة معها، وفيها ميل إلى ما يناسبها، فتسلط عليها، ويتمكن تأثيرها فيها بالسحر وغيره، والله أعلم.

قلت: انظر كما قلنا فى العشاق وفى باب العشق فى باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله

(١) زاد المعاد (٤/١١٦).



قال العاشق

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

فارغ من العدة الإلهية التي تدفع عنه هذا العشق، فتمكن هذا العشق منه وتسلط عليه، فالسلطنة هذه تؤثر فيه بعد ذلك، كالسحر يتسلط عليه فينسى ويسرح، لأن هذا سلطان غير شرعى على القلب وهذا سلطان غير شرعى على القلب والنفس والعشق داء أيضاً وربما كان للسحر علاج أسهل من علاج العشق.

ومن هنا يتبين أن سبب تسلط هذ الأشياء على القلب وعلى النفس إنما هو استعداد النفس لها، وذلك من وجهين:

أما أولاً: بميلها إلى الخبيث.

أما ثانياً: بفراغها بلن القوة الإلهية.

فأعرف هذا، وعض عليه بالنواجذ تكن فى حصن حصين. أهـ

إيراد وجوابه:-

قال ابن حجر (١):-

ويعكر عليه - أى على كلام ابن القيم - حديث الباب، وجواز السحر على النبي ﷺ مع عظيم مقامه وصدق توجهه وملازمة ورده، ولكن يمكن الانفصال عن ذلك بأن الذى ذكره محمول على الغالب، وأن ما وقع به ﷺ لبيان تجويز ذلك، والله أعلم.

قلت: ويجاب أيضاً: بأنه لم يقل يلزم من وجود السحر، إنما قال: لا يوجد سحر غالباً إلا بوجود هذين الأمرين أهـ.

### التحصن والحماية من السحر

قال ابن القيم (٢):- اعلم أن الأدوية الطبيعية الإلهية تنفع من الداء بعد حصوله، وتمنع من وقوعه، وإن وقع لم يقع وقوعاً مضرأ، وإن كان مؤذياً، والأدوية الطبيعية إنما تنفع، بعد حصول الداء، فالتعودات والأذكار، إما أن تمنع وقوع هذه الأسباب، وإما أن تحول بينها وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه، فالرقى والعود تُستعمل لحفظ الصحة، ولإزالة المرض، أما الأول: فكما فى «الصحيحين» من حديث عائشة كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نَقَثَ فى كَفَّيْهِ «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» والمُعَوِّذَيْنِ. ثم يمسحُ بهما وجهه، وما بلغت يده من جسده (٣).

(٣) تقدم تخريجه

(٢) زاد المعاد (٤/١٦٧، ١٦٨).

(١) الفتح (١٠/٢٤٦)

وكما فى حديث عُوذَة أبى السرداء المرفوع «اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ عَلَيَّكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»، وقد تقدّم فيه: «مَنْ قَالَهَا أَوَّلَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُمَسِيَ، وَمَنْ قَالَهَا آخِرَ نَهَارِهِ لَمْ تُصِبْهُ مُصِيبَةٌ حَتَّى يُصْبِحَ»<sup>(١)</sup>.

وكما فى «الصحيحين»: «مَنْ قَرَأَ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَّتَاهُ»<sup>(٢)</sup>.

قلت: أى كفاية عامة مما سبق . أهـ.

وكما فى «صحيح مسلم» عن النبى ﷺ: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا فَقَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ»<sup>(٣)</sup>.

وكما فى «سنن أبى داود» أن رسول الله ﷺ كان فى السفر يقول بالليل: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّكَ وَشَرِّ مَا فِيكَ، وَشَرِّ مَا يَدْبُ عَلَيْكَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنْ الْحَيَّةِ وَالْعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ الْبَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ»<sup>(٤)</sup>.

وكذلك صلاة الضحى والفجر فى جماعة والعشاء فى جماعة ثبت عن نبينا ﷺ: «من صلى الصبح فهو فى ذمة الله»<sup>(٥)</sup> وفى الحديث القدسى عند أبى داود ابن آدم اركع اربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره»<sup>(٦)</sup> وبالجملة فهذا وغيره مما صح عن نبينا فيه الحفظ والكفاية لمن أراد الوقاية وهى خير من العلاج لكن إن لم يكن شىء من ذلك فإليك العلاج الربانى لهذا السحر الشيطانى.

### علاج السحر بالدعاء والقرآن والإذكار

قال ابن القيم<sup>(٧)</sup>: - ومن أنفع علاجات السحر الأدوية الإلهية، بل هى أدويته النافعة بالذات، فإنه من تأثيرات الأرواح الخبيثة السفلية، ودفع تأثيرها يكون بما يعارضها

(١) أخرجه ابن السنى فى عمل اليوم والليلة» (٥٧)، والطبرانى فى الدعاء» (٣٤٣).

وانظر الأذكار للنووى» (٢٠) - بتخريجنا)

(٢) أخرجه البخارى (٥٠٠٩)، مسلم فى صلاة المسافرين (٣/٢٥٥) وانظر «شرحنا لزاد المعاد»

(٣) تقدم تخريجه

(٤) [ضعيف] أخرجه أحمد فى «مسنده» (١٣٢/٢)، وأبو داود (٢٦٠٣) وانظر «شرحنا لزاد المعاد»

وانظر «الأذكار للنووى» (٥٦٤) - بتخريجنا)

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٩٤٦) عن سمرة به. وانظر «شرحنا لزاد المعاد».

(٦) [صحيح] أخرجه أحمد فى «مسنده» (٤٤٠/٦)، وأبو داود (١٢٨٩)، والترمذى (٧٥)، والنسائى»

الكبرى» (٦٧)

وانظر «منار السبيل» (٥١٦) - بتخريجنا) وانظر «شرحنا لزاد المعاد».

(٧) زاد المعاد (٤/١٦٦).

ويُقاومها من الأذكار، والآيات، والدعوات التي تُبطلُ فعلها وتأثيرها، وكلما كانت أقوى وأشد، كانت أبلغَ في النُشرة، وذلك بمنزلة التقاء جيشين مع كل واحدٍ منهما عدتهُ وسلاحه، فأيهما غلب الآخر، قهره، وكان الحكم له، فالقلبُ إذا كان ممتلئاً من الله مغموراً بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات: ورد لا يُخلُ به يُطابق فيه قلبه لسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعد ما يُصيبه.

### ١. علاج السحر بالدعاء

قلت: وهذا لا يقول به أحد من المعالجين للمعالج إلا من رحم ربي . أهـ.

وفيه حديث عائشة رضی الله عنها في سحر لبيد للنبي ﷺ وفيه «حتى كان رسول الله ﷺ يُخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما يفعله - حتى إذا كان ذات يوم - أو ذات ليلة - وهو عندي، لكنَّهُ دعا ودعا ثم قال . . . . . الحديث (١)».

قال ابن حجر (٢):-

وفي رواية في كتاب بدء الخلق «في الصحيح» «حتى كان ذات يوم دعا ودعا»

قال الكرمانى:- يحتتمل أن يكون هذا الإستدراك من قولها «عندي» أى لم يكن مشغلاً بى بل اشتغل بالدعاء ويحتتمل أن يكون من التخيل أى كان السحر أضره فى بدنه لا فى عقله وفهمه بحيث أنه توجه إلى الله ودعا على الوضع الصحيح والقانون المستقيم . ووقع فى رواية ابن عمير عند مسلم «فدعا، ثم دعا، ثم دعا» وهذا هو المعهود منه أنه كان يكرر الدعاء ثلاثاً. وفى رواية وهيب عند أحمد وابن سعد «فرايته يدعو». قال النووي: فيه استجاب الدعاء عند حصول الأمور المكروهات وتكريره والالتجاء إلى الله تعالى فى دفع ذلك.

قلت أى ابن حجر: سلك النبى ﷺ فى هذه القصة مسلكى التفويض وتعاطى الأسباب، ففى أول الأمر فوض وسلم لأمر ربه فاحتسب الأجر فى صبره على بلائه، ثم لما تمادى ذلك وخشى من تماديه أن يضعفه عن فنون عبادته جنح إلى التداوى ثم إلى الدعاء، وكل من المقامين غاية فى الكمال. أ. هـ

قلت: الظاهر أنه دعى بعد التفويض وقيل تعاطى الأسباب لذلك بدأنا من أدوية السحر بالدعاء.

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (ح ٥٧٦٣). ومسلم فى السحر (٧/٤٢٩/٤٣) عن عائشة به.

(٢) الفتح (١٠/٢٣٨).

## ٢. علاج السحر بقراءة سورة البقرة.

عن أبي أمامة الباهلي: قال: سمعت رسول الله ، يقول: «اقرأوا القرآن. فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهرواين: البقرة وسورة آل عمران. فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان. أو كأنهما غيبتان أو كأنهما فرقان من طير صواف. تحاجان عن أصحابهما. اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة. ولا يستطيعها البطلة».

قال معاوية: بلغني أن البطلة السحرة (\*) .

## ٣. علاج السحر بأخر آيتين من سورة البقرة

وعند مسلم أيضاً بسنده. عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأهما في ليلة كفتاه» (\*).

قلت: ولهذا انصح المعالجين بهذا الكلام، لأنه عليه أدلة وهو كلام شافٍ كافٍ، ومن لم يشف بهذا فلا شفاه الله.

## ٤. علاج السحر بالرقية بالفتحة

أخرجنا في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري، قال: انطلق نفرٌ من أصحاب النبي ﷺ في سفرة سافروها حتى نزلوا على حى من أحياء العرب، فاستضافوهم، فأبوا أن يضيّفوهم، فلدغ سيد ذلك الحى، فسعوا له بكلّ شيء لا ينفعه شيء، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا لعلهم أن يكون عند بعضهم شيء، فأتوهم، فقالوا: يا أيها الرهط! إن سيدنا لدغ، وسعينا له بكلّ شيء لا ينفعه، فهل عند أحد منكم من شيء؟ فقال بعضهم: نعم والله إنى لأرقى، ولكن استصفناكم، فلم تضيّفونا، فما أنا براقٍ حتى تجعلوا لنا جعلاً، فصالحوهم على قطع من الغنم، فانطلق يتنل عليه، ويقرأ: «الحمد لله رب العالمين»، فكأنا أنشط من عقال، فانطلق يمشى وما به قلبه، قال: فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه، فقال بعضهم: اقتسموا، فقال الذى رقى: لا تفعلوا حتى نأتى رسول الله ﷺ، فذكر له الذى كان، فنظر ما يأمرنا، فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له ذلك، فقال: «وما يدريك أنها رقية؟»، ثم قال: «قد أصبتم، اقتسموا واضربوا لى معكم سهماً» (\*).

(\*) تقدم تخريجه

## قال ابن القيم (١):-

ومن المعلوم أن بعض الكلام له خواصٌ ومنافعٌ مجرية، فما الظنُّ بكلام رب العالمين، الذي فَضَّلَهُ على كل كلامٍ كفضلِ الله على خلقه الذي هو الشفاء التام، والعِصْمَةُ النافعة، والنورُ الهادي، والرحمةُ العامة، الذي لو أنزلَ على جبلٍ لتصدَّعَ من عظمتِه وجلالته. قال تعالى: ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)، و «من» ها هنا لبيان الجنس لا للتبويض، هذا أصحُّ القولين (\*).

فما الظنُّ بفاتحة الكتاب التي لم يُنزل في القرآن، ولا في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور مثلاً، المتضمنة لجميع معاني كتب الله، المشتملة على ذكر أصول أسماء الرب- تعالى- ومجامعها، وهي الله، والرب، والرحمن، وإثبات المعاد.

وحقيقٌ بسورة هذا بعضُ شأنها، أن يُستشفى بها من الأدواء، ويرقى بها اللدغُ. وبالجملة فما تضمنته الفاتحة من إخلاص العبودية والشناء على الله، وتفويض الأمر كُلِّه إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وسؤاله مجامع النعم كلها، وهي الهداية التي تجلبُ النعم، وتدفعُ النقم، من أعظم الأدوية الشافية الكافية.

وقد قيل: إن موضع الرقية منها: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، ولا ريبَ أن هاتين الكلمتين من أقوى أجزاء هذا الدواء، فإن فيهما من عموم التفويض والتوكل، والالتجاء والاستعانة، والافتقارِ والطلبِ، والجمع بين أعلى الغايات، وهي عبادةُ الربِّ وحده، وأشرف الوسائل وهي الاستعانةُ به على عبادته ما ليس في غيرها، ولقد مرَّ بي وقت بمكة سَمَّتُ فيه، وَقَدَّتُ الطيبَ والدواء، فكنت أتعالج بها، أخذ شربةً من ماء زمزم، وأقروها عليها مراراً، ثم أشربه، فوجدتُ بذلك البرء التام، ثم صرت اعتمد ذلك عند كثير من الأوجاع، فأنتفع بها غاية الانتفاع.

وفي تأثير الرقي بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سرٌ بديع، فإن ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الحبيثة، كما تقدم، وسلاحها حُماتها التي تلدغُ بها، وهي لا تلدغ حتى تغضب، فإذا غضبت، ثار فيها السُّمُّ، فتقدفه بآلتها، وقد جعل الله سبحانه لكل داءٍ دواءً، ولكل شيءٍ ضِدًّا، ونفس الراقى تفعلُ في نفس المرقى، فيقعُ بين

(١) زاد المعاد (٤/١٦٢).

(٢) الإسراء: ٨٢

(\*) وتقدم تفصيل القول في أبواب الرقية في الرقية بكل القرآن أم بالثابت فقط فانظره هناك.

نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء، والدواء، فتقوى نفسُ الراقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فيدفعه بإذن الله، ومدارُ تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال، وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء والدواء الروحانيين، والروحاني، والطبيعى، وفى النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء، والنفس المباشر للرقية، والذكر والدعاء، فإن الرقية تخرج من قلب الراقى وفمه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق والهواء والنفس، كانت أتم تأثيراً، وأقوى فعلاً ونفوذاً، ويحصل بالازدواج بينهما كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية<sup>(١)</sup>.

قلت: وبهذا يظهر أيضاً سر علاج السحر بالفاتحة حيث أن الساحر نفث فى العقد بنفس ورطوبات ورقى وتعاويز خبيثة فكان لابد من علاج ذلك بمقابلة الخبيث بنفس ورطوبات ورقى طيبة.

قلت: وخلاصة هذا:

إذا كان هذا المسحور إنما سحر بنفث، كما قال تعالى ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، وكما قال ﷺ: «من عقد عقدة ونفث فيها فقد سحر»<sup>(٢)</sup>.

فهذا النفث إنما حصل بتأثير نفس خبيثة أخرجت نفس من بطن خبيثة مع رذاذ خبيث وتفل خبيث لا يحمل إلا الغضب ولا يحمل إلا الشر لكل إنسان لاسيما المسحور، فهذا بالاستعانة مع شيطان خبيث لا يحمل إلا الشر لهذا المسحور، حصل بهذا وهذا مع تلقى واستعداد المسحور لهذا الخبيث، حصل من هذا وهذا أن المسحور تأثر.

فلا بد عند العلاج أن يعالج بالتي كانت هى الداء فالداء كان نفث خبيث ورذاذ ورطوبات خبيثة. أهـ.

وبالجملة: فنفس الراقى تُقابل تلك النفوس الخبيثة، وتزيد بكيفية نفسه، وتستعين بالرقية وبالنفث على إزالة ذلك الأثر، وكلما كانت كيفية نفس الراقى أقوى، كانت الرقية أتم، واستعانت بنفثه كاستعانة تلك النفوس الرديئة بلسعها.

وفى النفث سر آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة، ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل الإيمان. قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾، وذلك لأن النفس

(١) زاد المعاد (١٧٨/٤).

(٢) تقدم تخريجه

تَكَيَّفُ بِكَيْفِيَةِ الْغَضَبِ وَالْمَحَارِبَةِ، وَتُرْسِلُ أَنْفَاسَهَا سِهَاماً لَهَا، وَتَمُدُّهَا بِالسَّفْتِ وَالتَّفْلِ  
الَّذِي مَعَهُ شَيْءٌ مِنَ الرِّيْقِ مَصَاحِبٌ لِكَيْفِيَةِ مَوْثَرَةٍ، وَالسَّوَاحِرُ تَسْتَعِينُ بِالسَّفْتِ اسْتِعَانَةً  
بَيْنَهُ، وَإِنْ لَمْ تَتَّصِلْ بِجِسْمِ الْمَسْحُورِ، بَلْ تَنْفُثُ عَلَى الْعُقْدَةِ وَتَعْقِدُهَا، وَتَتَكَلَّمُ بِالسَّحْرِ،  
فَيَعْمَلُ ذَلِكَ فِي الْمَسْحُورِ بِتَوْسُطِ الْأَرْوَاحِ السَّفَلِيَّةِ الْخَبِيثَةِ، فَتَقَابِلُهَا الرُّوحُ الزَّكِيَّةُ الطَّيِّبَةُ  
بِكَيْفِيَةِ الدَّفْعِ وَالتَّكَلُّمِ بِالرَّقِيَّةِ، وَتَسْتَعِينُ بِالنَّفْثِ، فَأَيُّهُمَا قَوِيٌّ كَانَ الْحُكْمُ لَهُ، وَمُقَابِلَةُ  
الْأَرْوَاحِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ، وَمَحَارِبَتُهَا وَأَلْتَهَا مِنْ جِنْسٍ مُقَابِلَةِ الْأَجْسَامِ، وَمَحَارِبَتُهَا وَأَلْتَهَا  
سَوَاءٌ، بَلِ الْأَصْلُ فِي الْمَحَارِبَةِ وَالتَّقَابِلِ لِلْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ أَلْتَهَا وَجَنْدُهَا، وَلَكِنْ مِنْ غَلَبِ  
عَلَيْهِ الْحِسُّ لَا يَشْعُرُ بِتَأْثِيرَاتِ الْأَرْوَاحِ وَأَفْعَالِهَا وَانْفِعَالَاتِهَا لِاسْتِيْلَاءِ سُلْطَانِ الْحِسِّ عَلَيْهِ،  
وَبُعْدِهِ مِنْ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ، وَأَحْكَامِهَا، وَأَفْعَالِهَا.

والمقصود: أن الروح إذا كانت قويةً وتكَيَّفَتْ بمعاني الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته والله أعلم.

#### ٥. علاج السحر بالمعوذتين

قال ابن القيم<sup>(١)</sup>: - وفي المعوذتين الاستعاذة من كل مكروه جملة وتفصيلاً، فإن الاستعاذة من شر ما خلق تعمُّ كلُّ شرٍّ يُستعاذ منه، سواء كان في الأجسام أو الأرواح، والاستعاذة من شر الغاسق وهو الليل، وآيته وهو القمر إذا غاب، تتضمن الاستعاذة من شر ما ينتشر فيه من الأرواح الخبيثة التي كان نورُ النهار يحولُ بينها وبين الانتشار، فلما أظلم الليل عليها وغاب القمر، انتشرت وعاثت.

والاستعاذة من شر النفاثات في العقد تتضمن الاستعاذة من شر السواحر وسحرهن.

والاستعاذة من شر الحاسد تتضمن الاستعاذة من النفوس الخبيثة المؤذية بحسدها ونظرها.

والسورة الثانية: تتضمن الاستعاذة من شر شياطين الإنس والجن، فقد جمعت السورتان الاستعاذة من كل شر، ولهما شأن عظيم في الاحتراس والتحصن من الشرور قبل وقوعها، لهذا أوصى النبي ﷺ عقبه بن عامر بقراءتهما عقب كل صلاة<sup>(٢)</sup>، ذكره الترمذی في «جامعه» وفي هذا سر عظيم في استدفاع الشرور من الصلاة إلى الصلاة.

(١) زاد المعاد (١٨١/٤).

(٢) أخرجه أبو داود (١٥٢٣)، والترمذی (٢٩٠٣)، والنسائي في «الكبرى» (١٢٥٩).

وانظر «الأذكار للنوى» (١٧٣ - بتخریجنا) قال الترمذی «حديث حسن صحيح» وانظر «شرحنا لراه المعاد».

وقال: «ما تعود المتعودون بمثلهما». وقد ذكر أنه ﷺ سحر فى إحدى عشر عقدة، وأن جبريل نزل عليه بهما، فجعل كلما قرأ آية منهما انحلت عقدة، حتى انحلت العقد كلها، وكأنا أنشط من عقال<sup>(١)</sup>.

## ٦. قراءة البقرة، والفاتحة، والمعوذتين، والإخلاص

### على ماء والإغتسال فيه والوضوء والشرب.

فيمن كره: القرآن يكتب لمن يسقاه.

أخرج ابن أبى شيبة

عن إبراهيم أنه سئل عن رجل كان بالكوفة يكتب آيات من القرآن فيسقاه المريض، فكره ذلك<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهذا مر كثير فى كراهة ابن مسعود وأصحابه لذلك كله والرد عليه.

فى الرخصة فى القرآن يكتب لمن يسقاه.

وأخرج ابن أبى شيبة بسنده

عن عائشة أنها كانت لا ترى بأساً أن يعوذ فى الماء ثم يصب على المريض<sup>(٣)</sup>

عن أبى قلابة وليث عن مجاهد أنهما لم يريا بأساً أن يكتب آية من القرآن ثم يسقاه صاحب الفرع<sup>(٤)</sup>.

وأخرج عن الأسود أن أم المؤمنين عائشة سئلت عن النشرة فقالت: ما تصنعون بهذا؟ هذا القرأت إلى جانبكم؟ يستنقع فيه أحدكم يستقبل الجرية<sup>(٥)</sup>.

قلت: ولعل ابن أبى شيبة أورده ها هنا ليدلل على أن الماء مما يستخدم فى النشرة والقرآن كذلك فلا بأس بجمعها يقرأ القرآن على ماء ولعموم قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ وما ثبت فى المسند وغيره من حديث أبى سعيد مرفوعاً «الماء

(١) ذكره السيوطى فى «الدر» ٧١٧/٦ ونسبه لابن مردويه، والبيهقى فى «الدلائل»

وانظر «فتح القدير» ١٤٢٠٨ - بتخريجنا

(٢) أخرجه ابن شيبة (٤٣٤/٥).

(٣) (٤) أخرجه ابن أبى شيبة (٤٣٣/٥).

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة (٤٣٣/٥).



طهور»<sup>(١)</sup>. أى طاهر مطهر وسيأتى من كلام عوف ابن مالك الأشجعى لما مرض قال:  
أتونى بماء فإن الله تعالى يقول ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ والله أعلم.

قال ابن تيمية : ويجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيئاً من كتاب الله  
وذكره بالمداد المباح ويغسل ويقى كما نص على ذلك أحمد وغيره ثم استدلل بأثر ابن  
عباس الآتى (\*).

### قال الذهبي:-

ونص أحمد أن القرآن إذا كتب فى شىء وغسل وشرب ذلك الماء فإنه لا بأس به،  
وأن الرجل يكتب القرآن فى إناء ثم يسقيه المريض، وكذلك يقرأ القرآن على شىء ثم  
يشرب كل ذلك لا بأس به، وكذلك يقرأ على الماء، ويرش على المريض، وكذلك  
يكتب للمرأة إذا عسرت عليها ولادتها شىء من القرآن وتسقى.

وروى أن ابن عباس قال: كَانَ إِذَا عَسَرَ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلَادَتَهَا أَخَذَ إِنَاءً نَظِيفًا وَكَتَبَ  
فِيهِ: ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ وَكَانَهُمْ يَوْمَ يَرُونَهَا﴾ إلى آخر الآية ﴿لَقَدْ كَانَ فِي  
قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.  
ثم يغسلُ وتسقى المرأة وينضح على بطنها<sup>(٢)</sup>.

## ٧. علاج السحر باستخراجه

### بواب البخارى باب. هل يستخرج السحر؟

ثم علق عن قتادة قلت لسعيد بن المسيب: رجلٌ به طَبٌّ أو يُؤَخِّذُ عن امرأته - أيحل  
عنه أو ينشر؟ قال: لا بأس به؛ إنما يريدون به الإصلاح. فأما ما ينفع فلم ينه عنه<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٣١/٣)، وأبو داود (٦٦)، والترمذى (٦٦)، والنسائى (١/١٧٤) -

السيوطى

وانظر «السلسيل» (١١١بتخريجنا)

(\*) مجموع الفتاوى (٦٤/١٩)

(٢) (موقوف) أخرجه ابن أبى شيبة (١/٤٣٣/٥)، وابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (ص ٢٠٦ -

٢٠٧/٢٠٤ ح ٦٢٤). الطب النبوى للذهبي ص ٢٨٨. بتحققنا

(٣) تقدم تخريجه

ثم أخرج بسنده عن عائشة رضي الله عنها قات: كان رسول الله ﷺ سُحْرًا، حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن. قال سُفْيَان: وهذا أشدُّ ما يكون من السحر إذا كان كذا. فقال: «يا عائشة، أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي والآخرُ عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للآخر: ما بال الرجل؟ قال: مطبوب. قال: ومن طبه؟ قال: لبيد بن أعصم رجل من بنى زريق حليف لليهود كان منافقاً. قال: وفيم؟ قال: في مشط ومشاطة. قال: وأين؟ قال: في جُفِّ طلعة ذكر تحت رَعُوفَة في بئر ذَرُوان، قالت: فأتني النبي ﷺ البئر حتى استخرجه، فقال هذه البئر التي أريتها، وكأنَّ ماءها نُقاعة الحناء، وكان نخلها رءوس الشياطين. قال فاستخرج. قالت فقلت: أفلا- أي تنسرت-؟ فقال: أما والله فقد شفاني، وأكره أن أُتير على أحد من الناس شراً» (١).

قال ابن حجر (٢):-

قوله (باب هل يستخرج السحر)؟ كذا أورد الترجمة بالاستفهام إشارة إلى الاختلاف، وصدر بما نقله عن سعيد بن المسيب من الجواز إشارة إلى ترجيحه.

ويبين ابن القيم هدى النبي ﷺ في علاج السحر فذكر ثلاثة أنواع

أحدها- وهو أبلغها:- استخراجها وإبطاله، كما صحَّ عنه ﷺ أنه سأل ربه سبحانه في ذلك، فدل عليه، فاستخرجه من بئر، فكان في مشط ومشاطة، وجُفِّ طَلْعَة ذَكَر، فلما استخرجه، ذهب ما به، حتى كأنما أنشط من عقال، فهذا من أبلغ ما يُعالج به المطبوب، وهذا بمنزلة إزالة المادة الخبيثة وقلعها من الجسد بالاستفراغ (٣).

### ٨ علاج السحر باستفراغه من المكاف الذي يصل إليه

قال ابن القيم (٤):- والنوع الثاني: الاستفراغ في المحل الذي يصل إليه أذى السحر، فإن للسحر تأثيراً في الطبيعة، وهيجان أخلاطها، وتشويش مزاجها، فإذا ظهر أثره في عضو، وأمكن استفراغ المادة الرديئة من ذلك العضو، نفع جداً.

وقد ذكر أبو عبيد في كتاب «غريب الحديث» له بإسناده. عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، أن النبي ﷺ احتجم على رأسه بقرنٍ حين طُبَّ قال أبو عبيد: معنى طب: أي سحر.

وقد أشكل هذا على من قل علمه، وقال: ما للحجامة والسحر، وما الرابطة بين هذا

(٣) (٤) زاد المعاد (٤/١١٤).

(٢) (الفتح) (١٠/٢٤٤)

(١) تقدم تخريجه

الداء وهذا الدواء، ولو وجد هذا القاتل أبقرط، أو ابن سينا، أو غيرهما قد نص على هذا العلاج، لتلقاه بالقبول والتسليم، وقال: قد نص عليه من لا يشك في معرفته وفضله.

فاعلم أن مادة السحر الذى أصيب به ﷺ انتهت إلى رأسه إلى إحدى قُواه التى فيه بحيث كان يُخيل إليه أنه يفعل الشيء ولم يفعله، وهذا تصرف من الساحر فى الطبيعة والمادة الدموية بحيث غلبت تلك المادة على البطن المقدم منه، فغيرت مزاجه عن طبيعته الأصلية.

والسحر: هو مركب من تأثيرات الأرواح الخبيثة، وانفعال القوى الطبيعية عنها، وهو أشد ما يكون من السحر، ولا سيما فى الموضع الذى انتهى السحر إليه، واستعمال الحجامه على ذلك المكان الذى تضررت أفعاله بالسحر من أنفع المعالجة إذا استعملت على القانون الذى ينبغى.

قال أبقرط: الأشياء التى ينبغى أن تُستفرغَ يجب أن تُستفرغَ من المواضع التى هى إليها أميلُ بالأشياء التى تصلح لاستفراغها.

وقالت طائفة من الناس: إن رسولَ الله ﷺ لما أُصيب بهذا الداء، وكان يُخيلُ إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، ظنَّ أن ذلك عن مادة دموية أو غيرها مالت إلى جهة الدماغ، وغلبت على البطن المقدم منه، فأزالت مزاجه عن الحالة الطبيعية له، وكان استعمال الحجامه إذ ذاك من أبلغ الأدوية، وأنفع المعالجة، فاحتجم، وكان ذلك قبل أن يوحى إليه أن ذلك من السحر، فلما جاءه الوحي من الله تعالى، وأخبره أنه قد سحر، عدل إلى العلاج الحقيقى وهو استخراج السحر وإبطاله، فسأل الله سبحانه، فدلَّه على مكانه، فاستخرجه، فقام كأنما أنشطَ من عقال، وكان غايةً هذا السحر فيه إنما هو فى جسده، وظاهر جوارحه، لا على عقله وقلبه، ولذلك لم يكن يعتقدُ صحة ما يُخيلُ إليه من إتيان النساء، بل يعلم أنه خيال لا حقيقة له، ومثلُ هذا قد يحدثُ من بعض الأمراض، والله أعلم.

## ٩. الجِوَاءُ بِالْعَجْوَةِ لِلْسِحْرِ

كذا بوب البخارى ثم أخرج بسنده عن عامر بن سعد عن أبيه رضى الله عنه، قال «قال النبي ﷺ: من اصطبَحَ كل يوم تمرات عجوة لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل». وقال غيره «سبع تمرات»<sup>(١)</sup>.

وأخرج بسنده عن عامر بن سعد «سمعتُ سعداً رضى الله عنه يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: من تصبَحَ سبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»<sup>(٢)</sup>.

(١)، (٢) [صحيح] أخرجه البخارى (٥٧٦٨)، (٥٧٦٩).، ومسلم فى الأشربة (٢/١٤) - النوى). وانظر «الطب النبوى» (١٤٩) يتحققنا).

## قال ابن حجر (١):

قوله (باب الدواء بالعجوة للسحر) العجوة ضرب من أجود تمر المدينة وألينه. وقال الداودي: هو من وسط التمر. وقال ابن الأثير: العجوة ضرب من التمر أكبر من الصيحاني يضرب إلى السواد، وهو مما غرسه النبي ﷺ بيده بالمدينة. وذكر هذا الأخير القزاز.

قوله (من اصطيح) فى رواية أبى أسامة «من تصبّح» وكذا فى رواية جمعة عن مروان فى الصّحيح فى الأطعمة، وكذا لمسلم عن ابن عمرو كلاهما بمعنى التناول صباحاً.

قوله (كل يوم تمرات عجوة) كذا أطلق فى هذه الرواية، ووقع مقيداً فى غيرها، ففى رواية جمعة وابن أبى عمير سبع تمرات، وكذا أخرجه الإسماعيلى من رواية دحيم عن مروان، وكذا هو فى رواية أبى أسامة فى الباب، ووقع مقيداً بالعجوة فى رواية أبى ضمرة أنس بن عياض عن هاشم بن هاشم عند الإسماعيلى، وكذا فى رواية أبى أسامة، وزاد أبو ضمرة فى روايته التقييد بالمكان أيضاً ولفظه «من تصبّح بسبع تمرات عجوة من تمر العالية» والعالية القرى التى فى الجهة العالية من المدينة وهى جهة نجد، وللزيادة شاهد عند مسلم من طريق ابن أبى مليكة عن عائشة بلفظ «فى عجوة العالية شفاء فى أول البكرة» ووقع لمسلم أيضاً من طريق أبى طوالة عبدالله بن عبدالرحمن الأنصارى عن عامر بن سعد بلفظ «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها حين يصبّح» وأراد لابتي المدينة وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها.

قوله (لم يضره سم ولا سحر ذلك اليوم إلى الليل) السم معروف وهو مثل السين، والسحر تقدم تحريم القول فيه قريباً، وقوله «ذلك اليوم» ظرف وهو معمول ليضره، أو صفة لسحر، وقوله «إلى الليل» فيه تقييد الشفاء المطلق فى رواية ابن أبى مليكة حيث قال «شفاء أول البكرة فى أول ترياق» وتردده فى ترياق شك من الراوى، والبكرة بضم الموحدة وسكون الكاف يوافق ذكر الصباح فى حديث سعد، والشفاء أشمل من الترياق يناسب ذكر السم، والذى وقع فى حديث سعد شيثان السحر والسم، فمعه زيادة علم. وقد أخرج النسائى من حديث جابر رفعه «العجوة من الجنة، وهى شفاء من السم» (٢) وهذا يوافق رواية ابن أبى مليكة. والترياق بكسر المثناة وقد تضم وقد تبدل المثناة دالاً أو طاء بالإهمال فيهما، وهو دواء مركب معروف يعالج به المسموم، فأطلق على العجوة اسم الترياق تشبيهاً لها به، وأما الغاية فى قوله «إلى الليل» فمفهومه أن السر الذى فى العجوة من دفع ضرر السحر والسم يرتفع إذا دخل الليل فى حق من تناوله من أول

(١) الفتح (١٠/٢٤٩).

(٢) أخرجه النسائى فى «الكبرى» (٦٧١٥) عن أبى سعيد وجابر به

النهار، ويستفاد منه إطلاق اليوم على ما بين طلوع الفجر أو الشمس إلى غروب الشمس، ولا يستلزم دخول الليل، ولم أقف في شيء من الطرق على حكم من تناول ذلك في أول الليل هل يمكن كمن تناوله أول النهار حتى يندفع عنه ضرر السم والسحر إلى الصباح، والذي يظهر خصوصية ذلك بالتناول أول النهار لأنه حينئذ يكون الغالب أن تناوله يقع على الريق، فيحتمل أن يلحق به من تناول الليل على الريق كالصائم، وظاهر الإطلاق أيضاً المواظبة على ذلك. وقد وقع مقيداً فيما أخرجه الطبري من رواية عبد الله من غير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها «كانت تأمر بسبع تمرات عجوة في سبع غدوات» وأخرجه ابن عدى من طريق محمد بن عبدالرحمن الطفاوى عن هشام مرفوعاً، وذكر ابن عدى أنه تفرد به، ولعله أراد تفرد برفعه، وهو من رجال البخارى لكن في المتابعات.

**قال الخطابي:** كون العجوة تنفع من السم والسحر إنما هو ببركة دعوة النبي ﷺ لتمر المدينة لا لخاصية في التمر.

**وقال النووي:** في الحديث تخصيص عجوة المدينة بما ذكر، وأما خصوص كون ذلك سبباً فلا يعقل معناه كما في أعداد الصلوات ونصب الزكوات. قال: وقد تكلم في ذلك المازرى وعياض بكلام باطل فلا يغتر به انتهى.

**وقال القرطبي:** ظاهر الأحاديث خصوصية عجوة المدينة بدفع السم وإبطال السحر، والمطلق منها محمول على المقيد، وهو من باب الخواص التي لا تدرك بقياس ظني. ومن أئمتنا من تكلف لذلك فقال: إن السموم إنما تقتل لإفراط برودتها، فإذا داوم على التصبح بالعجوة تحكمت فيه الحرارة وأعانتها الحرارة الغريزية فقاوم ذلك برودة السم ما لم يستحکم. قال: وهذا يلزم منه رفع خصوصية عجوة المدينة بل خصوصية العجوة مطلقاً بل خصوصية التمر، فإن من الأدوية الحارة ما هو أولى بذلك من التمر، والأولى أن ذلك خاص بعجوة المدينة. ثم هل هو خاص بزمان نطقه أو في كل زمان؟ هذا محتمل، ويرفع هذا الاحتمال التجربة المتكررة، فمن جرب ذلك فصح معه عرف أنه مستمر، وإلا فهو مخصوص بذلك الزمان. قال وأما خصوصية هذا العدد فقد جاء في مواطن كثيرة من الطب كحديث «صبوا على من سيع قرب»<sup>(١)</sup> «وقوله المفؤود الذي وجهه للحارث بن كلدة أن يلدّه بسبع تمرات، وجاء تعويذه سبع مرات، إلى غير ذلك. وأما في غير الطب فكثير، فما جاء من هذا العدد في معرض التداوى فذلك لخاصية لا يعلمها إلا الله أو من أطلعه على ذلك، وما جاء منه في غير معرض التداوى فإن العرب تضع هذا العدد موضع الكثرة وإن لم ترد عدداً بعينه.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٤٤٤٢)، ومسلم في الصلاة (٤/١٣٥٤ - النووي)

وانظر «الطب النبوي» (٤٦١ - بتحقيقاً)

وقال ابن القيم: عجوة المدينة من أنفع تمر الحجاز، وهو صنف كريم ملزز متين الجسم والقوة، وهو من ألين التمر وألذّه. قال: والتمر في الأصل من أكثر الثمار تغذية لما فيه من الجوهر الحار الرطب، وأكله على الريق يقتل الديدان لما فيه من القوة الترياقية، فإذا أديم أكله على الريق جفف مادة الدود وأضعفه أو قتله انتهى. وفي كلامه إشارة إلى أن المراد نوع خاص من السم وهو ما ينشأ عن الديدان التي في البطن لا كل السموم، لكن سياق الخير يقتضى التعميم لأنه نكرة فى سياق النفي، وعلى تقديم التسليم فى السم فماذا يصنع فى السحر. أهـ.

وقال أيضاً<sup>(١)</sup>: ونفع هذا العدد من هذا التمر من هذا البلد من هذه البقعة بعينها من السم والسحر؟ بحيث تمنع إصابته من الخواص التي لو قالها بقراط وجالينوس وغيرهما من الأطباء. لتلقاها عنهم الأطباء بالقبول والإذعان والإنقياد مع أن القائل إنما معه الحدس والتخمين والظن؟ فمن كلامه كله يقين وقطع برهان ووحى أولى أن تتلقى أقواله بالقبول والتسليم وترك الاعتراض؟ وأدوية السموم تارة تكون بالكيفية وتارة تكون بالخاصية كخواص كثير من الأحجار والجواهر واليواقيت. والله أعلم. أهـ.

#### ١٠ علاج السحر بالعسل الأبيض

وقول الله عز وجل ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾

قال القرطبي<sup>(٢)</sup>: إختلف العلماء فى قوله تعالى ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ هل هو على عمومه أم لا؟

فقال طائفة: هو على العموم فى كل حال ولكل واحد، فروى عن ابن عمر أنه كان لا يشكو قرحة ولا شيئاً إلا جعل عليه عسلاً، حتى الدملى إذا خرج عليه طلى عليه عسلاً. وحكى النقاش عن أبى دجرة أنه كان يكتحل بالعسل ويستمشى بالعسل ويتداوى بالعسل. وروى أن عوف بن مالك الأشجعى مرض فقيل له: ألا نعالجك؟

فقال: اتنوني بالماء، فإن الله تعالى يقول ﴿وَنَزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا﴾ ثم قال اتنوني بعسل، فإن الله تعالى يقول ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ واتنوني بزيت، فإن الله تعالى يقول ﴿مِنْ شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فجاءوه بذلك كله فخلطه جميعاً ثم شربه فبرئ. ومنهم من قال: إنه على العموم إذا خلط بالخل ويطبخ فيأتى شراباً يتنفع به فى كل حالة من كل داء. أهـ.

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup>:-

وفيه من المنافع - أى العسل - ما لخصه الموفق البغدادي وغيره فقالوا: يجلو الأوساخ

(١) زاد المعاد (٤/٩٢). (٢) تفسير القرطبي (٦/٣٧٥٢). (٣) الفتح (١٠/١٤٦).

التي فى العروق والأمعاء، ويدفع الفضلات؟ ويغسل خمل المعدة ويسخنها تسخيناً معتدلاً، ويفتح أفواه العروق ويشد المعدة والكبد والكلية والمثانة والمنافذ، وفيه تحليل للرطوبات أكلاً وطلاءً وتغذية، وفيه حفظ المعجنات وإذهاب لكيفية الأدوية المستكرهة، وتنقية الكبد والصدر أ. هـ

قلت وعلى فرض عدم عموم الآية ففى ما ذكره الموفق يدل على أن العسل ينفع من السحر المأكول أو المشروب حيث أن العسل يجلو هذه الأوساخ ويدفع هذه الفضلات وبنحو كلام الموفق قال ابن القيم وزاد (١):-

وفى سنن «ابن ماجة مرفوعاً من حديث أبى هريرة «من لعق العسل ثلاث غدوات كل شهر، لم يصبه عظيم من البلاء» (٢) «وفى أثر آخر» عليكم بالشفائين العسل والقرآن» (٣) فجمع بين الطب البشرى والإلهى، وبين طب الأبدان، وطب الأرواح، وبين الدواء الأرضى والدواء السمائى.

### ١١. العلاج بالحبة السوداء

ثبت فى «الصحيحين»: من حديث أبى سلمة، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «عليكم بهذه الحبة السوداء، فإن فيها شفاءً من كل داء إلا السأم». والسأم: الموت (٤).

قال ابن القيم: الحبة السوداء: هى الشونيز فى لغة الفرس، وهى الكمون الأسود، وتسمى الكمون الهندي، قال الحربي، عن الحسن: إنها الخردل، وحكى الهروي: أنها الحبة الخضراء ثمرة البطم، وكلاهما وهم، والصواب: أنها الشونيز.

وهى كثيرة المنافع جداً، وقوله: «شفاء من كل داء»، مثل قوله تعالى: «تدمر كل شيءٍ بأمر ربها» (٥) أي: كل شيء يقبل التدمير ونظائره، وهى نافعة من جميع الأمراض الباردة، وتدخل فى الأمراض الحارة اليابسة بالعرض، فتوصل قوى الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة تنفيذها إذا أخذ سيرها (٦).

(١) زاد المعاد (٣٢/٤).

(٢) [ضعيف] أخرجه ابن ماجة (٣٤٥٠) عن أبى هريرة به. وانظر «الطب النبوي» (٢٦٩ - بتحققنا).

(٣) [ضعيف مرفوع] أخرجه ابن ماجة (٣٤٥٢) عن ابن مسعود به. انظر «الطب النبوي» (٢٧٠ - بتحققنا).

(٤) [متفق عليه] أخرجه البخارى (٥٦٨٧) ومسلم فى السلام (٢٠١/١٤) - النووي وانظر «الطب النبوي» (١٦٩) - بتحققنا.

(٥) الأحقاف: ٢٥.

(٦) زاد المعاد (٢٧٣/٤).

## فِيهِ مَسَائِلُ

الأولى: النَّهْيُ عَنِ النَّشْرِ.

الثانية: الْفَرْقُ بَيْنَ الْمُنْهَى عَنْهُ وَالْمُرْخَصِ فِيهِ مِمَّا يُزِيلُ الْإِشْكَالَ.

قال ابن حجر (١):-

وقال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة: تكلم الناس في هذا الحديث وخصوا عمومهم وردوه إلى قول أهل الطب والتجربة التي بناؤها على ظن غالب- فتصديق من لا ينطق عن الهوى أولى بالقبول من كلامهم. إنتهى وقد تقدم توجيه حمله على عمومهم بأن يكون المراد بذلك ما هو أعم من الأفراد والتركيب، فلا محذور في ذلك ولا خروج عن ظاهر الحديث. والله أعلم. أه.

قلت: وعلى قول ابن القيم وصريح قول ابن أبي جمرة فالحبة السوداء تدخل في علاج السحر والله أعلم.

### ١٢. الإنغماس في الفرات أو النيل سبع مرات لعلاج للسحر

أخرج ابن أبي شيبة بسنده.

- عن عائشة قالت: من أصابه بسرة أو سم أو سحر فليأت الفرات فليستقبل الجرية فينغمس فيه سبع مرات (٢).

قلت: وتقدم عنها وقد سئلت عن النشر فقالت: ما تصنعون بهذا؟ هذا الفرات إلى جانبكم، يستنقع فيه أحدكم يستقبل الجرية.

وقلت: ولا فرق بين النيل والفرات في هذا لانهما نهران من الجنة كما في الحديث النيل والفرات نهران من الجنة (\*) ولعل هذا هو سر الاستشفاء بماء الفرات والنيل قياس عليه والله أعلم.



قال ابن عثيمين (٣):- قوله فيه مسائل

الأولى: النهي عن النشر.

تؤخذ من قوله ﷺ: «هي من عمل الشيطان»، وهنا ليس فيه صيغة نهية، لكن فيه ما يدل على النهي؛ لأن طرق إثبات النهي ليست الصيغة فقط، بل ذم فاعله ونحوه، وتقبيح الشيء وما أشبه ذلك يدل على النهي.

(١) الفتح (١٠٠/١٥٢). (٢) ابن أبي شيبة (٥/٤٣٤/١). (٣) القول المفيد ٩١/٢ و ٩٢.

(\*) صححه الألباني في «السلسلة».



قلت: وقد استخلص الشيخ الخضرى فى كتابه «تاريخ التشريع الإسلامى» أساليب  
القرءان فى طلب الكف عن الفعل قبلت ثلاثة عشرة أسلوبا منها النهى والتحريم وعدم  
البخل وتغراير ونفى الفعل ذكر الفعل مقرنا بإثم أوم قرونا بوعيد أو وصف الفعل بأنه  
شر.. إلخ كما تقدم.

الثانية: الفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه.

تؤخذ من كلام ابن القيم رحمه الله وتفصيله.

إشكال وجوابه:

ما الجمع بين قول الفقهاء رحمهم الله يجوز حل السحر بالسحر، وبين

قولهم يجب قتل الساحر؟

الجمع أن مرادهم بقتل الساحر من يضر بسحره دون من ينفع؛ فلا يقتل، أو أن  
مرادهم بيان حكم حل السحر بالسحر للضرورة، وأما الإبقاء على الساحر؛ فله نظر  
آخر، والله أعلم. أهـ

قلت: أو يحمل على ما إذا تعلم إنسان السحر وهو ليس بساحر يعرف كيف يعالج أو  
يميز بينه وبين غيره أو لفرض آخر شرعى كما تقدم جواز ذلك عن بعض العلماء ثم  
طلب منه أن يعالج فهو هذه الحالة ليس بساحر وإن حل السحر بالسحر فلا ينسحب عليه  
قولهم يجب قتل الساحر والله أعلم.



## باب (٢٧) مَا جَاءَ فِي التَّطْيِيرِ

● تمهيد:

قال الفقير: تقدم معناه في أول كتاب التوحيد في الباب الثاني (من حقق التوحيد دخل الجنة) حديث ابن عباس في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب قوله «ولا يتطيرون»(\*) ، وذكر قول ابن حجر أن المراد أنهم لا يتشاءمون كما كانوا يفعلون في الجاهلية. أم.

وذكر ابن عثيمين أن التطير أبطله الشرع لضرره على الإنسان عقلاً وتفكيراً وسلوكاً. وأيضاً في الباب الرابع والعشرين (بيان شيء من أنواع السحر) تقدم قول سليمان آل الشيخ في الفرقان الذي يفرق به بين ولي الله وبين عدو الله أن أولياء الله لا يتطيرون وأولياء الشيطان يتطيرون ويتشاءمون.

وحديث «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت»(\*) أى من السحر، لتستوى بذلك الطيرة مع العيافة والطرق في أنها سحر، وأن العيافة: هي زجر الطير، كما قال عوف أحد رواة هذا الحديث. وأبو السعادات قال بأنها التفاؤل بأسماء وأصوات الطير وممرها.

وفائدة هذا التكرار، هو، معرفة أين ذُكرت كلمة تطير عند المذاكرة ومراجعة ماسبق من الأبواب سواء في الأبواب القريبة أو البعيدة، فأول باب ذكر فيه التطير هو «باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب، وقول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وذكر ضمن أحاديث الباب حديث السبعين ألف، وفيه أنهم يدخلون الجنة بغير حساب، ولما سُئل عنهم النبي ﷺ قال: «هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»، وفي بعض روايات مسلم «لا يرقون»، وهي صحيحة ثابتة خلافاً لقول ابن تيمية أنها شاذة، ومن تابعه على ذلك، فذكر هناك معنى التطير، وحكمه، وذكر هناك علاقة التطير بالمجتمعات الجاهلية، وصور التطير في الماضي والحاضر.

وكذلك في الباب الرابع والعشرين «باب بيان شيء من أنواع السحر وهنا ذكر كلام النبي ﷺ «إن العيافة والطرق والطيرة من الجبت» أى من السحر كما قال عوف أحد رواة الحديث، وغير هذا من المواضع التي ستتكلم عنها بالتفصيل في هذا الموضوع، فهناك عزونا لهذا الموضوع، وهنا أيضاً أشرنا إلى أنه تقدم شيء من التفصيل في ذلك.

(\*) تقدم

وهذه المواضع المتفرقة يجمعها هذا الباب بشيء من التفصيل والإيضاح، وهو يربط بين ما تقدم من مسائل وما سيأتي من مسائل التطير. وهذا أو ان الشروع فى الباب:

### ● مناسبة الباب لما قبله:

**قال الفقير:** كما قلت فى الباب الماضى الأنسب أن يأتى بباب النشرة بعد باب بيان شىء من أنواع السحر، ثم باب: ماجاء فى الكهان ونحوهم، ثم باب ماجاء فى التطير ذلك لأن هذا الترتيب أليق وتعلق النشرة بالسحر، والكهانة بالتطير ألقى ذلك؛ لأن النشرة كما تقدم حل السحر عن المسحور، وغالباً ماتكون بسحر؛ ولذا هى من عمل الشيطان. والتطير تحاكم إلى غير الله وتحكم على الغيب، وإدعاء له بغير دليل شأنها فى ذلك شأن الكهانة إلا أن التطير تحاكم إلى طير، والكهانة تحاكم إلى إنس إلا أن هذه الأبواب الأربعة تجتمع جميعاً فى الاعتماد على أشياء جاهلية، وهى فى الغالب خفية. والله أعلم.

### ● مناسبة الباب للتوحيد

#### قال سليمان آل الشيخ (١):

ولما كانت الطيرة باباً من الشرك منافياً للتوحيد أو لكماله لأنها من إلقاء الشيطان وتخويله ووسوسته، ذكره المصنف فى كتاب التوحيد تحذيراً منها وإرشاداً إلى كمال التوحيد بالتوكل على الله. أهـ.

وتابعه على هذه المناسبة عبدالرحمن آل الشيخ حيث قال (٢):

ولما كانت الطيرة من الشرك المنافى لكمال التوحيد الواجب لكونها من إلقاء الشيطان وتخويله ووسوسته ذكرها المصنف رحمه الله فى كتاب التوحيد تحذيراً عما ينافى كمال التوحيد الواجب أ.هـ.

#### وقال عبدالله بن جار الله (٣):

مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد هى أن الطيرة من الشرك المنافى للتوحيد، أو لكماله الواجب لما فيها من تعلق القلب بغير الله. أهـ.

**وقال ابن عثيمين (٤):** أن التطير ينافى التوحيد. أهـ. كما سيأتى تفصيل ذلك.

**قال الفقير:** ولما كان التوحيد تصديق لله، وما جاء عن الله، وما جاء عن رسول الله وكان التطير ادعاء الغيب لغير الله، فهذا يناقض التوحيد، وتقدم معنا أن «من أتى كاهناً

(٢) فتح المجيد (٢/٤٠١).

(٤) القول المفيد (٢/٩٣).

(١) تيسير العزيز الحميد (٣١١، ٣١٢).

(٣) الجامع الفريد (١١٣).

أو عرفاً فصدقه فقد كفر»، لأن ما أنزل على محمد فيه ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فكونك تزعم أن فلان أو فلانة يعلم الغيب، فقد كفرت بما أنزل على محمد، ولما تربط التعاسة والسعادة وهي مسائل غيبية، سواء غيب مطلق أو غيب نسبي، إذا اعتقدت أن غير الله يعرفها، هذا الكلام يقدر في أصل التوحيد وليس في الكمال.

وكذلك هذا التطير يتنافى مع التوكل لأن النبي ﷺ قال «لا يتطيرون»، والتطير غير متوكل على الله أبداً، بل متوكل على غير الله، وليس عنده ثقة بالله، بل عنده ثقة بغير الله، لأن الذي رده الطيرة، أو الذي دفعه للعمل هو أصل الطيرة، وليس ثقته بالله، ولا توكله على الله.



### ● شرح الترجمة [ما جاء في الطيرة]

قال ابن حجر في «الفتح»<sup>(١)</sup>:

بكسر المهملة وفتح التحتانية وقد تسكن هي التشاؤم بالشين، وهو مصدر تطير مثل تحير حيرة.

قال بعض أهل اللغة لم يجيء من المصادر هكذا غير هاتين، وتعقب بأنه سمع طيبة، وأورد بعضهم التولة وفيه نظر.

وأصل التطير: أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون على الطير فإذا خرج أحدهم لأمر فإن رأى الطير طار يمتة تيمن به واستمر، وإن رآه طار يسرة تشاءم به ورجع، وربما كان أحدهم يهيج الطير ليطير فيعتمدها، فجاء الشرع بالنهاي عن ذلك، وكانوا يسمونه. (السانح) بمهمله ثم نون ثم حاء مهمله، (والبارح) بموحدة وآخره مهمله، (فالسانح) ما ولاك ميامنه بأن يمر عن يسارك إلى يمينك، (والبارح) بالعكس.

وكانوا يتيمنون بالسانح ويتشاءمون بالبارح؛ أنه لا يمكن رميه إلا بأن ينحرف إليه، وليس في شيء من سنوح الطير وبروحها ما يقتضى ما اعتقدوه، وإنما هو تكلف بتعاطى ما لا أصل له، إذ لانطق للطير ولا تمييز فيستدل بفعله على مضمون معنى فيه، وطلب العلم من غير مظانه جهل من فاعله.

قلت: وهذا يحدث، فإنك تجد، رب المنزل إذا أراد أن يذهب إلى عمله، يسأل ابنه الصغير، ما رأيك هل أذهب أم لا؟ فإذا قال له: لا تذهب، جلس ولم يذهب، وإذا

(١) فتح الباري (١٠/٢٢٣)

قال له: اذهب، يتفائل ويذهب، فهذا أشبه ما يكون بالتطير، لأنه أخذ العلم من غير مظانه، فهذا الذى يفعل ذلك لم يشبه المتطيرين فحسب لكن هو فى الحقيقة يشبه الطالحين مثل الصوفيين وأهل البدع والأهواء. الذين يذهبون إلى من لا يعقل، بل هو مجنون، ويزعمون أنه ولى الله.

ثم قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: وقد كان بعض عقلاء الجاهلية ينكر التطير ويتمدح بتركه، قال شاعر منهم: وهو المرقش.

ولقد غدوت وكننت لا      أغدو على واق وحاتم  
فإذا الأشائم كالأيا      من والأيامن كالأشائم

وقال آخر

الزجر والطير والكهان كلهم      مضللون ودون الغيب أقفال

وقلت انظر لقد أصاب قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ فإذا كان مفاتيح الغيب عند الله فأين الغيب نفسه إذ دونه أقفال هيئات أن تصل إلى المفاتيح فضلاً على أن تصل إلى القفل فضلاً إلى أن تصل إلى ما وراء هذه الاقفال أ.هـ.  
وقال آخر:

وما عاجلات الطير تدنى من الفتى      نجاحاً، ولا عن ريشهن قصور

وقال آخر:

لعمر كماندرى الطوارق بالحصى      ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر:

تخير طيرة فيها زياد      لتخبره، وما فيها خبير  
تعلم أنه لا طير إلا      على متطير، وهو الثبور  
بلى شيء يوافق بعض شيء      أحايينا، وباطله كثير

(١) فتح البارى (١٠/٢٢٣، ٢٢٤)

وكان أكثرهم يتطيرون ويعتمدون على ذلك ويصح معهم غالباً لتزيين الشيطان ذلك، وبقيت من ذلك بقايا في كثير من المسلمين.

قلت: أو فتنة من الله عز وجل لهؤلاء كما أن الله عز وجل يفتن يأجوج ومأجوج حين يقتلون من في الأرض بزعمهم ثم يضربون بسهامهم في السماء فتنزل بدماء فيقولون قتلنا من في الأرض وقتلنا من في السماء يعنون بذلك الله عز وجل تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

### ● الترهيب من الطيرة وطرق علاجها:

وقد أخرج ابن حبان في صحيحه من حديث أنس رفعه «لا طيرة والطيرة على من تطير»<sup>(١)</sup> وأخرج عبدالرزاق عن معمر عن إسماعيل بن أمية عن النبي ﷺ «ثلاثة لا يسلم منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد. فإذا تطيرت فلا ترجع؛ وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقق»<sup>(٢)</sup> وهذا مرسل أو معضل، لكن له شاهد من حديث أبي هريرة<sup>(٣)</sup> أخرجه البيهقي في «الشعب».

قلت: قوله «وإذا حسدت فلا تبغ»، هذا يدل على أن هناك حسد فيه بغى، وحسد ليس فيه بغى، فالحسد المشروع الذي لا بغى فيه هو الغبطة، وهي تمنى ما مع الغير من خير مع عدم تمنى زولها، وفيه قال ﷺ: «لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالا فينفقه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة، وفي رواية «ورجل آتاه الله القرآن» فلا حسد إلا في هذين.

قوله «وإذا ظننت فلا تحقق»، وهذا إذا ما ظننت بأخيك ظناً سيئاً، إذا حدث هذا منك فلا تحقق، لأنك لو فعلت ستأكد الظن وتجعله يقيناً أ.هـ.

وأخرج ابن عدى بسند لين عن أبي هريرة رفعه «إذا تطيرتم فامضوا، وعلى الله فتوكلوا».

قلت: فالتوكل علاج للتطير والمضى وعدم الرجوع بسبب الطيرة علاج الطيرة أما السير والجرى وراء التطير أو التشاؤم فهذا عمل بالتطير أو التشاؤم ينافي التوكل على الله عز وجل وعدم الثقة به وتقع بذلك في شرك أكبر أو أصغر أ.هـ.

وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رفعه «لن ينال الدرجات العلا من تكهن، أو

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٢/٧) عن أنس به.

(٢) أخرجه عبدالرزاق في «مصنفه» (١٩٥٠٤) ومن طريقه البيهقي في «الشعب» (١١٧٢)

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (١١٧٣) عن أبي هريرة بنحوه.

استقسم، أو رجع من سفر تطيراً»<sup>(١)</sup> ورجاله ثقات، إلا أنني أظن أن فيه انقطاعاً، وله شاهد عن عمران بن حصين وأخرجه البزار في أثناء حديث بسند جيد.

قلت: قول أبي الدرداء الذي رفعه «لن ينال الدرجات العلاء...».

قوله: «تكهن» أى: ذهب وقام بهذه الكهانة، وتقدم معنا فى باب «ما جاء فى الكهان ونحوهم»، قوله ﷺ «ليس منا من تكهن أو تكهن له».

وأما الاستقسام، فهو كما قال تعالى: «وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ» وهو أن يحدث القسمة بعد ذبح الجزور أقسام، وبعد ذلك يأتوا بالأزلام من خشب ويضرب بها، ويخرج نصيب كلاً منهما، فهذا تقسيم لكن عن طريق الضرب بالأقداح بهذه الصفة.

وأخرج أبو داود والترمذى وصححه هو وابن حبان عن ابن مسعود رفعه «الطيرة شرك، وما منا إلا تطير، ولكن الله يذهب بالتوكل» وقوله «ومامننا إلا»<sup>(٢)</sup> من كلام ابن مسعود أدرج فى الخبر.

وقد بينه سليمان بن حرب شيخ البخارى فيما حكاه الترمذى عن البخارى عنه.

وإنما جعل ذلك شركاً لاعتقادهم أن ذلك يجلب نفعاً أو يدفع ضرراً، فكأنهم أشركوه مع الله تعالى، وقوله «ولكن الله يذهب بالتوكل» إشارة إلى أن من وقع له ذلك فسلم لله ولم يعبأ بالطيرة أنه لا يؤاخذ بما عرض له من ذلك قلت بل ربما يؤجر اذا ما دفع ذلك بالحديث السابق وفيه فإذا تطيرت فلا ترجع فإذا لم يرجع ودفع التطير معتقلاً لأمر النبىؐ فهو ماجور والله أعلم أ.هـ.

وأخرج البيهقى فى «الشعب» من حديث عبدالله بن عمرو موقوفاً «من عرض له من هذه الطيرة شىء فليقل: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»<sup>(٣)</sup>. قلت: ذكر فى هذه الفقرة الترهيب من الطيرة لبيان أنها شرك، وأنه ليس له الدرجات العلاء، وذكر فى أضعاف ذلك علاج الطيرة، وهى إما بالتوكل أو عدم الرجوع: أو المضى أ.هـ.

قال القرطبى فى «تفسيره»<sup>(٤)</sup>:

كانت العرب تيمين بالسائح، وهو الذى يأتى من ناحية اليمين. وتشاءم بالبارح،

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (١١٨/٥) ونسبه للطبرانى بإسنادين وقال: ورجال أحدهما ثقات.

(٢) سيأتى تخريجه (٣) سيأتى تخريجه

(٤) تفسير القرطبى (٤/ ٢٧٠٠: ٢٧٠٢).

وهو الذى يأتى من ناحية الشمال. وكانوا يتطيرون أيضاً بصوت الغراب، ويتأولونه البين. وكانوا يستدلون بمجوابات الطيور بعضها بعضاً على أمور، وبأصواتها فى غير أوقاتها المعهودة على مثل ذلك. هكذا الأطباء إذا مضت سائحة أو بارحة، ويقولون إذا برحت: «من لى بالسائح بعد البارح». إلا أن أقوى ما عندهم كان يقع فى جميع الطير؛ فسموا الجميع تطيراً من هذا الوجه. وتطير الأعاجم إذا رأوا صيباً يذهب به إلى المعلم بالغداة، ويتيمنون برؤية صبي يرجع من عند المعلم إلى بيته، ويتشاءمون برؤية السقاء على ظهره قربة مملوءة مشدودة، ويتيمنون برؤية فارغ السقاء مفتوحه، ويتشاءمون بالحمال المثقل بالحمل، والدابة الموقرة، ويتيمنون بالحمال الذى وضع حملة، وبالذابة يحط عنها ثقلاً. فجاء الإسلام بالنهى عن التطير والتشاؤم بما يسمع من صوت طائر ما كان، وعلى أى حال كان؛ فقال عليه السلام: «أقروا الطير على مكنتها». وذلك أن كثيراً من أهل الجاهلية كان إذا أراد الحاجة أتى الطير فى وكرها فنفرها؛ فإن أخذت ذات اليمين مضى لحاجته، وهذا هو السائح عندهم. وإن أخذت ذات الشمال رجع، وهذا هو البارح عندهم. فنهى النبى ﷺ عن هذا بقوله: «أقروا الطير على مكنتها»<sup>(١)</sup> هكذا فى الحديث. وأهل العربية يقولون «وكنتها» قال امرؤ القيس:

### وقد أغتدى والطير فى وكنتها

والوكنة: اسم لكل وكر وعش. والوكن: موضع الطائر الذى يبض فيه ويُفرخ، وهو الخرق فى الحيطان والشجر. ويقال: وكن الطائر يكن وكونا إذا حضن بيضه. وكان أيضاً من العرب من لا يرى التطير شيئاً، ويمدحون من كذب به. قال المرقش:

ولقد غدوت وكننت لا      أغدو على واق وحاتم  
فإذا الأشائم كالأيا      من والأيامن كالأشائم

قلت: هذا يبين أن الطير هو طير سواء ذهب جهة اليمين أو اليسار فليس له علاقة بالخير المقدر لك إن قدر لك أو بالشر إن قدر لك لكن جاء الإسلام فنهى عن ذلك كله وعلمنا الرسول ما هو أفضل من ذلك كله فكما قال الصحابة كان يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها كسورة من القرآن والحديث ثابت فى الصحيح عن جابر رضى الله عنه - كان النبى ﷺ - يعلمنا الاستخارة فى الأمور كلها، كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل... «الحديث».

(١) ذكره الهيثمى فى «المجمع» (١٠٦/٥) وقال: رواه الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها ثقات.



فليس هناك أفضل من أن تذهب إلى الله وتتقدم بين يديه بركعتين ثم تسأله بجامع الخير ومجامع التوحيد والثناء عليه بأحسن أسمائه وصفاته، فلا يُظن بعد ذلك إلا التوفيق، فهل يستوى هذا مع التطير الذي ليس له معنى شرعى ولا ضابط من الدين.

لهذا قال عكرمة: كنت عند ابن عباس فمر طائر يصيح؛ فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال ابن عباس: ما عند هذا لآخر ولا شر.

ومثال ذلك أيضاً: ما تصدره النساء من أصوات في الأعراس الجاهلية تحية لأهل العروسين فإذا سمع أحد الحاضرين هذا الصوت الذى يسمونه (زغروطة). استبشر وقال خيراً ويفرح بذلك ولكنى أقول: إن هذا من فعل الشياطين لما جاء فى الحديث إن صح «صوتان لا يحبهما الله صورت فى فرج وصورت فى حزن أو جنازة» ولو قلنا بأنه لا يصح، فنقول: قال تعالى ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ فهذا نص فى حرمة هذه الأصوات، وهذا الذى يثنى على هذا الصوت ويقول (خيراً) هو فى قلبه مرض لأنه طمع والله أعلم.

ثم قال القرطبي:

قال علماؤنا: وأما أقوال الطير فلا تعلق لها بما يجعل دلالة عليه. ولا لها علم بكائن فضلاً عن مستقبل فتخير به.

ولافى الناس من يعلم منطلق الطير؛ وإلا ما كان الله تعالى خص به سليمان عليه السلام من ذلك. فالتحق التطير بجملة الباطل. والله أعلم.

وقال عليه السلام «ليس منا من تحلم أو تكهن أو رده عن سفره تطير».

وقوله (تحلم) يعنى أنه يدعى رؤية ما لم يره كمن يدعى أنه رأى النبى - ﷺ - ولم يره، وكثيراً ما يدعى ذلك أصحاب الطرق الصوفية ويرتقى الرجل عندهم بذلك ولأن الرؤية الصادقة جزء من ستة وأربعين جزء من النبوة فكان لا بد من الترهيب من ادعاء رؤية ما لم يره وهو التحلم ولو ترك الأمر دون ترهيب لأختلط الخير بالشر ولصد عن السنة لذلك عدها الامام الذهبى من الكبائر فى كتابه أ.هـ.

وروى أبو داود عن عبدالله بن مسعود عن النبى ﷺ قال: «الطيرة شرك - ثلاثاً - ومامننا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل» (١).

وروى عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «من رجعت الطيرة عن حاجته فقد أشرك». قيل: وما كفارة ذلك يا رسول الله؟ قال: «أن يقول أحدهم اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك ثم يمضى لحاجته» (٢). وفى خبر

(١) سيأتى تخريجه

(٢) سيأتى تخريجه

آخر: «إذا وجد ذلك أحدكم فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك». ثم يذهب متوكلاً على الله؛ فإن الله يكفيه ما وجد في نفسه من ذلك، وكفاه الله تعالى ما يهمله (١). أهـ.

### ● حكاية التطير غالباً عن أعداء الرسل:

قال القيم (\*): لم يحك الله التطير إلا عن أعداء الرسل كما قالوا لرسولهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٨) ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾. وكذلك حكى الله سبحانه عن قوم فرعون فقال فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ حتى إذا أصابهم الخصب والسعة والعافية قالوا لنا هذه أى نحن الجديرون الحقيقيون به ومن أهله وإن أصابهم بلاء وضيق وقحط ونحوه قالوا هذا بسبب موسى وأصحابه أصبنا بشؤمهم ونفض علينا غبارهم بقوله المتطير لمن يتطير به فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده كما قال تعالى عن أعداء رسوله ﷺ ﴿وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ فهذه ثلاثة مواضع حكى فيها التطير عن أعدائه وأجاب سبحانه عن تطيرهم بموسى وقومه بأن طائرهم عند الله لا بسبب موسى وأجاب عن تطير أعداء رسول الله ﷺ بقوله ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ وأجاب عن الرسول بقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ وأما قوله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ فقال ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم.

وفى رواية شؤمهم عند الله ومن قبله أى إنما جاءهم شؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

وقال أيضاً أن الأرزاق والأقدار تتبعكم وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ أى ما تطير له من الخير والشر فهو لازم له فى عنقه والعرب تقول جرى له الطائر بكذا من الخير والشر قال أبو عبيدة: الطائر عندهم الحظ، وهو الذى تسميه العامة البخت يقولون هذا يطير لفلان أى يحصل له.

(١) سيأتى تخريجه.

(\*) مفتاح دار السعادة (٥٧٨ - ٥٨٠)

قلت ومنه الحديث فطار لنا عثمان بن مظعون أى أصابنا بالقرعة لما اقترع الأنصار على نزول المهاجرين عليهم.

وفى حديث رويغ بن ثابت حتى أن أحدنا ليطير له النصل والریش وللآخر القدر أى يحصل له بالشركة فى الغنيمة.

وقيل فى قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ أن الطائر ههنا هو العمل قاله الفراء وهو يتضمن الرد على نفاة القدر وخص العنق بذلك من بين سائر أجزاء البدن لأنها محل الطوق الذى يطوقه الإنسان فى عنقه فلا يستطيع فكاهه ومن هذا يقال اثم هذا فى عنقك، وأفعل كذا واثمه فى عنقى، والعرب تقول طوقها طوق الحمامة وهذا ربقه فى رقبته.

وعن الحسن ابن آدم لتنتظر لك صحيفة إذا بعثت قلدتها فى عنقك فخصوا العنق بذلك لأنه موضع القلادة والتميمة واستعمالهم التعاليق فيها كثير كما خصت الأيدي بالذکر فى نحو (بما كسبت أيديكم) (بما قدمت يداك) ونحوه.

وقيل المعنى أن الشؤم العظيم هو الذى لهم عند الله من عذاب النار وهو الذى أصابهم فى الدنيا.

وقيل المعنى إن سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليه ما يسوءهم ويعاقبون عليه بعد موتهم بما وعدهم الله ولا طائر أشأم من هذا.

وقيل حظهم ونصيبهم وهذا لا يناقض قول الرسل طائرکم معکم أى حظکم ومانالکم من خير وشر معکم بسبب أفعالکم وكفرکم ومخالفتکم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيتکم وعدوانکم، فطائر الباغى الظالم معه وهو عند الله كما قال تعالى ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ ولو فقهوا وفهموا لما تطيروا بما جئت به لأنه ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضى الطيرة فإنه كله خير محض لا شر فيه، وصلاح لا فساد فيه، وحكمة لا عبث فيها، ورحمة لا جور فيها، فلو كان هؤلاء للقوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا فإن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والمصلحة والحكمة والرحمة، وليس فيما أنبتهم به لو فهموا ما يوجب تطيرهم بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيتهم وهو عند الله كسائر حظوظهم وأنصابهم التى يتناولوها منه بأعمالهم وكسبهم.

ويحتمل أن يكون المعنى طائرکم معکم أى راجع عليكم فالتطير الذى حصل لكم إنما

يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام مثل قوله في الحديث أخذنا فالك من فيك ونظيره قول النبي ﷺ «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم» فعلى هذا معنى طائرکم معكم أى تصيکم طيرتکم التى تطيرتم بها لأنهم اعتقدوا الشؤم فيها، ولاشؤم فيها ألبته فقیل لهم الشؤم منكم وهو نازل بكم فتأمله وهذا يشبه قوله تعالى ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ قيل جزاء مكرهم عنده فمكر بهم كما مكرؤا برسله، مكره تعالى بهم إنما كان بسبب مكرهم فهو مكرهم عاد عليهم وكيدهم عاد عليهم فهكذا طيرتهم عادت عليهم وحلت بهم.

### فائدة:

وسمى جزاء المكر مكرأ وجزاء الكيد كيدأ تنبيها على أن الجزاء من جنس العمل ولما ذكر سبحانه أن أصابهم من حسنه وسيئه أى نعمة ومحنة فالكل منه تعالى بقضائه وقدره فكأنهم قالوا فما بالك أنت تصيک الحسنات والسيئات كما تصينا فذكر سبحانه أن ماصابه من حسنة فمن الله من بها عليه وأنعم بها عليه، وما أصابه من سيئة فمن نفسه أى بسبب من قبله أى لا لتقص ما جاء به، ولا لشرفه فيه، ولا لشؤم يقتضى أن تصييه السيئة، بل بسبب من نفسه ومن قبله وقد قيل فى قوله تعالى ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أن طائرهم هنا هو السبب الذى يجىء فيه خيرهم وشهرهم فهو عند الله وحده وهو قدره وقسمه إن شاء رزقكم وعافاكم وإن شاء حرمكم وابتلاككم ومن هذا قالوا طائر الله لا طائر كلبى قدر الله الغالب الذى يأتى بالحسنات ويصرف السيئات.

ومنه «اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك» وعلى هذا فالمعنى بطائرکم نصيکم وحظکم الذى يطيرکم ومن فسره بالعمل فالمعنى طائرکم الذى طار عنكم من أعمالکم ويهدين القولين فسر معنى قوله تعالى ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ﴾ وأنه ما طار عنه من عمله أو صار لازما له مما قضى الله عليه وقدر عليه وكتب له من الرزق والأجل والشقاوة والسعادة أهـ.

### قال سليمان آل الشيخ (١) عن تطير الجاهلية:

نفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير فى جلب نفع أو دفع ضرر. قال المدائنى: سألت رؤبة بن العجاج ما السناح؟ قال: ما ولاك ميامنه. قلت: فما البارح؟ قال: ما ولاك مياسره. قال: والذى يجىء من أمامك فهو الناطح والنطیح، والذى يجىء من خلفك هو القاعد والقعيد... أهـ.

(١) تيسير العزيز اخميد (٣١١، ٣١٢).

وقال حامد بن محمد (١): بين رسول الله ﷺ الطيرة، وفسرها بقاعدة كلية - كما سيأتي - يفهم منها أن كل شيء أمضاك وجراك على أمر، أوردك ومنعك عنه فذاك الطيرة، ومن مضى أو امتنع بسببها فقد أشرك. أهـ.

وقال ناصر السعدي (٢):

وهو التشاؤم بالطيور، والأسماء، والألفاظ، والبقاع، وغيرها، فنهى الشارع عن التطير ودم المتطيرين، وكان يحب الفأل ويكره الطيرة. أهـ.  
وسيأتي الفرق بينهما إن شاء الله.

قلت: وقد يحدث هذا التشاؤم بالصلحين أو باسمه كما تشأمت اليهود بجبريل عليه السلام وعادوه وقالوا إن كان الذى ينزل عليه جبريل فهذا الذى يأتى بالحرب وهو عدونا وإن كان ميكائيل فهو حبيبا لأنه الذى ينزل بالقطر فالله عز وجل نفى ذلك عن جبريل وقال ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ فإنهم تشاءموا بالملك الذى لا يعصى ولا يأتى إلا بالخير بل هو كما وصفه الله - سبحانه وتعالى - ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ ولكن السبب فى تشاؤمهم بالملك مع صلاحه هو مرض القلب الذى يقلب الأمور ويجعل المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة والحسنة سيئة والسيئة حسنة، فالذى يمرض قلبه تنقلب عنده كل الأمور، لذلك فإنه لا بد أن يحذر كل من فى حاله إحساسه بمرض فى قلبه من شبه أو شهوة أن يتخذ قراراً مصيرياً فى حياته فإنه قد تغلبه شهوته أو تعميه عن الحق فصدق من قال «مرأة الحب - يعنى الشهوة - عمياء» لا يرى فيها الحق وقد تغلبه شهوته فتسبق قراره ويقع أثر ذلك فى هلاك ووبال عليه.

وذلك لأنه فى حالة المرض - مرض القلب تكون الأمور عند صاحب هذا القلب غير منضبطة تماماً فليخدر الإنسان من زواج أو طلاق أو ذهاب لشيخ أو ترك شيخ وقلبه مريض.

ولكن إذا كان هناك قرار لا بد من أخذه ولا زال القلب على مرضه لم يبرأ بعد فماذا يفعل صاحب هذا القلب؟.

أقول. يتخير رجلاً تقياً يعرف عنه ذلك أثناء صلاح قلبه فيستشيره ويقص عليه الخبر، فيكون بذلك قد عرض الأمر على قلب سليم فإن شرح الله صدره لهذا الأمر فليفعل بعد الإستخارة ولعله يدل على ذلك ما تقدم مراراً أن عمر بن الخطاب - رضى

(٢) القول السديد (٨٠)

(١) فتح الله الحميد المجيد (٢٣٩)

الله عنه ما تقدم لقتال المرتدين إلا بعد أن رأى ان الله شرح صدر أبي بكر لقتالهم فعلم أنه الحق.

وأنت كذلك إذا لم تعوّل على قلبك لشهوة أو شبهة فعوّل على قلوب من تظن فيهم الخير فإن رأو لك شيئاً فهو خير بعد الاستخارة. والله أعلم.

وقال عبدالله بن جبار الله (١):

التطير هو التشاؤم بمرئى أو مسموع من الطيور ونحوها، وحكمه التحريم؛ لأنه شرك. أهـ.

قال ابن باز: (ما جاء فى التطير) أى من النهى عنه، والسويد فيه، أهـ ثم ذكر تعريف الطيرة بنحو مما تقدم.

وقال ابن عثيمين (٢):

التطير فى اللغة: مصدر تطير، وأصله مأخوذ من الطير؛ لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يمينا أو شمالاً أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة التى فيها التيامن؛ أقدم، أو فيها التشاؤم؛ أحجم.

أما فى الاصطلاح: فهى التشاؤم بمرئى أو مسموع، هذا من الأمور النادرة؛ لأن الغالب أن اللغة أوسع من الاصطلاح؛ لأن الاصطلاح يدخل على الألفاظ قيوداً تخصها، مثل الصلاة لغة: الدعاء، وفى الاصطلاح أخص من الدعاء، وكذلك الزكاة وغيرها.

وإن شئت؛ فقل: التطير: هو التشاؤم بمرئى أو مسموع أو معلوم قلت هو اوسع واشمل التعريفات.

بمرئى مثل: لو رأى طيراً فتشاءم لكونه موحشاً

أو مسموع مثل: من هم بأمر فسمع أحداً يقول لآخر: يا خسران، أو يا خائب، فيتشاءم.

أو معلوم؛ كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات؛ فهذه لاترى ولا تسمع. أهـ.

قلت: وصور التشاؤم كثيره معلومه وهى قديمه وحديثه من ذلك تشاؤم الجاهلين قديماً بالزواج فى شهر شوال، لذلك أراد النبى ﷺ - إزالة ذلك الإعتقاد ومخالفتهم فتزوج عائشة فى شوال وبنى بها أيضاً فى شوال والحديث عند مسلم.

(١) الجامع الفريد (١١٣)

(٢) القول المفيد (٩٣/٢).

وكذلك الجاهلية الحديثة وتشاؤم أهلها بساعة نحسى فى يوم الجمعة ولا يسمعون إلى قول النبى - ﷺ - أن فيه ساعة إجابة، فهو مصدر للخير لا للنحس.

وكذلك من جمع بين المسموع والمرئى مثل رؤية تكسير بعض الأشياء فيتشأم أو يتفاءل ويعتقد أنها ذهبت بالشر ولا يتذكر قول النبى - ﷺ - لو قدر الله لكان، قدر الله وما شاء فعل، وآمن بالقدر خيره وشره ويقابل ذلك بالرضى والتسليم.

**وقال حافظ بن أحمد حكيمى (١):**

أما الطيرة: فهى ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة: كياهاالك، أو يامحوق، ونحوهما.

وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة، وماشاكلها إذا صاحت، قالوا: إنها ناعبة أو مخبرة بشر.

وكذا التشاؤم بملافة الأعرور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء. وكثير من الناس يتشأم بما يعرض له نفسه فى حال خروجه، كما إذا عشر، أو شيك، يرى أنه لا يجد خيراً.

ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام، أو بعض الساعات، كالحادى والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك، فلا يسافر فيها كثير من الناس، ولا يعقد فيها نكاحاً ولا يعمل فيها عملاً مهماً ابتداء، يظن أن يعتقد أن تلك الساعة نحس.

ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشراً وكذا صوت الثعلب عندهم.

ومن ذلك الاستقسام بالأزلام الذى أمر الله تعالى باجتنابه، وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان، وهذا ما شاكله كثير منه كان فى الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله الإسلام، فأعاده الشيطان فى هذا الزمان أكثر مما كان عليه فى الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، أرداهم الله وألحقهم به. آمين أه.

● التطير من الأمراض النفسية:

**وقال محبى الدين درويش (٢):** اصطلح علماء النفس على معنى أثبت لها، فاعتبروها مرضاً من شعبة أمراض الخوف الناشئ عن ضعف الأعصاب واختلالها، إلا أنها خوف خاص له بواعثه وأعراضه، وأولها ضعف الأعصاب، فالرجل السليم لا يتطير

(٢) إعراب القرآن الكريم (٣/٤٣٥).

(١) معارج القبول (٢/٣٣١/٣٣٢).

ولايشاء، لأنه يتظر من الدنيا خيراً، ولا يحس النفرة بينه وبينها، ومن ثم لم يحس الخوف ولا التطير منها، ويمكن أن نعتبر الطيرة أنها تشاؤم مؤقت استدعته ظروف طارئة، وجو يلائم حالات اليأس والتشاؤم العارضة، فإذا بالمتطير يتسلف الفزع من الشر قبل وقوعه. أهـ.

## فصل

### ما جاء في الفرق بين الطيرة والفأل

قال الخطابي: الفرق بين الفأل والطيرة أن الفأل من طريق حسن الظن بالله والطيرة لا تكون إلا في السوء في فلذلك كرهت.

وقال النووي: الفأل يستعمل فيما يسوء، وفيما يسر، وأكثره في السرور والطيرة لا تكون إلا في الشؤم، وقد تستعمل مجازاً في السرور انتهى.

قال ابن القيم (\*): وفي الفرقان بينهما فائدة كبيرة وهي أن التطير هو التشاؤم من الشيء المرئى أو المسموع، فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبريء من التوكل على الله وفتح على نفسه باب الخوف والتعليق بغير الله والتطير مما يراه أو يسمعه، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ و﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ فيصير قلبه متعلقاً بغير الله عبادة وتوكلاً فيفسد عليه قلبه وإيمانه وحاله ويبقى هدفاً لسهام الطيرة ويساق إليه من كل أوب، ويقبض له شيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه وكم هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة، فأين هذا من الفأل الصالح السار للقلوب المؤيد للأمال، الفاتح باب الرجاء، المسكن للخوف، الرابط للجأش، الباعث على الاستعانة بالله والتوكل عليه، والاستبشار المقوى لأمله السار لنفسه فهذا ضد الطيرة.

فالفأل يفضى بصاحبه إلى الطاعة والتوحيد.

والطيرة تفضى بصاحبها إلى المعصية والشرك، ولهذا استحَبَّ ﷺ الفأل وأبطل الطيرة أهـ.

قال ابن حجر: وكان ذلك بحسب الواقع، وأما الشرع فخص الطيرة بما يسوء، والفأل بما يسر، ومن شرطه ألا يقصد إليه فيصير من الطيرة أهـ (١).

قال الرازي (٢): ثم اعلم الله تعالى على لسان رسوله أن طيرتهم باطلة، فقال

(١) فتح الباري (١٠/٢٢٥).

(\*) مفتاح دار السعادة (٥٩٤)

(٢) التفسير الكبير (٧/١٤/٢٢٥).



(لاطيرة ولاهام) وكان النبي ﷺ يتفاءل ولا يتطير. وأصل الفأل الكلمة الحسنة، وكانت العرب مذهبها في الفأل والطيرة واحد، فأثبت النبي ﷺ الفأل وأبطل الطيرة قال محمد الرازي - رحمه الله -: ولا بد من ذكر فرق بين البابين. والأقرب أن يقال: إن الأرواح الإنسانية أصفى وأقوى من الأرواح البهيمية والطيرية. فالكلمة التي تجرى على لسان الإنسان يمكن الاستدلال بها بخلاف طيران الطير، وحركات البهائم، فإن أرواحها ضعيفة، فلا يمكن الاستدلال بها على شيء من الأحوال. أهـ.

قال ناصر السعدي<sup>(١)</sup>: والفرق بينهما: أن الفأل الحسن لا يدخل بعقيدة الإنسان ولا يعقله وليس فيه تعليق القلب بغير الله بل فيه من المصلحة النشاط والسرور وتقوية النفوس على المطالب النافعة.

وصفة ذلك أن يعزم العبد على سفر أو زواج أو عقد من العقود أو على حالة من الأحوال المهمة ثم يرى في تلك الحال ما يسره أو يسمع كلاما يسره مثل يا راشد أو سالم أو غانم، فيتفاءل ويزداد طمعه في تيسير ذلك الأمر الذي عزم عليه، فهذا كله خير وآثاره خير، وليس فيه من المحاذير شيء.

وأما الطيرة: فإنه إذا عزم على فعل شيء من ذلك من الأمور النافعة في الدين أو في الدنيا، فيرى أو يسمع ما يكره أثر في قلبه أحد أمرين، أحدهما أعظم من الآخر.

(أحدهما) أن يستجيب لذلك الداعي فيترك ما كان عازما على فعله أو بالعكس فيتطير بذلك وينكص عن الأمر الذي كان عازما عليه، فهذا كما ترى قد علق قلبه بذلك المكروه غاية التعليق وعمل عليه، وتصرف ذلك المكروه في إرادته وعزمه وعمله، فلا شك أنه على هذا الوجه أثر على إيمانه واخل بتوحيده وتوكله، ثم بعد هذا لاتسأل عما يحدثه له هذا الأمر من ضعف القلب ووهنه وخوفه من المخلوقين وتعلقه بالأسباب وبأمور ليست أسباباً، وانقطاع قلبه من تعلقه بالله.

وهذا من ضعف التوحيد والتوكل ومن طرق الشرك ووسائله، ومن الخرافات المفسدة للعقل.

الأمر الثاني: أن لا يستجيب لذلك الداعي ولكنه يؤثر في قلبه حزنا وهما وغما، فهذا وأن كان دون الأول لكنه شر وضرر على العبد، وضعف لقلبه وموهن لتوكله. وربما أصابه مكروه فظن أنه من ذلك الأمر فقوى تطيره، وربما تدرج به إلى الأمر الأول.

فهذا التفصيل يبين لك وجه كراهة الشارع للطيرة ودمها ووجه منافاتها للتوحيد والتوكل أهـ.

(١) القول السديد (٨٠: ٨٢).

قلت: وباستعراض سيرة النبي ﷺ - وأحواله، نجد قد غير بعض الأسماء واستبشر ببعض الأسماء، فلما جاءه سهل ابن عمرو في صالح الحديدية قال لأصحابه سهل أمركم وذلك لأن الأسماء قوالب لأصحابها وحكمة الله تأبى إلا ذلك، فمحمد هو محمد وهو كثير المحامد، وأبو لهب كنيته هكذا ومآله إلى النار وسهيل له حظ ونصيب من اسمه وهذا كله عليه أدلة ذكرها ابن القيم في زاد المعاد في فصل الأسماء وهدى النبي ﷺ - فيها، والذي سميته بعد ذلك بالقول السامى في فقه الأسماء من ذلك أن الرسول ﷺ كان يحب إذا أبرد إليه يريد أن يكون ذو اسم حسن لأن هذا سيقوى الرجاء في الله وسيترتب على ذلك آثار طيبة مثل حلو الهمة في طلب الخير وعدم اليأس، ولهذا كانت الأسماء قوالب لأصحابها ولذات السبب كان النبي ﷺ - يغير الأسماء القبيحة إلى الحسن ومن لم يستجب لهذا التغير كان يصيبه حظه من اسمه، فهذا الرجل الذي كان اسمه (حزن) سماه النبي ﷺ - سهل فلما أبى وقال لا أعير اسماً سمانيه أبى لم تنزل تلك الجزونة فيه وفي أهله ولو سمع كلام النبي ﷺ - لأثر ذلك في أخلاقه وأخلاق أولاده أيضاً من بعده - والله أعلم.

#### ● من فرق بين الطيرة والتشاؤم

قال ابن حجر (١):

وذكر البيهقي في «الشعب» عن الحلیمی ما ملخصه: كان التطير في الجاهلية في العرب إزعاج الطير عند إرادة الخروج للحاجة، فذكر ماتقدم ثم قال: وهكذا كانوا يتطيرون بصوت الغراب وبمرور الظباء فمرا الكل تطيراً، لأن أصله الأول. قال: وكان التشاؤم في العجم إذا رأى الصبى ذاهباً إلى المعلم تشاءم أو راجعاً تيمن، وكذا إذا رأى الجمل موقراً حملاً تشاءم فإن رآه واضعاً حملة تيمن، ونحو ذلك. فجاء الشرع برفع ذلك كله. وقال «من تكهن أو رده عن سفر تطير فليس منا» (٢) ونحو ذلك من الأحاديث.

قال ابن حجر (٣): والتطير والتشاؤم بمعنى واحد. أهـ.

وقال ابن عثيمين (٤):

واعلم أن التطير ينافى التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن التطير قطع توكله على الله واعتمده على غير الله.

(٢) تقدم

(٤) القول المفيد (٢/٩٣، ٩٤).

(١) فتح الباري (١٠/٢٢٦).

(٣) فتح الباري (١٠/٢٢٤).

وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

وبين ما يحصل له، وهذا لاشك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وقال تعالى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾.

فالطيرة محرمة، وهى منافية للتوحيد كما سبق، والمتطير لا يخلو من حالين: الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

والثانى: أن يمضى لكن فى قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به، وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص فى التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانسراح صدر وتيسير واعتماد على الله - عزوجل، ولا تسيء الظن بالله - عزوجل أهـ.



قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

والآية من أولها ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١).

● مناسبة الآية للباب :

قال سليمان آل الشيخ (٢): ومطابقة الآيتين - أى هذه الآية والتي بعد ذلك فى المتن - لمقصود الباب ظاهر لأن الله تعالى لم يذكر التطير إلا عن أعدائه فهو من أمر الجاهلية لا من أمر الإسلام. أهـ قلت: وتقدم ذكر ابن القيم ذلك عن أعداء الله.

وقال عبد الرحمن آل الشيخ (٣): مناسبة الآيتين للترجمة: أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين وقد ذمهم الله تعالى به ومقتهم، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك كما سيأتى فى أحاديث الباب. أهـ.

وقال عبدالله بن جار الله (٤): ومناسبة الآيتين للباب: أنهما دلتا على أن التطير من أعمال الكفار وقد ذمهم الله به ومقتهم عليه أهـ.

وقال القرعاوى (٥): حيث دلت الآية على تحريم التطير أهـ.

● مناسبة الآية للتوحيد:

مانتقدم من مناسبة الآية للباب وأيضاً.

(٢) تيسير العزيز الحميد (٣١٣)

(١) الأعراف: ١٣١

(٥) الجديد (٢٥١)

(٤) الجامع الفريد (١١٤).

(٣) فتح المجيد (٥٠٨/٢)

## قال القرعاوى (١):

حيث دلت الآية على أن الطيرة شرك لأنه تعليق للقلب بغير الله وإثبات سبب دون الله. أهـ

الإعراب (٢): الفاء عاطفة، وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط، وجملة جاءتهم الحسنة فى محل جر بالإضافة، والمراد ما يصيبهم من الرخاء والخصب، وجملة قالوا لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر متقدم، وهذه اسم إشارة فى محل رفع مبتدأ مؤخر، والجملة الأسمية فى محل نصب مقول قولهم أهـ.

### ● ماجاء فى تفسير الآية بالقرآن.

قال الشنقيطى (٣): ذكر تعالى فى هذه الآية الكريمة: أن فرعون وقومه إن أصابتهم سيئة أى قحط وجدب ونحو ذلك، تطيروا بموسى وقومه فقالوا: ماجاءنا هذا الجذب والقحط إلا من شؤمكم، وذكر مثل هذا عن بعض الكفار مع نبينا ﷺ فى قوله: ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾ الآية (٤). وذكر نحوه أيضاً عن قوم صالح مع صالح فى قوله: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ (٥).

وذكر نحو ذلك أيضاً عن القرية التى جاءها المرسلون فى قوله: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ (٦). وبين تعالى أن شؤمهم من قبل كفرهم، ومعاصيهم. لا من قبل الرسل قال فى «الأعراف»: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (٧). وقال فى سورة «النمل» فى قوم صالح: ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ (٨). وقال فى «يس» ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (٩) الآية أهـ.

### ● ماجاء فى تفسير الآية من آثار:

عن مجاهد فى قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ الْعَافِيَةَ، وَالرِّخَاءَ﴾ قالوا لنا هذه نحن أحق بها، ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بَلَاءٌ، وَعَقْرِبَةٌ يَطِيرُهَا وَيَتَشَاءُ مَوَا﴾ بموسى (١٠).

(١) الجديد (٢٥١). (٢) إعراب القرآن لمحيى الدين درويش (٤٣٤/٩).

(٣) أضواء البيان (٢٤٧/٢) (٤) النساء: ٧٨ (٥) النمل: ٤٧.

(٦) يس: ١٨. (٧) الأعراف: ١٣١ (٨) النمل: ٤٧. (٩) يس: ١٩.

(١٠) ذكره السيوطى فى الدر المنثور (٢٠٢/٣) ونسبه لابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، وأبى الشيخ. تفسير ابن أبى حاتم بتخريجنا.

وعن ابن زيد فى قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ الآية، قالو ما أصابنا هذا إلا بك ياموسى، وبمن معك، ما رأينا شراً ولا أصابنا حتى رأيناك. وقوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ قال الحسنه ماتحبون، وإذا كان ما يكرهون قالوا: ما أصابنا هذا إلا بشؤم هؤلاء الذين ظلموا، قال قوم صالح ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ فقال الله: ﴿إِنَّمَا طَآئِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ﴾ (١).

وعن مجاهد: قوله ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ تشائموا بموسى ﷺ. (٢)

● ما جاء فى الآية من أقوال المفسرين:

قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾

قال ابن جرير (٣): يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار، ورأوا ما يحبون فى دنياهم، قالوا (لنا هذه) نحن أولى بها. أهـ.

وقال البغوى (٤): قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ يعنى الخصب والسعة والعافية.

وقوله تعالى ﴿لَنَا هَذِهِ﴾ أى نحن أهلها ومستحقوها على العادة التى جرت لنا فى سعة أرزاقنا، ولم يروها تفضلاً من الله عزوجل فيشكروه عليها. أهـ.

وقال الزمخشري (٥) بنحو مما تقدم، وكذا ابن الجوزي (٦)، والفخر الرازي (٧)، والقرطبي (٨)، وابن كثير (٩) وقال الشوكاني (١٠): قوله ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أى الخصلة الحسنه من الخصب بكثرة المطر، وصلاح الثمرات، ورخاء الأسعار. أهـ.

وقال السعدى (١١) مثلهم

قوله ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ﴾

(١) أخرجه ابن جرير فى «تفسيره» (٢٠/٩)

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٥٤٣/٥) فانظره بتخريجنا

(٣) تفسير الطبرى (١٠/٩/٦) (٤) معالم التنزيل (٥٢٦/٢)

(٥) الكشاف (٨٤/٢). (٦) زاد المسير (٣/١٩٠).

(٧) التفسير الكبير (٧/١٤/٢٢٤) (٨) تفسير القرطبي (٤/٢٧٠٠).

(٩) تفسير ابن كثير (٢/٢٣٠). (١٠) فتح القدير (٢/٢٤٨).

(١١) تيسير الكريم الرحمن (٢، ١٤٤).

## الإعراب (١):

وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الواو عاطفة، وإن شرطية، وتصبهم فعل الشرط، والهاء مفعول به، وسيئة فاعل.

### ● ماجاء فى تفسير الآية من الآثار:

روى ابن ابي حاتم (٢) بسنده عن زيد بن أسلم فى قوله ﴿وَأِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ قال: إذا كان ما يكرهون قالوا إنما أصابنا هذا بشؤم هؤلاء الذين بين أظهرنا كما قال قوم صالح ﴿إِنَّا نَطِيرُنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ فقال الله ﴿إِنَّمَا طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾.

### ● ما جاء فى تفسير الآية من كلام المفسرين:

قال ابن جرير (٣): قوله ﴿وَأِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ يعنى جدوب، وقحوط، وبلاء. أهـ.

وقال البغوى (٤): مثل قول ابن جرير وزاد: ورأوا ما يكرهون. أهـ.

وقال الزمخشري (٥): سيئة من ضيقة وجذب. أهـ.

وقال ابن الجوزى (٦): بنحو ماتقدم.

وقال الفخر الرازى (٧): بنحو ماتقدم وزاد: والمرض والضرب. أهـ.

وقال القرطبى (٨): بنحو ماتقدم، وكذا ابن كثير (٩).

وقال الشوكانى (١٠): أى خصلة سيئة من الجذب والقحط. أهـ.

وقال السعدى (١١): بنحو ماتقدم.

مسألة:

فإن قال قائل: كيف قيل فى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ﴾ بإذا؟ وتعريف الحسنه؟ ﴿وَأِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ بيان؟ وتنكير السيئة؟

الجواب: قال الزمخشري (١٢): لأن جنس الحسنه واقعة كالواجب، لكثرتة واتساعه وأما السيئة فلا تقع إلا فى الندرة، ولا يقع إلاشئ منها، ومنه قوله بعضهم:

قد عددت أيامَ البلاء .. فهل عددت أيامَ الرخاء. أهـ.

(١) إعراب القرآن (٣/٤٣٤).

(٢) تفسير الطبرى (٦/٩٠٢).

(٣) الكشاف (٢/٨٤).

(٤) التفسير الكبير (٧/١٤٢٢٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٢٣٠).

(٦) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٤٤).

(٧) تفسير ابن ابي حاتم (٥/١٥٤٣).

(٨) معالم التنزيل (٢/٥٢٦).

(٩) زاد المسير (٣/١٩٠).

(١٠) تفسير القرطبى (٤/٢٧٠٠).

(١١) فتح القدير (٢/٢٤٨).

(١٢) الكشاف (٢/٨٤).

قوله ﴿يَطِيرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ﴾ وهي كقوله تعالى ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾

### الإعراب (١):

يطيروا جواب الشرط، وبموسى جار ومجرور متعلقان بيطيروا، ومن عطف على موسى، ومعه ظرف مكان متعلق بمحذوف لامحل له من الأعراب لأنه صلة الموصول.

● ما جاء في تفسير الآية من الآثار:

روى ابن أبي حاتم عن مجاهد قوله «يطيروا... بموسى ومن معه» تشائموا بموسى

ﷺ

### ● أقوال المفسرين في الآية:

قال ابن جرير: يقول: يتشاءموا بهم، ويقولوا: أذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السلام. أهـ.

وقال البغوي: وقالوا ما أصابنا بلاء حتى رأيناهم، فهذا من شؤم موسى وقومه.

وقال سعيد بن جبير ومحمد بن المنكدر، كان ملك فرعون أربع مائة سنة، وعاش ست مائة وعشرون سنة لا يرى مكروهاً، ولو كان له في تلك المدة جوع، أو حُمى ليلة، أو وجع ساعة، لما ادعى الربوبية قط. أهـ.

وقال ابن الجوزي: بنحو كلام الطبري، وزاد تعريف الطيرة وقد مضى تعريفها مفصلاً في أول الباب.

وكذا قال الفخر الرازي وزاد: قوله (يطيروا) أدغمت التاء فى الطاء، لأنهما من مكان واحد من طرف اللسان وأصول الثنايا. أهـ.

وزاد القرطبي: وقرأ طلحة (تطيروا) على أنه فعل ماضٍ، والأصل فى هذا من الطيرة وزجر الطير، ثم كثر استعماله حتى قيل لكل ما تشاءم تطير.

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أى هذا بسببهم، وما جاءوا به. أهـ.

وقال الشوكاني<sup>(٣)</sup>، والسعدى<sup>(٤)</sup> كأقوال المفسرين السابقة.

### وقال صاحب الظلال<sup>(٥)</sup>:

فحين تنحرف الفطرة عن الإيمان بالله، فإنها لاترى يده - سبحانه وتعالى - فى تصريف هذا الوجود، ولاترى قدره الذى تنشأ به الأشياء والأحداث، وعندئذ تفقد

(١) إعراب القرآن (٣/٤٣٤) (٢) تفسير ابن كثير (٢/٢٣٠) (٣) فتح القدير (٢/٢٤٨)

(٤) تيسير (الكريم الرحمن) (٠/٣١٢). (٥) الظلال (٣/١٣٥٦).

إدراكها وحساسيتها بالنواميس الكونية النافذة الثابتة، فتفسر الحوادث تفسيرات منفصلة منعزلة، لاصلة بينها ولاقاعدة ولاترابط، وتهميم مع الخرافة فى دروب ملتوية متفرقة، لاتلتقى عند قاعدة ولاتجتمع وفق نظام، - وذلك كالذى قاله - (خروشوف) - صاحب الاشتراكية العلمية عن معاكسة الطبيعة لهم، فى تعليل نقص الثمرات والغلات، وكما يقولوا الذين يمضون مع هذه العلمية - المدعاة - فى تعليل مثل هذه الأحداث، وهم ينكرون قدر الله، وفيهم من يدعى بعد استنكار غيب الله وقدر الله أنه مسلم وهو ينكر أصول الإيمان بالله. وهكذا مضى فرعون وآله يعللون الأحداث، الحسنة التى تصبهم هى من حسن حظهم وهم يستحقونها. والسيئة التى تصبهم هى بشؤم موسى ومن معه عليهم ومن تحت رأسهم. أه.

قوله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ كقوله فى قصة ثمود ﴿قَالُوا طِيرَانَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾.

الإعراب (١): ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ألا أداة استفتاح وتنبيه، وإنما كافة ومكفوفة، وطائرهم مبتدأ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف خير، والجملة مستأنفة مسوقة من قبله تعالى للرد على اقتنائهم، وأن ما أصابهم هو جزاء وفاق لأعمالهم السيئة المسجلة عنده. أه.

#### ● ماجاء فى تفسير الآية من الآثار:

عن ابن عباس: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال الأمر من قبل الله (٢).

وعن الضحاك فى قوله ﴿طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ يقول: الأمر من قبل الله، ما أصابكم من أمر فمن الله، فيما كسبت أيديكم (٣).

#### ● أقوال المفسرين:

قال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: ألا ما طائر آل فرعون وغيرهم، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشر إلا عند الله. أه.

قال البغوى (٤): قوله ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ نصيبهم من الخصب والجذب، والخير والشر، كله من الله. وقال ابن عباس: ﴿طَائِرُهُمْ﴾ ما قضى عليهم، وقدر لهم،

(٢) أخرجه ابن جرير فى تفسيره (٢١/٩)

(١) إعراب القرآن وبيانه (٤٣٤/٣)

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى «تفسيره» (١٥٤٣/٥) فانظره تخريجنا

(٤) معالم التنزيل (٥٢٦/٢).



وفى رواية عنه: شؤمهم عند الله ومن قبل الله. إى إنما جاءهم الشؤم بكفرهم بالله.  
وقيل معناه: الشؤم العظيم. وهو الذى لهم عند الله من عذاب. أه.

وقال الرزمخشري(١):

طائرهم عند الله أى سبب خيرهم وشهرهم عند الله وهو حكمه ومشيته والله هو  
الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم أحد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى  
﴿قل كل من عند الله﴾ ويجوز أن يكون معناه ألا إنما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم  
المكتوب عند الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لأجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله  
فى قوله سبحانه ﴿النار يعرضون عليها﴾ الآية ولا طائر أشأم من هذا وقرأ الحسن ﴿إنما  
طيركم عند الله﴾ وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند أبى  
الحسن هو تكسير. أه. قلت: بل هو مكتوب قيل ان يخلق الله الخلق بخمسين ألف سنة  
وقال ابن الجوزى(٢):

قال أبو عبيدة ﴿إلا﴾ تنبيه وتوكيد ومجاز ﴿طائرهم﴾ حظهم ونصيبهم وقال ابن  
عباس: ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ أى إن الذى أصابهم من الله: قال الزجاج: المعنى  
ألا إن الشؤم الذى يلحقهم هو الذى وعدوا به فى الآخرة لا ما ينالهم فى الدنيا أه.  
وقال الفخر الرازى(٣):

وقوله ﴿ألا إنما طائرهم عند الله﴾ فى الطائر قولان:  
القول الأول: قال ابن عباس: يريد شؤمهم عند الله تعالى أى من قبل الله أى إنما  
جاءهم الشر بقضاء الله وحكمة فالطائر ههنا الشؤم ومثله قوله تعالى فى قصة ثمود  
﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾

قال الفراء: وقد تشاءمت اليهود بالنبي ﷺ بالمدينة، فقالوا غلت أسعارنا وقلت  
أمطارنا مذ أتنا، قال الأزهرى: وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة، لأن العرب كان من  
شأنها عيافة الطير وزجرها، والتطير ببارحها، ونعيق غربانها، وأخذها ذات اليسار إذا  
أثاروها، فسموا الشؤم طيرا وطارئا وطيرة لتشاؤمهم بها.

(١) الكشاف (٢/٨٤). (٢) زاد المسير (٣/١٩٠).

(٣) التفسير الكبير (٧/١٤/٢٢٥).

القول الثاني: فى تفسير الطائر قال أبو عبيدة ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى حظهم، وهو ماروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: إنما طائرهم ما قضى وقدر لهم (١) والعرب تقول: أطرت المال وطيرته بين القوم فطار لكل منهم سهمه. أى حصل له ذلك السهم.

وأعلم أن على كلا القولين المعنى: أن كل ما يصيبهم من خير أو شر فهو بقضاء الله تعالى وبتقديره أهـ.

وقال القرطبي (٢): ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أى ما قدر لهم وعليهم. أهـ.

وقال ابن كثير (٣): يقول مصائبهم عند الله. أهـ.

فائدة:

قال الشوكاني (٤): وكان هذا الجواب ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ على غلط ما يعتقدونه، وبما يفهمونه ولهذا عبر بالطائر عن الخير والشر الذى يجرى بقدر الله وحكمته ومشيتته. أهـ.

وقال صاحب الظلال (٥): إن ما يقع لهم مصدره واحد، إنه من أمر الله، ومن هذا المصدر تصيبهم الحسنة للابتلاء وتصيبهم السيئة للابتلاء ﴿وَنَبَلُوكُمْ بِالْأَشْرَى الْخَيْرِ فَتَنَّا وَإِنَّا تَرَجِعُونَ﴾ ويصيبهم النكال للجزاء. أهـ.

قوله ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

الإعراب (٦): الواو حالية، لكن واسمها، والجملة نصب على الحال، وجملة لا يعلمون خبر كان. أهـ.

● ما جاء فى تفسير الآية من أقوال المفسرين:

قال ابن جرير (٧): قوله ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ذلك كذلك فلجهلهم بذلك كان يتطيرون بموسى ومن معه. أهـ.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٧٠٠).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٢٣٠).

(٤) فتح القدير (٢/٢٤٨).

(٥) الظلال (٣/١٣٥٧).

(٦) إعراب القرآن (٣/٤٣٤).

(٧) تفسير الطبري (٦/٢٠٩).

وقال البغوى (١): قوله ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن الذى أصابهم من الله . أهـ .  
 وقال الفخر الرازى (٢): ولكن أكثرهم لا يعلمون أن الكل من الله تعالى، وذلك لأن أكثرهم الخلق يضيفون الحوادث إلى الأسباب المحسوسة ويقطعونها عن قضاء الله تعالى وتقديره، والحق أن الكل من الله، لأن كل موجود فهو إما واجب الوجود لذاته، والواجب واحد وما سواه ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته، وبهذا الطريق يكون الكل من الله فاسنادها إلى غير الله يكون جهلا بكمال الله تعالى أهـ .

وقال القرطبى (٣): ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما لحقهم من القحط والشدائد إنما هو من عند الله عزوجل بذنوبهم، لامن عند موسى ومن معه . أهـ .  
 وقال الشوكانى (٤): ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله جهلاً منهم . أهـ .

وقال السعدى (٥): فلذلك قالوا ما قالوا . أهـ .  
 وقال صاحب الظلال (٦): ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ كالذين ينكرون غيب الله، وقدره فى هذه الأيام باسم (العقلية العلمية) - العلمانية - والذين ينسبون إلى الطبيعة المعاكسة باسم الاشتراكية العلمية كذلك!! وكلهم جهال، وكلهم لا يعلمون . أهـ .

#### ● كلام شراح كتاب التوحيد فى الآية:

قال سليمان آل الشيخ (٧): وعبد الرحمن آل الشيخ (٨) وقال عبد الله بن جار الله (٩): قوله تعالى ﴿قالوا طائركم معكم﴾ المعنى والله أعلم: حظكم وما نالكم من شر

(١) معالم التنزيل (٢/٥٢٦)

(٢) التفسير الكبير (٧/١٤٠/٢٢٥)

(٣) تفسير القرطبى (٢- /٢٧٠٠)

(٤) فتح القدير (٢/٢٤٨)

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٢/١٤٤)

(٦) الظلال (٣/١٣٥٦)

(٧) تيسير العزيز الحميد (٣١٢)

(٨) فتح المجيد (٢/٤٠٢)

(٩) الجامع الفريد (١١٣، ١١٤)

معكم بسبب أفعالكم وكفركم ليس من أجلنا ولا بسببنا. أه بنحو كلام المفسرين، ونقل كلام ابن جرير المتقدم وغيره.

وقال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: فى معنى «يطيروا بموسى ومن معه» أنهم إذا جاءهم البلاء والجدب والقحط قالوا: هذا من موسى وأصحابه. فأبطل الله هذه العقيدة بقوله «ألا إنما طائرهم عند الله» الذى قدره، ولعلاقة لموسى وقومه به، بل إن الأمر يقتضى أن موسى وقومه سبب للبركة والخير ولكن هؤلاء - والعياذ بالله يلبسون على العوام ويوهمون الناس خلاف الواقع... أه.

### قال القرعاوى<sup>(٢)</sup>:

الحسنة: أى خصب وسعة ويسر وعافية.

لنا هذه: نحن جديرون بها ومستحقون لها.

سيئة: أى جدب وضيق وبلاء ومرض.

يطيروا بموسى ومن معه: أى يتشاءمون بموسى وأصحابه ويزعمون أن ماجاءهم من المصائب حاصل بسبب موسى وأصحابه.

ألا إنما طائرهم عند الله: إنما جاءهم الشؤم من قبل الله بسبب كفرهم وتكذيبهم بأيات الله.

ولكن أكثرهم لا يعلمون: أى لا يعلمون أن الخير والشر مقدر من الله. أه.

ثم قال: الفوائد من الآية:

١- أن الخير والشر مقدران من الله.

٢- تحريم كفر النعمة.

٣- تحريم الطيرة والتشاؤم.

٤- أن الجهل سبب لكل شر. أه.

قلت: وفيها انصاف المسلمين مع الجاهليين حيث تطيروا بهم ومع ذلك لم يتطير المسلمون بهم.



(١) القول المفيد (٢/٩٥).

(٢) الجديد (٢٥٠).

وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾

قوله: وقول الله تعالى: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ﴾

والآية التي قبلها ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ

أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ (١).

مناسبة الآية للباب وللتوحيد: هي نفس ما تقدمت في الآية السابقة.

الإعراب (٢):

طائرکم مبتدأ ومعکم ظرف متعلق بمحذوف خبر والهمزة للاستفهام الإنكاري التوبيخى وإن شرطية وذكرتم فعل ماض مبنى للمجهول وهو فى محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف والقاعدة عند سيبويه أنه إذا اجتمع شرط واستفهام يجاب الاستفهام ويحذف جواب الشرط وذهب غيره إلى إجابة الشرط، والتقدير عند سيبويه تطيرون وعند الآخرين تطيروا بالجزم وبل حرف عطف واضراب أى ليس الأمر كذلك وأنتم مبتدأ وقوم خبر ومسرفون صفة أهـ. وذكر نحو ذلك الشوكانى.

● ما جاء فى تفسير الآية بالقرآن:

وقال ابن كثير (٣): ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أى مردود عليكم. كقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ

الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾

وقال قوم صالح ﴿اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ وقال عز وجل ﴿وَإِنْ

تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ أ. هـ.

وقال الشنقيطى: كقول الله تعالى ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ

عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.

(١) يس (١٨، ١٩).

(٢) إعراب القرآن وبيانه (٨/ ١٨٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٠).

وقال فى تفسير آية يس: أى بليتكم جادتكم من ذنوبكم وكفركم. أهـ. (١).  
وقال أيضاً فى موضع آخر (٢) فى المراد بالطائر فى آية الباب من سورة يس:  
الأول: أن المراد بالطائر: العمل، من قولهم: طارله سهم إذا خرج له. أى الزمناء ما  
طارله من عمله.

الثانى: أن المراد بالطائر ما سبق له فى علم الله من شقاوة أو سعادة . والقولان مثلاً  
زمان؛ لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة أو السعادة.  
فإذا عرفت الوجهين المذكورين فأعلم أنا قدمنا فى ترجمه هذا الكتاب المبارك : أن  
الآية قد يكون فيها للعلماء قولان أو أقوالاً، حق ويشهد له قرآن - فنذكر جميع الأقوال  
وأدلتها من القرآن ؛ لأنها كلها حق، والوجهان المذكوران فى تفسير هذه الآية الكريمة  
لكلاهما يشهد له قرآن

أما على القول الأول بأن المراد بطائرة عمله فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان  
لازم له كثيرة جداً كقوله تعالى ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾  
وقوله تعالى ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ  
كَدْحًا فَمَلَأْتَهُ﴾ والآيات بمث لهذا كثير جداً.

وأما على القول بأن المراد بطائره نصيبه الذى طار له فى الأزل من الشقاوة أو  
السعادة فالآيات الدالة على ذلك أيضاً كثيرة، كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ  
وَمِنْكُمْ مُّؤْمِنٌ﴾ وقوله ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أى للاختلاف إلى شقى وسعيد خلقهم ﴿فَرِيقًا  
هُدًى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير إلى غير ذلك  
من الآيات أهـ.

#### ● ما جاء فى تفسير الآية من الآثار:

وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ قال : شؤمكم (٣).  
وعن يحيى بن وثاب أنه قرأها ﴿أَتُنِ ذُكْرْتُمْ﴾ بالخفض وقرأها زر بن حبیش ﴿أَتُنِ  
ذُكْرْتُمْ﴾ بالنصب (٤).

(١) الدر المشور (٧/ ٥١،٥٠).

(٢) انظر الدر المشور (٧/ ٥١،٥٠).

وعن مجاهد فى قوله ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِرْتُمْ﴾ يقول: ما كتب عليكم واقع بكم (١).

قوله ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾

● ما جاء فى تفسير الآية من كلام المفسرين:

قال ابن جرير (٢): يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَنْ ذُكِرْتُمْ﴾ يقولون: أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم، ذلك كله فى أعناقكم، ومن ذلك من شؤمنا، أن أصابكم سوء فيما كتب عليكم وسيق لكم من الله.

ثم أسند عن ابن عباس وكعب: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ أى أعمالكم معكم، وكذا قال قتادة.

قال البغوى (٣): يعنى شؤمكم معكم بكفركم، وتكذيبهم، أى أصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس، والضحاك: حظكم من الخير والشر. اهـ.

وقال الزمخشرى (٤): أو أسباب شؤمكم معكم، وهى كفرهم ومعاصيهم. اهـ.

وقال ابن الجوزى (٥): أى شؤمكم معكم بكفركم، لابنا. اهـ.

وقال الفخر الرازى (٦): بنحو ذلك. اهـ.

وقال القرطبى (٧): قال ابن عباس معناه الأرزاق، والأقدار تتبعكم. وقال الفراء:

رزقكم وعملكم، والمعنى واحد. اهـ.

وقال الشوكانى (٨): بنحو كلام المفسرين المتقدم.

(١) انظر الدر المنثور (٧/٥٠، ٥١)

(٢) تفسير ابن جرير (١٠/٢٦/١٠٠)

(٣) معالم التنزيل (٤/٥٣٨)

(٤) الكشاف (٣/٢٨٣)

(٥) زاد المسير (٦/٢٧٦)

(٦) التفسير الكبير (١٣/٢٦/٥٤/٥٥)

(٧) تفسير القرطبى (٨/٥٤٦)

(٨) فتح القدير (٤/٣٥٣)





قراء الامصار وهى دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء وتشديد الكاف على المعنى الذى ذكرناه عن قارئه كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه . أهـ .

قال البغوى (١): ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ أى وعظتم بالله تطيرتم بنا . أهـ .

وقال الزمخشري (٢): بنحو ماتقدم

وقال ابن الجوزى (٣): أى وعظتم وخوفتم، وهذا استفهام جوابه محذوف تقديره :

أئن ذكرتم تطير تم بنا؟

وقيل : أنن ذكرتم قلت هذا القول؟ . أهـ .

وقال الفخر الرازى (٤):

قالوا: أنن ذكرتم جواباً عن قولهم ﴿لَنَرَجُْمَنَّكُمْ﴾ يعنى أتفعلون بنا ذلك . وإن ذكرتم أى بين لكم الأمر بالمعجز والبرهان . أهـ .

وقال القرطبي (٥):

وفيه تسعة أوجه من القراءات :

(١) قرأ أهل المدينة ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ بتخفيف الهمزة الثانية

(٢) وقرأ أهل الكوفة ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزيتين

(٣) ﴿أَأِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ بهمزتين بينهما ألف أدخلت الألف كراهة للجمع بين

الهمزتين .

(٤) ﴿أَأَيْن﴾ بهمزة بعدها ألف، وبعد الألف همزة مخففة .

(٥) ﴿أَأَنْ﴾ بهمزتين مفتوحتين بينهما ألف .

(٦) ﴿أَأَنْ﴾ بهمزتين مخففتين مفتوحتين، وحكى القراءات هذه قراءة أبى رزين .

قلت: وحكاها الثعلبى عن زرين حبيش وابن السميّع .

(٧) وقرأ عيسى بن عمر والحسن البصرى ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ بمعنى حيث .

وقرأ يزيد بن القعقاع والحسن وطلحة ﴿ذُكِّرْتُمْ﴾ بالتخفيف . ذكر جميعه النحاس .

(٨) وذكر المهدي عن طلحة بن مُصَرِّفٍ وعيسى الهمزاني ﴿أَنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ بالمد على

أن الهمزة للاستفهام دخلت على همزة مفتوحة .

(١) معالم التنزيل (٤/٥٣٨) (٢) الكشاف (٣/٢٨٣) (٣) زاد المسير (٦/٢٧٦)

(٤) التفسير الكبير (١٣/٢٦/٥٥) (٥) تفسير القرطبي (٨/٥٤٦٠)

(٩) ﴿أَنْ﴾ للماجشون، بهمزة واحدة مفتوحة.

فهذه تسع قراءات. أهـ

وقال ابن كثير (١): ﴿أَنْ ذُكِرْتُمْ﴾ أى من أجل أننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام وتوعدتمونا وتهددتمونا. أهـ.

وقال السعدى (٢): أى بسبب أنا ذكرناكم مافيه صلاحكم وحظكم قلتنا لنا ما قلتنا.

وقال صاحب الظلال (٣): يعنى أترجموننا وتعذبوننا لأننا نذكركم! أفهذا جزاء التذكير!؟

قوله: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾:

● ماجاء فى الآية من أقوال المفسرين

قال ابن جرير (٤): يقول : قالوا لهم ما بكم التطير بنا، ولكنكم قوم أهل معاصى وآثام قد غلبت عليكم الذنوب والآثام. أهـ.

وقال البغوى (٥): ﴿مُسْرِفُونَ﴾ مشركون مجاوزون الحد. أهـ.

وقال الزمخشري (٦): ﴿مُسْرِفُونَ﴾ فى العصيان، ومن ثم أتاكم الشؤم لا من قبل رسل الله وتذكيرهم، أو ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تشاءمون بمن يجب التبرك به من رسل الله. أهـ.

وقال ابن الجوزى (٧): المسرفون ها هنا المشركون. أهـ.

وقال الفخر الرازى (٨): ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ حيث تجعلون من يتبرك به كمن يتشاءم به وتقصدون إيلاهم من يجب فى حقه الإكرام أو ﴿مُسْرِفُونَ﴾ حيث تكفرون، ثم تصرون بعد ظهور الحق بالمعجز والبرهان فإن الكافر بالمسء فإذا تم عليه الدليل وأوضح له السبيل.

وبالإصرار يكون مسرفاً، والمسرف هو المجاوز الحد بحيث يبلغ الضد وهم كانوا كذلك فى كثير من الأشياء أما فى التبرك والتشاؤم فقد علم وكذلك الإيلاهم والإكرام،

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٤/٢١٥)

(٤) تفسير ابن جرير الطبرى (١٠/٢٦٦/١٠٢).

(٦) الكشاف (٣/٢٨٣)

(٨) التفسير الكبير (١٣/٢٦/٥٥).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٠)

(٣) الظلال (٥/٢٩٦٢).

(٥) معالم التنزيل (٤/٥٣٨).

(٧) زاد المسير (٦/٢٧٦).

وأما فى الكفر فلأن الواجب اتباع الدليل ، فإن لم يوجد به فلا أقل من أن لا يجرم بنقيضه وهم جزموا بالكفر بعد البرهان على الإيمان، فإن قيل بل للإضراب فما الأمر المضرب عنه؟ نقول يحتمل أن يقال قوله (أئن ذكرتم) وارد على تكذيبهم ونسبتهم الرسل إلى الكذب بقولهم: (إن أنتم إلا تكذبون) فكأنهم قالوا نحن كاذبون وإن جننا بالبرهان، لا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ويحتمل أن يقال نحن مستحقون للرجم والإيلام، وإن بينا صحة ما أتينا به، لا ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ وأما الحكاية فمشهورة، وهى أن عيسى - عليه السلام - بعث رجلين إلى أنطاكية فدعيا إلى التوحيد وأظهرا المعجزة من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى فحبسهما الملك ، فأرسل بعدهما شمعون فأتى الملك ولم يدع الرسالة ، وقرب نفسه إلى الملك بحسن التدبير، ثم قال له : إني أسمع أن فى الحبس رجلين يدعيان أمراً بديعاً ، أفلا يحضران حتى نسمع كلاً منهما ؟ قال الملك بلى : فأحضرا وذكرا مقالتهما الحقة، فقال لهما شمعون: فهل لكما بينة؟ قالوا نعم ، فأبرأ الأكمة والأبرص وأحيا الموتى، فقال شمعون أيها الملك إن شئت أن تغلبهم، فقل للآلهة التى تعبدونها تفعل شيئاً من ذلك، قال الملك : أنت لا يخفى عليك أنها لا تبصر ولا تسمع ولا تقدر ولا تعلم، فقال شمعون : فإذا ظهر الحق من جانبهم، فأمن الملك وقوم وكفر آخرون، وكانت الغلبة للمكذبين . اهـ.

**وقال القرطبي (١):** قال قتادة: (مسرفون) فى تطيركم، وقال يحيى بن سلام: مسرفون فى كفركم ، وقال ابن بحر : السرف ههنا الفساد ، ومعناه : بل أنتم قوم مفسدون، وقيل: مسرفون مشركون، والإسراف مجاوز الحد، والمشرك يجاوز الحد . اهـ.

**وقال الشوكانى (٢):** بل أنتم قوم عادتكم الإسراف فى معصية، والإسراف فى الأصل: مجاوزة الحد فى مخالفة الحق اهـ.

**وقال السعدى (٣):** فلم يزداهم دعاؤهم إلا نفوراً واستكباراً . اهـ.

**وقال صاحب الظلال (٤):** تتجاوزون الحدود فى التفكير والتقدير، وتجاوزون على الموعدة بالتهديد والوعيد، وتردون على الدعوة بالرجم والتعذيب!

(٢) فتح القدير (٤/٣٥٣)

(١) تفسير القرطبي (٨/٥٤٦٠)

(٤) الظلال (٥/٢٩٦٢).

(٣) تيسير الكريم الرحمن (٤/٢١٥)

● ما جاء من كلام شرح كتاب التوحيد فى الآية:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: المعنى والله أعلم أى حظكم وما نالكم من خير وشر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيتكم وعداوتكم فطائر الباغى الظالم معه وهو عند الله كما قال تعالى: ﴿وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا لما جئت به، لأن ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضى الطيرة كأنه خير محض لا شر فيه وصلاح لا فساد فيه، وحكمه لا عيب فيها ورحمة لا جور فيها.

فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا لأن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والحكمة والرحمة بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيتهم وهو عند الله كسائر حظوظهم وأنصابتهم التى ينالونها منه بأعمالهم ويحتمل أن يكون المعنى (طائرهم معكم) أى راجع عليكم فالتطير الذى حصل لكم إنما يعود عليكم وهذا من باب القصاص فى الكلام ونظيره قوله عليه السلام: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم» ذكره ابن القيم. اهـ.

وقال عبد الرحمن آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: نحو كلام سليمان باختصار.

● فائدة:

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: ولا منافاة بين هذه الآية، التى ذكرها المؤلف قبلها، لأن (الأولى) تدل على أن المقدر لهذا الشئ هو الله (والثانية) تبين سببه، وهو أنه منهم؟ فهم فى الحقيقة طائرهم معهم (أى الشؤم) الحاصل عليهم معهم ملازم لهم؟ لأن أعمالهم نستلزمه، كما قال تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾<sup>(٤)</sup> وقال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٥)</sup>

(١) تيسير العزيز الحميد (٣١٣).

(٢) فتح المجيد (٤٠٢/٢، ٤٠٣).

(٣) القول المفيد (٩٦/٢، ٩٧).

(٤) الروم: ٤١.

(٥) الأعراف: ٩٦.



## ● شرح الحديث

قوله: [عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لا عدوى ...] أخرجاه،  
أى البخارى ومسلم.

قوله ﴿لا عدوى﴾

قال أبو السعادات: العدوى اسم من الإعداء كالعدوى والبقرى من الإدعاء والإبقاء.  
يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء. وذلك أن يكون  
ببعض جرب مثلاً يتقى مخالطته بابل أخرى حذار أن يتعدى ما به من الجرب إليها  
فيصيبها ما أصابه انتهى (١).

**مسالك أهل العلم فى الجمع بين حديث «لا عدوى» وحديث «فمرن  
المجذوم»:**

قال ابن حجر (٢): أخرج ابن خزيمة فى «كتاب التوكل» له شاهد من حديث عائشة  
ولفظه «لا عدوى إذ رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد» وأخرج مسلم من حديث  
عمرو بن الشريد الثقفى عن أبيه قال: «كان فى وفد ثقيف رجل مجذوم، فأرسل إليه  
رسول الله ﷺ: إنا قد بايعناك، فارجع (٣).

قال عياض: اختلفت الآثار فى المجذوم، فجاء ماتقدم عن جابر «أن النبى ﷺ أكل مع  
مجدوم وقال: ثقة بالله وتوكلاً عليه (٤) قال فذهب عمر وجماعة من السلف إلى الأكل  
معه ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ، وعن قال بذلك عيسى بن دينار من المالكية، قال  
والصحيح الذى عليه الأكثر ويتعين المصير إليه أن لانسخ، بل يجب الجمع بين الحديثين  
وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والأحتياط، والأكل معه على بيان  
الجواز أهـ.

هكذا اقتصر القاضى ومن تبعه على حكاية هذين القولين، وحكى غيره قولاً ثالث  
وهو الترجيح.

(١) تيسير العزيز الحميد (٣١٣).

(٢) فتح البارى (١٠/١٦٨: ١٧٢).

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم فى السلام (١٤/٢٢٨ - النووى)

وانظر «الطب النبوى» (٤٦٦ بتحققنا)

(٤) [ضعيف مرفوعاً] أخرجه أبو داود (٣٩٢٥)، والترمذى (١٨١٧)، وابن ماجه (٣٥٤٢) عن جابر

وانظر «الطب النبوى» (٤٦٥ - بتحقيقنا).

وقد سلكه فريقان (أحدهما) سلك ترجيح الأخبار الدالة على نفى العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك مثل حديث الباب فأعلوه بالشذوذ، وبأن عائشة أنكرت ذلك، فأخرج الطبري عنها «أن امرأة سألتها عنه فقالت: ما قال ذلك، ولكنه قال «لاعدوى»<sup>(١)</sup> وقال «فمن أعدى الأول»<sup>(٢)</sup>؟ قالت: وكان لى مولى به هذا الداء فكان يأكل فى صحافى ويشرب فى أقداحى وينام على فراشى وبأن أبا هريرة تردد فى هذا الحكم كما سيأتى بيانه فيؤخذ الحكم من رواية غيره، وبأن الأخبار الواردة من رواية غيره فى نفى العدوى كثيرة شهيرة بخلاف الأخبار المرخصة فى ذلك، ومثل حديث «لاتديموا النظر إلى المجذومين»<sup>(٣)</sup> وقد أخرجه ابن ماجه وسنده ضعيف.

ومثل حديث عبدالله بن أبى أوفى رفعه «كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمحين» أخرجه أبو نعيم فى الطب بسند واه.

ومثل ما أخرجه الطبري من طريق معمر عن الزهرى «أن عمر قال لمعقيب: أجلس منى قيد رمح» ومن طريق خارجة بن زيد كان عمر يقول نحوه، وهما أثران منقطعان. وأما حديث الشريد الذى أخرجه مسلم فليس صريحا فى أن ذلك بسب الجذام. والجواب عن ذلك: أن طريق الترجيح لا يصار إليها إلا مع تعذر الجمع، وهو ممكن، فهو أولى.

الفريق الثانى: سلكوا فى الترجيح عكس هذا المسلك، فردوا حديث لاعدوى بأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه عنده كما سيأتى إيضاحه قالوا: والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طرقا فالمصير إليها أولى، قالوا: وأما حديث جابر «أن النبى ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها فى القصعة وقال: «كل ثقة بالله وتوكلاً عليه»<sup>(٤)</sup> ففيه نظر، وقد أخرجه الترمذى وبين الاختلاف فيه على روايه ورجح وقفه على عمر، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه ﷺ أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده فى القصعة، قاله الكلاباذى فى «معانى الأخبار».

والجواب: أن طريق الجمع أولى كما تقدم.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) ما قبله.

(٣) [حسن] أخرجه ابن ماجه (٣٥٤٣) عن ابن عباس به.

وانظر «الطب النبوى» (٤٦٣) - بتحقيقنا)

(٤) تقدم تخريجه

وأيضاً فحديث لاعدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهم، فلا معنى لدعوى كونه معلولاً، والله أعلم. وفي طريق الجمع مسالك أخرى.

أحدها نفى العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته، ونحوه حديث «لا تدميوا النظر إلى المجذومين»<sup>(١)</sup> فإنه محمول على هذا المعنى.

ثانيها: حمل الخطاب بالنفى والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء «لاعدوى» كان المخاطب بذلك من قوى يقينه وصحح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القوى اليقين لا يتأثر به، وهذا مثل ماتدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة وسائر ماورد من جنسه، وحيث جاء «فر من المجذوم»<sup>(٢)</sup> كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى، فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سبباً لإثباتها.

وقريب من هذا كراهيته ﷺ الكى مع إذنه فيه كما تقدم تقريره، وقد فعل هو ﷺ كلا من الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين.

ثالث المسالك: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفى العدوى، قال: فيكون معنى قوله «لاعدوى» أى إلا من الجذام والبرص والجرب مثلاً، قال: فكأنه قال لا يعدى شيء شيئاً إلا ما تقدم تبينى له أن فيه العدوى، وقد حكى ذلك ابن بطال أيضاً.

رابعها: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة.

وهذه طريقة ابن قتيبة فقال: المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه وانظر تمام تخريجه في «فتح المجيد» (ح ٥٦٣) بتخريجنا.



ومحادثته ومضاجعته، وكذا يقع كثيراً بالمرأة من الرجل وعكسه، ويتزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التاثر بالرائحة لأنها تسقم من واطب اشتمامها.

قال: ومن ذلك قوله ﷺ «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(١)</sup> لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه، وكذا بالنظر نحو ما به .

قال: وأما قوله: «لا عدوى» فله معنى آخر، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه، لأن فيه نوعاً من الفرار من قدر الله .

(المسلك الخامس): أن المراد بنفى العدوى أن شيئاً لا يعدى بطبعه نفيًا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدى بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي ﷺ اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذى يمرض ويشفى، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التى أجرى الله العادة بأنها تفضى إلى مسيئاتها، ففى نهيه إثبات الأسباب، وفى فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذى إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئاً وإن شاء أبقاها فأثرت، ويحتمل أيضاً أن يكون أكله ﷺ مع المجذوم أنه كان به أمر يسير لا يعدى مثله فى العادة، إذ ليس الجذمى كلهم سواء، ولا تحصل العدوى من جميعهم بل لا يحصل منه فى العادة عدوى أصلاً كالذى أصابه شئ من ذلك ووقف فلم يعد بقية جسمه فلا يعدى، وعلى الاحتمال الأول جرى أكثر الشافعية .

قال البيهقى بعد أن أورد قول الشافعى ما نصه: الجذام والبرص يزعم أهل العلم بالطب والتجارب أنه يعدى الزوج كثيراً، وهو داء مانع للجماع لا تكاد نفس أحد تطيب بجماعة من هو به ولا نفس امرأة أن يجامعها من هو به، أما الولد فيبين أنه إذا كان من ولده أجذم أو أبرص أنه قلما يسلم، وإن سلم أدرك نسله .

قال البيهقى: وأما ما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لا عدوى» فهو على الوجه الذى كانوا يعتقدونه فى الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى. وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شئ من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال

(١) تقدم تخريجه وأنظر «فتح المجيد» (ح ٥٥٧) بتخريجنا .

«فر من المجذوم فرارك من الأسد»<sup>(١)</sup> وقال «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(٢)</sup> وقال في الطاعون : «من سمع به بأرض فلا يقدم عليه»<sup>(٣)</sup> وكل ذلك بتقدير الله تعالى .

وتبعه على ذلك ابن الصلاح في الجمع بين الحديثين ومن بعده وطائفة ممن قبله .

(المسلك السادس): العمل بنفي العدوى أصلاً ورأساً، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة فقال أبو عبيدة: ليس في قوله : «لا يورد ممرض على مصح» إثبات العدوى، بل لأن الصحاح لو مرضت بتقدير الله تعالى ربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العدوى فيفتن ويتشكك في ذلك، فأمر باجتنابه .

قال: وكان بعض الناس يذهب إلى الأمر بالاجتناب إنما هو للمخافة على الصحيح من ذوات العاهة .

قال: وهذا شر ما حمل عليه الحديث، لأن فيه إثبات العدوى التي نفاها الشارع، ولكن وجه الحديث عندي ما ذكرته، وأظن ابن خزيمة في هذا في «كتاب التوكل» فإنه أورد حديث «لا عدوى» عن عدة من الصحابة وحديث «لا يورد ممرض على مصح» من حديث أبي هريرة .

وترجم للأول «التوكل على الله في نفي العدوى» .

وللثاني: «ذكر خبر غلط في معناه بعض العلماء، وأثبت العدوى التي نفاها النبي ﷺ» .

ثم ترجم «الدليل على أن النبي ﷺ لم يرد بإثبات العدوى بهذا القول» فساق حديث أبي هريرة «لا عدوى»، فقال أعرابي: فما بال الإبل يخالطها الأجر فتجرب؟ قال : فمن أعدى الأول» ثم ذكر طريقه عن أبي هريرة، ثم أخرجه من حديث ابن مسعود، ثم ترجم «ذكر خبر روى في الأمر بالفرار من المجذوم قد يخطر لبعض الناس أن فيه إثبات العدوى وليس كذلك» وساق حديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد»<sup>(٤)</sup>

(١، ٢) تقدم تخريجه .

(٣) [صحيح] أخرجه البخاري (٣٤٧٣) ، ومسلم في السلام (٢٠٣/١٤ - النوى)

وأنظر «الطب النبوي» (٥٢١ - بتحقيقنا)

وأنظر «فتح المجيد» (ح ٥٦٥) بتخريجنا .

(٤) تقدم تخريجه .

من حديث أبي هريرة ومن حديث عائشة، وحديث عمرو بن الشريد عن أبيه في أمر المجذوم بالرجوع، وحديث ابن عباس «لا تديموا النظر إلى المجذومين»<sup>(١)</sup> ثم قال : إنما أمرهم ﷺ بالفرار من المجذوم كما نهاهم أن يورد الممرض على المصح شفقة عليهم، وخشية أن يصيب بعض من يخالطه المجذوم الجذام، والصحيح من المشية الجرب فيسبق إلى بعض المسلمين أن ذلك من العدوى فيثبت العدوى التي نفاها ﷺ فأمرهم بتجنب ذلك شفقة منه ورحمة ليسلموا من التصديق بإثبات العدوى، وبين لهم أنه لا يعدى شيء شيئاً.

قال: ويؤيد هذا أكله ﷺ مع المجذوم ثقة بالله وتوكلاً عليه. وساق حديث جابر في ذلك.

ثم قال: وأما نهي عن إدامة النظر إلى المجذوم فيحتمل أن يكون لأن المجذوم يغتم ويكره إدمان الصحيح نظره إليه، لأنه قل من يكون به داء إلا وهو يكره أن يطلع عليه اهـ.

وهذا الذي ذكره احتمالاً سبقه إليه مالك، فإنه سئل عن هذا الحديث فقال: ما سمعت فيه بكرهية، وما أدري ما جاء من ذلك إلا مخافة أن يقع في نفس المؤمن شيء.

وقال الطبري: الصواب عندنا القول بما صح به الخبر، وأن لا عدوى، وأنه لا يصيب نفساً إلا ما كتب عليها، وأما دنو عليل من صحيح فغير موجب انتقال العلة للصحيح إلا أنه لا ينبغي لذي صحة الدنو من صاحب العاهة التي يكرهها الناس، لا لتحريم ذلك، بل لخشية أن يظن الصحيح أنه لو نزل به ذلك الداء أنه من جهة دنوه من العليل فيقع فيما أبطله النبي ﷺ من العدوى.

قال: وليس في أمره بالفرار من المجذوم معارضة لأكله معه، لأنه كان يأمر بالأمر على سبيل الإرشاد أحياناً وعلى سبيل الإباحة أخرى، وإن كان أكثر الأوامر على الإلزام، وإنما كان يفعل ما نهى عنه أحياناً لبيان أن ذلك ليس حراماً.

وقد سلك الطحاوي في «معاني الآثار» مسلك ابن خزيمة فيما ذكره فأورد حديث «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(٢)</sup> ثم قال: معناه أن المصح قد يصبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لو أتى ما أورده عليه لم يصبه من هذا المرض شيء، والواقع أنه لو لم

(٢) تقدم تخريجه

(١) تقدم تخريجه

يورده لأصابه لكون الله تعالى قدره، فهى عن إيراده لهذه العلة التى لا يؤمن غالباً وقوعها فى قلب للمرء، ثم ساق الأحاديث فى ذلك فاطنب وجمع بينها بنحو ما جمع به ابن خزيمة، ولذلك قال القرطبى فى «المفهم»: إنما نهى رسول الله ﷺ عن إيراده الممرض على المصح مخافة الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد العدوى، أو مخافة تشويش النفوس وتأثير الأوهام، وهو نحو قوله «فر من المجذوم فرارك من الأسد»<sup>(١)</sup> وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدى، لكننا نجد فى أنفسنا نفرة وكراهية لمخالطته، حتى لو أكره إنسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته لتأذت نفسه بذلك، فحينئذ فالأولى للمؤمن أن لا يتعرض إلى ما يحتاج فيه إلى مجاهدة، فيجتنب طرق الأوهام، ويباعد أسباب الآلام، ومع أنه يعتقد أن لا ينجى حذر من قدر، والله أعلم.

قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة: الأمر بالفرار من الأسد ليس للوجوب، بل للشفقة، لأنه ﷺ كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأى وجه كان، ويدلهم على كل ما فيه خير، وقد ذكر بعض أهل الطب أن الروائح تحدث فى الأبدان خللاً فكان هذا وجه الأمر بالمجانبة، وقد أكل هو مع المجذوم، فلو كان الأمر بمجانبته على الوجوب لما فعله.

قال: ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين، وفعله حقيقة الإيمان، فمن فعل الأول أصاب السنة وهى أثر الحكمة، ومن فعل الثانى كان أقوى يقيناً لأن الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره، كما قال تعالى «وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup> فمن كان قوى اليقين فله أن يتابعه ﷺ فى فعله ولا يضره شئ، ومن وجد فى نفسه ضعفاً فليتبع أمره فى الفرار لئلا يدخل بفعله فى إلقاء نفسه إلى التهلكة.

والحاصل: أن الأمور التى يتوقع منها الضرر وقد أباحت الحكمة الربانية الحذر منها فلا ينبغي للضعفاء أن يقربوها وأما أصحاب الصدق واليقين فهم فى ذلك بالخيار.

قال: وفى الحديث أن الحكم للأكثر لأن الغالب من الناس هو الضعف، فجاء الأمر بالفرار بحسب ذلك. اهـ.

ورجح سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup> قول ابن الصلاح ومن تبعه، فذكر أنه أحسن

(١) تقدم تخريجه

(٢) البقرة (٢-١).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣١٥، ٣١٦.

الأقوال، فقال: وأحسن من هذا كله ما قاله البيهقي، وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم أن قوله: «لا عدوى» على الوجه الذى كانوا يعتقدونه فى الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه الأمراض تعدى بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شىء من هذه العيوب سبباً لحدوث ذلك، ولهذا قال: «فر من المجذوم كما تفر من الأسد» وقال: «لا يورد ممرض على مصح»<sup>(١)</sup> وقال فى الطاعون: «من سمع به بأرض فلا يقدم عليه»<sup>(٢)</sup> وكل ذلك بتقدير الله تعالى كما قال ﷺ: «فمن أعدى الأول» يشير إلى أن الأول إنما جرب بقضاء الله وقدره، فكذلك الثانى وما بعده.

وروى الإمام أحمد والترمذى عن ابن مسعود مرفوعاً، «لا يعدى شىء» قالها ثلاثاً فقال الأعرابى: يا رسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه فى الإبل العظيمة فتجرب كلها، فقال رسول الله ﷺ: «فمن أجرب الأول لا عدوى ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصايبها ورزقها»<sup>(٣)</sup> فأخبر عليه السلام أن ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا» .

وأما أمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن إيراد الممرض على المصح وعن الدخول إلى موضع الطاعون، فإنه من باب اجتناب الأسباب التى خلقها الله تعالى، وجعلها أسباباً للهلاك والأذى، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان فى عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه فى الماء أو فى النار أو تحت الهدم أو نحو ذلك كما جرت العادة بأنه يهلك ويؤذى، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، وقدم بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، والله تعالى هو خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر غيره.

وأما إذا قوى التوكل على الله، والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففى هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لا سيما إذا كانت فيه مصلحة عامة أو خاصة.

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(٣) أخرجه أحمد فى «مسنده» (١/ ٤٤٠)، والترمذى (٢١٤٣) عن ابن مسعود به وفى إسناده رجل لم

وعلى هذا يحمل الحديث الذى رواه أبو داود والترمذى أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه فى القصة ثم قال: «كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه»<sup>(١)</sup> وقد أخذ به الإمام أحمد . . وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضى الله عنهم ونظير ذلك ما روى عن خالد بن الوليد من أكل السم ومن مشى سعد بن أبى وقاص وأبى مسلم الخولانى بالجوش على متن البحر قاله ابن رجب. اهـ.

وقال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup> مرجحاً بين هذه الأقوال المتقدم ذكرها:

الجدام مرض خبيث معدٍ بسرعة ويتلف صاحبه، حتى قيل: إنه الطاعون، فالأمر بالفرار من المجذوم لكى لاتقع العدوى منه إليك. وفيه إثبات لتأثير العدوى، لكن تأثيرها ليس أمراً حتمياً بحيث تكون علة فاعلة، وأمر النبي ﷺ بالفرار<sup>(٣)</sup>، وأن لا يورد ممرض على مصح<sup>(٤)</sup> من باب تجنب الأسباب، لا من باب تأثير الأسباب بنفسها، فالأسباب لا تؤثر بنفسها، لكن ينبغي لنا أن نتجنب الأسباب التى تكون سبباً للبلاء، لقوله تعالى «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» ولا يمكن أن يقال: إن الرسول ﷺ ينكر تأثير العدوى؛ لأن هذا الأمر يبطله الواقع والأحاديث الأخرى فإن قيل: إن الرسول ﷺ لما قال: «لاعدوى» قال رجل يا رسول الله! الإبل تكون صحيحة مثل الطّباء، فيدخلها الجمل الأجرى فتجرب؟ فقال النبي ﷺ: فمن أعدى الأولى؟<sup>(٥)</sup> يعنى أن المرضى نزل على الأول بدون عدوى، بل نزل من عند الله - عزوجل - فكذلك إذا انتقل بالعدوى، فقد انتقل بأمر الله، والشئ قد يكون له سبب معلوم، وقد لا يكون له سبب معلوم، فَجَرَبُ الأول ليس سببه معلوماً، إلا أنه بتقدير الله تعالى، وجرب الذى بعده له سبب معلوم، لكن لو شاء الله تعالى لم يَجْرَبْ، ولهذا أحياناً تصاب الإبل بالجرب، ثم يرتفع ولا تموت، وكذلك الطاعون والكوليرا أمراض معدية، وقد تدخل البيت فتصيب البعض فيموتون ويسلم آخرون ولا يصابون فالإنسان يعتمد على الله ويتوكل عليه وقد روى أن النبي ﷺ جاءه رجل مجذوم فأخذ بيده وقال له: «كل من الطعام»<sup>(٦)</sup> الذى كان يأكل منه الرسول ﷺ لقوة توكله ﷺ، فهذا التوكل مقاوم لهذا السبب المعدى.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) القول المفيد (٢/ ١٠٠، ١٠١، ١٠٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) تقدم تخريجه.

وهذا الجمع الذى أشرنا إليه هو أحسن ما قيل فى الجمع بين الأحاديث. اهـ.

قوله عليه السلام: «فر من المجذوم فرارك من الأسد».

### ● خلاصة القول فى المسألة:

قال ابن حجر فى «النزهة»<sup>(١)</sup>: كلاهما فى الصحيح - أى الحديثين - وظاهرهما التعارض ووجه الجمع بينهما أن هذه الأمراض لا تعدى بطبعها، لكن الله سبحانه وتعالى جعل مخالطة المريض بها للصحيح سبباً لإعدائه مرضه. ثم قد يتخلف ذلك عن سببه كما فى غيره من الأسباب، كذا جمع بينهما ابن الصلاح تبعاً لغيره.

والأولى فى الجمع بينهما أن يقال: إن نفيه عليه السلام للعدوى باق على عمومته، وقد صح قوله عليه السلام لا يعدى شئ شيئاً وقوله عليه السلام لمن عارضه بأن البعير الأجرى يكون فى الإبل الصحيحة فيخالطها فتجرب، حيث رد عليه بقوله فمن أعدى الأول<sup>(٢)</sup>؟ يعنى أن الله سبحانه وتعالى ابتدأ ذلك فى الثانى كما ابتدأ فى الأول.

وأما الفرار من المجذوم فمن باب سد الذرائع لئلا يستقى للشخص الذى يخالطه شئ من ذلك بتقدير الله ابتداء لا بالعدوى المنفية، فيظن أن ذلك بسبب مخالطته فيعتقد صحة العدوى، فيقع فى الحرج، فأمر بتجنبه حسماً للمادة. والله أعلم اهـ.

### ● فائدة من حديث «فر من المجذوم»:

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup>: واستدل بالأمر بالفرار من المجذوم لإثبات الخيار للزوجين فى

فسخ النكاح إذا وجده أحدهما بالآخر، وهو قول جمهور العلماء.

وأجاب فيه من لم يقل بالنسخ بأنه لو أخذ بعمومه لثبت الفسخ إذا حدث الجذام ولا قائل به. ورد بأن الخلاف ثابت، بل هو الراجح عند الشافعية، وقد تقدم فى النكاح الإلزام بشئ من هذا.

واختلف فى أمة الأجدم: هل يجوز لها أن تمنع نفسها من استمتاعه إذا أرادها؟ واختلف العلماء فى المجذومين إذا كثروا هل يمنعون من المساجد والمجامع؟ وهل يتخذ لهم مسكن منفرد عن الأصحاء؟ ولم يختلفوا فى النادر أنه لا يمنع ولا فى شهود الجمعة. اهـ.

(١) نزهة النظر ص ١٠٣، ١٠٤.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) الفتح (١٠/١٧٢).

قوله [ولا طيرة]:

(تعريفها):

سيأتي في نهاية هذا الباب في تعريفها حديث الفضل بن العباس رضى الله عنهما:  
إنما الطيرة ما أمضاك أوردك. اهـ.

قال ابن حجر<sup>(١)</sup>: هي التشاؤم وهي مصدر تطير مثل تحير حيرة. اهـ.

وتقدم في أول الباب كلام الحافظ مستفيضاً وكلام غيره من أهل العلم، وهل الطيرة والتشاؤم بمعنى واحد أم لا؟

وبينا الفرق بين الطيرة والقال. فلا حاجة للتكرار ثانياً.

وقال ابن حجر<sup>(٢)</sup> في موضع آخر فيمن تطير: إذا اعتقد أن الذى يشاهده من حال الطير موجباً ما ظنه ولم يصف التدبير إلى الله تعالى، فأما إن علم أن الله هو المدير ولكنه أشفق من الشر لأن التجارب قضت بأن صوتاً من أصواتها معلوماً أو حالاً من أحوالها معلومة يردفها مكروه فإن وطن نفسه على ذلك أساء، وإن سأل الله الخير واستعاذ به من الشر ومضى متوكلاً لم يضره ما وجد نفسه من ذلك، وإلا فيؤخذ به، وربما وقع به ذلك المكروه بعينه الذى اعتقده عقوبة له كما كان يقع كثيراً لأهل الجاهلية. والله أعلم اهـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>:

قوله: «ولا طيرة» قال ابن القيم: هذا يحتمل أن يكون نفيًا أو يكون نهيًا أى لا تتطيرا، ولكن قوله في الحديث: «ولا عدوى ولا صفر ولا هامة» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التى كانت الجاهلية تعانها، والنفي فى هذا أبلغ من النهى، لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهى إنما يدل على المنع منه.

[قلت]: وسيأتى أيضاً فى متن المصنف حديث ابن مسعود: «الطيرة شرك الطيرة شرك» وحديث ابن عمر «من رده الطيرة عن حاجة فقد أشرك» قال سليمان:

وفى «صحيح مسلم» عن معاوية بن الحكم السلمي أنه قال لرسول الله ﷺ «كنا نتطير» فقال: «ذاك شئء يجده أحدكم فى نفسه فلا يصدنكم»<sup>(٤)</sup> فأخبر أن تأذيه وتشاؤمه بالتطير إنما هو فى نفسه وعقيدته لا فى التطير به، فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذى يطيره ويصدده لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ لأمتة الأمر وبين لهم فساد الطيرة ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه، ولتطمئن قلوبهم وتسكن نفوسهم إلى وحدانيته تعالى التى أرسل

(١) فتح البارى (١٠٠/٢٢٣).

(٢) فتح البارى (١٠٠/٢٢٦).

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣١٦-٣٢٠.

(٤) تقدم تخريجه



بها رسله ونزل بها كتبه، وخلق لأجلها السموات والأرض، وعمر الدارين الجنة والنار بسبب التوحيد فقطع ﷺ علق الشرك من قلوبهم، لئلا يبقى فيها علق منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهل النار ألبتة، فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله قطع هاجس الطيرة، من قبل استقرارها، ويادر خواطرها من قبل استمكانها.

قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير خير فقال ابن عباس: لا خير ولا شر فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر.

وخرج طاووس مع صاحب له فى سفر فصاح غراب فقال الرجل : خير فقال طاووس : وأى خير عند هذا لا تصحبنى؟ انتهى» ملخصاً.

#### ● إشكال وجوابه: ولكن يشكل عليه:

ما رواه ابن حبان فى صحيحه عن أنس مرفوعاً: « لا طيرة، والطيرة على من تطير » فظاهر هذا أنها تكون سبباً لوقوع الشر بالتطير<sup>(١)</sup>.

وجوابه: أن المراد بذلك من تطير تطيراً منهياً عنه، وهو أن يعتمد على ما يسمعه ويراه حتى يمنع مما يريد من حاجته، فإنه قد يصيبه ما يكرهه عقوبة له فأما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفاً ورجاءً، وقطعه عن الالتفات إلى غير الله، وقال وفعل ما أمر به فإنه لا يضره ذلك.

وأما من اتقى أسباب الضرر بعد انعقادها بالأسباب المنهى عنها فإنه لا ينفعه ذلك غالباً كمن رده الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ما تطير به، فإنه كثيراً ما يصاب بما يخشى به.

#### ● إشكال ثانى وجوابه. وهو ما بوبه البخارى بعنوان

● باب ما يذكر من شؤم الفرس ثم أسند عن سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: سمعت النبى ﷺ يقول «إنما الشؤم فى ثلاثة: فى الفرس، والمرأة والدار».

وأسند عن سهيل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن كان فى شىء فى المرأة والفرس والمسكن».

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: قوله (باب ما يذكر من شؤم الفرس) أى هل هو على عمومه، أو مخصوص ببعض الخيل؟ وهل هو على ظاهره، أو مؤول؟ وسيأتى تفصيل ذلك، وقد أشار بإيراد حديث سهل بعد حديث ابن عمر إلى أن الحصر الذى فى حديث ابن عمر

(٢) فتح البارى (٦/٧١: ٧٤).

(١) تقدم تخريجه.

ليس على ظاهره، وبترجمة الباب الذى بعده وهى «الخيل لثلاثة» إلى أن الشؤم مخصوص ببعض الخيل دون بعض وكل ذلك من لطيف نظره ودقيق فكره.

قوله (إنما الشؤم) بضم المعجمة وسكون الهمزة وقد تسهل فتصير واواً.

قوله (فى ثلاث) يتعلق بمحذوف تقديره كائن قاله ابن العربى، قال: والحصر فيها بالنسبة إلى العادة لا بالنسبة إلى الخلقة انتهى، وقال غيره: إنما خصت بالذكر لطول ملازمتها، وقد رواه مالك وسفيان وسائر الرواة بحذف «إنما» لكن فى رواية عثمان بن عمر «لا عدوى ولا طيرة، وإنما الشؤم فى الثلاثة»<sup>(١)</sup> قال مسلم لم يذكر أحد فى حديث ابن عمر «لا عدوى» إلا عثمان بن عمر، قلت - يعنى ابن حجر - : ومثله فى حديث سعد بن أبى وقاص الذى أخرجه أبو داود، لكن قال فيه: «إن تكن الطيرة فى شىء» الحديث<sup>(٢)</sup>، والطيرة والشؤم بمعنى واحد وظاهر الحديث أن الشؤم والطيرة فى هذه الثلاثة، قال ابن قتيبة: ووجهه أن أهل الجاهلية كانوا يتطيرون فنهاهم النبي ﷺ وأعلمهم أن لا طيرة، فلما أبوا أن يتنهوا بقيت الطيرة فى هذه الأشياء الثلاثة. قلت: أى: ابن حجر فمشى ابن قتيبة على ظاهره، ويلزم على قوله أن من تشاءم بشىء منها نزل به على ما يكره، قال القرطبي: ولا يظن به أنه يحمل على ما كانت الجاهلية تعتقده بناء على ذلك يضر وينفع بذاته فإن ذلك خطأ، وإنما عنى أن هذه الأشياء هى أكثر ما يتطير به الناس، فمن وقع فى نفسه شىء أبيع له أن يتركه ويستبدل به غيره، قلت - يعنى ابن حجر - وقد وقع فى رواية عمر العسقلانى - وهو ابن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر - عن أبيه عن ابن عمر بلفظ «ذكروا الشؤم فقال: إن كان فى شىء ففى» ولمسلم «إن يك من الشؤم شىء حق» وفى رواية عتبة بن مسلم «إن كان الشؤم فى شىء» وكذا فى حديث جابر عند مسلم<sup>(٣)</sup> وهو موافق لحديث سهل بن سعد ثانى حديثى الباب، وهو يقتضى عدم الجزم بذلك بخلاف رواية الزهرى، وقال ابن العربى: معناه إن كان خلق الله الشؤم فى شىء مما جرى من بعض العادة وإنما يخلقه فى هذه الأشياء، قال المازرى: يحمل هذه الرواية إن يكن الشؤم حقاً فهذه الثلاث أحق به، بمعنى أن النفوس يقع فيها التشاؤم بهذه أكثر مما يقع بغيرها، وجاء عن عائشة أنها أنكرت هذا

(١) [صحيح] أخرجه البخارى (٥٧٥٣) ومسلم فى السلام (١٤/٢٢٠ - ١ لنوى) عن ابن عمر به.

وانظر «رياض الصالحين» (١٦٧٨ - بتخريننا). وانظر «فتح المجيد» (ح ٥٧٥) بتخريننا

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢١)

(٣) [صحيح] أخرجه مسلم فى السلام (٧/٤٧٩/١٢٠) عن جابر به.

لحديث، فروى أبو داود الطيالسي في مسنده عن محمد بن راشد عن مكحول قال: قيل لعائشة إن أبا هريرة قال «قال رسول الله ﷺ الشؤم في ثلاثة» فقالت: لم يحفظ، إنه دخل وهو يقول «قاتل الله اليهود، يقولون الشؤم في ثلاثة» فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله، قلت: - يعني ابن حجر - ومكحول لم يسمع من عائشة فهو منقطع، لكن روى أحمد وابن خزيمة والحاكم من طريق قتادة عن أبي حسان «أن رجلين من بني عامر دخلا على عائشة فقالا: إن أبا هريرة قال «إن رسول الله ﷺ قال: «الطيرة في الفرس والمرأة والدار» فغضبت غضباً شديداً، وقالت: ما قاله، وإنما قال: «إن أهل الجاهلية كانوا ينظيرون من ذلك»<sup>(١)</sup> انتهى ولا معنى لإنكار ذلك على أبي هريرة مع موافقة من ذكرنا من الصحابة له في ذلك، وقد تأوله غيرها على أن ذلك سيق لبيان اعتقاد الناس في ذلك، لا أنه إخبار من النبي ﷺ بثبوت ذلك، وسياق الأحاديث الصحيحة المتقدم ذكرها يبعد هذا التأويل، قال ابن العربي: هذا جواب ساقط لأنه ﷺ لم يبعث ليخبر الناس عن معتقداتهم الماضية والحاصلة، وإنما بعث ليعلمهم ما يلزمهم أن يعتقدوه انتهى. وأما ما أخرجه الترمذي من حديث حكيم بن معاوية قال «سمعت رسول الله ﷺ يقول «لا شؤم، وقد يكون اليمن في المرأة والدار والفرس»<sup>(٢)</sup> فنفى إسناده ضعف مع مخالفته للأحاديث الصحيحة، وقال عبد الرزاق في مصنفه عن معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول: شؤم المرأة إذا كانت غير ولود وشؤم الفرس إذا لم يفرغ عليه، وشؤم الدار جار السوء<sup>(٣)</sup>. وروى أبو داود في الطب عن ابن القاسم عن مالك أنه سئل عنه فقال: كم من دار سكنها ناس فهلكوا<sup>(٤)</sup>.

قال المازري: فيحمله مالك على ظاهره، والمعنى أن قدر الله ربما اتفق ما يكره عند سكنى الدار فتصير في ذلك كالسبب فتسامح في إضافة الشيء إليه اتساعاً وقال ابن العربي: لم يرد مالك إضافة الشؤم إلى الدار، وإنما هو عبارة عن جرى العادة فيها فأشار إلى أنه ينبغي للمرء الخروج عنها صيانة لاعتقاده عن التعلق بالباطل.

وقيل: معنى الحديث أن هذه الأشياء يطول تعذيب القلب بها مع كراهة أمرها لملازمتها بالسكنى والصحية ولو لم يعتقد الإنسان الشؤم فيها، فأشار الحديث إلى الأمر بفرقتها ليزول التعذيب.

قلت: - يعني ابن حجر - وما أشار إليه ابن العربي في تأويل كلام مالك أولى،

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٤٧٩/٢)، والبيهقي في «الكبرى» (١٤٠/٨) عن عائشة به.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٧٢٤) مكر

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (٤١١/١٠)

(٤) ذكره أبو داود (١٨/٤)

وهو نظير الأمر بالفرار من المجذوم مع صحة نفي العدوى، والمراد بذلك حسم المادة وسد الذريعة لثلا يوافق شيء من ذلك القدر فيعتقد من وقع له أن ذلك من العدوى أو من الطيرة فيقع في اعتقاد ما نهى عن اعتقاده، فأشير إلى اجتناب مثل ذلك.

والطريق فيمن وقع له ذلك في الدار مثلاً أن يبادر إلى التحول منها، لأنه متى استمر فيها ربما حملة ذلك على اعتقاد صحة الطيرة والتشاؤم .

وأما ما رواه أبو داود وصححه الحاكم من طريق إسحق بن طلحة عن أنس «قال رجل: يا رسول الله إنا كنا في دار كثير فيها عددنا وأموانا، فتحولنا إلى أخرى فقل فيها ذلك، فقال: «ذروها ذميمة»<sup>(١)</sup>، وأخرج من حديث فروة بن مسيك<sup>(٢)</sup> بالمهملة مصغراً ما يدل على أنه هو السائل، وله شاهد من حديث عبد الله بن شداد بن الهاد أحد كبار التابعين، وله رواية بإسناد صحيح إليه عند عبد الرزاق<sup>(٣)</sup>، قال ابن العربي ورواه مالك عن يحيى بن سعيد منقطعاً<sup>(٤)</sup> قال: والدار المذكورة في حديثه كانت دار مكمل بضم الميم وسكون الكاف وكسر الميم بعدها لام - وهو ابن عوف أخو عبد الرحمن ابن عوف - قال: وإنما أمرهم بالخروج منها لاعتقادهم أن ذلك منها، وليس كما ظنوا، لكن الخالق جل وعلا جعل ذلك وفقاً لظهور قضائه، وأمرهم بالخروج منها لثلاً يقع لهم بعد ذلك شيء فيستمر اعتقادهم. قال ابن العربي: وأفاد وصفها بكونها ذميمة جواز ذلك، وأن ذكرها بقبیح ما وقع فيها سائغ من غير أن يعتقد أن ذلك كان منها، ولا يمتنع ذم محل المكروه، وإن كان ليس منه شرعاً كما يذم العاصي على معصيته وإن كان ذلك بقضاء الله تعالى، وقال الخطابي: هو استثناء من غير الجنس، ومعناه إبطال مذهب الجاهلية في التطير، فكأنه قال: «إن كانت لأحدكم دار يكره سكنها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره سيره فليفارقه.

قال وقيل إن شؤم الدار ضيقها وسوء جوارها، وشؤم المرأة أن لا تلد، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليه.

وقيل المعنى ما جاء بإسناد ضعيف رواه الدمياطي في الخيل «إذا كان الفرس ضروباً فهو مشئوم»، وإذا حنت المرأة إلى بعلها الأول فهي مشئومة، وإذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع منها الأذان فهي مشئومة.

(١) أخرجه أبو داود (٣٩٢٤)

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢٣)

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٢٦)

(٤) أخرجه مالك في «الموطأ» (٢/٧٤١/٢٣) عن يحيى بن سعيد به.

وقيل: كان قوله ذلك في أول الأمر، ثم نسخ ذلك بقوله تعالى ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ الآية، حكاها ابن عبد البر، والنسخ لا يثبت بالاحتمال، لا سيما مع إمكان الجمع ولا سيما وقد ورد في نفس هذا الخبر نفى التطير ثم إثباته في الأشياء المذكورة.

وقيل يحمل الشؤم على قلة الموافقة وسوء الطباع، وهو كحديث سعد بن أبي وقاص رفعه «من سعادة المرء المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الهنيء ومن شقاوة المرء المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»<sup>(١)</sup> أخرجه أحمد، وهذا يختص ببعض أنواع الأجناس المذكورة دون بعض، وبه صرح ابن عبد البر فقال: يكون لقوم دون قوم، وذلك كله بقدر الله.

وقال المهلب ما حاصله: أن المخاطب بقوله «الشؤم في ثلاثة» من التزم التطير، ولم يستطع صرفه عن نفسه، فقال لهم: إنما يقع ذلك في هذه الأشياء التي تلازم في غالب الأحوال، فإذا كان كذلك فاتركوها عنكم ولا تعذبوا أنفسكم بها. ويدل على ذلك تصديره الحديث بنفى الطيرة.

واستدل لذلك بما أخرجه ابن حبان عن أنس رفعه «لا طيرة، والطيرة على من تطير، وإن تكن في شيء ففي المرأة»<sup>(٢)</sup> الحديث، وفي صحته نظر لأنه من رواية عتبة بن حميد عن عبيد الله بن أبي بكر عن أنس، وعتبة مختلف فيه اهـ.

قال ابن حجر<sup>(٣)</sup> في موضع آخر: قال الشيخ تقي الدين السبكي: تخصيص الشؤم بمن تحصل منها العداوة والفتنة؟ لا كما يفهمه بعض الناس من التشاؤم بكمبها أو أن لها تأثيراً في ذلك، وهو شيء لا يقول به أحد من العلماء؟ ومن قال إنها سبب في ذلك فهو جاهل، وقد أطلق الشارع على من ينسب المطر إلى النوء الكفر فكيف بمن ينسب ما يقع من الشر إلى المرأة مما ليس لها فيه مدخل وإنما يتفق موافقة قضاء وقدر فتتقد النفس من ذلك، فمن وقع له ذلك فلا يضره أن يتركها من غير أن يعتقد نسبة الفعل إليها. قلت: - يعني ابن حجر - وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن، ويشهد له قوله تعالى ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ فجعلهن من حب الشهوات وبدأ بهن قبل بقية الأنواع إشارة إلى أنهن الأصل في ذلك، ويقع في

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/١٦٨) عن سعيد بن أبي وقاص به.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) فتح الباري (٩/٤١).

المشاهدة حب الرجل ولد من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها، ومن أمثلة ذلك قصة النعمان بن بشير في الهبة<sup>(١)</sup> وقد قال بعض الحكماء: النساء شر كلهن وأشر ما فيهن عدم الاستغناء عنهن ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل على تعاطي ما فيه نقص العقل والدين كمشغله عن طلب أمور الدين وحمله على التهالك على طلب الدنيا وذلك أشد الفساد وقد أخرج مسلم حديث أبي سعيد في أثناء حديث «واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء»<sup>(٢)</sup> اهـ.

● قال سليمان آل الشيخ وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة منها

قوله عليه السلام في حديث أنس «الطيرة على من تطير»<sup>(٣)</sup> وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاءمه سبباً لحلول المكروه كما يجعل الثقة به والتوكل عليه، وإفراجه بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر.

وقال ابن القيم: إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاثة، ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها الله وإنما غاية أن الله سبحانه قد يخلق أعياناً منها مشؤومة على من قاربها وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولدًا مباركًا يريان الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدًا مشؤومًا يريان الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه العبد من ولاية أو غيرها، فكذلك الدار والمرأة والفرس، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعودًا مباركة، ويقضى بسعادة من قاربها وحصول اليمن والبركة له، ويخلق بعضها نحوسًا يتحس بها من قاربها، وكل ذلك بقضائه وقدره كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، كما خلق المسك وغيره من الأرواح الطيبة، ولذو بها من قاربها من الناس، وخلق ضدها وجعلها سببًا لألم من قاربها من الناس، والفرق بين هذين النوعين مدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون» انتهى.

(١) [صحيح] أخرجه البخاري (٢٥٨٦)، ومسلم في الهبات (٦٥/١١ - النوى)

وانظر «منا السبيل» بتخريجنا

(٢) [صحيح] أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والاستغفار (٥٥/١١ - النوى)

«رياض الصالحين» (٧١ - بتخريجنا)

(٣) تقدم.

قلت - يعنى سليمان آل الشيخ-: ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أو أمة أو دابة، أن يسأل الله من خيرها وخير ما جبلت عليه، ويستعيذ من شرها وشر ما جبلت عليه»(١) وكذلك ينبغى لمن سكن داراً أن يفعل ذلك ولكن يبقى على هذا أن يقال هذا جار فى كل مشؤوم فما وجه خصوصية هذه الثلاثة بالذكر؟ وجوابه أن أكثر ما يقع التطير فى هذه الثلاثة فخصت بالذكر. لذلك ذكره فى «شرح السنن».

ومنها ما روى مالك عن يحيى بن سعيد قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله: دار سكنائها والعدد كثير والمال وافر فقل العدد وذهب المال، فقال النبى ﷺ: «دعوها ذميمة»(٢) رواه أبو داود عن أنس بنحوه(٣) وجوابه أن هذا ليس من الطيرة المنهى عنها، بل أمرهم بالانتقال لأنهم استقلوها واستوحشوا منها، لما لحقهم فيها ليتعجلوا الراحة مما دخلهم من الجزع، لأن الله قد جعل فى غرائز الناس استئصال ما نالهم الشر فيه، وإن كان لا سبب له فى ذلك وحب من جرى على يديه الخير لهم، وإن لم يردهم به، ولأن مقامهم فيها قد يقودهم إلى الطيرة، فيوقعهم ذلك فى الشرك والشر الذى يلحق التطير بسبب طيرته، وهذا بمنزلة الخارج من بلد الطاعون غير فار منه، ولو منع الناس الرحلة من الدار التى تتوالى عليهم فيها المصائب والمحن، وتعدر الأرزاق مع سلامة التوحيد فى الرحلة للزم، كل من ضاق عليه رزق فى بلد أو قلة فائدة صناعته أو تجارته فيها أن لا يتنقل عنها إلى غيرها ومنها.

فإن قيل: ما الفرق بين الدار وبين موضع الوباء حيث رخص فى الارتحال عن الدار دون موضع البلاء؟ أجب بعضهم أن الأمور بالنسبة إلى هذا المعنى ثلاثة أقسام.

أحدها: ما لا يقع التطير منه نادراً، أو لا مكرراً فهذا لا يصغى إليه كنعى الغراب فى السفر، وصرخ بومة فى دار، وهذا كانت العرب تعتبره.

ثانيها: ما يقع به ضرر، ولكنه يعم ولا يخص ينذر ولا يتكرر كالوباء، فهذا لا يقدم عليه ولا يفر منه.

وثالثها: سبب محض ولا يعم ويلحق به الضرر لطول الملازمة كالمرأة، والفرس،

(١) أخرجه أبو داود (٢١٦٠) وابن ماجه (١٩١٨) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به.

وانظر «الأذكار» للنورى (٧٢١ - بتخريجنا) وصححه الألبانى فى آداب الزفاف.

(٢) تقدم تخريجه

(٣) تقدم تخريجه.

والدار فيباح له الاستبدال، أو التوكل على الله، والإعراض عما يقع في النفس ذكره في «شرح السنن».

ومنها: حديث اللقحة لما منع النبي ﷺ حرباً ومرةً من حلبها وأذن ليعيش رواه مالك (١).

وجوابه: أن ابن عبد البر قال: ليس هذا عندي من باب الطيرة لأنه محال أن ينهى عن شيء ويفعله، وإنما هو من طلب الفأل الحسن، وقد كان قد أخبرهم عن أقيح الأسماء أنه حرب ومرة، فالمراد بذلك حتى لا يتسمى بهما أحد، وقد روى ابن وهب في «جامعه» ما يدل على هذا فإنه قال في هذا الحديث «فقام عمر بن الخطاب فقال: أتكلّم يا رسول الله أم أصمت؟ فقال: «بل اصمت وأخبرك بما أردت، ظننت يا عمر أنها طيرة ولا طير إلا طيره، ولا خير إلا خيره ولكن أحب الفأل الحسن» وعلى هذا تجرى بقية الأحاديث التي توهم بعضهم أنها من باب الطيرة. أهـ قوله: «ولا هامة».

قال ابن حجر (٢): قال أبو زيد: هي بالتشديد، وخالفه الجميع فخففوها، وهو المحفوظ في الرواية، وكأن من شددها ذهب إلى واحدة الهوام وهي ذوات السموم، وقيل دواب الأرض التي تهّم بأذى الناس، وهذا لا يصح نفيه إلا أن أريد أنها لا تضره لذواتها وإنما تضر إذا أراد الله إيقاع الضرر بمن أصابته، وقد ذكر الزبير بن بكار في «الموفقيات» أن العرب كانت في الجاهلية تقول: إذا قتل الرجل ولم يؤخذ بثأره خرجت من رأسه هامة - وهي دودة - فتدور حول قبره فتقول: اسقوني اسقوني، فإن أدرك بثأره ذهبت وإلا بقيت، وفي ذلك يقول شاعرهم:

يا عمرو وإلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

قال: وكانت اليهود تزعم أنها تدور حول قبره سبعة أيام ثم تذهب، وذكر ابن فارس وغيره من اللغويين نحو الأول: إلا أنهم لم يعينوا كونها دودة، بل قال القزاز: الهامة طائر من طير الليل، كأنه يعني البومة، وقال ابن الأعرابي: كانوا يشاءمون بها، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول: نعت إلى نفسي أو أحداً من أهل دارى، وقال أبو عبيد: كانوا يزعمون أن عظام الميت تصير هامة فتطير، ويسمون ذلك الطائر الصدى،

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٤٧١/٢٤) عن يحيى بن سعيد به

(٢) الفتح ٢٥٢/١٠.



فعلى هذا فالمعنى فى الحديث لا حياة لهامة الميت، وعلى الأول لا شؤم بالبومة ونحوها، ولعل البخارى ترجم «لا هامة» مرتين بالنظر لهذين التفسيرين والله أعلم اهـ.

قوله: «ولا صفر»

قال البخارى: (باب لا صفر: وهو داء يأخذ بالبطن).

قال ابن حجر (١): قوله (باب لا صفر وهو داء يأخذ البطن) كذا جزم بتفسير الصفر، وهو بفتحتين، وقد نقل أبو عبيدة معمر بن المثنى فى «غريب الحديث» له عن يونس بن عبيد الجرمى أنه سأل رؤبة بن العجاج فقال: هى حية تكون فى البطن تصيب الماشية والناس، وهى أعدى من الجرب عند العرب، فعلى هذا فالمراد بنفى الصفر ما كانوا يعتقدونه فيه من العدوى، ورجح عند البخارى هذا القول لكونه قرن فى الحديث بالعدوى، وكذا رجح الطبرى هذا القول واستشهد له بقول الأعشى «ولا يعرض على شرسوفه الصفر» والشرسوف بضم المعجمة وسكون الراء ثم مهملة ثم فاء: الضلع، والصفر دود يكون فى الجوف فرمما عض الضلع أو الكبد فقتل صاحبه، وقيل المراد بالصفر الحية لكن المراد بالنفى نفى ما كانوا يعتقدونه أن من أصابه قتله، فرد ذلك الشارع بأن الموت لا يكون إلا إذا فرغ الأجل، وقد جاء هذا التفسير عن جابر وهو أحد رواة حديث «لا صفر» قاله الطبرى، قيل فى الصفر قول آخر، وهو أن المراد به شهر صفر، وذلك أن العرب كانت تحرم صفر وتستحل المحرم، فجاء الإسلام بزد ما كانوا يفعلونه من ذلك فلذلك قال ﷺ «لا صفر» قال ابن بطال: وهذا القول مروى عن مالك، والصفر أيضاً وجع فى البطن يأخذ من الجوع ومن اجتماع الماء الذى يكون منه الاستسقاء، ومن الأول حديث «صفرة فى سبيل الله خير من حمر النعم» أى جوعة، ويقولون صفر الإناء إذا خلا عن الطعام، ومن الثانى فى حديث ابن مسعود «أن رجلاً أصابه الصفر فنعت له السكر» أى حصل له الاستسقاء فوصف له النبيذ، وحمل الحديث على هذا لا يتجه، بخلاف ما سبق أ.هـ.

قال سليمان آل الشيخ (٢):

وروى أبو داود عن محمد بن راشد عن سمعه يقول: أن أهل الجاهلية كانوا يستشمون بـصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي ﷺ ذلك قال ابن رجب: ولعل هذا القول أشبه الأقوال، وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر

(٢) تيسير العزيز الحميد (٣٢١)

(١) فتح البارى (١٠٠/١٨١).

فيه، والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام  
كيوم الأربعاء وتشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة. أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: والحديث في سياق التطير، والأقرب أن صفر يعنى الشهر  
وأن المراد نفى كونه مشؤوماً، أى لا شؤم فيه، وهو كغيره من الأزمان يُقدر فيه الخير  
ويقدر فيه الشر، وهذا النفى فى هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود، لأنها موجودة،  
ولكنه نفى للتأثير، فالمؤثر هو الله، فما كان منها سبباً معلوماً، فهو سبب صحيح، وما  
كان منها سبباً موهوماً فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحاً،  
ولكونه سبباً إن كان باطلاً. أهـ.

ثم قال<sup>(٢)</sup>: فالأزمنة لا دخل لها فى التأثير وفى تقدير الله - عز وجل - فصفر  
كغيره من الأزمنة يقدر فيه الخير والشر، وبعض الناس إذا انتهى من شىء فى صفر أُرِّخَ  
ذلك وقال: انتهى فى صفر الخير، وهذا من باب مداواة البدعة بدعة، والجهل بالجهل،  
فهو ليس شهر خير ولا شهر شر.

أما شهر رمضان، وقولنا: إنه شهر خير، فالمراد بالخير العبادة، ولا شك أنه شهر  
خير، وقولهم: رجب المعظم، بناءً على أنه من الأشهر الحرم. ولهذا أنكر بعض  
السلف على من إذا سمع البومة تنعق قال: خيراً إن شاء الله، فلا يقال: خير ولا شر،  
بل هى تنعق كبقية الطيور.

فهذه الأربعة التى نفاها الرسول ﷺ تبين وجوب التوكل على الله وصدق العزيمة،  
ولا يضعف المسلم أمام هذه الأشياء، لأن الإنسان لا يخلو من حالين:  
إما أن يستجيب لها بأن يُقدِّم أو يُحجِّم أو ما أشبه ذلك، فيكون حينئذ قد علَّق  
أفعاله بما لا حقيقة له ولا أصل له، وهو نوع من الشرك.

وإما أن لا يستجيب بأن يكون عنده نوع من التوكل ويقدم ولا يبالي، لكن يبقى فى  
نفسه نوع من الهم أو الغم، وهذا وإن كان أهون من الأول، لكن يجب ألا يستجيب  
لداعى هذه الأشياء التى نفاها الرسول ﷺ مطلقاً، وأن يكون معتمداً على الله - عز  
وجل.

وبعض الناس قد يفتح المصحف لطلب التفاؤل، فإذا نظر ذكر النار تشاءم، وإذا نظر  
ذكر الجنة قال: هذا فالطيب، فهذا مثل عمل الجاهلية الذين يستقسمون بالأزلام.

(٢) القول المفيد ٢/١٠٢، ١٠٣، ١٠٤.

(١) القول المفيد ٢/٩٩، ١٠٠.

فالحاصل أننا نقول: لا تجعل على بالك مثل هذه الأمور مطلقاً، فالأسباب المعلومة الظاهرة تقى أسباب الشر، وأما الأسباب الموهومة التي لم يجعلها الشر سبباً بل نفاها، فلا يجوز لك أن تتعلق بها، بل احمد الله على العافية وقل ربنا عليك توكلنا.

وهذا النفي فى هذه الأمور الأربعة ليس نفيًا للوجود، لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير، فالمؤثر هو الله فما كان منها سبباً معلوماً، فهو سبب صحيح، وما كان منها سبباً موهوماً، فهو سبب باطل، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحاً، ولكونه سبباً إن كان باطلاً اهـ.

قوله: «ولا نوء» قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: واحد الأنواء وسيأتى الكلام عليه فى باب ما جاء فى الاستسقاء بالأنواء. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>: قوله «لا نوء» واحد الأنواء، والأنواء: هى منازل القمر، وهى ثمان وعشرون منزلة، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة.

وهذه النجوم بعضها يسمى النجوم الشمالية، وهى لأيام الصيف، وبعضها يسمى النجوم الجنوبية، وهى لأيام الشتاء، وأجرى الله العادة أن المطر فى وسط الجزيرة العربية يكون أيام الشتاء، أما أيام الصيف، فلا مطر.

فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء، ويتفاءلون به فيقولون: هذا نجم سعد وخير، ولهذا إذا أمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا، ولا يقولون: مطرنا بفضل الله ورحمته، ولا شك أن هذا غاية الجهل.

ألسنا أدركنا هذا النوء بعينه فى سنة يكون فيه مطر وفى سنة أخرى لا يكون فيه مطر؟

ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التى كانت كثيراً ما يكون فى زمنها الأمطار.

فالنوء لا تأثير له، فقولنا: طلع هذا النجم، كقولنا: طلعت الشمس، فليس له إلا طلوع وغروب، والنوء وقت تقدير، وهو يدل على دخول الفصول فقط.

وفى عصرنا الحاضر يعلق المطر بالضغط الجوى والمنخفض الجوى، وهذا وإن كان قد

(١) تيسير العزيز الحميد (٣٢١).

(٢) القول المفيد (٢/١٠٤ و ١٠٥).

يكون سبباً حقيقياً ، ولكن لا يفتح هذا الباب للناس ، بل الواجب أن يقال : هذا من رحمة الله ، هذا من فضله ونعمه ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَافاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ﴾ (٢)

فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية ، من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه .

فذهبت أنواء الجاهلية، وجاءت المنخفضات الجوية، وما أشبه ذلك من الأقوال التي تصرف الإنسان عن ربه - سبحانه وتعالى - . نعم المنخفضات الجوية قد تكون سبباً لتزول المطر، لكن ليست هي المؤثرة بنفسها . فتنبه ا.هـ . وسيأتى مزيد من الشرح له في باب الاستسقاء .

قوله: «ولاغول».

قال سليمان آل الشيخ (٣): هو بالفتح مصدر معناه البعد والهلاك وبالضم الاسم وجمعه أغوال وغيلان وهو المراد هنا .

قال أبو السعادات: الغول واحد الغيلان، وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تترأى للناس فتتغول تغولاً أى: تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم أى تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله . وقيل: قوله: «لا غول» ليس نفيًا لعين الغول ووجوده، وإنما فيه إبطال زعم العرب في تلونه بالصور المختلفة واغتيالها . فيكون المعنى بقوله: «لاغول» أنها لا تستطيع أن تضل أحداً ويشهد له .

الحديث الآخر: «لَا غَوْلَ وَلَكِنَّ السَّعَالِيَّ سَحْرَةَ الْجِنِّ» أى ولكن في الجن سحرة لهم تلبس وتخيل .

ومنه الحديث: «إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلَانَ فَبَادِرُوا بِالْأَدَانِ» (٤) أى: ادفعوا شرها بذكر الله،

(١) النور: ٤٣

(٢) الروم: ٤٨

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٢١ و٣٢٢

(٤) [مرسل] أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة . (٥٢٤) عن جابر به .

وانظر «الأذكار» للنووي (٥٦٢) - بتخريجنا

وَلَهُمَا عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طَيْرَةٌ وَيُعْجِبُنِي  
الْقَالَ». قَالُوا: وَمَا الْقَالَ؟ قَالَ: «الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ» (١).

وهذا يدل على أنه لم يرد بنفسها عدوها. ومنه حديث أبي أيوب كان لى تمر فى  
سهوة فكانت الغول تحبىء فتأخذ. أهـ  
قال ابن عثيمين (٢): قوله: «ولا غول».

جمع غَوْلَةٌ أو غَوْلَةٌ، ونحن نسميها باللغة العامية: (الهولة)؛ لأنها تهول الإنسان.  
والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يميناً وشمالاً تلونت لهم الشياطين بألوان مفرجة  
مخيفة، فتدخل فى قلوبهم الرعب والخوف، فتجدهم يكتبون ويستحسرون عن الذهاب  
إلى هذا الوجه الذى أرادوا، وهذا لاشك أنه يضعف التوكل على الله، والشيطان  
حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا  
النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٣).  
وهذا الذى نفاه الرسول ﷺ هو تأثيرها؛ فلا تهتمكم لأنها خوفتكم، فلا تلتفتوا  
إليها، وليس المقصود بالنفى نفى الوجود، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان  
قلبه معلقاً بها، أما إن كان معتمداً على الله غير مبالٍ بها؛ فلا تضره ولا تمنعه عن وجهه  
قصده أهـ.



قوله [ولهما عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ....] الحديث

هذا الحديث رواه البخارى فى كتاب الطب فى باب القال ولفظه «لا طيرة وخيرها  
القال». قالوا: وما القال يارسول الله؟ قال: «الكلمة الصالحة يسميها أحدكم». وهو لفظ  
مسلم أيضاً.

مناسبة هذا الحديث للباب.

قال القرعاوى (٤): حيث دل الحديث على إبطال الطيرة.

(١) [متفق عليه] أخرجه البخارى فى «الطب» / باب: القال (١٠/٢٢٤ / ح ٥٧٥٦) ومسلم فى  
«السلام» / باب: الطيرة والقال وما يكون من الشؤم (٥/١٤/٢١٩) وأبو داود فى «الطب» / باب: الطيرة  
(٣٩١٦/١٧/٤).

وإنظر: «رياض الصالحين» (ح ١٦٧٧) بتخريننا وفتح المجيد (٥٥٩) بتخريننا.

(٢) القول القيد ١٠٥/٢ و ١٠١. (٣) المجادلة: ١٠. (٤) الجديد (٢٥٦).

- مناسبة الحديث للتوحيد.

قال القرعاوى<sup>(١)</sup>: حيث أنكر الحديث الطيرة وذلك لأنها تعليق للقلب بغير الله وهذا شرك به .

قوله: [ولهما عن أنس قال...]

أى : وعند البخارى ومسلم أيضاً عن أنس .

قوله: «لاعدوى، ولاطيرة».

تقدم الكلام على ذلك مفصلاً فى شرح الحديث الماضى .

قوله: «ويعجبني الفأل».

قال ابن القيم<sup>(\*)</sup>: فى لفظ (وخيرها الفأل) وفى لفظ (وأصدقها الفأل) وفى لفظ (وكان يعجبه الفأل)

قال ابن حجر<sup>(٢)</sup>: بقاء ثم همزة وقد تسهل، والجمع فتول بالهمزة جزماً .

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: قال أبو السعادات: الفأل مهموز فيما يسر ويسوء، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء، وربما استعملت فيها يسر، يقال: تفاءلت بكذا، وتفاءلت على التخفيف والقلب . وقد أولع الناس بترك الهمزة تخفيفاً .

قال ابن القيم<sup>(٤)</sup>: ليس فى الإعجاب بالفأل ومحبه شئ من الشرك، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة، ومن حب الفطرة الإنسانية التى تميل إلى ما يوافقها ويلائمها كما أخبرهم ﷺ أنه حبيب إليه من الدنيا النساء والطيب<sup>(٤)</sup> وكان يحب الحلوى والعسل<sup>(٥)</sup> ويحب حسن الصوت بالقرآن والأذان، ويستمع إليه، ويحب معالى الأخلاق، ومكارم الشيم .

وبالجمله: يحب كل كمال وخير، وما يفضى إليهما، والله سبحانه وتعالى قد جعل فى غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبه، وميل نفوسهم إليه، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستيثار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنته والبشر، والفوز والظفر، ونحو ذلك .

فإذا قرعت هذه الأسماء الاسماع استبشرت بها النفس وانشرح لها الصدر، وقوى بها القلب، وإذا سمعت أصدادها أوجب لها ضد هذه الحال، فأحزنها ذلك، وأثار لها

(١) الجديد (٢٥٦) . (٢) الفتح ١٠ / ٢٢٥

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٢٢ .

(٤) (\*) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٤٤) .

(٥) تقدم تخريجه (٦) تقدم تخريجه

خوفاً وطيبة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه، فأورث لها ضرراً في الدنيا، ونقصاً في الإيمان، ومقارفة للشرك». اهـ.

ونقل سليمان آل الشيخ ذلك عنه.

قوله: «وقالوا: وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة».

قال ابن القيم(\*) : وفي لفظ مسلم «ويعجبني الفأل الصالح» أى الكلمة الحسنة. وقال «إذا أبردتم إلى بريداً فاجعلوه حسن الاسم، حسن الوجه».

ثم قال ابن القيم: قال عبدالله بن عباس: لا طيرة لكنه فال، و الفأل المرسل : يسار، وسالم، ونحوه من الاسم يعرض لك على غير معاد.

وسئل بعض العلماء عن الفأل؟ فقال: أن تسمع وأنت قد أضللت بغيراً أو شيئاً. (يا واجد). أو وأنت خائف (يا سالم).

وقال الأصمى سألت ابن عون عن الفأل؟ فقال: أن يكون مريضاً فيسمع (ياسالم) وأخبرك عن نفسى بقضية من ذلك، وهى أنى أضللت بعض الأولاد فى يوم التروية بمكة وكان طفلاً فجهدت فى طلبه والنداء عليه فى سائر الركب إلى وقت يوم الثامن فلم أقدر له على خبر، فأيست منه، فقال لى إنسان إن هذا عجز، اركب وأدخل الآن إلى مكة فتطلبه فيها، فركبت فرساً فما هو إلا أن استقبلت جماعة يتحدثون فى سواد الليل فى الطريق، وأحدهم يقول : ضاع له شىء فلقية فلا أدرى انقضاء كلمته كان أسرع أم وجدانى الطفل مع بعض أهل مكة فى محملة عرفته بصوته.

فقول ﷺ: «ولا طيرة وخيرها الفأل» ينفى عن الفأل مذهب الطيرة من تأثير أو فعل أو شركة ويخلص الفأل منها. اهـ.

قال الحافظ(١): وقال فى حديث أنس «ويعجبني الفأل الصالح، الكلمة الحسنة» وفى حديث عروة بن عامر الذى أخرجه أبو داود قال: «ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال: «خيرها الفأل، ولا ترد مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله» وقوله: «وخيرها الفأل»(٢).

(١) الفتح ١٠/٢٢٥، ٢٢٦.

(\*) مفتاح دار السعادة (٥٨٢- ٥٨٣)

(٢) سيأتى تخريجه

قال الكرمانى: تبعاً لغيره. هذه الإضافة تشعر بأن الفأل من جملة الطيرة، وليس كذلك بل هى إضافة توضيح، ثم قال: وأيضاً فإن من جملة الطيرة كما تقدم تقريره التيامن، فبين بهذا الحديث أنه ليس كل التيامن مردوداً كالتشاؤم، بل بعض التيامن مقبول.

قلت: - يعنى ابن حجر - وفى الجواب الأول دفع فى صدر السؤال، وفى الثانى تسليم السؤال ودعوى التخصيص وهو أقرب وقد أخرج ابن ماجه بسند حسن عن أبى هريرة رفعه: «كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة»<sup>(١)</sup> وأخرج الترمذى من حديث حابس التميمى أنه سمع النبى ﷺ يقول: «العين حق، وأصدق الطيرة الفأل»<sup>(٢)</sup> ففى هذا التصريح أن الفأل من جملة الطيرة لكنه مستثنى.

وقال الطيبى: الضمير المؤنث فى قوله: «وخيرها» راجع إلى الطيرة، وقد علم أن الطيرة كلها لا خير فيها، فهو كقوله تعالى: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً﴾ وهو مبنى على زعمهم؛ وهو من إرخاء العنان فى المخادعة بأن يجرى الكلام على زعم الخصم حتى لا يشمئز عن التفكير فيه، فإذا تفكر فأنصف من نفسه قبل الحق، فقوله: «خيرها الفأل» إطماع للسامع فى الاستماع والقبول، لا أن فى الطيرة خيراً حقيقة، أو هو من نحو قوله: «الصيف أحر من الشتاء» أى الفأل فى بابه أبلغ من الطيرة فى بابها.

والحاصل: أن أفعل التفضيل فى ذلك إنما هو بين القدر المشترك بين الشئين، والقدر المشترك بين الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه، والفأل فى ذلك أبلغ. قال الخطابى: وإنما كان ذلك لأن مصدر الفأل عن نطق وبيان، فكأنه خبر جاء عن غيب، بخلاف غيره فإنه مستند إلى حركة الطائر أو نطقه وليس فيه بيان أصلاً، وإنما هو تكلف ممن يتعاطاه، وقد أخرج الطبرى عن عكرمة قال: كنت عند ابن عباس، فمر طائر فصاح، فقال رجل: خير خير، فقال ابن عباس: ما عند هذا لاخير ولاشراه وتقدم أثر ابن عباس وغيره عند قوله: (ولا طيرة). والله أعلم.

ثم قال: قال ابن بطال: جعل الله فى فطر الناس محبة الكلمة الطيبة والأئس بها كما جعل فيها الارتياح بالمنظر الأنيق والماء الصافى وإن كان لايملكه ولايشربه. وأخرج

(١) [رجاله ثقات] أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٦) وقال البوصيرى: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٦٧/٤)، (٧٠/٥)، والترمذى (٢٠٦١).



الترمذى وصححه من حديث أنس «أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يعجبه أن يسمع: يا نجيح ياراشد»<sup>(١)</sup> وأخرج أبو داود بسند حسن عن بريدة: «أن النبي ﷺ كان لا يتطير من شيء، وكان إذا بعث عاملاً يسأل عن اسمه، فإذا أعجبه فرح به، وإن كره اسمه رأى كراهة ذلك في وجهه»<sup>(٢)</sup>. اهـ.

[قلت] وتقدم في أول هذا الباب التفرقة بين الفأل والطيرة. والله أعلم.

ثم قال: قال الحلبي: وإنما كان ﷺ يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال. وقال الطيبي: معنى الترخص في الفأل والمنع من الطيرة هو أن الشخص لو رأى شيئاً فظنه حسناً محرصاً على طلب حاجته فليفعل ذلك. وإن رآه بضد ذلك فلا يقبله بل يمضى لسبيله. فلو قبل وانتهى عن المضي فهو الطيرة التي اختصت بأن تستعمل في الشؤم. والله أعلم.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٣)</sup>: بين لهم ﷺ أن الفأل يعجبه، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهى عنها. اهـ.

قال ابن عثيمين<sup>(٤)</sup>: فـ «الكلمة الطيبة»

فـ «الكلمة الطيبة» تعجبه ﷺ؛ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضى قُدماً لما يسعى إليه الإنسان، وليس هذا من الطيرة، بل هذا مما يشجع الإنسان؛ لأنها لا تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينة وإقداماً وإقبالاً.

وظاهر الحديث: الكلمة الطيبة في كل شيء، لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سبباً لخيرات كثيرة، حتى إنها تدخل المرء في جملة ذوى الأخلاق الحسنة.

وهذا الحديث جمع النبي ﷺ فيه بين محذورين ومرغوب؛ فالمحذوران هما العدوى والطيرة، والمرغوب هو الفأل، وهذا من حسن تعليم النبي ﷺ؛ فمن ذكّر المرهوب ينبغي أن يذكر معه ما يكون مرغوباً، ولهذا كان القرآن مثاني إذا ذكر أوصاف المؤمنين ذكر أوصاف الكافرين، وإذا ذكر العقوبة ذكر المثوبة، وهكذا. اهـ.



(١) أخرجه الترمذى (١٦١٦) عن أنس به

(٢) أخرجه أبو داود (٣٩٢٠) عن بريدة به.

(٣) تيسير العزيز الحميد (٣٢٢)

(٤) القول المفيد ١٠٦/٢ و١٠٧

وَأَبِي دَاوُدَ بَسْتَدَ صَحِيحَ عَن عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: «ذُكِرَتْ الطَّيْرَةُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فَإِذَا رَأَى أَحَدَكُمْ مَا يَكْرَهُ، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ» (١).

### ● مناسبة الحديث للتوحيد:

قال محمد القرعاوي (٢): حيث أنكر الحديث الطيرة لأنها تعليق للقلب بغير الله وهذا شرك به. أهـ

### ● مناسبة الحديث للباب:

قال محمد القرعاوي (٣): حيث دل الحديث على إبطال الطيرة.

قوله: «عن عقبه بن عامر».

قال سليمان آل الشيخ (٤): قوله: عن عقبه بن عامر هكذا وقع في نسخ التوحيد، وصوابه عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما، وهو مكى اختلف في نسبه، فقال أحمد بن حنبل في روايته: عن عروة بن عامر القرشي، وقال غيره الجهني، واختلف في صحبته فقال الباوردي: له صحبة. وذكره ابن حبان في ثقات التابعين، وقال المزي لا صحبة له تصح.

قلت: قال المنذرى: وقال أبو القاسم الدمشقي: ولا صحبة له تصح، وذكر البخارى وغيره أنه سمع من ابن عباس فعلى هذا يكون الحديث مرسلًا (\*) أهـ.

(١) أخرجه أبو داود فى «الطب»/ باب: فى الطيرة (٤/١٨٢١٧/ح ٣٩١٩) والبيهقى فى «الكبرى» (٨/٢٤٠/ح ٦٥٢١).

من طريق: وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن عروة بن عامر قال... فذكره.

وسند الحديث غير صحيح لعلتين: -

أحدهما: الاختلاف فى صحبة عروة بن عامر كما ذكر ذلك الإمام النووى والذهبى وابن حجر.

ثانيها: فى الإسناد عن عروة بن حبيب بن أبى ثابت وهو مدلس.

وانظر: «رياض الصالحين» (ح ١٦٨٠) بتخريجنا، وفتح المجيد (٥٨٥ - بتخريجنا).

(٢ - ٣) الجديد ٢٥٨. (٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٣.

(\*) عون المعبود (٤١٦/١٠).

قلت: وعلى ذلك فقول المصنف: «ولأبى داود بسند صحيح عن عقبة بن عامر - عروة بن عامر - «أى بسند صحيح إليه لا إلى النبي ﷺ والله أعلم.

قوله: «قال: ذكرت الطيرة عند النبي - ﷺ -».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: وهذا الذكر إما ذكر شأنها، أو ذكر أن الناس يفعلونها، والمراد: تحدث الناس بها عند رسول الله ﷺ. أ.هـ.

قوله: «فقال: أحسنها الفأل».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قد تقدم أنه - ﷺ - كان يعجبه الفأل.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: قوله: «أحسنها الفأل». أ.هـ.

قلت: تقدم في أول الباب الفرق بين الطيرة والفأل، وسبق أن الفأل ليس من الطيرة، لكنه شبيه بالطيرة من حيث الإقدام؛ فإنه يزيد الإنسان نشاطاً وإقداماً فيما توجه إليه؛ فهو يشبه الطيرة من هذا الوجه، وإلا؛ فيسبغ فرق لأن الطيرة توجب تعلق الإنسان بالمتطير به، وضعف توكله على الله، ورجوعه عما هم به من أجل ما رأى لكن الفأل يزيده قوة وثباتاً ونشاطاً؛ فالشبه بينهما هو التأثير في كل منهما. أ.هـ.

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: وروى الترمذى وصححه عن أنس أن النبي ﷺ كان إذا خرج لحاجته يحب أن يسمع: يا محيي يا راشد<sup>(٥)</sup>.

وروى أبو داود عن بريدة أن النبي ﷺ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلاً سَأَلَ عَنْ اسْمِهِ فَإِذَا أَعْجَبَهُ فَرِحَ بِهِ رُئِيَ بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ، رُئِيَ كَرَاهِيَةَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ. . . . الحديث<sup>(٦)</sup> وإسناده حسن. فهذا فى استعمال الفأل. قال ابن القيم فى الكلام على الحديث المشروح: أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها، فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ولكنه خير منها، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد، ونفع أحدهما ومضرة الآخر، ونظير هذا منعه من الرقى بالشرك وإذنه فى الرقية إذا لم يكن فيها شرك لما فيها من المنفعة الخالية عن المفسدة.

(١) القول المفيد ١٠٨/٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٢٣.

(٣) القول المفيد (١٠٨/٢).

(٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٣، ٣٢٤.

(٥) تقدم تخريجه

(٦) تقدم تخريجه

قوله: «ولاترد مسلماً».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قال الطيبي تعريضه بأن الكافر بخلافه. أهـ

قوله: «فإن رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قوله: «اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت» أى: لا تأتى الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات، بل أنت وحدك لا شريك لك، الذى تأتى بالحسنات وتدفع السيئات. وهذا دعاء مناسب لمن وقع فى قلبه شىء من الطيرة، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً.

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: قوله: «إذا رأى أحدكم ما يكره».

فحينئذ قد تردُّ على قلبه الطيرة، ويبتعد عما يريد، ولا يقدم عليه، وقد ذكر النبى ﷺ دواء لذلك وقال: «فليقل: اللهم لا يأتى بالحسنات..» إلخ.

قوله: «اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت».

وهذا هو حقيق التوكل، وقوله: «اللهم». يعنى: يا الله، ولهذا بُنيت على الضم؛ لأن المنادى علم، بل هو أعلم الأعلام وأعرف المعارف على الإطلاق، والميم عوض عن يا المحذوفة، وصارت فى آخر الكلمة تبركاً بالابتداء باسم الله - سبحانه وتعالى -، وصارت ميماً؛ لأنها تدل على الجمع؛ فكان الداعى جمع قلبه على الله.

قوله: «لا يأتى بالحسنات إلا أنت».

أى: لا يُقدِّرها ولا يخلقها ولا يوجدها للعبد إلا الله وحده لا شريك له، وهذا لا ينافى أن تكون الحسنات بأسباب؛ لأن خالق هذه الأسباب هو الله، فإذا وجدت هذه الحسنات بأسباب خلقها الله؛ صار الموجد حقيقةً هو الله.

والمراد بالحسنات: ما يستحسن المرء وقوعه، ويحسن فى عينه.

ويشمل ذلك الحسنات الشرعية؛ كالصلاة والزكاة وغيرها؛ لأنها تسر المؤمن،

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٢٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٢٤.

(٣) القول المفيد ١٠٨/٢ - ١١٠.

ويشمل الحسنات الدنيوية؛ كالمال والولد ونحوها، قال تعالى: ﴿إِنْ تَصَبَّكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصَبَّكَ مَصِيْبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَبِتَوْلُوا وَهُمْ فَرِحُونَ﴾، وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تَصَبَّكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ (١).  
وقوله: «إلا أنت».

فاعل يأتى: لأن الاستثناء هنا مفرغ.

قوله: «ولا يدفع السيئات إلا أنت».

السيئات: ما يسوء المرء وقوعه وينفر منه حالاً أو مآلاً، ولا يدفعها إلا الله، ولهذا إذا أصيب الإنسان بمصيبة التجأ إلى ربه تعالى، حتى المشركون إذا ركبوا فى الفلك، وشاهدوا الغرق دعوا الله مخلصين له الدين.

ولا ينافى هذا أن يكون دَفْعُهَا بأسباب؛ فمثلاً لو رأى رجلاً غريقاً، فأنقذه فإنما أنقذه بمشيئة الله، ولو شاء الله لم ينقذه، فالسبب من الله.

فعبدة كل مسلم أنه لا يأتى بالحسنات إلا الله، ولا يدفع السيئات إلا الله، وبمقتضى هذه العقيدة؛ فإنه يجب أن لا يسأل المسلم الحسنات ولا يسأل دفع السيئات إلا من الله، ولهذا كان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم يسألون الله الحسنات ويسألون دفع السيئات، قال تعالى عن زكريا: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ (٢)، وقال تعالى: عن أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣)، وهكذا يجب أن يكون المؤمن أيضاً.

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» أهـ.

قال سليمان آل الشيخ (٤): قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك».

قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك» استعانة بالله تعالى على فعل التوكل، وعدم الالتفات الى الطيرة التى قد تكون سبباً لوقوع المكروه وعقوبة لفاعلها وذلك إنما يصدر من تحقيق التوكل، الذى هو أقوى الأسباب فى جلب الخيرات، ودفع المكروهات، والحوال: التحول والانتقال من حال إلى حال، والقوة على ذلك، أى لا حول ولا قوة

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) آل عمران: ٣٨.

(٣) الأنبياء: ٨٣.

(٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٤.

على ذلك الحول إلا بك، وذلك يفيد التوكل على الله لأنه علم وعمل، فالعلم معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضرر، وعامة المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك، والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين، وهو داخل في هذه الكلمة، لأن فيها التبرى من الحول والقوة والمشية، بدون حول الله وقوته ومشيته والاقرار بقدرته على كل شيء، وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه، وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة. أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله: «ولا حول ولا قوة إلا بك».

في معناها وجهان:

الأول: أنه لا يوجد حول ولا قوة إلا بالله؛ فالباء بمعنى فى، يعنى: إلا فى الله وحده، ومن سواه ليس لهم حول ولا قوة، ويكون الحول والقوة المنفيان عن غير الله هما الحول المطلق والقوة المطلقة؛ لأن غير الله فيه حول وقوة، لكنها نسبية ليست بكاملة؛ فالحول الكامل والقوة الكاملة فى الله وحده.

الثانى: أن الحول والقوة مضاف إلى المخلوق؛ فالباء للاستعانة أو للسببية، أى: لا حول لنا ولا قوة لنا إلا بالله - عز وجل -، وهذا المعنى أصح، وهو مقتضى ردها فى مواضعها؛ إذ إننا لا نتحول من حال إلى حال، ولانقوى على ذلك إلا بالله؛ فيكون فى هذه الجملة كمال التفويض إلى الله، وأن الإنسان يبرأ من حوله وقوته إلا بما أعطاه الله من الحول والقوة.

فإن صح الحديث؛ فالرسول ﷺ أرشدنا إذا رأينا ما نكره مما يتشاءم به المشائم أن نقول: «اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات، إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك». قلت: تقدم فى أول الباب جملة من الآثار فيها أسباب أخرى لعلاج الطيرة فراجعها.



(١) القول المفيد ٢/ ١١٠ و ١١١.

وعن ابن مسعود مرفوعاً: «الطَّيْرَةُ شُرْكٌ، الطَّيْرَةُ شُرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا... وَلَكِنَّ اللَّهَ يَذْهَبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَجَعَلَ آخِرَهُ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ<sup>(١)</sup>.

قوله: وعن ابن مسعود مرفوعاً الطيرة شرك الحديث  
قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: «هذا الحديث رواه أيضاً ابن ماجه وابن حبان ولفظ  
أبي داود: «الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثاً». أهـ  
- مناسبة الحديث للباب والتوحيد:  
قال القرعاوي<sup>(٣)</sup>: حيث دل الحديث على أن الطيرة شرك. أهـ.  
قوله: «الطيرة شرك الطيرة شرك».  
قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>:

صريح في تحريم الطيرة وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله. وقال  
ابن حمدان في «الرعاية» تكره الطيرة. وكذا قال: غير واحد من أصحاب أحمد. قال  
ابن مفلح: والأولى القطع بتحريمها. ولعل مرادهم بالكراهة التحريم قلت: - أي  
سليمان آل الشيخ - بل الصواب القطع بتحريمها لأنها شرك وكيف يكون الشرك مكروهاً  
الكراهة الاصطلاحية؟ فإن كان القائل بكراهتها أراد ذلك فلا ريب في بطلانه. قال في  
«شرح السنن» وإنما جعل الطيرة من الشرك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم  
نفعاً أو يدفع عنهم ضرراً. إذا عملوا بموجبه فكأنهم شركوه مع الله تعالى. أهـ.  
قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: قوله: «الطيرة شرك، الطيرة شرك».  
هاتان الجملتان يؤكد بعضهما بعضاً من باب التوكيد اللفظي.  
وقوله: «شرك».

أى: إنها من أنواع الشرك، وليست الشرك كله، وإلا؛ لقال: الطيرة الشرك.  
وهل المراد بالشرك هنا الشرك الأكبر المخرج عن الملة، أو أنها نوع من أنواع الشرك؟

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٣٨٩/١، ٤٣٨، ٤٤٠)، وأبو داود في الطب / باب في الطيرة  
(٣٩١٠ / ١٦ / ٤) والترمذى في السير / باب ما جاء في الطيرة (٤ / ١٦٠ / ١٦١٤) والحاكم في «المستدرک»  
(١٨ / ١)، والبيهقى في «الکبرى» (١٣٩ / ٨).

من طريق سلمة بن كهيل، عن عيسى بن عاصم، عن زر، عن عبد الله به.  
قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل، وروى شعبة أيضاً  
عن سلمة هذا الحديث.

قال: سمعت محمد بن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول في هذا الحديث وما منّا ولكن  
الله يذهب بالتوكل. قال سليمان: هذا عندي قول عبد الله بن مسعود وما منّا وانظر فتح المجيد (ح ٥٨٨).  
بتخريجنا.

(٣) الجديد ٢٦٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٢٤.

(٥) القول المفيد ١١١ / ٢ : ١١٣.

(٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٤ و ٣٢٥.

نقول: هي نوع من أنواع الشرك؛ كقوله ﷺ: «اثنان في الناس هما بهم كفر» (١) أى: ليس الكفر المخرج عن الملة، وإلا؛ لقال: «هما بهم الكفر»، بل هما نوع من الكفر.

لكن في ترك الصلاة قال: «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» (٢)، فقال: «الكفر»، فيجب أن نعرف الفرق بين «أل» المعرفة أو الدالة على الاستغراق، وبين خلو اللفظ منها، فإذا قيل: هذا كفر؛ فالمراد أنه نوع من الكفر لا يخرج من الملة، وإذا قيل: هذا الكفر؛ فهو المخرج من الملة.

فإذا تطير إنسان بشيء رآه أو سمعه؛ فإنه لا يعد مشركاً شركاً يخرج من الملة، لكنه أشرك من حيث إنه اعتمد على هذا السبب الذى لم يجعله الله سبباً، وهذا يضعف التوكل على الله ويوهن العزيمة، وبذلك يعتبر شركاً من هذه الناحية.

والقاعدة: «إن كل إنسان اعتمد على سبب لم يجعله الشرع سبباً؛ فإنه مشرك شركاً أصغر».

وهذا نوع من الإِشراك مع الله؛ إما في التشريع إن كان هذا السبب شرعياً، وإما في التقدير إن كان هذا السبب كونياً، لكن لو اعتقد هذا المشائم المتطير أن هذا فاعل بنفسه دون الله؛ فهو مشرك شركاً أكبر؛ لأنه جعل لله شريكاً في الخلق والإيجاد. أه قوله: «وما منّا إلا».

قال ابن عثيمين (٣): قوله: «وامنا».

«منا»: جار ومجرور خير لمبتدأ محذوف، إما قبل (إلا) إن قدرت ما بعد إلا فعلاً؛ أى وما منا أحد إلا تطير، أو بعد (إلا)؛ أى وما منا إلا متطير.

والمعنى: ما منا إنسان يسلم من التطير؛ فالإنسان يسمع شيئاً فيتشاءم، أو يبدأ، فى فعل؛ فيجد أوله ليس بالسهل فيتشاءم ويتركه. أه

قال سليمان آل الشيخ (٤): قوله: «وما منا إلا». قال أبو القاسم الأصبهاني والمنذرى: فى الحديث إضمار والتقدير وما منا إلا وقد وقع فى قلبه شىء من ذلك انتهى. وحاصله وما منا إلا من يعتريه التطير ويسبق إلى قلبه الكراهة فيه. فحذف ذلك اعتماداً على فهم السامع. وقال الخلخالي: حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا نوع من أدب الكلام.

(١) تقدم تخريجه

(٢) تقدم تخريجه

(٣) القول المفيد ٢/١٣/١١٤.

(٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٥.



قوله: «ولكن الله يذهب بالتوكل».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(١)</sup>: قوله: «ولكن الله يذهب بالتوكل» أى ما منا إلا من يقع فى قلبه ذلك، ولكن لما توكلنا على الله وآمنا به، واتبعنا ما جاء به الرسول ﷺ واعتقدنا صدقه، أذهب الله ذلك عنا وأقر قلوبنا على السنة واتباع الحق. أهـ  
قال ابن عثيمين<sup>(٢)</sup>:

والتوكل: صدق الاعتماد على الله فى جلب المنافع ودفع المضار مع الثقة بالله.  
فلا يكفى صدق الاعتماد فقط، بل لا بد أن تتق به؛ لأنه سبحانه يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(٣)</sup>. أهـ

قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٤)</sup>: قوله: وجعل آخره من قول ابن مسعود قال الترمذى: سمعت محمد ابن إسماعيل يقول: كان سليمان بن حرب يقول فى هذا: «وما منا» هذا عندى من قول ابن مسعود، فالترمذى نقل ذلك عن سليمان بن حرب ووافقه على ذلك العلماء. قال ابن القيم: وهو الصواب، فإن الطيرة نوع من الشرك. أهـ  
قلت: وكذا قال الخطابى: وهذه الجملة أى من قوله: «مامنا إلا...» إلى آخره ليست من قول النبى ﷺ وإنما هو قول عبدالله بن مسعود - رضى الله عنه وتقدم فى أول الباب عن ابن حجر<sup>(\*)</sup>.

قال ابن عثيمين<sup>(٥)</sup>: قوله: «وجعل آخره من قول ابن مسعود».

وهو قوله: «وما منا إلا...» إلخ.

وعلى هذا يكون موقوفاً، وهو مدرج فى الحديث، والمدرج: أن يدخل أحد الرواة كلاماً فى الحديث من عنده بدون بيان، ويكون فى الإسناد والمتن، ولكن أكثره فى المتن، وقد يكون فى أول الحديث، وقد يكون فى وسطه، وقد يكون فى آخره، وهو الأكثر.

مثال ما كان فى أول الحديث: قول أبى هريرة رضى الله عنه: «أسبغوا الوضوء، ويلٌ للأعقاب من النار»<sup>(٦)</sup>؛ فقوله: «أسبغوا الوضوء» من كلام أبى هريرة، وقوله: «ويلٌ للأعقاب من النار» من كلام الرسول ﷺ.

(١) تيسير العزيز الحميد ٣٢٥. (٢) القول المفيد ١١٤/٢ و ١١٥

(٣) الطلاق: ٣. (٤) تيسير العزيز الحميد ٣٢٥.

(٥) القول المفيد ١١٤/٢. (\*) عون المعبود (١٠/٤٠٦-٤٠٧)

(٦) [متفق عليه] أخرجه: البخارى (١٦٥)، ومسلم فى الطهارة (٣/١٣١ - النووى)

وَأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو: «مَنْ رَدَّتْهُ الطَّيْرَةُ عَنْ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ»  
قَالُوا: فَمَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا  
طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ»<sup>(١)</sup>.

ومثال ما كان فى وسطه قول الزهرى فى حديث بدء الوحي: «كان رسول الله ﷺ  
يَتَحَنَّنُ فى غار حراء، والتحنن: التبعُد»<sup>(٢)</sup>، ومثال ما كان فى آخره: هذا الحديث الذى  
ذكره المؤلف، وكذا حديث أبى هريرة، وفيه: «فمن استطاع منكم أن يطيل غرته؛  
فليفعل»<sup>(٣)</sup>، فهذا من كلام أبى هريرة<sup>(٤)</sup>.



قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>: هذا الحديث رواه الإمام أحمد والطبرانى عن عمرو بن  
العاص مرفوعاً وفى إسناده ابن لهيعة وفيه اختلاف وبقية رجاله ثقات. أهـ  
- مناسبة الحديث للباب وللتوحيد.

قال القرعاوى<sup>(٦)</sup>: حيث دل الحديث على شرك من رده الطيرة عن المضى فى  
حاجته. أهـ

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٧)</sup>: قوله: «من رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك» وذلك أن  
التطير هو التشاؤم بالشئ المرئى أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها عن سفره  
وامتنع بها عما عزم عليه؛ فقد قرع باب الشرك، بل ولجه وبرىء من التوكل على الله،

(١) أخرجه أحمد فى «مسنده» (٢/ ٢٢٠).

من طريق ابن لهيعة أخبرنا ابن مسيرة عن أبى عبد الرحمن الخلبى عن عبد الله بن عمرو . . فذكره.  
وذكره الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ١٠٥) وقال: رواه أحمد والطبرانى وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه  
ضعف.

وله شاهد من حديث بريدة عن أبيه أخرجه الطبرانى فى «الدعاء» (ح ١٢٧٠). وانظر «فتح المجيد» (ح  
٥٩٠) بتخريجنا.

(٢) [صحيح] أخرجه البخارى (٣)، ومسلم فى الإيمان (١/ ٤٧٤/ ٢٥٢).

(٣) [صحيح] أخرجه البخارى (١٣٦)، ومسلم فى الطهارة (٢/ ١٣٦/ ٣٤) عن أبى هريرة به.

(٤) وانظر أمثله على ذلك فى كتابنا «التيسير والتأصيل والسلفية فى شرح المنظومة البيقونية» فى مبحث

المدرج

(٥) تيسير العزيز الحميد ٣٢٠.

(٦) الجديد ٢٦٢.

(٧) تيسير العزيز الحميد ٣٢٦.

وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله، وذلك قاطع له عن مقام ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فيصير قلبه متعلقاً بغير الله، وذلك شرك فيفسد عليه إيمانه، ويبقى هدفاً لسهام الطيرة. ويقضي له الشيطان من ذلك ما يفسد عليه دينه ودنياه، وكم ممن هلك بذلك وخسر الدنيا والآخرة.

قوله: «من رده الطيرة عن حاجته فقد أشرك».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله في حديث ابن عمرو: «من».

شرطية، وجواب الشرط: «فقد أشرك»، واقتران الجواب بالفاء؛ لأنه لا يصلح لمباشرة الأداة، وحينئذ يجب اقتارانه بالفاء، وقد جمع ذلك في بيت شعر معروف، وهو قوله:

اسمِيَّةٌ طَلِيئَةٌ وَبِجَامِدٍ      وَبِمَا وَقَدُ وَلَنْ وَبِالتَّنْفِيسِ  
قوله: «من رده الطيرة عن حاجته».

الحاجة: كل ما يحتاجه الإنسان بما تتعلق به الكمالات، وقد تطلق على الأمور الضرورية. أهـ

قوله: «فقد أشرك».

أى: شركاً أكبر إن اعتقد أن هذا المُشَاءَمَ به يفعل ويحدث الشر بنفسه، وإن اعتقده سبباً فقط فهو أصغر؛ لأنه سبق أن ذكرنا قاعدة مفيدة في هذا الباب، وهى: «إن كل من اعتقد فى شىء أنه سبب ولم يثبت أنه سبب لا كوناً ولا شرعاً؛ فشركه شرك أصغر؛ لأنه ليس لنا أن نثبت أن هذا سبب إلا إذا كان الله قد جعله سبباً كوناً أو شرعاً؛ فالشرعى: كالقراءة والدعاء، والكونى: كالأدوية التى جُرِّبَ نفعها».

قوله: «قالوا: فما كفارة ذلك».

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قوله: «فما كفاره ذلك إلى آخر الحديث. هذا كفارة لما

يقع من الطيرة ولكن يمضى مع ذلك ويتوكل على الله أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: قوله: «فما كفارة ذلك».

أى: ما كفارة هذا الشرك، أو ما هو الدواء الذى يزيد هذا الشرك؟ لأن الكفارة قد تطلق على كفارة الشىء بعد فعله، وقد تطلق على الكفارة قبل الفعل، وذلك لأن

(١) القول المفيد ٢/ ١١٥ : ١١٦ .

(٣) القول المفيد ٢/ ١١٦ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٢٦ .

الاشتقاق مأخوذ من الكفر، وهو الستر، والستر واق؛ فكفارة ذلك إن وقع وكفارة ذلك إن لم يقع.

قوله: «قال اللهم لاخير إلا خيرك ولاطير إلا طيرك».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله: «اللهم لاخير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك».

أى: الطيور كلها ملكك؛ فهي لا تفعل شيئاً، وإنما هي مسخرة، قال تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٣)</sup> فالمهم أن الطير مسخرة بإذن الله؛ فالله تعالى هو الذى يدبرها ويصرفها ويسخرها تذهب يميناً وشمالاً، ولا علاقة لها بالحوادث.

ويحتمل أن المراد بالطير هنا ما يتشاءم به الإنسان؛ فكل ما يحدث للإنسان من التشاؤم والحوادث المكروهة؛ فإنه من الله كما أن الخير من الله؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

لكن سبق لنا أن الشر فى فعل الله ليس بواقع، بل الشر فى الفعل، بل فعله تعالى كله خير؛ إما خير لذاته، وإما لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التى تجعله خيراً.

- ما يستفاد من هذا الحديث:

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٥)</sup>: وفيه الاعتراف بأن الطير خلق مسخر مملوك لله، لا يأتى بخير ولايدفع شرأ، وأنه لا خير فى الدنيا والآخرة إلا خير الله، فكل خير فيهما فهو من الله تعالى تفضلاً على عباده وإحساناً إليهم وأن الالهية كلها لله ليس فيها لأحد من الملائكة والانبياء عليهم السلام شركة، فضلاً عن أن يشرك فيها ما يراه ويسمعه مما يتشاءم به. أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(٦)</sup>: يستفاد من هذا الحديث:

١ - أنه لايجوز للإنسان أن ترده الطيرة عن حاجته، وإنما يتوكل على الله ولا يبالي بما رأى أو سمع أو حدث له عند مباشرته للفعل أول مرة؛ فإن بعض الناس إذا حصل

(١) القول المفيد ١١٦/٢.

(٢) الملك: ١٩.

(٣) النحل: ٧٩.

(٤) الاعراف: ١٣١.

(٥) تيسير العزيز الحميد ٣٢٦.

(٦) القول المفيد ١١٨/٢ و ١١٩.

وَلَهُ: مِنْ حَدِيثِ الْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ: «إِنَّمَا الطَّيْرَةُ مَا أَمْضَاكَ أَوْ رَدَّكَ» (١).

له ما يكره في أول مباشرته الفعل تشاءم، وهذا خطأ؛ لأنه ما دامت هناك مصلحة دنيوية أو دينية؛ فلا تهتم بما حدث.

٢ - أن الطيرة نوع من الشرك؛ لقوله: «من رده الطيرة عن حاجته؛ فقد أشرك».

٣ - أن من وقع في قلبه التطير ولم ترده الطيرة؛ فإن ذلك لا يضر كما سبق في حديث ابن مسعود: «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» (٢).

٤ - أن الأمور بيد الله خيرها وشرها.

٥ - انفراد الله بالألوهية؛ كما انفرد بالخلق والتدبير.



قوله: من حديث الفضل....

قال سليمان آل الشيخ (٣):

هذا الحديث رواه أحمد في «المسند» ولفظه حدثنا حماد بن خالد قال: ثنا ابن علقمة عن مسلمة الجهني قال: سمعته يحدث عن الفضل بن عباس قال: خرجت مع رسول الله ﷺ يوماً فبرح ظبي فمال في شقه فاحتضته فقلت: يا رسول الله تطيرت قال: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك» هكذا رواه أحمد وفي إسناده نظر وقرأت بخط المصنف فيه رجل مختلف فيه، وفيه انقطاع أي: بين مسلم وبين الفضل وهو ابن العباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي ﷺ وأكبر ولد العباس. قال ابن معين: قتل يوم اليرموك في عهد أبي بكر رضى الله عنه. وقال غيره: قتل يوم مرج الصفر، سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة. قال أبو داود: قتل بدمشق كان عليه درع النبي ﷺ. وقال الواقدي وابن سعد: مات في طاعون عمواس. أهر

(١) [إسناده ضعيف] أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٠).

من طريق حماد بن خالد عن ابن علقمة عن مسلمة الجهني عن الفضل بن عباس..... فذكره.

قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف. لانقطاعه.

وذكره الحافظ في «المطالب العلية» (٢/ ٣٥٤ ح ٢٤٥٦) عن أبي أمامة. وانظر «فتح المجيد» (ح ٥٩١)

بتخریجنا.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٢٦.

قوله: «إنما الطيرة».

قال ابن عثيمين<sup>(١)</sup>: قوله في حديث الفضل: «إنما الطيرة».

هذه الجملة عند البلاغيين تسمى حصراً؛ أى ما الطيرة إلا ما أمضاك أو ردك لا ما حدث فى قلبك ولم تلتفت إليه، ولا ريب أن السلامة منها حتى فى تفكير الإنسان خير بلاشك، لكن إذا وقعت فى القلب ولم ترده ولم يلتفت لها؛ فإنها لا تضره، لكن عليه أن لا يستسلم، بل يدافع؛ إذ الأمر كله بيد الله. أهـ

قال سليمان آل الشيخ<sup>(٢)</sup>: قوله: «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك». هذا حد للطيرة المنهى عنها بأنها ما أوجب للإنسان أن يمضى لما يريد ولو من الفأل، فإن الفأل إنما يستحب لما فيه من البشارة والملاءمة للنفس، فأما أن يعتمد عليه ويمضى لأجله مع نسيان التوكل على الله فإن ذلك من الطيرة. وكذلك إذا رأى أو سمع ما يكره فتشاءم به وردّه عن حاجته فإن ذلك أيضاً من الطيرة. أهـ

قال ابن عثيمين<sup>(٣)</sup>: أما «ما ردك»؛ فلا شك أنه من الطيرة؛ لأن التطير يوجب الترك والتراجع.

وأما «ما أمضاك»؛ فلا يخلو من أمرين:

الأول: أن تكون من جنس التطير، وذلك بأن يستدل لنجاحه أو عدم نجاحه بالتطير، كما لو قال: سأزجر هذا الطير، فإذا ذهب إلى اليمين؛ فمعنى ذلك اليمين والبركة، فيقدم؛ فهذا لاشك أنه تطير؛ لأن التفاؤل بمثل انطلاق الطير عن اليمين غير صحيح؛ لأنه لا وجه له؛ إذ الطير إذا طار؛ فإنه يذهب إلى الذى يرى أنه وجهته، فإذا اعتمد عليه؛ فقد اعتمد على سبب لم يجعله الله سبباً، وهو حركة الطير.

الثانى: أن يكون سبب المضى كلاماً سمعه أو شيئاً شاهده يدل على تيسير هذا الأمر له؛ فإن هذا فآل، وهو الذى يعجب النبى ﷺ، لكن إن اعتمد عليه وكان سبباً لإقدامه؛ فهذا حكمه حكم الطيرة، وإن لم يعتمد عليه ولكنه فرح ونشط وازداد نشاطاً فى طلبه؛ فهذا من الفأل المحمود.

(١) القول المفيد ١١٩/٢.

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٢٧.

(٣) القول المفيد ١١٩ - ١٢٠.

## فيه مسائل

الأولى: التَّيْبَةُ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ (١) مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى  
﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ (٢).

الثانية: نَفْيُ الْعَدَوَى.

الثالثة: نَفْيُ الطَّيْرَةِ.

الرابعة: نَفْيُ الْهَامَةِ.

الخامسة: نَفْيُ الصَّفَرِّ.

---

والحديث في سنده مقال، لكن على تقدير صحته هذا حكمه.

فيه مسائل:

قال ابن عثيمين (٣):

● الأولى: التَّيْبَةُ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾، مَعَ قَوْلِهِ: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾.

أى: لكى يتبته الإنسان، فإن ظاهر الآيتين التعارض، وليس كذلك؛ فالقرآن والسنة لا تعارض بينهما ولا تعارض في ذاتهما، إنما يقع التعارض حسب فهم المخاطب، وقد سبق بيان الجمع أن قوله: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أن الله هو المقدر ذلك، وليس موسى ولا غيره من الرسل، وأن قوله: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ من باب السبب؛ أى: أنتم سببه.

● الثانية: نَفْيُ الْعَدَوَى.

وقد سبق أن المراد بنفيها نفي تأثيرها بنفسها لا أنها سبب للتأثير؛ لأن الله قد جعل بعض الأمراض سبباً للعدوى وانتقالها.

● الثالثة: نَفْيُ الطَّيْرَةِ. أى: نَفْيُ التَّأْيِيرِ لَا نَفْيُ الْوُجُودِ.

● الرابعة: نَفْيُ الْهَامَةِ. وقد سبق تفسيرها.

● الخامسة: نَفْيُ الصَّفَرِّ. وسبق تفسيره.

---

(٢) يس: ١٩.

(١) الأعراف: ١٣١.

(٣) القول المفيد ٢/ ١٢١ - ١٢٤.

السادسة: أَنْ الْفَالُ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ.

السابعة: تَفْسِيرُ الْفَالِ.

الثامنة: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ بَلْ يَذْهَبُهُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ.

التاسعة: ذَكَرَ مَا يَقُولُ مِنْ وَجَدَهُ.

العاشرة: التَّصْرِيحُ بِأَنَّ الطَّيْرَةَ شَرِكٌ.

الحادية عشرة: تَفْسِيرُ الطَّيْرَةِ الْمَذْمُومَةِ.

● السادسة: أَنْ الْفَالُ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ، بَلْ مُسْتَحَبٌّ. تؤخذ من قول النبي ﷺ: «يعجبني الفأل»، وكل ما أعجب النبي ﷺ؛ فهو حسن، قالت عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ يعجبه التيامن في تتعله وترجله وطهوره وفي شأنه كله» (١).

● السابعة: تفسير الفأل. فسره النبي ﷺ بأنه: الكلمة الطيبة، وسبق أن هذا التفسير على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ لأن الفأل كل ما ينشط الإنسان على شيء محمود؛ من قوله، أو فعل مرثى أو مسموع.

● الثامنة: أَنَّ الْوَاقِعَ فِي الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ مَعَ كَرَاهَتِهِ لَا يَضُرُّ، بَلْ يَذْهَبُهُ اللَّهُ بِالتَّوَكُّلِ. أى: إذا وقع في قلبك وأنت كاره له؛ فإنه لا يضررك ويذهب الله بالتوكل؛ لقول ابن مسعود: «وما منا إلا.... ولكن الله يذهب بالتوكل».

● التاسعة: ذكر ما يقول من وجده. وسبق أنه شيثان. أن يقول: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك».

أو يقول: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك».

● العاشرة: التصريح بأن الطيرة شرك. وسبق أن الطيرة شرك، لكن بتفصيل، فإن اعتقد تأثيرها بنفسها؛ فهو شرك أكبر، وإن اعتقد أنها سبب؛ فهو شرك أصغر.

● الحادية عشرة: تفسير الطيرة المذمومة. أى: ما أمضاك أو ردك. أهـ



(١) سبق تخريجه.